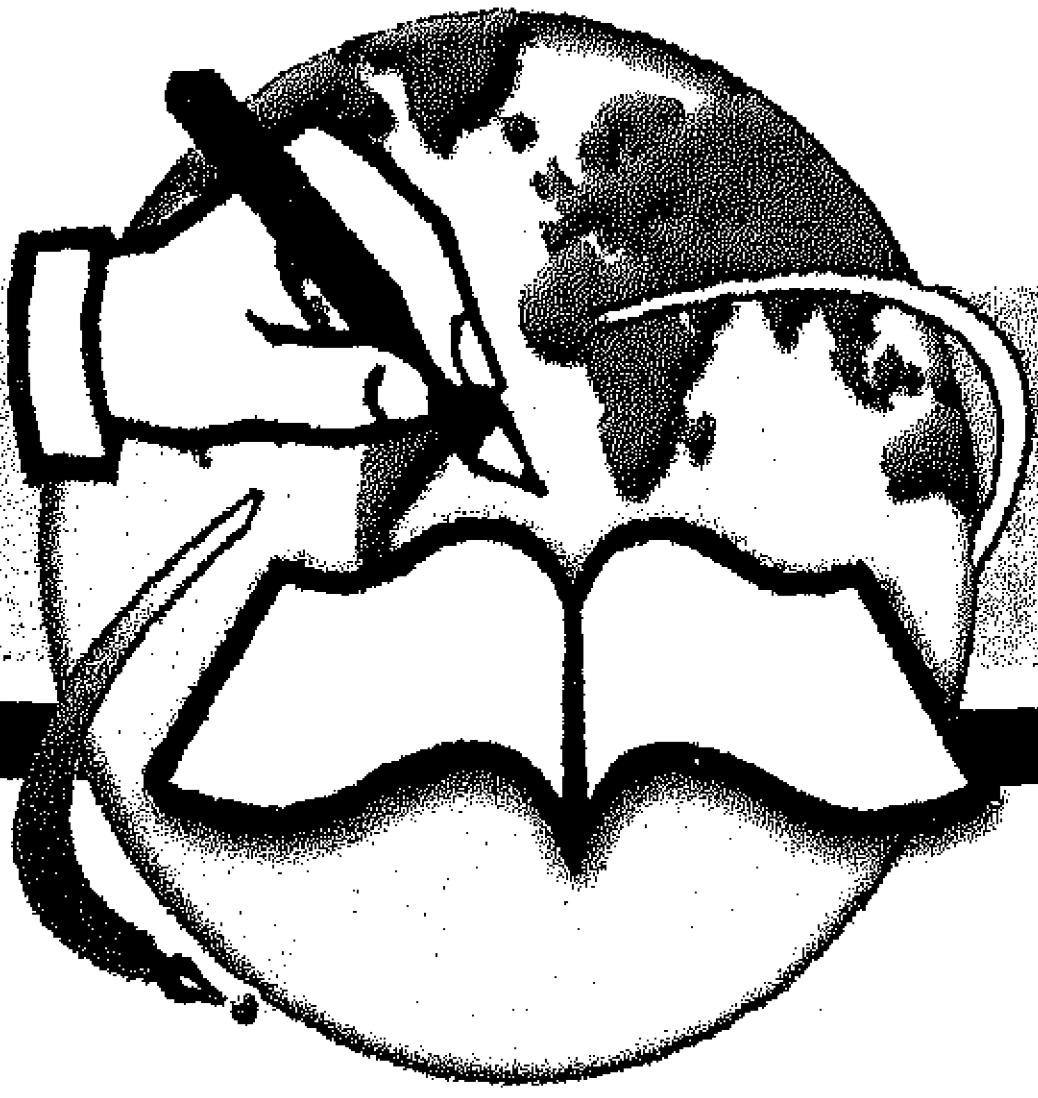
كتاب
الجمهورية

# الدين
# والحرب
# فى زمن بوش

مؤمن الهبَّاء

صالح

كتاب الجمهورية
سبتمبر ٢٠٠٨



www.gombook.net.eg



رئيس مجلس الإدارة
محمد أبو الحديد
E-mail:abuelhaded@eltahrir.net

رئيس التحرير
على هاشم
E-mail:aly_hashem@gitc.com.eg



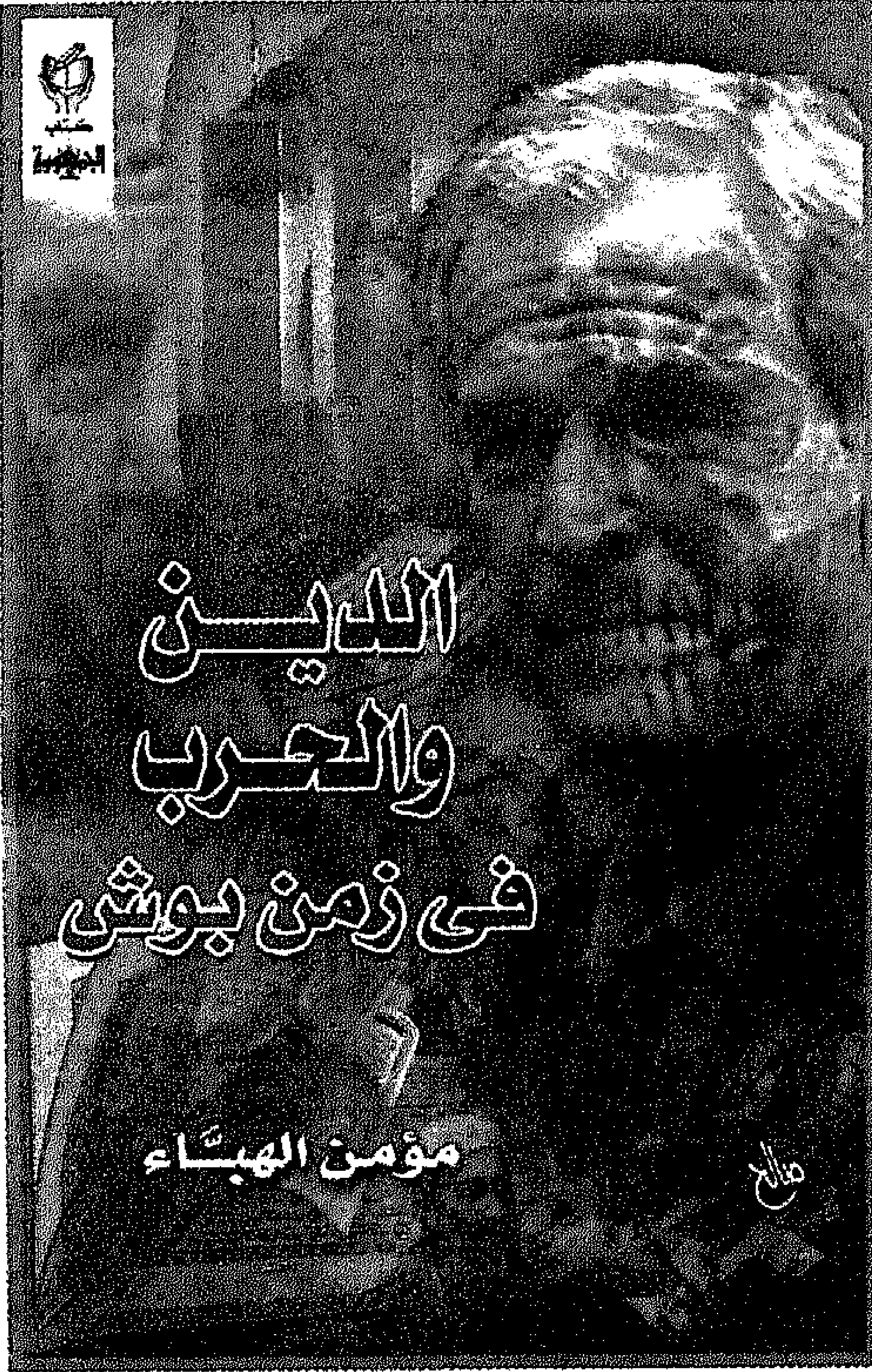

# الدين والحرب في زمن بوش

مؤمن الهبَّاء

دار الجمهورية للصحافة
١١١ ـ ١١٥ ش رمسيس
ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

إذا وجدت أى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية »
وإذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :
٢٥٧٨٣٣٣٣ ٢٥٧٨١٠١٠
http://www.eltahrir.net

سبتمبر ٢٠٠٨




تصميم الغلاف الفنان : صالح صالح

## أسعار البيع فى الخارج

| | |
|---|---|
| سوريا | ١٠٠ ل.س |
| لبنان | ٤٠٠ ل.ل |
| الأردن | ١,٥ دينار |
| الكويت | ١ دينار |
| السعودية | ١٠ ريال |
| البحرين | ١ دينار |
| قطر | ١٠ ريال |
| الإمارات | ١٠ درهم |
| سلطنة عُمان | ١ ريال |
| تونس | ٢ دينار |
| المغرب | ٣٠ درهم |
| اليمن | ٣٠٠ ريال |
| فلسطين | ٢ دولار |
| لندن | ٢ جك |
| أمريكا | ٥ دولار |
| استراليا | ٥ دولار استرالى |
| سويسرا | ٥ فرنك سويسرى |

## الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
٦٠ جنيهاً
الدول العربية ٣٠ دولاراً أمريكيا
اتحاد البريد الافريقى واوروبا
٣٨ دولارا أمريكيا
امريكا وكندا
٤٥ دولارا امريكيا
باقى دول العالم
٥٨ دولارا أمريكيا



سكرتير التحرير
سيد عبد الحفيظ

# الدين والحرب
# فى زمن بوش

مؤمن الهبّاء

# إهداء..

إلى أبنائى..
والأجيال الآتية معهم..
عسى أن يكونوا أكثر منا
وعياً وقدرة
للبقاء على قيد الحياة..
فى الأزمنة الصعبة
المقبلة.

# مقـــــدمة

الدين هو عنوان السلام والحب والإيثار والتعاون والتسامح.. أما الحرب فهى عنوان الجشع والطمع والأنانية والرغبة فى الهيمنة على الآخرين، الدين لا يدعو للحرب، لكن الحرب هى التى يمكن أن توظف الدين لتحقيق أهدافها، وعند هذه النقطة التقى الدين والحرب فى السياسات والاستراتيجيات التى وضعتها الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس جورج بوش الابن، بدعوى الحرب على الإرهاب، بينما هى فى الحقيقة صورة جديدة من صور الحروب الدينية التى عرفتها الإنسانية فى عصورها الغابرة.

لقد ظهرت تجليات عديدة لهذه الحرب، اختلط فيها ما هو دينى بما هو سياسى، واستخدم الدين أسوأ استخدام لتبرير الأطماع التوسعية ونزعات الهيمنة، وتم اختراع نظريات ارتدت أقنعة أكاديمية ودينية وثقافية لتسويق الحروب، واعتبارها قدراً لا مفر منه حتى ينتصر الخير على الشر فى النهاية، ويصبح البقاء للأصلح، الذى هو بالضرورة الأكثر تحضراً، والأوفر حظاً فى الثراء والتقدم العلمى، وامتلاك أدوات المدنية الحديثة، وأسلحتها المتطورة.

وليس ثمة شك فى أن هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، التى وقعت بعد ٩ أشهر فقط من تولى بوش الابن مقاليد السلطة فى الولايات المتحدة، وما تبعها من غزو أفغانستان والعراق، خلقت مناخاً مواتياً تكشفت فيه استراتيجيات الحرب الأمريكية التى يقال إنها موجهة ضد الإرهاب فى حين أنها موجهة إلى الدين الذى يزعمون أنه أنتج هذا الإرهاب، والتخلف وكراهية الآخر.

وقد أدت السياسات والاستراتيجيات التى تم تنفيذها على مدى سنوات بوش الابن فى الحكم إلى أن صار الإسلام - كدين - قضية القضايا، ومحور الصراعات، ليس فى العلاقة مع أمريكا فحسب، وإنما مع الغرب كله، والدول التى تدور فى فلكه.. ولم تعد الحرب فى فلسطين أو أفغانستان أو العراق أو

الصومال تدور فى المحور السياسى، وإنما صارت ـ فى عهد بوش ـ تدور فى المحور الدينى.. وبدلاً من أن يكون الجدل حول هذه الحرب فى إطار الحقوق المشروعة للشعوب فى المقاومة والحرية والاستقلال صار صناع القرار يروجون أنهم يحاربون باسم الله وبأمر منه.

وبعد أن كان التوتر بين الدول فى الشرق والغرب مقصوراً على الاقتصاد والتجارة وتوازنات السياسة، دخل الدين بقوة إلى دائرة التوتر.. وأصبح وقوداً لها.

ورغم أن تجارب التاريخ أثبتت أن المجتمعات لا يمكن أن تتطابق فى بيئتها الثقافية والدينية، وأن التباين والاختلاف سنة الكون، وأن العالم لا يمكن أن يكون لأمة دون الأمم، ولا لدين دون الأديان، ولا لحضارة دون الحضارات، فإن البعض تصور، من واقع الإحساس بالقوة، أن اللحظة التاريخية قد حانت لهزيمة الإسلام، الذى اعتبر المنافس الأكبر فى معركة "صدام الحضارات".

ويقينى أن التاريخ سوف يقف طويلاً أمام سنوات حكم الرئيس بوش، باعتبارها من أشد صفحاته سواداً فيما يتعلق بالسلم والأمن الدوليين، وفيما يتعلق بالتفاهم بين الشعوب، ليس فقط بسبب حروبه المتتالية، بل لأنها شهدت- أيضاً- إعلان الحرب على دين سماوى، والعمل على تحريفه وخلخلة ثوابته.

وهذا الكتاب يمثل محاولة لرصد الحرب الدينية التى عشناها فى زمن بوش.. وتتبع جذورها ونتائجها بالجدية والموضوعية اللازمتين.. وتحليل مختلف جوانبها.. واكتشاف الأوجه والأقنعة التى تخفت وراءها.. وتسليط الضوء على العناوين واللافتات التى وضعت عليها.. حتى يتبلور لدينا الوعى الكافى لمواجهة مثل هذه الحرب مستقبلاً.. وإعداد الأسلحة اللازمة لذلك ثقافياً ودينياً وسياساً واقتصادياً وإعلامياً.. فالتاريخ يعيد نفسه.. لا محالة.

مؤمن الهبَّاء

شعبان ١٤٢٩هـ - أغسطس ٢٠٠٨

# مدخـــــل

شـهـدت سنوات حكم الرئيس الأمـريكى جـورج بوش الابن الثـمـانيـة (٢٠٠٠/٢٠٠٨م) حرباً مسلحة ضد ما يسمى بالإرهاب، شملت أفغانستان والعراق والصومال بشكل مباشر، وسوريا ولبنان والسودان بشكل غير مباشر، واستعانت إدارة الرئيس بوش فى هذه الحرب بمبررات كاذبة للحصول على غطاء من الشرعية الدولية وقرارات مؤيدة من الأمم المتحدة، وقد ثبت ـ فيما بعد ـ أن هذه المبررات ملفقة.

وفى الوقت ذاته شهدت هذه السنوات الثمانية ـ التى جاءت على فترتين رئاسيتين ـ حربا ضد الإسلام، سارت بالتوازى مع الحرب المسلحة، واتسعت ميادينها ، وتشعبت وتعددت مظاهرها، وحملت مسميات كثيرة، ودخلت فيها أطراف ذات ألوان وأشكال مختلفة.

وقد دفعت هذه الحرب بالبعض إلى الاعتقاد الجازم بأن بوش عندما أعلن أنه سيخوض حرباً صليبية ضد ما سمّاه بالإرهاب عقب أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ لم يكن إعلانه هذا زلة لسان كما حاول هو وبعض معاونيه وصفه، وإنما كان فكراً أصيلاً وثقافة اجتماعية يؤمن بها الرئيس الأمريكى، تنطلق من عقيدته المسيحية الصهيونية.

وعلى مدى السنوات الثمانية ركزت الحرب الدينية على تشويه العروبة والعرب، والإسلام والمسلمين، والقرآن الكريم وشعائر الدين الإسلامى، وخلطت ـ عن قصد ـ بين المقاومة والإرهاب والجهاد والعدوان، وأساءت إلى كل مفهوم له علاقة بالإسلام كدين وثقافة ومجتمع.

والهدف من هذه الحرب واضح لا لبس فيه، وهو تكريس قناعة لدى الناس على ظهر الأرض بفساد عقيدة المسلمين وتخلفها وخطورتها على البشرية، وبأن المشكلة ليست فى المسلمين وإنما فى الإسلام ذاته، وأن هناك جذوراً عميقة للإرهاب، يعود أصلها إلى الدين الإسلامى والقرآن الكريم، وأن كل مسلم يمشى

على الأرض ما هو إلا مشروع إرهابى بحكم تكوينه العقلى وبنيانه الدينى، ومن أراد أن يحارب الإرهاب حقاً فعليه أن يحارب الإسلام بالضرورة، أو يغيره إن لم يستطع القضاء عليه.

وقد وفرت سنوات الحرب مناخاً للجرأة على الإسلام ونبى الإسلام وكتاب الإسلام المقدس باعتبار أن أضلاع هذا المثلث هى أكثر الرموز قداسة عند المسلمين، وظهرت حملات متتالية للإساءة إلى هذه الرموز الثلاثة فى صورة قرآن بديل (الفرقان الحق) يذم فى القرآن الكريم، ورسوم كاريكاتورية وأفلام وكتب ومقالات ومحاضرات وتصريحات.

وتنوعت الأسماء المتورطة فى هذه الإساءات، فمنها من هو سياسى مثل سيلفيو بيرلسكونى رئيس وزراء إيطاليا وجون أشكروفت وزير العدل الأمريكى السابق وتوم لانتوس عضو الكونجرس وأوتو شيلى وزير الداخلية الألمانى السابق ودونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى السابق، ومنها قساوسة مثل البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان والقس جيرى فالويل، ومنها كتّاب مثل الإيطالية أوريانا فلاتشى، والإنجليزى فيدياهارد نايبول-الهندى الأصل- والفرنسى هولويك والأمريكى برنارد لويس.

وإذا كانت هناك أسماء إسلامية اختارت أن تسير فى طريق الإساءة إلى الإسلام قبل عصر بوش ـ مثل سلمان رشدى الهندى الأصل - فإن مرحلة الحرب الدينية قد وفرت مزيداً من الحماية والتكريم والشهرة لهذه الاسماء.. وأضافت إليها أسماء أخرى مثل البنغالية الأصل تسليمة نسرين، والصومالية الأصل إيان هيرسى، والأمريكية آمنة ودود التى كانت سباقة فى تطبيق الإسلام الجديد.. حيث خطبت فى الناس وصلت بهم الجمعة إماماً فى إحدى الكنائس الأمريكية، وجمعت فى صفوف المصلين بين الرجال والنساء معاً، واعتبر هذا الاختلاط نوعا من التجديد فى الإسلام.

وفى إطار الحملة الرامية إلى تغيير الإسلام، أو تطويره خرجت دعوات غربية تطالب بتغيير المناهج الدراسية فى المدارس والجامعات بالدول العربية والإسلامية والتخفيف من جرعة الدين فى هذه المناهج والبرامج الإعلامية وصولاً إلى تجفيف منابعه تماماً وتطوير الخطاب الدينى للتركيز على العبادات وتهميش الشريعة والمعاملات وتجاهل آيات الجهاد والشهادة.

وقد ميز الرئيس بوش بين الإسلام المعتدل والإسلام المتطرف على نحو ما ذكرت جريدة الحياة اللندنية (فى عددها الصادر يوم ٧ اكتوبر ٢٠٠١) أى بعد ما يقرب من شهر من أحداث سبتمبر.. وأعلن تأييده للإسلام المعتدل الذى سمّاه

"الإسلام الجيد" بينما أعلن الحرب على النوع الثانى الذى أطلق عليه اسم "الإسلام السيئ" أو "الأصولى" أو " الإرهابى" أو "الفاشى".. وسار على سُنة بوش كثير من زعماء الشرق والغرب الذين قسّموا المسلمين إلى تيار معتدل وتيار متطرف أصولى إرهابى، والاعتدال عندهم يعنى القبول ببعض الإسلام وترك البعض الآخر، والقبول أيضاً بإسرائيل.. ومن ليس معهم فهو ضدهم.

وفى زمن بوش علت دعوات "صدام الحضارات" و"العدو الأخضر" و"نهاية التاريخ" وكلها عناوين تبرر الحرب ضد الإسلام والمسلمين باعتباره العدو الجديد الذى يتحدى الحضارة الغربية بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، وظهر مصطلح "إسلاموفوبيا" الذى يعنى «مرض كراهية الإسلام» فى الغرب، كما ظهرت دعوات صريحة تحرض على طرد المهاجرين المسلمين من أوروبا؛ مخافة أن تتحول إلى قارة مسلمة تطبق فيها الشريعة الإسلامية وفى حين توالت هجمات العنصريين المتعصبين فى أوروبا وأمريكا على مساجد المسلمين ومقابرهم ومؤسساتهم كانت تقارير اللجان الدينية للكونجرس ووزارة الخارجية الأمريكية تتحدث دوماً عن الاضطهاد الدينى للأقليات فى بلاد المسلمين كوسيلة من وسائل الضغط والاحتواء واللعب بورقة الأقليات والحريات الدينية فى العالمين العربى والاسلامى.

إن تاريخ العداء للإسلام فى الغرب لم يبدأ مع بوش بالقطع، لكن سنوات بوش الثمانية جعلت من هذا العداء عنواناً بارزاً ودائماً فى أى حديث عن علاقة الشرق والغرب وأى حوار يدور بين الحضارات والثقافات والأديان، وصارت هناك شكوى دائمة من سوء الفهم والمغالطات والتربص والاندفاع فى اتجاه الصدام.

وللحقيقة فإن الغرب لم يكن كله على سُنة بوش فى الحرب الدينية التى ميزت عصره، وإنما كانت هناك أصوات تعترض وتشهد بالصدق للإسلام والمسلمين، وتضع العلاقة بين الطرفين فى وضعها الحقيقى والطبيعى، باعتبارها تدور فى فلك سياسى وليس فى فلك دينى وعقائدى، وقد عبرت عن ذلك الاتجاه مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة فى عهد كلينتون فى كتابها الجديد "مذكرة إلى الرئيس المنتخب" الذى أصدرته فى أبريل ٢٠٠٨، ونشرت الصحف بعض فصوله، حيث قالت: "الإرهاب ليس ملازماً للإسلام، وعدونا هو عدو الإسلام أيضاً".

وتشير أولبرايت بهذه النصيحة الموجهة للرئيس الأمريكى القادم إلى ضرورة وضع نهاية لعصر كانت أهم ملامحه البارزة الحرب على الاسلام.

وفى يوم الخميس ١٧ أبريل ٢٠٠٨ ألقت سينثيا شنايدر سفيرة أمريكا السابقة لدى هولندا محاضرة فى مكتبة الإسكندرية بعنوان "الروابط الثقافية بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامى.. الواقع والإمكانيات" حمّلت فيها الرئيس الأمريكى جورج بوش وإدارته مسئولية سوء التعامل مع الثقافة الإسلامية داخل أمريكا.. مطالبة بإقامة حوار مشترك بين أمريكا والعالم الإسلامى مبنى على الاحترام المتبادل والفهم الحقيقى لثقافة كل طرف وقيمه.

ونقلت صحيفة "الشرق الأوسط" الصادرة فى لندن باللغة العربية فى عددها الصادر يوم ١٩ أبريل ٢٠٠٨ عن السفيرة الأمريكية السابقة قولها: "أنا لا أقدم أعذاراً للمواقف والسياسات الأمريكية بل علينا أن ننظر ونتوجه إلى الفنانين والكتاب والروائيين الذين ستكون عليهم مهمة إصلاح ما أفسدته السياسات للتواصل مع الثقافات الأخرى".

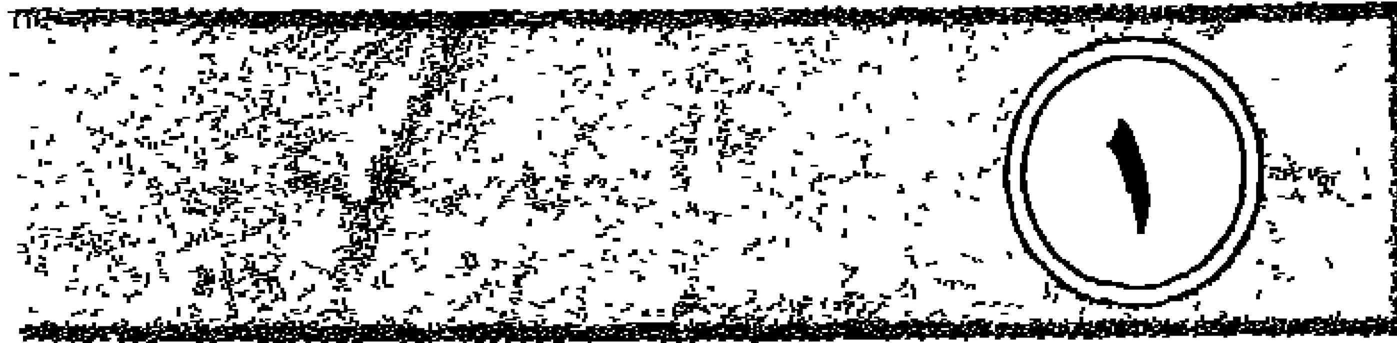
وأشارت شنايدر وهى أستاذة التطبيقات الدبلوماسية بجامعة جورج تاون بواشنطن إلى أن استطلاعاً للرأى قام به معهد جالوب "الأمريكى" شمل المسلمين فى العديد من الدول الغربية، ومنها أمريكا، أوضح أن سبب الانقسام بين المسلمين وأمريكا هو شعورهم بأن الولايات المتحدة لاتحترمهم كما ينبغى، بالإضافة إلى عدم وجود فهم متبادل بين الجانبين.

والحقيقة التى كان يجب أن تكملها السيدة شنايدر فى محاضرتها أن الرئيس بوش- شخصياً ـ لعب دوراً كبيراً فى تصعيد فكر الجماعات الأصولية التى تسىء إلى الإسلام وتعمل على زيادة الحملات الظالمة التى يتعرض لها، ليس فى أمريكا فقط، بل فى الغرب بأسره.. وفى العالم كله.. حيث نجح بوش من خلال سياساته فى أن يضع الإسلام موضع الاتهام والصدام، ويقف على الطرف الآخر فى كل قضية يكون الإسلام والمسلمون طرفا فيها.. وذلك على الرغم من التصريحات الدعائية التى يقولها فى المناسبات بهدف المجاملة ليس إلا.

ومن ثم كان طبيعياً أن تتحالف تلك الجماعات الأصولية مع اليمين الصهيونى الذى ازداد قوة وشراسة خلال سنوات حكم بوش الثمانية، ليس فقط على صعيد الحرب فى كل جبهاتها بل على مستوى الحرب الجديدة التى استهدفت الإساءة للإسلام، والحط من قدره فى كل أرجاء المعمورة. وقد أصبحت حملات التشويه المتكررة هذه علامة على عصر بوش الابن ودالة على مسئوليته باعتباره رئيس الدولة التى منها تبدأ الإساءة ومنها يأتى الدعم والسند.. والتمويل أحياناً.

# ◆ الفصل الأول

# بوش..
# بين الدين والسياسة



١

# من بوش الجد إلى الحفيد

فى عام ٢٠٠٧ أصدر الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، وهو مصرى الجنسية، مهتم بالدراسات المقارنة بين الأديان، أول ترجمة عربية للكتاب الذى ألفه جورج بوش، الجد الأكبر للرئيس الأمريكى بعنوان "محمد مؤسس الدين الإسلامى ومؤسس إمبرطورية المسلمين".. وقد اعتبر هذا الكتاب - الوثيقة - أحد أهم مصادر الكراهية الأمريكية للإسلام بصفة عامة، وكراهية بوش الحفيد للإسلام بصفة خاصة، على اعتبار أنه أبرز المراجع الفكرية بالبيت الأبيض.

كان بوش الجد الأكبر، راعياً لإحدى الكنائس فى إنديانا، وأستاذاً فى اللغة العبرية والآداب الشرقية بجامعة نيويورك، وله مؤلفات ودراسات عديدة فى الكتاب المقدس، وشروح مهمة فى أسفار العهد القديم، ويعد كتابه "وادى الرؤى" من أبرز المحطات الفكرية لجماعات الصهيونية المسيحية الأمريكية، التى تدعو إلى ضرورة تجميع يهود العالم فى أرض فلسطين، وتمكينهم من الاستيلاء على كل أرض التوراة، وتدمير امبراطورية "السارازن" وهو الاسم الذى كان يطلقه الصليبيون خلال القرون الوسطى على ممالك المسلمين فى الشرق.

وفى العموم فإن مؤلفات بوش الجد الأكبر لا تزال تشكل مصدراً ومرجعاً مهما للدراسات الأمريكية التى شكلت الاتجاه العام لفهم الإسلام لدى

الدارسين الأمريكيين المهتمين بهذه القضية.. وقد أصدر كتابه "محمد مؤسس الدين الإسلامى" عام ١٨٣٠م، وأعيد طبعه بلغته الأصلية ثلاث مرات من قبل، ويقع فى قرابة ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، وينطوى على بذاءات وادعاءات شنيعة ضد العرب والمسلمين ونبيهم.

درس بوش (الجد) حياة النبى صلى الله عليه وسلم، كما درس القرآن الكريم على نحو دقيق، وكثيراً ما يستشهد بآيات اقتطعها من سياقها الصحيح كى يوثق أفكاراً بعينها، يريد أن يوصلها لقارئه، وفى كثير من فصول الكتاب يذكر بعض خصال النبى الذى كان - كما ذكر - رؤوفاً بأعدائه، لا يقتل امرأةً ولا طفلاً ولا شيخاً، ولا يهدم داراً ولا يفسد زرعاً، ولا يعتدى على راهب أو ناسك، ولا يسىء لموضع تعبد يهودياً كان أو مسيحياً.

لكنه تحت ستار هذه الموضوعية المصطنعة يكيل فى كتابه أبشع الأوصاف للنبى صلى الله عليه وسلم، ويعتبره إنسان الخطيئة، الذى يظهر ويعلو قبل المجئ الثانى للمسيح، وقد سانده الرب فى نشر دعوته فقط، كي يكون أداة عقاب وتأديب للكنيسة الضالة التى أساءت فهم رسالة يسوع المسيح وانحرفت بها عن سواء السبيل، وتمزقت بين المذاهب وصراعات الباباوات على المناصب الدينية.

ونستطيع أن نجمل النقاط الأساسية التى تضمنها هذا الكتاب فيما يلى:

- العرب مجرد أعراق منحطة ومتوحشة، يستحقون الإبادة (كما حدث للهنود الحمر)، والإسلام مجرد بلاء جاء به "الداعى" محمد الذى قام ببناء إمبراطورية إسلامية استطاعت فى غضون ٨٠ عاماً بسط سلطانها على ممالك أوسع مساحة من إمبراطورية روما التى استغرق إنشاؤها ٨٠٠ عام.
- "محمد" مكتوب عند أهل الكتاب فى التوراة والإنجيل فى آيات من العهدين القديم والجديد، تشير إلى ظهور "النبى" وانتشار دعوته، وتؤكد أنه سيناطح "جند السماوات" وأنه هو "النجم إذا هوى".
- لقد قدر الله انتشار الإسلام وانتصاره، وليس هناك من تفسير بشرى معقول لهذا الانتشار والانتصار، ولا يمكننا بالحساب الذى نعرفه أن نفسر هذا، فلا مناص من أن نقول إن الله أراد ذلك قضاءً وقدراً.

● اختار الرب محمداً كى يكون سوط عذاب على الكنيسة التى مزقتها الخلافات والصراعات والهرطقات، حتى تعود إلى ينابيعها الصحيحة.. ساعتها ينزاح العقاب، ويزول هذا العذاب، المتمثل فى دين محمد، وتتم هزيمة الإسلام ويعود الناس جميعا إلى أحضان المسيحية، وربما كان هذا عند عودة المسيح فى الألفية.

● اخترع "محمد" ملحمة الإسراء والمعراج لخداع السذج، ولكى يعطى وزناً وقيمة لأقواله هو شخصياً، والتشبه بموسى، وهذه الحقيقة تتمشى تماماً مع ما يمكن تأكيده بشكل عام، وهو أن نسل إسماعيل كانوا ميَّالين لتقليد نسل إسحاق ويعقوب الذين نالوا بركة العهد من الله، وانسالت بركة هذا العهد فى ذراريهم.

● فكرة الناسخ والمنسوخ فى القرآن "الكريم" خير دليل على الادعاء وتغيير الأحكام وفق الأهواء.

● ادعى "محمد" أنه لا يعرف القراءة والكتابة رغبة منه فى التأكيد على الادعاء بأن "القرآن الكريم" ليس من عنده وإنما هو وحى من عند الله، مع أنه كان يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية، فقد كان تاجراً، وكانت مكة ملتقى حركة تجارية، لذلك كانت الكتابة شائعة بين أهلها، وقد علّم عمه أبو طالب ابنه علياً القراءة والكتابة فكان من كتاب الوحى، فكيف لا يُعلم ابن أخيه الذى تعهده بالرعاية؟!

● كان فتح المسلمين للشام ذروة الصدمة الإلهية، لأن هذا الفتح أدى إلى جلوس إنسان الخطيئة فى هيكل الله، فقد وصلوا إلى القدس حيث الهيكل واستولوا عليه.

وجوهر المشكلة مع هذا الكتاب أننا إزاء تيار أصولى قديم يسىء الظن بالإسلام، ويسىء الفهم لنبيه صلى الله عليه وسلم، ويتصور أن رسالته عمل موقوت، دبره الرب قصداً لأسباب مؤقتة، بعدها لا ينبغى أن تقوم للإسلام قائمة، ولابد أن ينسحب أو يجبر على الانسحاب من البلاد التى فتحها على حساب المسيحية، وقد تزايد - للأسف - حجم هذا التيار، وتحالف مع اليمين الصهيونى، وأصبحا معاً محوراً هجوميا لمدة ٨ سنوات ازداد خطرهما على الإسلام والمسلمين لأسباب عديدة لعل أهمها أن الحفيد القابع فى البيت الأبيض يحمل بعضاً من أفكار جده الأكبر.

## ٢

# خارج عن تعاليم المسيح

كان يحلو للرئيس بوش أن يرسم لنفسه صورة الزعيم المتدين الذى جاء بمشيئة الرب لينفذ إرادة إرادته.. وأنه يستلهم قراراته من السماء.. لكنه فى لحظة اختبار تاريخية مهمة ظهر على حقيقته، فرسالته ليست دينية وإنما صهيونية ذات طابع سياسى.. ومنهجه لا يتفق مع تعاليم السيد المسيح الداعية دائماً إلى السلام والتسامح والمحبة.

فى ربيع عام ٢٠٠٣، وأثناء التحضير لغزو العراق خرجت مظاهرات المدن فى جميع أنحاء العالم تعبر عن رفض الحرب.. خاصة أن هناك مبررات واهية وأسباباً ملفقة للحرب.. وكان السؤال الذى يتردد على كل الألسنة يقول: " إذا كان بإمكاننا نزع سلاح العراق سلمياً، وعن طريق المفتشين الدوليين فلماذا اللجوء للحرب؟!".

ويوما بعد يوم أصبح العالم يدرك أن أمريكا لن تضرب العراق بسبب أسلحة الدمار الشامل.. وإنما للأسباب التى طرحها الرئيس بوش فى خطابه أمام مؤسسة " انتربرايز" ومنها أن صدام حسين يدفع مساعدات لأسر الاستشهاديين الفلسطينيين الذين يسميهم إرهابيين انتحاريين، وأنه يريد أن يجعل من العراق نموذجاً يحتذى لكل الدول العربية فى إطار استراتيجية التغيير الشاملة الموضوعة للعالم العربى.

وبسبب هذه المبررات الواهية للحرب خرجت نداءات السلام من رئاسات الكنائس العالمية تطالب بوش بالعدول عن التخريب والدمار والالتزام بمبادئ السلام والأمن.. وكان أعلى صوت مسيحى يدين بوش هو صوت البابا شنودة الثالث.. والبابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان فى ذلك الوقت.

قال البابا شنودة فى تصريحات أثناء زيارته لمكتبة الإسكندرية «إن ما يحدث من شارون وبوش لا علاقة له بتعاليم موسى ولا تعاليم السيد المسيح، وكلاهما لم يعتمد على آية فى الإنجيل أو التوراة، ويستمدان الروح العدائية من القوة العسكرية والمصالح.. إن بوش خارج عن تعاليم المسيح، وهو ينظر إلى البترول ومصالحه فى المنطقة ويؤيد ما تقوم به إسرائيل فى فلسطين».

هذا المعنى نفسه أكده الأنبا موسى سيدهم أسقف الشباب فى كلمته أمام مسيرة الحزب الوطنى يوم الأربعاء ٥ مارس ٢٠٠٣ حيث قال: " يقولون إن الحرب على العراق حرب صليبية، وهم كاذبون، إن الصليب منهم براء، فالصليب لا يقبل سفك الدماء.. ألم يقرأ بوش فى الإنجيل قول المسيح: طوبى لصانعى السلام..ألم يقرأ قول المسيح فى الإنجيل: سلامى أترك لكم، سلامى أعطيكم.. ألم يقرأ وصية بولس الرسول " عيشوا بالسلام وإله السلام سيكون معكم".. ألم يقرأ كل ذلك؟!.. إن الحرب ضد العراق ليست حرباً صليبية وإنما حرب استعمارية صهيونية دموية، يرفضها كل المصريين وكل العرب، وكل الشعوب المحبة للسلام".

أما البابا يوحنا بولس الثانى بابا الفاتيكان فقد بعث برسالة شديدة اللهجة إلى بوش مع مبعوثه - الكاردينال بيولاجى- أكد فيها أن الحرب ضد العراق غير عادلة وغير أخلاقية.. وهذه هى قناعة البابا التى يعبر بها دوماً عن رؤيته للحرب من خلال تصريحاته المتكررة.. وقد كانت هذه التصريحات سبباً فى تأخير استقبال بوش لمبعوث البابا نحو يومين.

وفى تلك الآونة صدرت فى أمريكا مجموعة من الكتب، تتحدث عن الكذاب الذى يسكن البيت الأبيض.. والذى تأخذ أكاذيبه الصفة الرسمية استناداً إلى منصبه.

وتصف هذه الكتب الرئيس بوش بوضوح وصراحة بأنه «الكذاب الأكبر»،

وتصف معاونيه بأنهم " أكبر الآثمين ".. وتكشف عن أن هناك استياءً عميقاً داخل المجتمع الأمريكى من إدارة بوش، والأكاذيب التى تروجها.

ومن أهم المؤلفات التى تناولت هذا الموضوع:

- " أكاذيب جورج بوش وإجادة سياسة الخداع " للكاتب "ديفيد كورن".
- " اكاذيب كبرى..آلة الدعاية اليمينية وكيف تشوه الحقيقة " لـ"جو كانسون".
- " بوش يتلقى ضربة " لمولى إيفيتر ولو دوبوز.
- " أكاذيب وكذبة.. نظرة عادلة إلى اليمين " للكاتب السياسى الساخر ألن فرانكن.

والعناوين - كما ترى - صريحة وحادة.. وربما كان هذا هو السبب فى تهافت المكتبات ودور النشر عليها..فالمؤلفون - فى الواقع - وإن اختلفت أساليبهم يتهمون بوش ومساعديه بالإدلاء بأكاذيب كبرى منذ فوز الحزب الجمهورى بانتخابات الرئاسة بأغلبية هزيلة، بعد إعادة فرز الأصوات فى ولاية فلوريدا.

يقول الناشر جيف كلايمان فى واشنطن بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ «كنا نرفض أى كتاب معاد لأمريكا.. وأى شئ يبدو أنه ضد أمريكا كان من المستحيل تقريباً بيعه.. وكان شعور الناشرين يعكس حالة السوق، فالناس لن تشترى هذه الكتب.. ولكن هذا تغير تماما الآن.. وقوائم النشر تظهر أن أكثر الكتب رواجاً هى تلك التى تأخذ موقفا مضاداً لبوش.. وذلك فى الوقت الذى يستعد فيه الرئيس الأمريكى لترشيح نفسه لفترة ثانية فى انتخابات ٢٠٠٤».

وأكاذيب بوش التى تتحدث عنها تلك النوعية الرائجة من الكتب، لا تتعلق فقط بالمبررات الزائفة لإعلان الحرب على الإرهاب، ولا تشويه تقارير المخابرات وزعمها امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل، وعلاقة صدام بتنظيم القاعدة.. بل تتناول أيضا اتهامه بالكذب فى موضوع خفض الضرائب وفشل سياساته البيئية.

فى مقدمة كتابه " أكاذيب جورج بوش وإجادة سياسة الخداع " يقول ديفيد

كـورن، وهو فـى الوقت ذاته رئيس تحـرير مـجلة "ذى نيـشـن" اليـسـارية الأسبوعية: "بوش كذاب..أكاذيبه كبيرة وصغيرة، مباشرة وغير مباشرة، شوه الحقيقة عمداً.. مراراً وتكراراً".

ويقول ديفيد بروكس صاحب العمود الشهير بصحيفة "نيويورك تايمز" فى عدد ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣: «إن أمريكا تحولت من "حرب الثقافات" إلى "حروب الرؤساء".. فقد أصبحت السياسة نضالاً وحشياً فى زمن بوش فلا حساب لقيم ولا حساب حتى لمصلحة أمريكا».

٣

# متطرف.. فى البيت الأبيض

يعد كتاب "اليمين المسيحى الأمريكى: الإنجيليون فى البيت الأبيض" من أهم الكتب التى تكشف طبيعة حكم الرئيس جورج بوش الابن الذى قام على توظيف وتحريف النصوص الدينية لتبرير الهيمنة والسيطرة وإبادة الشعوب، والزعم بأن السياسات الفاشية التى روعت العالم كانت بوحى وأمر من الله عز وجل.

الكتاب من تأليف مختار بن بركة، أستاذ التاريخ والحضارة الأمريكية فى جامعة فلافسيين بشمال فرنسا، وهو تونسى الأصل، تخصص فى دراسة الأصولية الإنجيلية، وترجم الكتاب أحمد الشيخ مؤسس ومدير المركز العربى الإسلامى للدراسات الغربية، ونشره هذا المركز تحت عنوان "المسيحية هى الحل: إنجيليون فى البيت الأبيض".

يقول المترجم أحمد الشيخ فى تقديمه للكتاب: "إن تصاعد نفوذ المتطرفين الدينيين فى الولايات المتحدة لم يعد يقتصر على قضايا المجتمع الأمريكى الداخلية، وإنما تعداه إلى السياسة الخارجية، ومحاولة إعادة تشكيل خريطة العالم وفقاً لعقائدهم، ويعرف الكافة فى الولايات المتحدة الدور الذى يلعبه هؤلاء المتطرفون فى تشجيع ودعم التوسع الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة، وفى إشعال الثورات الوردية والبرتقالية سواء فى أوكرانيا أو جورجيا لمحاصرة روسيا.

ويقول مختار بن بركة: «إن القادة الأمريكيين يستخدمون رموزاً خطابية من "العهد القديم" الذى يدور حول تاريخ اليهود لتبرير كل جرائم الصهيونية، وقد ساهم المتطرفون الدينيون فى دعم جورج بوش لكى يفوز فى الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠ وعام ٢٠٠٤.

ولاحظ المؤلف أن بوش استخدم تعبيرات من سفر "الرؤيا" وسفر "النبوءة" على الطريقة التوراتية التى اعتبر أنها تلائم أمريكا، وتحدث مع الأمريكيين باللغة نفسها التى يسمعها الكثير منهم فى كنائسهم، ومن هنا جاءت دعوته بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ إلى حملة صليبية لقوى الخير ضد قوى الشر، وقاد أمريكا إلى الحرب لأنه تلقى - وفقاً لزعمه - إشارة إلهية تدعوه للقيام بهذه الحرب.

ويرى مختار بن بركة أن التعبيرات الدينية التى يستخدمها بوش تتيح له فى ظل هذا الالتحام بين الدين والسياسة تجنب أى شكل من التفسير لمواقفه أو الاختلاف معها أو توجيه أى نقد لقراراته نظراً لأن أعمال وقرارات الرئيس مؤسسة على الإيمان، من ثم فلا يصح وضعها موضع نقاش من جانب المتدينين المؤمنين.

ويعتقد اليمين المسيحى أنه الوحيد القادر على "جعل أمريكا مسيحية من جديد".. ويأخذ على عاتقه مهمة إعادة صياغة المجتمع ليتوافق مع النظام الإلهى.. وذلك لأن لأمريكا مساراً خاصاً، فهى أمة اختارها الله.. وفقاً لنظرية شعب الله المختار وهى التى تمهد لحلول مملكة الله على الأرض.

يقول مختار بن بركة: «إن الرئيس بوش ينتمى إلى طائفة " المولودين ثانية مسيحياً ".. والمقصود بهذا التعبير هم "هؤلاء المسيحيون الذين قاموا بتجربة حميمة للميلاد الجديد، أى اللقاء الحاسم مع المسيح ".. وقد جاء هذا التعبير فى فقرة من إنجيل يوحنا يخاطب المسيح من خلالها نيكوديم الفريسى قائلا: " لا تندهش إذا قلت لك ينبغى ان تولد من جديد ".. وهذه العملية من الميلاد الروحى تتضمن ثلاث مراحل: الوعى بحالة الخطيئة.. والتوبة.. وقبول نعمة الرب عبر المسيح كمنقذ شخصى.. وإذا تم عبور هذه المراحل الثلاث يعتبر الخلاص مؤكدا بصورة مطلقة.

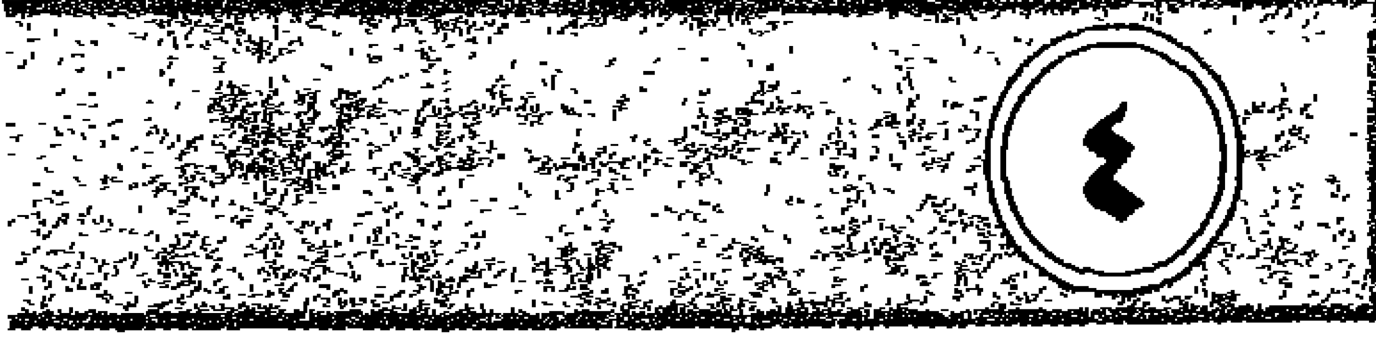
وقد ظل الرئيس بوش متأكداً من أن الطائفة الإنجيلية هى سنده الأكبر فى

الحفاظ على سلطته، وليس مهماً أن يكون مؤمناً جيداً أو مجرد انتهازى، لكن المهم أنه كان يدرك أن هذا اليمين المسيحى يملك القدرة على إعادة انتخابه لفترة رئاسية ثانية.

وقد كان تأثير تيار اليمين المسيحى واضحاً كل الوضوح فى سياسات بوش، فهو أكثر الرؤساء الأمريكيين انحيازاً لإسرائيل. لأن عقيدته هى أن عودة المسيح لن تتحقق إلا بعد إعادة بناء الهيكل فى القدس، وهو ما لن يحدث إلا إذا استولت إسرائيل على كل أرض فلسطين، كذلك فإن الحروب الأمريكية الدائمة فى العالم تشكل جزءاً من تلك المعتقدات نفسها التى تتحدث عن "قوى الخير" و"الشر" والتمهيد لإقامة "مملكة الله" على الأرض.

ولعل ما يجرى فى العالم الآن خير شاهد على تأثير ذلك التحالف غير المقدس بين اليمين المسيحى والمحافظين الجدد فى الولايات المتحدة، وهو تحالف يربط بين السياسى والدينى، ويسمح للمعتقدات الدينية أن تلعب دوراً جوهرياً فى الحياة السياسية، حيث يختلط الدين بالقضايا الكبرى.. وحيث يوجد ما لا يقل عن ألف وخمسمائة جماعة دينية فى الولايات المتحدة تكرس نفسها لخدمة سياسات المحافظين الجدد.

ويكشف المؤلف مختار بن بركة أبعاد حركة المتطرفين الدينيين فى أمريكا وطموحات أصحاب هذه الحركة وهو يستعرض "لاهوت الهيمنة" والمسمى أيضا بـ "لاهوت إعادة البناء" الذى يدعو له "روساس جون روشدونى" فى كتابه "مبادئ الشريعة فى الكتاب المقدس" حيث يقول: "ليس لدينا هدف آخر سوى الهيمنة على العالم تحت سلطة المسيح، بحيث تكون السيطرة شاملة، وتاريخ العالم بين أيدينا".



# رسول الحرية الزائفة

" أنتم يامن تعيشون فى اليأس
والطغيان، عليكم أن تعرفوا أن الولايات
المتحدة لن تتجاهل قهركم، أوتلتمس
العذر لقاهريكم، وحين تقفون مطالبين
بحريتكم ستجدوننا وقوفاً إلى جانبكم ".

هذه ليست جزءاً من رسالة تبشرية يوجهها قس إلى المعدومين المقهورين الذين يبحثون عن "مخلص " ينقذهم من قهرهم، لكنها جزء من الخطاب السياسى الذى ألقاه الرئيس الأمريكى جورج بوش فى حفل التنصيب الذى أقيم فى ٢٠يناير ٢٠٠٥ بالبيت الأبيض بمناسبة ابتداء فترته الرئاسية الثانية.

فى هذا الخطاب السياسى، وفى هذه المناسبة السياسية، لم يتحدث بوش حديثاً سياسياً كما جرت العادة مع الرؤساء السابقين، وإنما عمد إلى استخدام لهجة تبشيرية دينية، وبدا كأنه رسول الحرية، أو المسيح الجديد، الذى سيخلص العالم من شروره، ويحقق الخير والسلام للبشرية جمعاء، وعمد إلى الحديث عن "الحرية" تحديداً بوصفها "مهمة إلهية" خص بها

الخالق - جل شأنه- الولايات المتحدة لتنشرها فى أرجاء الدنيا، بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً.

والقارىء لخطاب بوش فى حفل التنصيب الثانى يتبين أن الرجل سيبدأ حرباً مقدسة ضد الحكومات التى تقهر شعوبها، وأن "المهمة الإلهية " التى أوكلها الله سبحانه وتعالى لإدارته لم تعد ضد الشعوب التى تشعر بالظلم من السياسات الأمريكية، وإنما ضد الحكومات التى تمارس القهر على شعوبها.

وعلى الرغم من أن الشرق الأوسط، وبالتحديد العالم العربى والإسلامى، لم يرد ذكره مرة واحدة على لسان بوش فى خطاب التنصيب، فإنه كان فى قلب اهتمامه وهو يتحدث عن "توسيع رقعة الحرية فى العالم "، وكانت تنصب عليه دون غيره دعوته "لتحرير الشعوب من حكم الطغيان"، وقوله إن "علاقاته بالحكومات سوف تتحدد حسب تعامل هذه الحكومات مع شعوبها ".

فى ٣ فبراير ٢٠٠٥ ألقى بوش خطابه السنوى عن حالة الاتحاد، وكان طبيعياً أن يستغل المناسبة ليؤكد رؤيته لمستقبل التعامل مع عالمنا العربى والإسلامى من خلال مشروع " الشرق الأوسط الكبير " الذى كان قد طرحه فى أواخر فترة رئاسته الأولى، وفى هذا الخطاب أفصح بوش بكل جلاء عن مغزى "رسالة الحرية"التى يحملها لعالمنا، والتى أصبحت من وجهة نظره، ووجهة نظر إرييل شارون رئيس وزراء إسرائيل السابق أيضا، هى المدخل الصحيح لإقامة السلام فى المنطقة، بدلاً من الحديث القديم والممل عن الانسحاب الإسرائيلى، وعودة الأرض المحتلة لأصحابها، واسترداد الحقوق غير القابلة للتنازل للشعب الفلسطينى.

فى خطاب حالة الاتحاد قال بوش :" لتشجيع السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط الكبير ستعمل الولايات المتحدة مع أصدقائها فى المنطقة على مكافحة التهديد المشترك الناتج عن الإرهاب، وفى الوقت نفسه رفع مستوى الحرية، أمامنا إصلاحات مملوءة بالأمل يمتد على شكل هلال من المغرب إلى الأردن والبحرين، حكومة السعودية يمكنها أن تبرهن على دورها القيادى فى المنطقة عبر تعزيز دور شعبها فى تحديد مستقبله، والأمة المصرية العظيمة والأبية التى رسمت طريق السلام فى الشرق الأوسط يمكنها اليوم أن ترسم طريق الديمقراطية، ولتشجيع السلام فى الشرق

الأوسط الكبير علينا مواجهة الأنظمة التى تواصل إيواء إرهابيين، وتسعى إلى امتلاك أسلحة دمار شامل، لا تزال الحكومة السورية تسمح باستخدام أرضها وأجزاء من الأراضى اللبنانية من جانب إرهابيين يسعون لتدمير أى فرصة لتحقيق السلام فى المنطقة، أما إيران فما زالت الدولة الأساسية فى العالم التى تدعم الإرهاب، كما أنها تسعى إلى الحصول على أسلحة نووية وحرمان شعبها من الحرية التى يسعى من أجلها ويستحقها ".

وأضاف بوش :" التزامنا بالتقدم فى نشر الحرية، خصوصاً فى الشرق الأوسط، بدأ يظهر فى العراق، وهذا ما يفسر سبب اختيار الإرهابيين لهذا البلد، العراق، مكاناً للحرب، وانتصار الديمقراطية فى العراق سيقوى حليفاً جديداً فى الحرب على الإرهاب، ويلهم الإصلاحيين الديمقراطيين من دمشق إلى طهران، ويجلب المزيد من الأمل والتقدم إلى منطقة متوترة، ومن ثم يزيل التهديد الذى يتربص بحياة أطفالنا وأحفادنا، إنكم أيها الأمريكيون تعرفون روح الحرية، لأننا نتقاسمها ".

وفى ٨ فبراير ٢٠٠٥ أيضاً ألقى بوش كلمة قصيرة فى جامعة الدفاع الوطنى قال فيها " إن زخم الحرية يتحرك فى الشرق الأوسط بشكل حثيث، بفضل استراتيجية أمريكا فى المنطقة، إن فرص التقدم الديمقراطى فى الشرق الأوسط بدت مجمدة فى مكانها لعقود طويلة، ولكن أخيراً وبوضوح وفجأة بدأ الجليد يذوب ".

ثم أضاف موجهاً كلامه للقادة العرب : "إن التاريخ يتحرك سريعاً، ولدى القادة فى الشرق الأوسط خيارات مهمة ليقوموا بها، إن السياسة الأمريكية فى المنطقة لم تعد تتجه نحو دعم الحكم الشمولى تحت اسم "الاستقرار"، والارتقاء بالأمل فى الشرق الأوسط يتطلب فكراً جديدا فى المنطقة، يتعين أن يكون واضحاً الآن،إن الحكم الشمولى ليس إحدى الموجات التى ستسود المستقبل، إنه النزع الأخير لماض شائن".

ولم ينس بوش فى الخطاب أنّ يهاجم سوريا وإيران قائلاً:" إن سوريا وكذلك إيران لديهما تاريخ طويل فى دعم الجماعات الإرهابية العازمة على زرع بذور الانشقاق والفوضى فى الشرق الأوسط، وهناك احتمال كبير أن يحاولوا تلك الاستراتيجية مرة أخرى.. على إيران أن تبدد المخاوف الدولية

بشأن برامجها النووية، وعليها أيضاً أن تتجه إلى تطبيق إصلاحات ديمقراطية، ونحن نتطلع إلى اليوم الذى يصبح فيه الشعب الإيرانى حراً ".

ويكشف بوش فى هذا الخطاب بجلاء أن مفهومه للإرهاب يمتد إلى أية عمليات للمقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل، فقد ذكر أن الهجوم ـ الأخير ـ الذى وقع فى تل أبيب تم التخطيط له من قبل جماعة فلسطينية مقرها دمشق، واتهم سوريا وإيران بالوقوف وراءه.

ودعا بوش الدول العربية إلى إيقاف ما سمَّاه بالتحريض ضد إسرائيل فى وسائل إعلامها وفى مناهج تعليمها، وربط كراهية أمريكا واسرائيل بالأوضاع السيئة والخانقة فى العالم العربى والإسلامى، وقال إن قادة المنطقة يحاولون تشتيت الأنظار عن فشلهم الإدارى بتوجيه الغضب ضد دول خارجية.

وفى ٧ يونيه ٢٠٠٥ كان بوش فى زيارة إلى "لاتفيا" وألقى خطاباً فى عاصمتها "ريجا" وكانت قضية الحرية والديمقراطية فى الشرق الأوسط هى محوره الأساسى، وربط هذه القضية بمستقبل السلام فى المنطقة، ومكافحة الإرهاب فى العالم.

قال بوش: " إن امتلاك شعوب المنطقة الحق فى حكم أنفسهم، وأن يحل الأمل محل الكراهية، فذلك من شأنه تعزيز أمن كل الدول الحرة، إن واشنطن تسعى لتحقيق الديمقراطية فى المنطقة للأسباب نفسها التى جعلتها تعمل لعدة عقود لترسيخ الديمقراطية فى القارة الأوروبية استناداً إلى أن الديمقراطية هى الطريق الوحيد المضمون للسلام، نحن على يقين بأن مسيرة الحرية والديمقراطية تتقدم إلى الأمام فى الشرق الأوسط، وأن هناك عوامل تبعث على التفاؤل من بينها الانتخابات الفلسطينية والعراقية".

وفى منتصف سبتمبر ٢٠٠٥ تحدث بوش فى افتتاح قمة الأمم المتحدة أمام اكثر من ١٦٠ رئيس دولة ورئيس وزراء حضروا للمشاركة فى قمة المنظمة الدولية بمناسبة مرور ٦٠ عاماً على إنشائها، وفى هذا الخطاب استخدم بوش اللهجة التبشيرية نفسها التى لجأ إليها فى خطاب التنصيب الثانى، وكأنه يلقى موعظة على العالم المثخن بالجراح ليشفيه من سقمه بالحرية "الأمريكية" التى يسوّق لها، وبالطبع كان الشرق الأوسط هو ميدانه المفضل، وإن كان قد أحجم هذه المرة عن أن يتهم دولاً بالاسم بالعدوانية كما هى عادته.

قال بوش فى خطابه:" كلنا أمل أن ينمو الشرق الأوسط باتجاه الحرية والديمقراطية، وعلينا أن نحارب الإرهاب بالحرية، وأن نوجه رسالة واضحة إلى حكام الأنظمة الخارجة عن القانون التى تدعم الإرهاب وتواصل حيازة أسلحة الجريمة الشاملة بأننا لن نسمح لهم بتهديد السلام والاستقرار فى العالم".

والقارىء لخطابات بوش فيما يتعلق برسالة الحرية التى يروج لها كثيراً فى عالمنا العربى والإسلامى من السهل أن يكتشف أنها تنطوى على عناصر خمسة مهمة.. هى:

- إنها رسالة تبشيرية.. فهو يتحدث عن دوره فى نشر الحرية كما لو كان رسول الحرية،أو المسيح الجديد الذى سيخلص العرب والمسلمين من شرورهم، ويحقق لهم الخير والسلام، فهذه مهمته الإلهية التى خصه بها الخالق -جل شأنه- ليملأ عالمنا عدلاً وحرية.

- إنها رسالة ووصاية.. إذ أن الولايات المتحدة وحلفاءها هم الأوصياء على شعوب الأمة الإسلامية - الشرق الأوسط الكبير- وهم وحدهم القادرون على "توطين" الحرية فى هذه المنطقة المستذلة.

- إنها رسالة مغشوشة.. فالحرية التى يقصدها بوش فى خطاباته ليست هى الحرية التى تتشوق لها الشعوب المسلمة، وإنما هى حرية مصنوعة فى الغرب، وطبقاً لمواصفاته القياسية، وليس لها أدنى علاقة بالشعوب التى ستطبقها، أو ستطبق عليها.

- إنها رسالة ميكافيللية.. فالحرية التى يدعو إليها بوش ليست غاية فى حد ذاتها، وإنما هى وسيلة لتحقيق أهداف أخرى معروفة للكافة، ولعل هدفها الأول هو فتح الأبواب أمام سيد النظام العالمى الجديد وبطانته لكى يهيمنوا على مقدرات أمة الإسلام دون إسالة دماء، فلا يكون هناك إرهاب - أقصد مقاومة - ضد إسرائيل فى فلسطين، ولا يكون هناك إرهاب - أقصد مقاومة - ضد قوات الاحتلال متعددة الجنسيات فى العراق وأفغانستان.

- إنها رسالة تسلط وقهر.. فالسيد الأمريكى لا يبشر بالحرية فقط، وإنما هو يهدد بفرضها فرضاً، حتى لو استدعى الأمر القيام بحرب جديدة لتنفيذ المهمة المقدسة، فلقد صار العراق نموذجاً يُشاد به فى هذا الصدد، والعراق

يمثل عنوان الحرية المزيفة التى يجرى تسويقها، وقد فرض هذا العنوان بالدبابات والطائرات، وترك العالم يتحدث عن ديكورات الحرية المصطنعة هناك باعتبارها حرية واقعية.

تلك إذن هى رسالة الحرية التى حملها بوش لنا خلال حكمه الذى غطى ثمانية أعوام من عمر الإنسانية، وقد حاول أن يبث فى هذه الرسالة روحاً عصرية جديدة، لكنها فى واقع الأمر ليست كذلك، وإنما هى مجرد استدعاء، أو استنساخ، للروح القديمة التى قاد بها المستعمرون حملاتهم ضد المشرق العربى والإسلامى على مر الزمان تحت شعارات إنسانية وحضارية ودينية زائفة.

فمنذ أن بدأت الموجات الاستعمارية الأولى تتجه من الغرب إلى الشرق فى العصور الوسطى كان هناك دائماً غطاء معنوى وأخلاقى لممارسة الهيمنة السياسية والاستغلال الاقتصادى..هذا الغطاء كان يضفى على المستعمر صفات البشرية العليا ويعتبر ما عداه فى المرتبة الدنيا، فهو المتحضر المتفتح الإنسانى، وغيره همج متخلفون، ليسوغ له ذلك أمام نفسه وأمام الآخرين مبررات وتكاليف الحروب خارج الحدود من أجل استعباد الشعوب المستضعفة، وقد اكتملت هذه الإيديولوجية بشكل أكثر إسهاباً خلال عصر النهضة، ولا تزال قائمة وموجودة فى الوقت الحاضر، بعد أن انتقلت زعامة الحضارة من أوروبا إلى الولايات المتحدة.

من هذه الزاوية نستطيع أن نفهم دلالات الخطاب التبشيرى الذى تحدث به بوش كثيراً عن "توطين" الحرية فى الشرق الأوسط الكبير، فهو- أى بوش- يحمل النموذج الحضارى الديمقراطى الأمثل، النموذج الأكثر تفوقاً وتقدماً، ثقافياً وإنسانياً واجتماعياً، ودينياً أيضاً، وعليه تقع مسئولية نقل هذا النموذج إلى الشعوب الأدنى لكى تقتدى به، وخصوصاً شعوب العالم العربى والإسلامى التى تم تصنيف نموذجها الحضارى والثقافى والدينى على أنه منغلق وساكن ومضاد للحداثة، وغير قادر على التطوير، بمعنى آخر، فإن جميع عناصر التراث الثقافى العربى والإسلامى تم وضعها فى سلة معطوبة، واتهامها بالرجعية، لكى يقذف بها خارج نطاق التاريخ تحت زعم أنها تولد الإرهاب، وتصنع الديكتاتورية التى تمثل نقطة سوداء فى ثوب العالم الديمقراطى الحر،

وكل هذه التوصيفات تكفى فى الذهنية الأمريكية لإطلاق دعوة أخلاقية للمطالبة بالتخلص من هذا التراث تحت عناوين مراوغة مثل : تحديث الخطاب الدينى، أو تنقية المناهج الدراسية، أو برامج المساعدة الديمقراطية.

ومع تطور وانتشار أفكار التفوق والاستعلاء لم يكن من قبيل المصادفة أن تظهر نظرية " صدام الحضارات" التى أثارها الأكاديمى الأمريكى صمويل هنتنجتون لتكون بمثابة الأيديولوجية الجديدة فى فترة ما بعد الحرب الباردة، وقد بنى هنتنجتون نظريته على أساس تفسير جزئى للتاريخ.

وعلى حد قول د. خيما مارتن مينوس أستاذ علم الأجتماع فى العالم العربى والإسلامى بجامعة "الأتونوما" بمدريد فى محاضرة بدار الكتب المصرية أثناء زيارته للقاهرة فى ربيع عام ٢٠٠٤ م فإن " تصنيف هنتنجتون للحضارات تم بشكل اعتباطى ونزوى لعناصر سياسية وأيديولوجية من ناحية، وعناصر دينية وثقافية من جهة أخرى".

وفى رأى د. خيما أن نظرية "صراع الحضارات" طرحت الخطوط الثقافية والدينية كتفسير مضلل للنزاعات الناشئة بين الشرق والغرب، وكأداة تعمى عيون الغرب عن مسئوليته الثقافية الثقيلة نحو تصرفات فى أجزاء أخرى من العالم، فتفسير الأحداث على أساس دينى وثقافى ضد الغرب كافٍ لإعفاء العسكرية والسياسة الغربية من مسئوليتها فى مناطق النزاع، خصوصاً فى فلسطين والعراق وأفغانستان، تحت ستار تعبيرات مثل" الإسلام السياسى" أو "الإسلام المسلح"أو"الإسلام ذى الحدود الدامية".

لقد حقق الرئيس بوش ثلاثة نجاحات مهمة فى فترة رئاسته الأولى (يناير ٢٠٠١ ـ ديسمبر ٢٠٠٤) وهى:

ـ تأجيج الشعور بالتفوق الثقافى الغربى

ـ تأجيج ذخيرة من المخيلات المعادية للإسلام

ـ توجيه أنظار أجزاء كبيرة من العالم إلى الشرق الأوسط باعتباره مكمن الخطر القادم على الإنسانية، وفيه ترقد خلايا الإرهاب التى تهدد الجميع.

وللحق فإن الليكود الصهيونى ـ الشارونى تحديداً- كان له دور أساسى فى هذه النجاحات فى مرحلتى النشأة والتعميم.

وبهذه النجاحات الثلاثة تنصلت الإدارة الأمريكية من مسئوليتها تجاه الأوضاع غير العادلة فى الشرق الأوسط، الناتجة عن الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين والجولان والجنوب اللبنانى.

وأدى ظهور راية المقاومة الإسلامية، والخوف "التقليدى"و"التلقائى"من "العنصر الإسلامى" إلى حالة اللاشعور والتبلد فى المجتمعات الغربية أمام معاناة الفلسطينيين والعراقيين والأفغان، وتولد شعور لدى هذه المجتمعات يخلط بين المقاومة والإرهاب، ويرسم تصوراً ـ مقصوداً ونمطياً ـ بأن المواطنين عندما يدافعون عن أرضهم باستماتة وفدائية سوف يكون عقابهم وتدميرهم شيئاً مبرراً.

ثم أضافت هجمات الحادى عشر من سبتمبر فى نيويورك وواشنطن ثقلاً إلى تلك المفاهيم المعادية للإسلام والمسلمين، وقد أكد الرئيس بوش منذ أن وقعت تلك الهجمات، وفى أحاديث متعاقبة، أن السياسة الأمريكية تكن احتراماً كبيراً للإسلام، وأنه لا توجد حرب ضد الإسلام،وأن الإسلام" عقيدة مبنية على السلام والحب والرحمة ".. لكن المشكلة أن هذا الكلام المنمق غير مقنع بالنظر إلى الحقائق على الأرض، وبالنظر ـ أيضاً ـ إلى الطريقة التى تفسر بها السياسة الأمريكية أسباب العنف فى العالم الإسلامى، وتصويرها للصراع الدائر فى فلسطين والعراق وأفغانستان على أنه صراع دينى وثقافى، وليس صراعاً سياسياً لشعوب تمارس حقها، أو جزءاً من حقها، فى مقاومة الاحتلال.

ويبدو أن الفهم الحقيقى للسياسة الأمريكية لا يتأتى من خلال تصريحات بوش "المنمقة" وإنما من خلال تصريحات مستشاريه، وأعضاء وقيادات الحزب الذى ينتمى إليه، وهؤلاء يقولون ـ دون تردد – بعكس ما يقوله، فهاهو كنيث أدلمن عضو الهيئة السياسية للبنتاجون يصرح قائلاً :"كلما توغلت فى استقصاء ذلك الدين ـ الإسلام ـ أدركت الروح الحربية التى تصبغه، فقد كان محمد محارباً، ولم يكن مدافعاً عن السلام مثل المسيح".

ويقول إليوت كوهين، من المجلس الاستشارى للبنتاجون :"لا أحد يرغب فى الاعتقاد بأن هناك ديناً رئيسياً فى العالم – يقصد الإسلام ـ يتسم بالعدوانية الشديدة، ولكن يجب على القيادات أن تعلن الحقائق ولو كانت غير سارة، وغير مريحة".

أما بول ويرستش فيقول:" الإسلام فى حالة حرب ضدنا، ومن دواعى القلق أن الإدارة الأمريكية تتكلم عن الإسلام على أنه دين سلام و تسامح مثل اليهودية والمسيحية، مع أن الدين الإسلامى ليس كذلك ".

والغريب أنه مع كل عملية استشهادية تقع فى فلسطين، ومع كل سيارة مفخخة تنفجر فى الجنود الأمريكيين بالعراق تتصاعد أسئلة واستفهامات مريبة مثل:

- هل القرآن يبرر الإرهاب؟
- هل الانتحار جزء لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية؟
- هل الجهاد يعنى تدمير الآخر؟
- هل تعاليم الإسلام تحض على التعصب والحقد والكراهية؟
- هل العقيدة الإسلامية بطبيعتها ضد التحضر والتطور؟
- هل المسلمون يتوارثون ثقافة رجعية تجنح إلى الإرهاب والجمود والتسلط؟

لقد توصل علماء عدول فى الغرب إلى أن الإسلام لا يمكن الحكم عليه من خلال المقاييس نفسها التى يُحكم بها على اليهودية والمسيحية، ومع ذلك فإن الظلم الواقع على الإسلام والمسلمين لا يحدث مع أية ثقافات أو أديان أخرى، فعندما يحدث عنف من جانب الجماعات اليهودية أو المسيحية لا ينظر أحد إلى التوراة أو الإنجيل لإيجاد تفسير لهذا العنف، أما حين يتعلق الأمر بالإسلام أو المسلمين فهناك تسلط مرضى يستبد بهؤلاء الذين يفسرون كل شىء يحدث فى الدول الإسلامية على أنه راجع إلى مظاهر الثقافة الدينية، وليس إلى مظاهر سياسية.

وإذا كانت دهاليز وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" قد عرفت عناصر مؤثرة فى المطبخ السياسى تحمل عداءً تقليدياً للعرب والمسلمين، مثل بول وولفوتيز وريتشارد بيرل الملقب بأمير الظلام وصاحب الشهرة الذائعة خلال فترة الرئيس بوش الأولى، فإن هناك خارج هذه الدهاليز من صدع بالحقيقة "المؤلمة"، التى لايحب الرئيس بوش وجماعة المحافظين الجدد سماعها، فقال إن ظاهرة "بن لادن" ماهى إلا رد فعل عنيف للأيقونة الأمريكية التى فرضت نفسها على العالمين العربى والإسلامى كقوة ديكتاتورية مستبدة وقاهرة.

وكلما زاد الشعور لدى العالم العربى والإسلامى بالإذلال والانكسار والاضطهاد زادت حدة العنف فى المواجهة بالمناطق الملتهبة على خطوط التماس، ولسوء الحظ فقد زاد هذا الشعور وتأجج، واتسعت رقعة المواجهة من سجن "أبو غريب" فى بغداد إلى الجنوب السودانى، ومن معركة الحجاب فى باريس إلى معركة "الفرقان" المزيف فى واشنطن، وما صاحب ذلك من تصاعد حدة التمييز ضد المسلمين فى المجتمع الأمريكى ذاته فأدى تلقائياً إلى تغذية الشعور المتزايد بالظلم والاستبداد إزاء السياسة الأمريكية المنحازة خارجيا إلى إسرائيل، والمنحازة داخلياً إلى المنظمات اليهودية والمسيحية المتطرفة.

وفى يوليو ٢٠٠٥ قدم التقرير السنوى الذى أعده مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير" عن أوضاع الحقوق المدنية للمسلمين فى أمريكا صوراً عديدة لحوادث التمييز العنصرى التى يتعرض لها المسلمون فى أمريكا، خصوصاً فى مرحلة ما بعد الحادى عشر من سبتمبر، التى شهدت انتشاراً غير مسبوق لخطاب العداء للإسلام والمسلمين فى وسائل الإعلام ودوائر السياسة الأمريكية، وبالذات الدوائر المسيحية المتطرفة المسماة بدوائر "المحافظين الجدد".

يقول التقرير إن المؤسسات الحكومية تمثل الفئة الأولى من فئات الأماكن التى شهدت حوادث التمييز بنسبة ٢٣٪، ويتساوى معها أماكن العمل التى كانت تعد - تاريخياً - المكان الأول لحوادث التمييز ضد المسلمين فى أمريكا، أما المطارات الأمريكية فقد شهدت ١٤٪ من حوادث التمييز، وتحتل ولاية كاليفورنيا المرتبة الأولى فى إجمالى حوادث التمييز بنسبة ١١٪ تليها فلوريدا ١٠٪ ثم فيرجينيا ٩٪، وذكر التقرير بعض السياسات الحكومية التى شكلت أكبر مصادر التمييز، وأشار التقرير إلى أن بعض نصوص القانون "الجديد" لمكافحة الإرهاب المعروف باسم "باتريوت آكت" سمحت للسلطات الأمريكية بالتوسع فى عمليات التفتيش والمراقبة بشكل غير مسبوق وبدون توافر أدلة، والاعتداء على من يجرى اعتقالهم لفظياً وجسدياً، كما رصد التقرير قيام السلطات باعتقال ٧٣٨ مسلماً وعربياً فى الفترة من سبتمبر ٢٠٠١ إلى أغسطس ٢٠٠٢، وقيام وزارة العدل بعقد مقابلات

واستجوابات مع حوالى ٨الآف مسلم وعربى، وإخضاع حوالى ٧٠ ألف مهاجر مسلم وعربى لعمليات تسجيل إجبارية لدى إدارة الهجرة الأمريكية، وإخضاع ١١ ألف مهاجر عراقى لعمليات استجواب منذ بداية الحرب على العراق.

كما أشار التقرير إلى عدد من حوادث الإساءة البالغة للإسلام والمسلمين من قبل بعض قيادات الحكومة الأمريكية وبعض القيادات اليمينية المتطرفة، والتى بلغت ذروتها بتصريح جون أشكروفت وزير العدل السابق الذى قال فيه "إن الإسلام دين يطالب فيه الرب بأن ترسل ابنك ليموت من أجله،أما المسيحية فهى عقيدة يرسل فيها الرب ابنه ليموت من أجلك".

وقد لفت نهاد عوض المدير العام لـ"كير" الأنظار وهو يقدم تقريرها السنوى فى مؤتمر صحفى بواشنطن حين قال:" بالرغم من أن الحكومة الأمريكية أصبحت المصدر الأول للتمييز ضد المسلمين فى الولايات المتحدة إلا أن العمل مع الحكومة الأمريكية هو السبيل الوحيد لمواجهة هذا التمييز".. ولا يخفى أن هذا المنطق الذى يحكم العلاقة بين السلطة والشعب فى الدول النامية، أقصد المتخلفة ديمقراطيا وحضاريا، والتى يكون فيها الناس مع الحكومة وضد الحكومة فى الوقت نفسه لاقتناعهم بأنه لا إصلاح إلا من خلال الحكومة، هذا المنطق ينسف تماما أى أمل لوجود حرية حقيقية فى التوجه الأمريكى عندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين.

وإذا كان هذا يحدث داخل المجتمع الأمريكى فإن لهجة التبشير بالحرية التى تحدث بها بوش فى خطاباته لم تكن تعنى حقا محاربة الطغيان والاستبداد فى العالمين العربى والإسلامى ومساعدة شعوبهما على أن تنال حريتها، وإنما هى مجرد وسيلة لغزو هذه الشعوب، والنفاذ إليها، حتى تجد جحافل التبشير مواطىء أقدام لها فى هذين العالمين، كما حدث فى أعقاب غزو أفغانستان والعراق، وكما حدث فى جنوب السودان، وأندونسيا، وأخيراً فى المناطق المنكوبة بطوفان " تسونامى".

لقد اعلن روجر سيفرينو المستشار القانونى لصندوق " الحرية الدينية الأمريكية " أن التبشير كان الهدف الأساسى لنحو ٣٠ منظمة من بين ٦٧ منظمة قدمت المساعدات الإنسانية لمنكوبى كارثة تسونامى فى آسيا.

ولاحقا.. ظهرت لهجة أكثر صراحة للرئيس بوش، ففى خطاب ألقاه أمام

معهد الديمقراطية الوطنى بواشنطن يوم ٦ اكتوبر ٢٠٠٥ هاجم بوش ما سمّاه بالإسلام الراديكالى، وقال إنه يحمل إيديولوجية تحض على الكراهية وتمثل تهديدا للجنس البشرى والحضارة الإنسانية، وقال إن الراديكالية الإسلامية أوالجهاد الراديكالى أو الفاشية الإسلامية تشبه الإيديولوجية الشيوعية التى تمكنت الولايات المتحدة من هزيمتها، وأضاف أنه - مثل الشيوعية - فإن الراديكاليين الإسلاميين لا يمانعون من التضحية بأرواح آلاف من مواطنيهم بزعم أنهم يسعون لهدف أكبر، وهو بناء إمبراطورية إسلامية تمتد من إسبانيا إلى أندونيسيا، تمتلك أسلحة دمار شامل، وتقوم بتدمير إسرائيل، وهذه الجماعات لا تشكل خطراً على الولايات المتحدة فحسب. ولكنها تهدد السلام والبشرية كلها.

وزعم بوش أن الراديكاليين يلقون الدعم من النظم الشمولية، وأيضا من وسائل إعلام عربية تحض على الكراهية ومعاداة السامية وترسخ نظرية المؤامرة بالحديث عن حرب أمريكية ضد الإسلام وتجاهل ما قدمته الولايات المتحدة من مساعدات للمسلمين فى أفغانستان والبوسنة والصومال وكوسوفو والكويت والعراق، وأضاف أن هذه الإيديولوجية المتطرفة لا يمكن التحاور معها أو تقديم التنازلات لها، ولا نقبل بأى شىء أقل من الانتصار عليها، مشدداً على أن المسلمين الراديكاليين أكبر تحد يواجه الولايات المتحدة فى القرن الحالى.. تماما كما واجهت خطر الشيوعية فى القرن الماضى.

وقد تجلت الحرية الأمريكية الزائفة فى أبشع صورها من خلال مشروع القرار الذى قدمه جس بيليراكس العضو الجمهورى فى مجلس النواب الأمريكى إلى الكونجرس لتصنيف القنوات الفضائية المناهضة للولايات المتحدة وإسرائيل كمنظمات إرهابية.

وذكرت "وكالة أمريكا إن أربيك" فى تقرير نشرته يوم ٢يوليو ٢٠٠٨ أن بيليراكس وجه فى مشروعه اتهامات صريحة إلى قنوات "الرافدين"و"الأقصى"و"المنار" و"الزوراء"و" العالم" الإيرانية التى تُبث بالعربية، وحث مشروع القرار الذى يحمل رقم ١٣٠٨ حكومات الشرق الأوسط وحلفاء أمريكا على إعلان إدانتها رسمياً لهذه القنوات المحرضة على العنف ضد أمريكا والأمريكيين.

وطالب مشروع القرار الرئيس بوش بتصنيف قناة "الأقصى" الفلسطينية كمنظمة إرهابية عالمية. وأيضا تصنيف الأقمار الصناعية التى تساعد هذه القنوات فى لائحة المنظمات الداعمة للإرهاب.. وخص بالذكر القمر الصناعى المصرى "نايل سات" والقمر الصناعى "عرب سات" التابع لجامعة الدول العربية. وذلك لبثهما تلك القنوات " الإرهابية" التى تحرض على العنف ضد أمريكا.

وأوصى مشروع القرار بإعادة النظر فى مستوى المساعدات التى تقدمها أمريكا إلى دول تحرض على العنف ضد رعاياها، فى إشارة إلى مصر مالكة " نايل سات " وجامعة الدول العربية مالكة "عرب سات" وقال "جس" فى نص مشروعه إن قناة "المنار" تحرض على استخدام السلاح ضد أمريكا وإسرائيل، ويبلغ عدد مشاهديها ١٠ ملايينٍ يومياً، إذ تبث من خلال ٣ أقمار، وأضاف إن قناة الرافدين العراقية التى تبث من مصر تابعة لهيئة علماء المسلمين، التى وصفها بأنها " منظمة معادية لأمريكا فى العراق".

لم يعد الكونجرس - فى عهد بوش - مختصاً بالشئون الأمريكية فقط، وإنما صار سلطة دولية تفرض سيطرتها ورؤيتها ووصايتها على العالم.. إنه يطالب حكام الدول الأخرى بأن يكونوا ديمقراطيين.. وبأن يعطوا لشعوبهم حرية التعبير.. أما حينما يتعلق الأمر بأمريكا فلا ديمقراطية ولا حرية للتعبير.. بل يجب على كل الشعوب أن تتبنى وجهة النظر الأمريكية، وإلا حولتهم آلة الدعاية الجهنمية إلى إرهابيين ومتطرفين.

الهدف من مشروع القرار واضح وضوح الشمس.. وهو هدف فاجر. ينسف كل شعارات الحرية وحقوق الإنسان التى تروج لها الولايات المتحدة على مستوى الأقوال فقط.. بينما هى أول من يتنكر لها ويحاربها على أرض الواقع.

لم تقنع إدارة بوش باحتلال العراق.. ولم تقنع بدعمها اللامحدود لإسرائيل حتى تحقق أهدافها الصهيونية.. لكنها تريد من " الشرق الأوسط "، وبالتحديد من العرب، ألا يكون لديهم صوت مخالف لصوتها.. أو قناة تعرض من الآراء ووجهات النظر غير ماتقول.

إنها تطلب منا تبعية كاملة وخالصة.. ولاتريد لنا أن نرى إلا ما تراه.. ثم تمن علينا بذلك.. مثل فرعون الذى قال لأتباعه: " لا أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد".

## ٥

# صهيوني متعصب.. أمام الكنيست

لم يكن الرئيس بوش الابن صادقاً مع نفسه، ولا صريحاً مع الآخرين، مثلما كان فى الخطاب الذى ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلى مساء الخميس ١٥ مايو ٢٠٠٨ بمناسبة مشاركته فى الاحتفال بالعيد الستين لـ"استقلال إسرائيل".

فى هذا الخطاب "التاريخى" كشف بوش بكل وضوح عن شخصيته الصهيونية وطبيعته المتعصبة، وتخلى عن كل المساحيق التى استخدمها على مدى سنوات حكمه لتجميل تصريحاته وتصرفاته، وتجاوز كل السياسيين الأمريكيين والأوروبيين الذين اشتهروا بالانحياز الأعمى لإسرائيل.

وصف الخطاب بأنه "توراتى" و"تحريضى" لأنه اعتمد على الاستشهاد ببعض كلمات وردت فى التوراة لتبرير حق إسرائيل فى الاحتلال والاستيطان، بل وحقها فى عدم التفاوض مع من اغتصبت أرضهم وديارهم، وسمَّاهم بوش بـ "القتلة" الذين تعهدوا بتدمير الدولة العبرية.

لم يكن بوش فى هذا الخطاب هو رئيس الدولة العظمى الراعية لمفاوضات السلام، ولم يكن الوسيط النزيه، ولا الشريك المحايد، ولا صاحب مشروع الدولتين المتجاورتين اللتين تعيشان فى سلام، ولم يكن حتى داعية الديمقراطية وحقوق السلام، بل إنه لم يكن يهودياً أو إسرائيلياً معتدلاً، فمن اليهود ومن الإسرائيليين من يعرف الحق ولا ينكره، ومن يطالب بالحق

المتساوى للشعب الفلسطينى فى العيش مع إسرائيل واقتسام الأرض والأمن والسلام، ومن اليهود من يرفض دولة إسرائيل من الأساس، ويرى أنها بدعة صهيونية لا أساس لها فى الدين أو التاريخ.. لكن بوش كان صهيونياً وصليبياً فاجراً، يعلى من شأن الباطل ليدحض به الحق.

وقد أطلقت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية على بوش بعد الخطاب وصف "الصهيونى الأول".. وهو تعبير له دلالة خطيرة جدا إذا ما تذكرنا أن الصهيونية هى الحركة السياسية العنصرية الاستيطانية التى قامت فى الأساس على فكرة أن فلسطين هى أرض الميعاد، وبخلاف كونها عقيدة سياسية فإن لها شقاً دينياً، باعتبارها مرتبطة باليهودية وحتى اسمها له دلالة لأنه مأخوذ من اسم جبل " صهيون " فى موقع قريب مما يعتقدون أنه مكان هيكل سليمان القديم فى القدس. أو "جبل الهيكل".

كما أكد سيلفان شالوم وزير خارجية إسرائيل الأسبق أن خطاب بوش أمام الكنيست كان خطاباً صهيونياً بكل معنى الكلمة، وكأنه لعضو فى حزب دينى إسرائيلى.

تحدث بوش أمام الكنيست عن "استقلال إسرائيل". وتأسيسها على "الحق الطبيعى للشعب اليهودى فى تقرير مصيره".. وأشار إلى أن ما تبع إعلان الاستقلال "كان أكثر من مجرد تأسيس بلد جديد، إنه كان الفداء لتحقيق الوعد القديم الممنوح لإبراهيم وموسى وداوود، وطن لشعب الله المختار بنى إسرائيل".

لم ير بوش الجانب الآخر من الصورة.. فاستقلال إسرائيل المزعوم كان فى الحقيقة على حساب شعب اغتصبت أرضه، وذبح أبناؤه وشردوا، وطردوا من بيوتهم على أيدى العصابات الصهيونية المسلحة التى أعلنت هذا الاستقلال، هذا الشعب المظلوم كان فى ذات لحظة خطاب بوش يحيى ذكرى نكبته الكبرى التى ألمت به دون ذنب ارتكبه، اللهم إلا هذا الوعد الملعون لهذا الشعب الذى يدعى أنه شعب الله المختار، وهو ادعاء عنصرى بغيض لم يشهد التاريخ له مثيلا.

لقد روج بوش فى هذه المناسبة لحق الشعب اليهودى فى فلسطين، مؤكداً أنه حق "طبيعى".. كما روج لعنصرية شعب الله المختار، والوعد المزعوم

الممنوح - فى التوراة - لإبراهيم وموسى وداوود وأكد أن المذابح التى يرتكبها الصهاينة ضد أصحاب الأرض الحقيقيين كانت "الفداء" لتحقيق ذلك الوعد.

وتعبير "الفداء" هنا يمنح الصهاينة براءة من المذابح وحمامات الدم وجرائم الطرد والتهجير والاغتصاب التى ارتكبوها منذ إعلان الاستقلال المزعوم حتى الآن، ويحول المجرم إلى ضحية "فداء" ويحول الضحية إلى إرهابى ومعتد. لأنه لم يسلم أرضه وداره طواعية لأصحاب الوعد القديم، ومازال يحارب ويقاوم كى يسترد حقه المسلوب.

وهذه الرؤية ليست جديدة على بوش، وقد استمدها من فكر الجماعات المسيحية الأصولية القديمة التى كان لجده الأكبر - القس جورج بوش - دور متميز فى تشجيعها، وقد أرست هذه الجماعات منذ وقت مبكر جذور التمثل الأمريكى لمفردات التاريخ الصهيونى،عندما قصدت جماعات أوروبية مسلحة إلى هجرة منظمة إلى أمريكا، وسموا أنفسهم بالعبرانيين، واعتبروا خروجهم من أوروبا يماثل خروج العبرانيين من مصر، ووجدوا فى نزوحهم إلى أمريكا الواسعة الأرض والثراء ما يماثل نزوح العبرانيين إلى أرض كنعان. أرض اللبن والعسل. وأعطوا أنفسهم الحق فى أن يصدق عليهم ما ورد فى سفر الخروج.. بحيث يحق لهم إبادة سكان البلاد الأصليين ـ الهنود الحمر. الذين أطلق عليهم المهاجرون الجدد اسم "الكنعانيين" تشبيها بالشعب الذى وجده العبرانيون فى أرض فلسطين عندما خرجوا من مصر إلى الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً.

كان بوش "الابن" واضحاً جداً وهو يعبر عن هذا التماثل والتماهى والتطابق حين وجه كلامه إلى الإسرائيليين من منبر الكنيست قائلاً: "التحالف بين حكوماتنا لا يمكن كسره، وصداقتنا أعمق من بنود أية اتفاقية، إنها مؤسسة فى الروح المشتركة لشعبينا.. إنها رابطة الكتاب المقدس. رابطة الروح. عندما نزل ويليام بلادفورد من سفينة "ماى فلاور" فى عام ١٦٢٠م ردد مقتطفاً من سفر أرميا: "هيا لنعلن أن صهيون هى كلمة الله".

و"ماى فلاور" هى السفينة التى كانت تنقل المهاجرين الأوائل من الانفصاليين البروتستانت من إنجلترا إلى أمريكا كنوع من العقوبة.

ثم أضاف بوش: "إن مؤسسى بلادى رأوا أرض ميعاد أخرى ومنحوا بعضاً

من مدنهم أسماء مثل بيت لحم وكنعان الجديدة.. ومع الوقت أصبح كثير من الأمريكيين دعاة متحمسين لدولة يهودية".

وهكذا قطع خطاب الرئيس بوش الابن أمام الكنيست الإسرائيلى حبال الزيف التى كان يتعلق بها البعض فى عالمنا العربى والإسلامى.. وكشف الكثير من الحقائق التى كان يتغافل عنها البعض أملاً فى صداقة أمريكا.. ومن هذه الحقائق وأولها أن انحياز بوش لإسرائيل. وفريق المحافظين الجدد الذى معه والذى وصف بـ "عصابة تكساس"، ليس موقفاً سياسياً، وليس اختياراً براجماتياً قائماً على المصلحة والمنفعة، وإنما هو تعبير عن عقيدة دينية متأصلة.

وقد ظهرت تلميحات خلال سنوات بوش تشير إلى أن الرئيس الابن هو الفارس الذى جاء على رأس الألفية ليقود معركة النصر الكبرى لليهود وإقامة الهيكل فى القدس تمهيداً لعودة السيد المسيح طبقاً للوعد التوراتى.

ومن المفيد هنا أن نلاحظ أن بوش هو الذى أعلنها حرباً صليبية، وأحيا هذا الوصف الدينى ليطلقه على ما أسماه بعد ذلك بـ "الحرب على الإرهاب" أو "الحرب ضد الإسلام الفاشستى" أو "الحرب ضد الديكتاتورية فى الشرق الأوسط".. وكلها مسميات مراوغة للتعمية على الاسم الحقيقى للحرب، وهو الاسم الذى أعلنه بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مباشرة ثم اعتذر عنه بالقول لا بالفعل.

فى خطابه أمام الكنيست عزف بوش النغمة نفسها التى تروق كثيراً لليهود، نغمة المحرقة، التى تظهر أنهم ضحايا، وتعطيهم أمام أنفسهم وأمام الآخرين المخدوعين المبرر الأخلاقى لشن حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطينى.

قال بوش: "قرنان من المعاناة والتضحيات مرا قبل تحقيق الحلم.. لقد تحمل الشعب اليهودى آلام المذابح المدبرة.. ومأساة الحرب الكبرى.. وفزع محارق النازى.. التى سماها إلى ويسل "مملكة الليل"، رجال بلا أرواح سلبوا الحياة لأناس وشردوا أسرهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من سلب الشعب اليهودى روحه، ولم يستطيعوا أن يحطموا وعد الله، حين وصل خبر تحرر إسرائيل أخيراً، جولدا مائير امرأة شجاعة نشأت فى ويسكونسين لم تتمالك دموعها قالت بعد ذلك: "انتظرنا ميلادنا لألفى عام، والآن ها قد حدث، إنه رائع وعظيم، حتى إنه يرتفع فوق الكلمات البشرية".

لم يتنبه بوش وهو يقول هذا الكلام "المخبول" إن تحرر إسرائيل المزعوم جاء على حساب شعب برىء من المذابح التى ارتكبها النازى، والتى لم تكن بالقطع ضد الشعب اليهودى وحده، ولا يمكن أن تكون مبرراً لارتكاب اليهود أنفسهم مذابح أكثر بشاعة ضد شعب آخر.

الفلسطينيون ليسوا مسئولين عن المحرقة، والعرب والمسلمون ليس لهم دور فى مذابح النازى التى ارتكبها أناس ينتمون إلى المسيحية الأوروبية، ومن ثم فإن من الظلم الفادح أن يدفع شعب مسالم ثمناً لجريمة تاريخية لم يرتكبها، ومن "الخبل" أن يعتقد البعض أن هذا الظلم هو بعينه "الوعد الإلهى" الذى منح لليهود.. وأن يمتدح المجرمين والسفاحين الذين قاموا على تنفيذه.

حين ولدت إسرائيل قتلت فلسطين، وحين أعلنت العصابات الصهيونية ميلاد دولة الوعد الإلهى كان ذلك بمثابة نكبة على شعب آخر طرد من أرضه ومنازله، وشرد فى مختلف بقاع الأرض، فهل هذا هو ما يمكن أن يقبله عاقل ذو ضمير يقظ؟!

وياليت بوش توقف عند ذلك وإنما عاب على الضحية أن يدافع عن نفسه، وأن يحاول أن يسترد ما سرق منه، رغم أن الضحية هذا كان ضعيفاً وفاشلاً ومهزوماً.. بفعل فاعل.. ولم يتمكن من أن يثأر لنفسه ويسترد حقه حتى الآن.

قال بوش: "لكن اندلاع المعركة ـ يقصد معركة ١٩٤٨ـ قلل من فرحة النصر، صراع دام لست أحقاب، إلا أنه بالرغم من العنف، وفى تحد للتهديدات، بنت إسرائيل ديمقراطية مزدهرة فى قلب الأرض المقدسة، لقد رحبتم بالمهاجرين من الأربع جهات للأرض.. لقد كونتم مجتمعاً حراً وحديثاً مبنياً على الحب والحرية، لقد عملتم بكد من أجل السلام، وحاربتم بشراسة من أجل الحرية".

إلى هذا الحد ظهرت الصورة معكوسة تماماً عند بوش.. فإسرائيل التى قامت على الدم عملت فى نظر بوش من أجل السلام، وإسرائيل التى اغتصبت الأرض وطردت أهلها حاربت فى نظره من أجل الحرية، ثم إنه يمتدح، وياللغباء، قوماً طردوا الناس من بيوتهم ليأتوا إليها بالمهاجرين من الجهات الأربع بعد ذلك.. فهل هذا عدل؟!

ويجزم بوش: "إن إعجاب بلادى بإسرائيل لا ينتهى".. ويؤكد أنه "من المخزى أن تمرر الأمم المتحدة قرارات روتينية بخصوص حقوق الإنسان لإدانة الدولة الأكثر حرية وديمقراطية فى الشرق الأوسط، أكثر من أى دولة أخرى فى العالم".

ويقول : "نؤمن بأن الأحرار يجب أن يناضلوا ويضحوا لتحقيق السلام".. و"نؤمن بحق الأمم فى الدفاع عن نفسها وألا يتم إجبار أى أمة للتفاوض مع القتلة المتعهدين بتدميرها".

والأحرار الذين يقصدهم هنا هم اليهود بالطبع، وليس الفلسطينيين الذين يرون أن من حقهم أن يناضلوا للعودة إلى بيوتهم وأراضيهم والعيش فى سلام كما كانوا.. وحق الأمم فى الدفاع عن نفسها هو حق إسرائيل وحدها.. أما من سواها فهم إرهابيون ومتطرفون إذا دافعوا عن أنفسهم بنفس المنطق الذى يتحدث به.

وقد كان من الطبيعى أن ينتهز بوش فرصة الحديث أمام الكنيست الإسرائيلى ليتطرق إلى قضية التطرف والإرهاب باعتبار أنها إحدى القضايا الأساسية التى تتطابق بشأنها وجهات النظر بين أمريكا وإسرائيل تطابقا كاملا.

قال بوش: "نؤمن بأن استهداف الأرواح البريئة لتحقيق أهداف سياسية خطأ فى أى وقت وأى مكان لذلك نقف معاً ضد الإرهاب والتطرف، لن نتخلى عن حرسنا أو نفقد عزمنا.. محاربة الارهاب والتطرف هى التحدى الرئيسى فى عصرنا، انه أكثر من قتال بالأسلحة، إنه صراع رؤى، صراع ايديولوجى "كبير".

بهذا المنطق الحاسم حصد بوش تصفيقاً حاداً من أعضاء الكنيست، فهم يدركون مغزى ما يقول، ويعلمون أن الارهاب والتطرف فى حديثه يعنى جماعات ومنظمات المقاومة المسلحة فى فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان، وهى الجماعات والمنظمات التى دمغتها الإدارة الأمريكية بالإرهاب فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى حركة انتهازية مكشوفة دون النظر إلى التفرقة الواجبة بين الارهاب العشوائى المرفوض والمقاومة المشروعة التى هى حق كفلته المواثيق الدولية لأى شعب احتلت أرضه أو اعتدى على كرامته.

الغريب هنا أن بوش لم ينظر إلى الوجوه التى تجلس أمامه فى الكنيست، ومعظمها وجوه لأناس حملوا السلاح لتحقيق هدف سياسى غير مشروع، هو اغتصاب أرض ليست أرضهم وديار ليست ديارهم، وطرد أصحابها الذين ولدوا عليها، وورثوها جداً عن جد.

لقد وصف بوش هؤلاء المغتصبين فى خطابه بقوله: "هناك من يدافعون عن مثاليات العدالة والكرامة بقوة العقل والحقيقة، وعلى الجانب الآخر هناك من يسعون خلف رؤية ضيقة للقسوة والسيطرة عبر ممارسة القتل ونشر الخوف والأكاذيب.

وهكذا انقلبت الصورة عند بوش.. فالقاتل المغتصب هو المدافع عن "مثاليات" والمقاوم الضعيف المحاصر هو الذى يسعى خلف رؤية ضيقة للقسوة والسيطرة عبر ممارسة القتل ونشر الخوف والأكاذيب.

ثم يستكمل: إن جوهر الصراع قديم قدم الصراع بين الخير والشر.. يلبس القاتل عباءة الإسلام،لكنهم غير متدينين، لا أحد يصلى إلى رب إبراهيم يستطيع لف حزام انتحارى حول طفل برىء ليفجر ضيوفا أبرياء فى عيد الفصح، أو يرسل طائرات لتهاجم مبنى مليئاً بالعمال الأبرياء.. الحقيقة أن من يرتكبون هذه الأعمال الوحشيّة لا يخدمون سوى أطماعهم الشخصية فى السلطة لا يؤمنون برب سواهم، ويحملون كراهية خاصة للمدافعين المتحمسين عن الحرية بمن فيهم الأمريكيون والإسرائيليون، لذلك فإن المؤسسين لحماس يدعون لمحو إسرائيل، ولذلك فإن اتباع حزب الله يهتفون: الموت لإسرائيل.. الموت لأمريكا، ولذلك فأسامة بن لادن يعلم أن قتل اليهود والأمريكيين هو أحد أهم الواجبات، ولذلك فرئيس إيران يحلم بعودة الشرق الأوسط إلى العصور الوسطى ويدعو إلى محو إسرائيل من الخريطة.

ويبدو بوش هنا متورطاً فى عملية دعائية فجة.. يتجاهل فيها حقائق الواقع.. فهو مع الرؤية القائلة إن الصراع قديم أو هو صراع حتمى كما يزعم أصحاب نظرية صراع الحضارات.. ويقسم العالم إلى فسطاطين كما يفعل المتطرفون تماما.. فسطاط الخير وفسطاط الشر. وينسى أن من يقوم بعملية استشهادية مرتدياً الحزام الانتحارى هو فى الواقع لا يملك البديل، ولو كان

لديه طائرة "أباتشى" أو طائرة بدون طيار أو غير ذلك من أسلحة القرن الواحد والعشرين لما ارتدى الحزام الانتحارى.

ثم إنه يدعى أن المحتفلين بعيد الفصح أبرياء.. متجاهلا أنهم مستوطنون مغتصبون وإرهابيون قتلة بلا ضمائر.. وهو هنا لسبب معروف ومكشوف يسوى بين مقاومة حماس وحزب الله من ناحية والقاعدة وبن لادن من ناحية أخرى.

ولأن الوضع فى نظره منقسم بين أبيض وأسود، ولأنه يرى أن لإسرائيل كل الحق ومن سواها ليس له أى حق، فإنه يرفض المفاوضات بين إسرائيل وأعدائها ويحرضها على المزيد من القتل والتدمير والعدوان ويمنحها حصانة أمريكية أبدية تعلو فوق اعتبارات السلام المزيف الذى يدعو إليه بالكلام دون أن يعمل من أجله بالفعل.

يقول بوش: "يرى البعض أننا يجب أن نتفاوض مع الإرهابيين والمتطرفين.. بينما بمنطق بسيط يمكن اقناعهم بأن ذلك كان ولايزال خطأ".

هذا هو رئيس الدولة الأعظم الذى يخدع الناس بدعاوى السلام، وهو فى الحقيقة يرفض التفاوض، وكان فى صيف ٢٠٠٧ يرفض وقف الحرب التى شنتها إسرائيل على لبنان حتى تقضى قضاءً مبرماً على حزب الله فلما لم يتحقق ذلك لإسرائيل أعلن غضبه الصريح.. ولكن توقفت الحرب رغم إرادته وخرجت منها إسرائيل مهزومة لأنها لم تحقق أهدافها، واعترفت بالهزيمة أمام الصمود الرائع للبنان وحزب الله.

ثم وصل الرئيس بوش إلى قمة الذوبان فى الكيان الصهيونى عندما قال: "عدد سكان إسرائيل ربما يكون سبعة ملايين.. لكن حين تواجهون الإرهاب والشر فإنكم ٣٠٧ ملايين قوى.. لأن الولايات المتحدة تقف معكم".

والإرهاب والشر المقصودان هنا هما المقاومة.. وهذا خلط واضح.. لأن إسرائيل هى التى تمارس الإرهاب والشر يومياً ضد المواطنين الفلسطينيين.. وهى التى تحاصر غزة.. وتمنع عنها الماء والدواء والكهرباء والغذاء حتى يموت أبناؤها بالتدريج.. وهى التى تقيم الحواجز فى الشوارع والطرقات بهدف تعذيب الشعب الفلسطينى.

ثم إن كلامه عن الـ ٣٠٧ ملايين قوى غير صحيح.. لأن قطاعاً كبيراً من الشعب الأمريكى. يصل إلى ثلثى تعداد السكان، يرفض سياسة بوش كلها.. وثلاثة أرباع هؤلاء يعارضون سياسته فى الشرق الأوسط تحديداً.. وهو ما يعنى أن نسبة كبيرة من الأمريكيين ينتظرون رحيله من البيت الأبيض قبل توريطهم فى مغامرة أخرى من مغامراته لصالح إسرائيل.

وفى كل الأحوال فإنه إذا كان هناك ٣٠٧ ملايين يؤيدونه فى نصرة إسرائيل - كما يزعم- فهناك مليار و٢٠٧ ملايين من الفلسطينيين والعرب والمسلمين حول العالم يؤيدون الشعب الفلسطينى وقضيته بيقين أكبر من اليقين الذى يؤيد به الأمريكيون رئيسهم الصهيونى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكونجرس الأمريكى، أكثر صهيونية من الكنيست فى انحيازه للتطرف الإسرائيلى،إلا أن هذا الانحياز مدفوع الأجر كما هو معلوم.. لأن أعضاء كثيرين فيه يعتمدون على مال اللوبى اليهودى.. أى أنهم ـ بصريح العبارة ـ مرتشون وفاسدون.

وإذا كان هناك فى الكونجرس، وفى الكنيست أيضا، من يدعو إلى التفاوض وحل المشكلات بأساليب معتدلة فإن بوش وفريقه قد أكدوا فى مناسبات عديدة أن رؤيتهم لقضايا الشرق الأوسط تتطابق تماما مع رؤية المعسكر الأكثر تطرفا فى إسرائيل.

وها هو ذا يقول فى خطابه أمام الكنيست: "أمريكا تقف معكم لكسر شبكة الإرهاب وملاذهم، أمريكا تقف معكم بحسم لمواجهة طموح إيران النووى، إن السماح لأكبر قوة داعمة للإرهاب بامتلاك السلاح الأكثر قتلاً سيكون خيانة لا يمكن التسامح معها من الأجيال القادمة.. من أجل السلام يجب على العالم ألا يسمح لإيران بامتلاك السلاح النووى".

إنها النغمة نفسها التى يتحدث بها أولمرت وإيهود باراك وبنيامين نتنياهو وتسيبى ليفنى وغيرهم من صقور الصهاينة الذين يرون القشة فى عين غيرهم ولا يرون الخشبة فى عيونهم.. الذين يتحدثون عن سلاح نووى إيرانى "مزعوم".. ويرهبون كل من يتحدث عن السلاح النووى الإسرائيلى المعلوم.

ويختتم بوش خطابه الصهيونى بالحديث عن المستقبل كما يراه.. وهذا المستقبل يعنى:

١- الانتصار فى الصراع يتحقق من خلال نشر "رؤيتنا للعدالة والتسامح والحرية والأمل".. أى أن الرجل لن يكتفى بالنصر العسكرى الذى تحسمه القوة المادية.. وإنما هو يتجه إلى نشر رؤيته "الصهيونية" للعدالة والتسامح والحرية والأمل.. وهى رؤية كما خبرناها فى فلسطين والعراق وأفغانستان ولبنان والسودان لا تعنى أقل من الحرب الدينية لتدمير إيديولوجية الآخر وعقيدته.. وتلويث تلك العقيدة وتشويهها وتمييعها لترويج دين ملفق وعقيدة جديدة تكون مسخاً من العقيدة الصهيونية التى يتبناها.. حتى يحقق لهذه العقيدة الصهيونية أهدافها ومراميها.

٢- الزعم بأن رؤيته للعدالة والتسامح والحرية والأمل صحيحة لجميع الناس، ولكل الأديان، فى كل العالم، لأنها منحة من الله سبحانه وتعالى، هذا فهم فاشستى لمن يتصور أنه وحده يمتلك الحقيقة، وأنه وحده هو الذى أعطاه الله منحة يبشر بها لكل الناس ولكل الأديان فى كل العالم.

٣- الرسالة التى تصور بوش أنه يحملها للبشرية تقول: يجب أن نمنح الأمل للملايين من البشر العاديين الذين يحلمون بحياة أفضل ومجتمع حر.. يجب أن يكون لدينا إيمان بقيمنا وأنفسنا وبثقة نسعى لنشر الحرية كطريق لمستقبل السلام.

إنه هنا يتحدث دائما عن قيمه ورؤيته للحرية والأمل.. وعن سعيه لنشر هذه القيم ونسف كل ما عداها.. باعتبار أن أية قيم أخرى أصبحت من الماضى.. فى زمن الهيمنة الفكرية والثقافية والدينية التى يدعو إليها.

٤- بعد ٦٠ سنة أخرى من الآن سيرحل الشرق الأوسط الحالى بشكل دراماتيكى.. وسيكون الشرق الأوسط الذى يستطيع أن يراه هو: إسرائيل تحتفل بالذكرى الـ ١٢٠ لتأسيسها كواحدة من أعظم الديمقراطيات فى العالم، وكوطن آمن ومزدهر للشعب اليهودى.. وسيحصل الشعب الفلسطينى على الوطن الذى حلم به طويلاً واستحقه.. ستكون دولة ديمقراطية محكومة بالقانون وتحترم حقوق الإنسان وتدين الإرهاب.. بينما القاعدة وحزب الله وحماس سيتم هزيمتهم، والمسلمون فى المنطقة سيقرون بفراغ الإرهابيين وعدم عدالة قضيتهم.

وهكذا فإن على الفلسطينيين أن ينتظروا ٦٠ عاماً أخرى حتى يروا حلم بوش يتحقق.

لقد كان بوش واضحاً فى خطابه حين أقر بثلاث حقائق مهمة ربما دون أن يقصد : الأولى أنه تحدث عن إسرائيل وشعبها باعتباره واحداً منهم، وعن عقيدتها باعتباره منتميا أصيلا إليها.. فهو صهيونى لحما ودماً.. والثانية أنه أكد قناعة لا تحتمل الشك بأن بقاء إسرائيل مرتبط بالدعم الأمريكى لها.. والثالثة أن قيام دولة فلسطين المنتظرة مرتبط بهزيمة حماس وحزب الله والقاعدة.

وهذه الرؤية تمثل أقصى درجات التطرف ما بعد الليكودى فى إسرائيل.. لذلك استحق بوش تصفيق الصهاينة فى الكونجرس وفى الكنيست.. نظراً لأنه يجسد صعود تيار المسيحية الصهيونية فى بداية القرن الواحد والعشرين.. ويكرس أسس الحرب الدينية الحتمية التى بدأت من القدم وسوف تستمر.. سواء اتخذت هذه الحرب اسم " صراع الحضارات " أو " حرب الإرهاب "..أو"الحرب الصليبية ".. أو أى مسمى آخر.

## ◆ الفصل الثانى

# حروب.. غير مقدسة



# كشف القناع

سيظل يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ علامةً فارقةً فى تاريخ العالم الحديث.. ففى هذا اليوم وقع هجوم مباغت بالطائرات على برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك.. ووقعت التفجيرات الغامضة فى مبنى وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" فى واشنطن.. مما أسقط البرجين وأحدث دمارا هائلا فى "البنتاجون".. وأودى بحياة آلاف من الأمريكيين وغيرهم.. والأهم من ذلك ما لحق بأكبر وأقوى دولة فى العالم من إهانة أسقطت هيبتها وجرحت كرامتها.

كان الحادث غير عادى فى بلد غير عادى.. ومن ثم صار ١١ سبتمبر يوماً غير عادى.. فما كان قبله من توازنات ومفاهيم وأعراف ومبادئ تحكم العالم شىء وما كان بعده شىء آخر.

فى مطلع سبتمبر ٢٠٠١، وقبل أيام قلائل من الهجوم، كان العالم يعيش أجواء مؤتمر الأمم المتحدة لمناهضة التمييز العنصرى والعرقى الذى عقد فى "ديربان" بجنوب أفريقيا.. والذى شاركت فيه ١٥٠ دولة و ١٥ رئيسا إلى جانب مئات من المنظمات غير الحكومية.. وكان أبرز سمات المؤتمر نجاح الجهود العربية فى حشد التأييد الدولى للحق الفلسطينى، وإدانة الممارسات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة باعتبارها ممارسات عنصرية.

ومن أبرز العناوين التى تناقلتها الصحف عن مؤتمر "ديربان" تصريح لكوفى عنان أمين عام الأمم المتحدة آنذاك قال فيه «إن اضطهاد اليهود فى الماضى لا يبرر اضطهاد الفلسطينيين الآن».. وتصريح لأحمد ماهر وزير خارجية مصر آنذاك قال فيه «إن إسرائيل وأمريكا لا يمكنهما إملاء إرادتيهما على العالم».. وذلك تعليقا على انسحاب إسرائيل وأمريكا من المؤتمر بعد أن بدا واضحا أن العرب والمسلمين نجحوا فى فرض عزلة كاملة على إسرائيل رغم تهديدات الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن الذى ألقى بثقل بلاده كاملا وراء إسرائيل.. بينما هدد ليونيل جوسبان رئيس وزراء فرنسا بالانسحاب من المؤتمر مع شركائه الأوروبيين إذا تعذر حذف العبارات المناهضة لإسرائيل من البيان الختامى للمؤتمر.. وخصوصا ما يتعلق بربط الصهيونية بالعنصرية فى وثيقة المؤتمر.

ضمن فعاليات المؤتمر خرجت مظاهرة فى ديربان لا يقل عدد المشاركين فيها عن ٦٠ ألف شخص ترفع شعارات مضادة للعولمة والخصخصة والعنصرية الإسرائيلية وظاهرة "كراهية الأجانب" التى يتعرض لها العرب والمسلمون فى الغرب.. وقام بتنظيم هذه المظاهرة تحالف عدة حركات اجتماعية من جنوب أفريقيا بالتعاون مع التجمع العربى للمنظمات غير الحكومية المشاركة فى المؤتمر.

وقبل أحداث سبتمبر بأقل من شهر.. وبالتحديد يوم ١٤ أغسطس ٢٠٠١ نشرت "الأهرام" نقلا عن صحيفة "الإندبندنت" البريطانية نتائج دراسة أجرتها مؤسسة أبحاث أمريكية وصفت فيها الرئيس بوش بأنه "أكثر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية بلادة أو ضعفا فى الفهم على مدى السنوات الخمسين الأخيرة.. وأن الرجل المسكين "بوش" حصل على درجات ضعيفة بعد أن تم تقييم سجلاته الأكاديمية وكتاباته التى لم يستعن فيها بمساعديه، بالإضافة إلى لغته وعوامل "سيكولوجية أخرى"

وفى اليوم ذاته، ١٤ أغسطس ٢٠٠١، نشرت صحيفة "المساء" نتيجة استطلاع للرأى العام الأمريكى أجرته مجلة "يو.إس.نيوز أند وورلد ريبورت" أظهرت أن الشعب الأمريكى يعانى من "الافتقار إلى وجود بطل معاصر" حيث عجز نصف المشاركين فى الاستطلاع عن ذكر اسم شخصية عامة على قيد الحياة يمكن وصفها بـ "البطل".. وقد عزا المشاركون سبب هذه النتيجة إلى

شعورهم بخيبة الأمل فى قادتهم المعاصرين الذين لا يحظون بالاحترام العام، ولا تتسم شخصياتهم بصفات "الكاريزما" ولم يحققوا لبلادهم أمجادا يذكرها لهم التاريخ بالفخر والاعتزاز.

وفى ٧ سبتمبر ٢٠٠١ نشرت "الأهرام" على صدر صفحتها الأولى تصريحا لـ "تيوكلانى" الرئيس الشرفى للمجلس التنفيذى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا- وهو أعلى مؤسسة يهودية هناك- طالب فيه رئيس الوزراء الإسرائيلى إريل شارون بالسماح بقيام دولة فلسطينية وأن يكون هو أول المعترفين بها.. وقال فى رسالة مفتوحة إلى شارون نشرتها صحيفة "لوموند" الفرنسية: «إن شارون نسى تعاليم اليهودية الأولى التى تدعو إلى نبذ العنف، ونسى أن العنف الإسرائيلى يولد الكراهية».

وفى الوقت ذاته بعث أسقف الكنيسة الإنجيلية الألمانية فى القدس رسالة احتجاج إلى وزير الدفاع الإسرائيلى بنيامين بن اليعازر يطالبه فيها باحترام أماكن العبادة سواء أكانت كنائس أم مساجد أم معابد.. وذلك تعليقا على اقتحام القوات الإسرائيلية للكنيسة اللوثرية الألمانية فى مدينة "بيت جالا" الفلسطينية، واحتلال المبنى السكنى الملحق بها.

وفى القاهرة صدر فى اليوم ذاته حكم قضائى استقبله المصريون بارتياح كبير تضمن إلغاء الاحتفال السنوى بمولد الحاخام اليهودى " أبو حصيرة" فى قرية "دميتوه" بدمنهور وإلغاء قرار فاروق حسنى وزير الثقافة باعتبار ضريح الحاخام المزعوم والمقابر اليهودية المجاورة له من الآثار الإسلامية والقبطية.. وقال الحكم القضائى «إن الاحتفال تصاحبه ممارسات تخالف الآداب وتشكل مساساً بالأمن العام.. وإن الضريح لا يشكل أى قيمة حضارية أو ثقافية للشعب المصرى.. ورفض الحكم القضائى نقل رفات أبو حصيرة خارج مصر.

فى هذه الأجواء كانت هناك غيوم كثيفة فى الأفق، وإشارات متضاربة حول القضية المحورية للعرب والمسلمين.. وهى القضية الفلسطينية.. حيث صدرت بيانات من واشنطن تدين سياسة الاغتيالات الإسرائيلية، وتطالب الفلسطينيين بوقف الهجمات الانتحارية، وكان كولن باول- وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت- يحث عرفات وبيريز- وزير الخارجية الإسرائيلى آنذاك- على الاجتماع لوقف العنف، بينما تتسرب أنباء تؤكد أن شارون يعمل

لإفساد مباحثات عرفات وبيريز قبل عقدها.. ويعد خطة لعزل القدس.. وواشنطن تعلن معارضتها لإقامة مناطق عازلة فى الأراضى الفلسطينية.. ووزراء الخارجية العرب يجتمعون فى القاهرة لدعم الانتفاضة.. ويخططون لتشكيل وفد عربى يلتقى مع بوش.

وعندما كان الرئيس بوش يبحث مع كبار معاونيه فى مجلس الأمن القومى الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط خلال المرحلة المقبلة كانت هناك أنباء تتردد فى نيويورك عن إمكانية عقد لقاء بين بوش وعرفات على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة.. وأن هذا الاجتماع يمكن أن يكون ثلاثياً بانضمام شارون إليه.

وبينما كان العالم مشغولاً بهذه التطورات المتلاحقة كانت عقارب الساعة تزحف بسرعة نحو اللحظة الحاسمة التى غيرت شكل العالم.. فى ذلك اليوم غير العادى.

لقد وقعت الواقعة..ونقلت شاشات التليفزيون مشاهد لم يرها العالم من قبل فى تاريخه الطويل وربما لن يراها مرة أخرى.. ورأت امريكا نفسها- لأول مرة- مكسورة.. فالعدوان وقع على أرضها التى كانت آمنة ومؤمنة إلى أقصى درجة.

ولم تكد تمر ١٢ ساعة على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حتى اتجهت أصابع الاتهام- صراحة- إلى العرب والمسلمين، بل إلى الإسلام ذاته، وحين نطالع صحفنا الصادرة فى اليوم الثانى مباشرة - ١٢ سبتمبر- يفاجئنا على الصفحة السادسة لـ "الأهرام" تصريح لإيهود باراك رئيس وزراء إسرائيل السابق يتهم فيه أسامة بن لادن بتدبير سلسلة الهجمات، ويطالب حكومات العالم بتنسيق جهودها لمحاربة الإرهاب، وهكذا كان باراك هو أول من حدد وجهة الاتهام، ووضع أساس الخطاب الذى سار عليه العالم بعد ذلك.

فى المقابل كان هناك حرص دائم على نفى أى تورط فى الأحداث من قبل نظام طالبان فى أفغانستان، كما نفى بن لادن مسئوليته، وإن كان قد أعلن تأييده وامتداحه لمن نفذوا الهجمات، وأعلنت طالبان أنها سوف تنظر فى طلب تسليم بن لادن إذا قدم المحققون الأمريكيون أدلة قاطعة على تورطه، وظلت مسألة " الأدلة القاطعة" هذه تجرى على ألسنة طالبان وبعض الدول

العربية والإسلامية حتى سقطت بمضى الزمن أمام التطورات المتلاحقة التى فرضتها الإدارة الأمريكية على مسرح الأحداث، وتحول الاتهام الموجه لتنظيم بن لادن إلى إدانة لكل مسلم ، لا تحتمل النقاش.

كانت الاتهامات تلاحق أيضا ياسر عرفات، وبالذات من قبل شارون الذى اتهمه بأنه "بن لادن الشرق الأوسط" بينما كانت المنظمات الفلسطينية تبذل كل الجهد لنفى الاتهام عنها، وكان عرفات يحرص على أن تلتقط له الصور وهو يتبرع بالدم لضحايا الكارثة، ويقول إن حملات التبرع سوف تستمر من جانب الفلسطينيين فى المدارس والجامعات وجميع التجمعات الوطنية، أملا أن يجنب شعبه مظنة الاتهام.

وبنظرة سريعة إلى الوراء سوف نكتشف أن الخطاب المتشدد تجاه العرب والمسلمين قد بدأ مبكراً جداً، وبالتحديد بعد أول اجتماع عقده الرئيس بوش مع مساعديه بعد وقوع الكارثة.. حيث خرج بوش ليدلى بتصريحات غاضبة ومتوترة، وكان مما قاله فى هذه التصريحات إن بلاده ستخوض "حربا صليبية" للانتقام من الجناة، وسبب هذا التصريح انزعاجاً كبيراً فى العالم الإسلامى، إذ اعتبر بمثابة "مؤشر" على أن الولايات المتحدة قد حددت المتهمين وحاكمتهم، وأثبتت عليهم الإدانة، وأصدرت الحكم ولا يبقى إلا التنفيد.

صحيح أن بوش اعتذر عن استخدامه لمصطلح "الحرب الصليبية" حين اكتشف خطورة دلالته، وقال إنه نادم على ذلك، وصحيح أنه حذر وسائل الإعلام المختلفة من التسرع فى توجيه الاتهامات إلى أى جهة عربية، مطالباً الجميع بالتريث حتى تنتهى التحقيقات والتعرف على الفاعل الحقيقى، لكن أحداً لم يأخذ بنصائح التريث، إذ سرعان ما تحولت اللهجة إلى تحذيرات متتالية ومتصاعدة من "انتقام المارد العملاق".. وعدم استبعاد الخيار النووى، وإبلاغ زعماء العالم بأن من ليس معنا فهو ضدنا.

كانت مصر من الدول التى أزعجها تعبير "الحرب الصليبية".. وصرح البابا شنودة أن هذا التعبير مكروه فى التاريخ، لأنه يشير إلى الحملة الاستعمارية التى قام بها الفرنجة ضد بلاد الشرق باسم الصليب، والصليب منها براء، بينما قال المفتى- الشيخ نصر فريد واصل- إن كلمة الحرب الصليبية يمكن أن تؤدى إلى انقسام العالم، وإلى فتنة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية.

لم يهتم أحد بمتابعة مجرى التحقيقات الأمريكية، ولم يطلب أحد من الإدارة الأمريكية دليلا قاطعا على صدق الاتهامات التى حددتها فى تنظيم القاعدة ونظام طالبان الذى يساندها ويوفر لها الملاذ الآمن، ولهذا اتخذت إجراءات سريعة لغزو أفغانستان بهدف قلب نظام الحكم، وتوجيه ضربات للمواقع التى يتواجد فيها بن لادن، بينما يقوم الرئيس بوش بزيارة المركز الإسلامى فى واشنطن ويتحدث بلغة إيجابية عن الإسلام والمسلمين، ويؤكد أنه ليست هناك دولة عربية مرشحة للغزو بعد أفغانستان.

لكن رغم كل التصريحات المهدئة التى صدرت عن الإدارة الأمريكية تجاه العرب والمسلمين فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر فقد كان واضحا تماما أن العرب هم الذين سيدفعون فاتورة تلك الأحداث، وعليهم أن يكونوا جاهزين بشكل أو بآخر لسداد ثمن باهظ.. وحين كان غبار الانفجارات يغادر سماء نيويورك رويداً رويداً كانت هناك سحابات غبار من نوع آخر تتشكل وتقتحم سماء وطننا ومنطقتنا.. وكان الحديث عن "صراع الحضارات" قد صار المادة الأولى والمفضلة فى وسائل الإعلام الغربية.. ودارت آلة الحرب الدعائية الغربية بسرعة بهدف توجيه أنظار العالم إلى الشرق الأوسط، باعتباره مكمن الخطر القادم على الإنسانية، وفيه ترقد خلايا الإرهاب التى تهدد الجميع. ووجهت تلك الآلة الرهيبة سهامها إلى العراق.. وبالفعل غزتها الولايات المتحدة فى ٢٠ مارس ٢٠٠٣ واحتلتها.. ليس من أجل تحقيق الديمقراطية فى العراق أو القضاء على صدام حسين أو تدمير أسلحة الدمار الشامل المزعومة، بل من أجل تفكيك قوة عربية ضاربة وتحقيق مستقبل أفضل للدولة العبرية، يسهل لها تفوقها وسيطرتها على المنطقة.. ويفرض واقعا جديداً يكون العرب فيه أكثر تشتتاً وضياعاً.. حيث يغرقون فى الفوضى.. ويصبح على كل منهم أن يبحث لنفسه - وحده- عن طوق نجاة.

ورويداً رويداً، انكشف الدور الإسرائيلى فى العراق أثناء عملية الغزو وما بعدها.. والدور المرسوم الذى سوف تلعبه إسرائيل فى العراق مستقبلاً.

نشر على موقع قناة الجزيرة على شبكة الإنترنت "الجزيرة نت" تقرير مفصل يوم الأحد ٩ مايو٢٠٠٤ يؤكد أن قوات إسرائيلية دخلت بغداد بعد الغزو الأمريكى مباشرة.. وأن الإسرائيليين شرعوا فى تأسيس وكالات

يهودية.. وأحضروا رجال صناعة ورجال أعمال بعد أن رتبوا لهم ذلك.. بل إن هناك جدلاً واسعاً دار فى تل أبيب حول مشاركة إسرائيل فى الحرب على العراق إلى جانب قوات الغزو بقيادة الولايات المتحدة.. وتناقلت أوساط سياسية وصحفية معلومات مؤكدة عن المشاركة الفعلية لجنود إسرائيليين فى جبهات القتال والعمليات الخاصة داخل الأراضى العراقية.

ونشرت صحف إسرائيلية مقابلات مع رجال أعمال عادوا من بغداد بعد اتجاه الوضع الأمنى هناك إلى مزيد من التدهور وانتشار ظاهرة الاختطاف والقتل بين صفوف الأجانب العاملين مع القوات الأمريكية.. وقد كتب الصحفى الإسرائيلى أرنون أن هذه المشاركة العسكرية الإسرائيلية محفوفة بمخاطر كبيرة.. وأكد وجود مستشارين أمنيين إسرائيليين فى بغداد لتبادل المعلومات بشأن ما يدور من أعمال المقاومة مع الجانب الأمريكى.. واعتبر أرنون أن التعتيم على هذا الموضوع ضرورة أمنية للجيش الإسرائيلى.. لكنه أوضح أنه فيما يخص مشاركة إسرائيل فى الأعمال المدنية فهو معروف فى كل الأوساط.. مثل إرسال معدات ومواد بناء.

أما الصحفى الإسرائيلى فيكتور تحماسى، وهو دبلوماسى سابق، فأكد وجود حركة اقتصادية إسرائيلية نشطة فى العراق عن طريق الأردن والإمارات.. موضحاً أن المنتجات الإسرائيلية تلقى رواجاً فى العراق لجودتها وانخفاض سعرها.. ومع اعتقاده بأن العسكرية الإسرائيلية لديها ما يشغلها فى الأراضى الفلسطينية إلا أنه لم يستبعد أن تكون هناك مساعدة إسرائيلية عسكرية فى حرب العراق دون الإعلان عنها.. موضحاً أن جهاز الموساد يعمل فى العراق منذ فترة طويلة.. وهذه حقيقة لا يستطيع أحد إنكارها.. وأنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى تعزيز وجود الموساد بعد دخول الأمريكان العراق.

وهكذا.. فإن الدلائل أشارت بوضوح كامل إلى أن أمريكا لم تكتف بتعذيب الشعب العراقى وانتهاك حرماته ومقدساته.. وجلب المرتزقة واللصوص من كل أنحاء العالم لينهشوا فى عرضه.. وإنما قامت بجريمة أخرى أكثر بشاعة.. وهى زرع إسرائيل فى العراق.. بينما العرب غافلون.. وغير قادرين على أن يعترضوا.

هناك من يرى الأمر بسيطاً..لكن الحقيقة غير ذلك تماماً.. ونحن نراه تنفيذاً للمرحلة الثانية من خريطة إسرائيل الكبرى.. فها هى إسرائيل قد نجحت فى أن تمتد عسكرياً واقتصادياً إلى الفرات.. وسوف يدفعها هذا النجاح إلى أن يتطلع حمائمها قبل صقورها إلى تنفيذ المرحلة الثالثة من الخطة بالامتداد نحو النيل..وليس ببعيد عن الخطة ذلك اللغط الذى أثير حول ضرورة استقطاع أجزاء من سيناء لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

إن الوجود العسكرى الإسرائيلى فى العراق أصبح حقيقة.. تنسجم تماماً مع العلاقة الحميمة بين إسرائيل وأمريكا.. والتعاون الوثيق بين الدولتين فى مخططات الاحتلال والعنف وسفك الدماء.. وتعذيب المعتقلين فى السجون العراقية..حيث ذكرت تقارير عديدة أن سلطات الاحتلال الأمريكية تستعين بخبراء إسرائيليين فى التعذيب يعرفون جيداً كيف يكون التعذيب أكثر إيلاماً نفسياً وجسدياً للعرب والمسلمين.

فى المقابل.. كان من الطبيعى أن تتنصل الإدارة الأمريكية تدريجيا من مسئولياتها تجاه الأوضاع غير العادلة فى الشرق الأوسط، الناتجة عن الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين والجولان والجنوب اللبنانى.. وفى الوقت ذاته فقد أدى الخوف من "العنصر الإسلامى" فى المجتمعات الغربية إلى حالة اللامبالاة أمام معاناة الفلسطينيين والعراقيين والأفغان، وتولد شعور لدى هذه المجتمعات يخلط بين المقاومة والإرهاب.

وبصفة عامة فقد أضافت أحداث الحادى عشر من سبتمبر وتوابعها ثقلا إلى المفاهيم المعادية للإسلام فى الغرب.. ومنذ أن وقعت تلك الهجمات أكد الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش فى أحاديث متعاقبة أن السياسة الأمريكية تكن احتراما كبيرا للإسلام، وأنه لا توجد حرب ضد الإسلام، وأن الإسلام عقيدة مبنية على السلام والحب والرحمة.. لكن المشكلة أن هذا الكلام المنمق لم يكن مقنعاً أبداً بالنظر إلى الحقائق، وبالنظر إلى الطريقة التى تفسر بها السياسة الأمريكية أسباب العنف فى العالم الإسلامى، وتصويرها للصراع الدائر فى فلسطين والعراق وأفغانستان على أنه صراع دينى وثقافى، وليس صراعاً سياسياً لشعوب تمارس حقها، أو جزءا من حقها فى مقاومة الاحتلال.

٢

# المنتفعون

منذ أن بدأ الصـــراع العـــربى- الإســـرائيلى على أرض فلسطين فى العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضى.. ومروراً بالحروب المريرة التى خاضها العرب ضد إسرائيل فى أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ٢٩٧٣ ثم غزو لبنان الأول والثانى، كانت هناك حالة من الوعى الكامل بأن هذا الصراع ليس صراعاً دينياً،وأن العرب والمسلمين ليسوا فى حالة حرب تاريخية مع اليهود واليهودية، وإنما الحرب والصراع مع الحركة الصهيونية «الاستيطانية» التى جندت عصاباتها من أجل استعمار فلسطين، وطرد أهلها منها.

على الجانب المقابل كان هناك حرص شديد من جانب العصابات الصهيونية على إضفاء الطابع الدينى على الصراع.. فهم قد جاءوا من شتات الدنيا إلى أرض الميعاد، التى وعدهم الله إياها حسب زعمهم، وهم بدأوا الاحتكاك حول حائط البراق الذى استولوا عليه وسمّوه حائط المبكى فى جانب المسجد الأقصى، ثم تكشفت مخططاتهم لهدم الأقصى ذاته وإقامة معبد الهيكل على أنقاضه.

وحتى فى الحرب على لبنان فى صيف ٢٠٠٦ كان هناك حرص إسرائيلى واضح جداً على إضفاء الصفة الدينية على عمليات الدمار التى تقوم بها قوات الاحتلال بلامراعاة لأبسط القواعد التى تعارف عليها البشر فى

حروبهم.. فالجنود الإسرائيليون يعرضون أفلاماً تصورهم وهم يؤدون شعائرهم الدينية بجوار الدبابات والمدافع، أو يقرءون فى كتبهم الدينية التى يحتفظون بها معهم فى ميدان القتال.. ويقومون بحركات اهتزازية.. خصوصاً بعد كل عملية قذرة ينفذونها مثل مذبحة قانا، وكأنهم يغسلون ذنوبهم ويتخلصون من شرورهم أمام الرأى العام العالمى بهذه الطقوس الدينية.. ويوحون للناس بأنهم متمسكون بأخلاق الدين ونسكه حتى وهم يحاربون.

ويشارك حاخاماتهم فى إضفاء الصبغة الدينية على الحرب بما يصدرون من فتاوى إجرامية تحرض الجنود على إبادة النساء والأطفال والشيوخ دون تمييز.. لأن الرب يريد ذلك.. وسيكافئهم عليه.

وليس بعيداً عن مفهوم الحرب الدينية التى يُصِّر عليها الإسرائيليون ذلك الولع الشديد باقتحام المسجد الأقصى بين فترة وأخرى سواء من جانب العسكريين والسياسيين أمثال شارون أو من جانب الحاخامات.. (رغم حظر المواثيق الدولية الاعتداء على الأماكن المقدسة) وكذلك منع المواطنين من ممارسة شعائرهم الدينية.. لكن حين يكون الأمر متعلقاً بإسرائيل، فإن كل المواثيق والعهود تداس بالأقدام دون معقب.. وضمير العالم يأخذ إجازة مفتوحة،لاقتناع الجميع بأن الفيتو الأمريكى جاهز عند اللزوم.

كانت إسرائيل قد قامت بحفريات خطيرة تحت المسجد الأقصى للإسراع بهدمه.. وأشعلت النار فيه، واقتطعت أجزاء من الحرم الإبراهيمى فى الخليل لليهود.. وفى أغسطس ٢٠٠٦ أصدرت المحكمة الإسرائيلية العليا قراراً يسمح لليهود بأداء الصلاة فى ساحة المسجد الأقصى لمزاحمة المسلمين وخلق جو من التوتر فى ساحة الحرم، لا يسمح لهؤلاء ولا لهؤلاء بأداء شعائرهم، ومن ثم يصبح من السهل إبعاد المسلمين عن الصلاة فى أولى القبلتين.

وبالفعل.. أصدرت إسرائيل قيوداً صارمة على دخول المسجد الأقصى.. وأغلقت الشوارع المؤدية إليه حتى لا تقام فيه صلاة الجمعة.

وهكذا فإن إسرائيل تدرك أنه فى زمن بوش قد حان الوقت لتنفيذ مخططاتها للاستيلاء على الحرم القدسى الشريف، وهى متأكدة تماماً أن

العالم الذى تقوده أمريكا الآن لن يمانع، وإذا نطق بعض منه فسوف يقول كلاماً ليناً يسهل التفاهم معه.. ثم إنها متأكدة أيضاً أن العرب والمسلمين ليست لديهم أية قدرة على المواجهة الجادة.. وأن أقصى ما سيفعلونه هو مطالبة المجتمع الدولى بالتدخل والاضطلاع بمسئولياته التى يُمليها عليه الضمير الإنسانى، وهو كلام لا يقدم ولا يؤخر فى اللحظة الحاسمة.

والأسوأ من هذا وذاك أن المسلمين مشغولون بصراعاتهم الداخلية ومنافساتهم التى طحنتهم فى الماضى ومازالت تطحنهم فى الحاضر والمستقبل.. وكان من تجليات هذه الصراعات تلك الفتوى الغريبة التى صدرت لتكفير حزب الله فى لبنان لأنه شيعى،وتكفير زعيمه حسن نصر الله، ومطالبة الناس بعدم الدعوة له فى صلاتهم، أو تقديم العون له فى حربه ضد إسرائيل، وقد ذكر بعضهم أن حزب الله الكافر يحارب اليهود،ونحن خارج نطاق هذه المعادلة.

وما يقال عن حزب الله يقال مثله وأكثر منه عن حماس التى دخلت فى صراع بلا معنى مع فتح.. وبدلاً من أن يتفق الطرفان على تحرير الأرض راحا يتسابقان من أجل السيطرة على غزة وغيرها من المناطق التى خرجت منها إسرائيل وتركتها منزوعة السيادة.

لقد أصبحت قضيتنا بين الشيعة والسنة وبين حماس وفتح.. وابتعدنا كثيرا عن مفهوم المقاومة وتحرير الأرض المغتصبة.. وتحرير إرادة الأمة المستضعفة.. التى تتعرض للمهانة والإذلال فى صباحها ومسائها، ونجحت إسرائيل بدعم أمريكى كامل فى تشويه صورة المقاومة والانتفاضة.. ودمغ جميع منظمات المقاومة بتهمة الإرهاب.

وكان الرئيس بوش قد تعهد فى لقائه مع زعماء اليهود الأمريكيين فى أواخر عام ٢٠٠١ بالقضاء على جماعات المقاومة الفلسطينية واللبنانية.. وألقى اللوم كله على ياسر عرفات فى تفجر أعمال العنف.. وتهكم على طلبه بالضغط على إسرائيل من أجل العودة إلى مائدة المفاوضات وأعلن أنه سيعمل على عزل إيران وليبيا وتأديب العراق.

الأخطر من ذلك أنه كشف عن أن بلاده قد أصدرت أوامر من وراء ستار لمراقبة وسائل الإعلام المعادية لأمريكا وإسرائيل فى الشرق الأوسط لكبح جماحها.

وقبل ذلك كشفت الولايات المتحدة عن أنها تراقب مناهج التعليم.. لتضع يدها على المفاهيم التى تتعارض مع توجهات النظام العالمى الجديد.. وكشفت أيضاً على أنها تراقب مؤسسات العمل التطوعى الخيرى.. والمؤسسات التى تجمع التبرعات.. وتلك التى تستفيد منها، وخطباء المساجد وكل من له حركة مشهودة فى المجتمع.

لقد وضع الرئيس بوش نفسه فى خندق إسرائيل تماما.. وأدار ظهره للعالم العربى والإسلامى بعد أن نجحت حملته على أفغانستان.. وأسقط بلاده من موقعها كراع للسلام ووضعها كطرف أصيل فى الصراع.

حينما يتحدث بوش عن تعهده بالقضاء على جماعات المقاومة الفلسطينية واللبنانية فإنه بذلك لا يحارب الإرهاب.. لكنه يحارب حق الشعب الفلسطينى والشعب اللبنانى فى تحرير أراضيهما.. وحينما يرى العالم، والمنطقة العربية على وجه الخصوص بعيون إسرائيل فإنه فى الواقع لا يحارب الإرهاب.. وإنما يحارب إرادة شعب احتلت أرضه وانتهكت مقدساته.. وامتهنت كرامته.

وحينما يراقب وسائل الإعلام المعادية لكبح جماحها فإنه يعلن عن وجه أمريكا القبيح الذى لا يعترف بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان إلا لمن سار فى فلكهم وسبح بحمدهم.

لم تكن هناك معركة مباشرة بين أمريكا والشعوب العربية والإسلامية.. لكن إصرار بوش على أن يقف فى مقدمة جيش إسرائيل ليحارب الحق الفلسطينى.. وإصراره على أن يمنح الشرعية لجرائم إسرائيل على حساب الشعب المغلوب على أمره.. كل ذلك جعله هدفا للكراهية والعداوة.

ولم يستجب بوش لصوت العقل الذى يطالب بعدم الخلط بين الإرهاب وجماعات المقاومة المشروعة.. وان يرى حق الشعب الفلسطينى بالعين نفسها التى يرى بها حق إسرائيل فى الأمن.

والحقيقة أن إسرائيل ليست وحدها التى انتهزت فرصة هجمات ١١سبتمبر على نيويورك وواشنطن لتشوه صورة الانتفاضة الفلسطينية.. وتدمغها بالإرهاب.. إلى الحد الذى دفع شارون إلى تشبيه ياسر عرفات بأسامة بن لادن.. وليست إسرائيل وحدها التى انتهزت استنفار أمريكا وحلفائها ضد الإرهاب لكى تضع جماعات ومنظمات المقاومة الوطنية الفلسطينية المشروعة

فى دائرة جماعات ومنظمات الإرهاب.. حتى ينالها العقاب، بل نشطت -بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١- دول عديدة لديها مشكلات مع جماعات مقاومة إسلامية لكى تتخلص من هذه الجماعات بتشويهها.. وتصنيفها فى خانة الإرهاب.. فى أكبر عملية "انتهازية"دولية "وتاريخية شهدها العالم.

ليس خافياً أن إسرائيل تحاول الآن أن تضع جماعة "حماس" و"الجهاد" و"حزب الله " فى دائرة الجماعات والمنظمات الإرهابية.. مع أن هذه الجماعات تمارس حق المقاومة المشروع لتحرير ترابها الوطنى وبناء دولة مستقلة.. ولا تدخل فى زمرة من يقتلون من أجل القتل والخراب لا أكثر.. هؤلاء لديهم مطالب مشروعة.. وقد نجح بعضهم فى جهاده وما زال الآخرون يحاولون.. وكل شعوب الأرض كافحت وضحَّت ومارست النضال المسلح، كما مارست النضال السياسى، ودخلت فى مفاوضات إلى أن تحققت مطالبها المشروعة وحل السلام.

وإذا كانت إسرائيل فى مسعاها فى وضع "حماس" و"الجهاد" و"حزب الله " على قائمة الإرهاب الأمريكية، ولدى بعض دول أوروبا.. فإن هناك دولا أخرى سلكت الطريق نفسها.. وكأنما قد انفتحت أبواب جهنم على المسلمين الذين يناضلون من أجل حقوقهم وقضاياهم.

إن المنتفعين بتشويه الإسلام والمسلمين.. وبالذات جماعات المقاومة الإسلامية يتكاثرون.. وكأن كلا منهم وجدها فرصة سانحة لتصفية الحسابات وتسوية القضايا القائمة فى "الهوجة" الدولية.. التى لاعقل فيها ولا تمييز تشبثاً بالسيف الأمريكى المرفوع على كل ماهو عربى وكل ما هو إسلامى.. والشواهد على ذلك كثيرة.. منها :

- وزير الدفاع الروسى سيرجى إيفانوف أعلن أنه لا يستبعد تعاون روسيا والولايات المتحدة فى مجال "مكافحة الإرهاب" فى الشيشان.. وذلك فى إطار التحالف الدولى بقيادة واشنطن ضد الإرهاب الدولى.. أما الرئيس الروسى بوتين فقد أعلن فى خطابه أمام البوندستاج الألمانى خلال زيارته لبرلين فى ٢٠٠١ أن روسيا واجهت الإرهاب الدولى فى الشيشان.

ومعروف بالطبع أن الشعب الشيشانى يناضل منذ زمن طويل ضد الهيمنة الروسية من أجل الحصول على استقلاله وحريته، اقتداء بالجمهوريات التى

استقلت عن الاتحاد السوفيتى السابق، وهو يخوض معركته من أجل تلبية حقوقه.. وفرق كبير بين هذا النضال الوطنى والإرهاب المذموم.

ـ إيتال بيهارى فاجباى رئيس وزراء الهند دعا الولايات المتحدة إلى توسيع نطاق "مكافحة الإرهاب" ليشمل الجماعات الإرهابية فى كشمير.. والتى ترى الهند أن باكستان تساندها وتتخذ موقفاً "شكلياً" فقط ضد الإرهاب.. وواضح فى هذا الكلام الخلط المقيت بين المقاومة الكشميرية القديمة التى تطالب باستقلال إقليم كشمير " المسلم" عن الهند، ومنحه حق تقرير المصير وبين جماعات الإرهاب المطلوب استئصالها.. ومحاولة توريط أمريكا فى القضاء على المقاومة الكشميرية التى لم تقدر عليها الهند منذ عام ١٩٤٧.

ـ الصين (الدولة الصديقة) نقلت وكالات الأنباء الكثير عن مشاعر عدائها المتصاعدة ضد المسلمين هناك فى أعقاب تفجيرات نيويورك وواشنطن حيث قالت الوكالات إن السلطات الصينية قامت بإعدام العديد من قيادات المسلمين بالرصاص، كما أجبرت هذه القيادات على شرب الخمور فى وجبة العشاء الأخيرة لهم وتعمد إهانتهم.. ولم تكتف بهذا بل نقلتهم فى عربة نقل طافت بهم فى الشوارع قبل اقتيادهم إلى موقع تنفيذ الإعدام فيهم أمام آلاف المواطنين.

ـ فى أستراليا طالب زعماء الجالية الإسلامية السلطات بتوفير الحماية لأعضائها البالغ عددهم ٣٠٠ ألف وتسيير دوريات منتظمة من الشرطة حول المبانى والمدارس الإسلامية فى جميع أنحاء البلاد.. وذلك فى أعقاب اشتعال النيران فى مسجدين بصورة متعمدة وتدميرهما تماماً.

ـ فى أمريكا أعلن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية"كير" أنه تلقى أكثر من٦٣٥بلاغاً عن حالات اعتداء على حقوق وحريات المسلمين المقيمين فى أمريكا بعد أحداث ١١سبتمبر.. ومن السهل التكهن بأصابع اللوبى اليهودى فى التحريض ضد العرب والمسلمين.. وتأليب الرأى العام ضدهم.

ـ ليس بعيداً عن هذه الانتهازية اعلان المعارضة الأفغانية فى الشمال ترحيبها بالهجمات الأمريكية لدحر طالبان.. وقد كان الظن أن المجاهدين الأفغان أكبر من هذا السلوك المشين.. فليس متصوراً أن قلوب شعوب العالم الإسلامى تنفطر على ما حاق بالشعب الأفغانى البرىء.. وتندلع المظاهرات

فى أمريكا وأمام البيت الأبيض تندد بضربه وتحرق العلم الأمريكى بينما يتطوع فريق من قادته بالترحيب بالهجمات الأمريكية متصورين أن نجاح الهجمات الأمريكية سينتهى بوضع مقاليد البلاد فى أيديهم.

ـ ويدخل فى دائرة الانتهازية "النفعية" أيضا قرار الحكومة التركية العلمانية-آنذاك- بمنع الحجاب "بتاتا" فى المدارس.. بعد أن تأكدت أن الظروف مواتية لمثل هذا القرار.. فلم يعترض عليه أحد.. ولم يتهمها أحد بمصادرة حقوق الإنسان.. خشية أن يصبح إرهابياً.

ـ أما بنظير بوتو رئيسة وزراء باكستان السابقة فقد دعت الولايات المتحدة الى الإطاحة بحكم الرئيس برويز مشرف الذى أبدى استعداداً للتعاون غير المحدد مع واشنطن.. وحجتها فى هذه الدعوة أن نظام "مشرف" العسكرى سوف يسمح للمتطرفين الإسلاميين بالتسلل إلى الجيش والسيطرة على أسلحة باكستان النووية.

ومن عجب أن بنظير بوتو ـ رحمها الله- قالت هذا الكلام.. وهى التى ساندت وسلحت حركة "طالبان"

فى أفغانستان حتى استولت على السلطة.. ولماذا نذهب بعيداً.. ألم تكن أمريكا نفسها هى التى ساندت وسلحت الجهاد الإسلامى ضد الحكم الشيوعى.. ثم تغيرت المواقع والمصالح من النقيض إلى النقيض؟!

٣

# الإرهاب.. أم الإسلام ؟!

ما إن وقعت أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١ حتى ارتفعت الأصابع الأمريكية تشير من كل اتجاه إلى مسئولية العرب والمسلمين عن الهجمات.. حدث ذلك بتواتر سريع وبتعميم ظالم، ودون أن تبدأ أية تحقيقات.. وبالسرعة نفسها نجحت وسائل الإعلام الأمريكية التى يسيطر عليها اللوبى الصهيونى فى تشويه صورة العرب والمسلمين باعتبارهم همجيين وخارجين عن القانون، ولديهم حقد شديد على الحضارة الغربية.. والأمريكية تحديداً.. ولذلك شهدت الأيام القليلة عقب أحداث ١١سبتمبر اعتداءات عشوائية على المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية فى أمريكا وبعض مدن أوروبا.. وطالت الاعتداءات الأشخاص والممتلكات.. وكل ما له أدنى علاقة بالعرب والمسلمين.

وعندما ظهر الوجه العنصرى الأمريكى بهذا الشكل الفج سارع الرئيس بوش بزيارة المركز الإسلامى فى واشنطن يوم ٢٠٠١/٩/١٨..أى بعد أسبوع من وقوع الهجوم على مركز التجارة العالمى.. وصرح هناك بأن الإسلام دين السلام،لا دين الإرهاب، وأن الذين قاموا بالهجوم إرهابيون لا يمثلون الإسلام.

ورغم هذا التصريح فقد اتخذ بوش الاستعدادات العسكرية المحمومة لغزو أفغانستان.. وألقت أمريكا بكل ثقلها وجبروتها فى حرب من جانب واحد

ضد هذا البلد الصغير فى ٢٠٠١/١٠/٧، وراح المسلمون الأفغان يتساقطون بالآلاف.. وجرت المذابح الدامية للأسرى.

وفى غمرة المعارك أعلن الرئيس بوش فى نوفمبر ٢٠٠١ أن أفغانستان ليست سوى البداية فى الحرب ضد الإرهاب، وأن الأصعب لم يأت بعد.. ومنذ تلك اللحظة والشواهد تنطق بجلاء أن الحرب على الإرهاب انقلبت إلى حرب على الإسلام.. وأن الهدف الواضح لتلك الحرب إما دول إسلامية كالعراق والصومال والسودان أو جماعات ومنظمات إسلامية تناضل من أجل حقوقها كالمجاهدين فى كشمير الواقعة تحت سيطرة الهند، أو حركة تحرير مورو التى تطالب بالحكم الذاتى فى جزيرة مينداناو بالفلبين.. أو حتى حزب الله فى لبنان.. وحركات المقاومة الوطنية الفلسطينية.

ومنذ تلك اللحظة ومصطلح الإرهاب يجرى قصره -دوليا- على الإسلام والمسلمين دون تمييز بين جماعات المقاومة والإرهاب الحقيقى أو مايفترض أنه كذلك.. فالحاصل أنه لم يعد فى العالم إرهاب إلا الإرهاب الإسلامى، ولم تعد هناك جماعة إسلامية مقاتلة أو مسلحة إلا ودمغت بالإرهاب.. بصرف النظر عن الهدف الذى من أجله حملت الجماعة الإسلامية السلاح.

وقد أصدرت الإدارة الأمريكية قوائم بالجماعات والمنظمات الموصوفة بالإرهاب، وطلبت من العالم كله أن يحاصر هذه الجماعات ويجمد أرصدتها ويعلن الحرب عليها.

وحتى قضية الشيشان - التى كانت تحظى بتعاطف أمريكى، ولو من طرف اللسان.. وكان موقف واشنطن المعلن إزاءها هو ضرورة حل المشكلة بالتفاوض.. وليس باجتياح الروس لهذا الإقليم الذى يطالب بحق تقرير المصير والاستقلال - ثم اختلفت الصورة.. من النقيض إلى النقيض.. وبعد الموقف الروسى الداعم للتحالف الأمريكى فى أفغانستان لم يعد هناك مجال للحديث عن التعاطف الأمريكى.. ودخل المقاتلون الشيشان فى زمرة الجماعات الإرهابية الدولية.

هل المسلمون فقط هم الذين يحملون السلاح فى هذا العالم من أجل طلب الاستقلال أو حق تقرير المصير.. ومن ثم هم فقط الخارجون على النظام الدولى ؟!.. كلا.. هناك العديد من الجماعات والمنظمات العرقية أو الدينية

تحمل السلاح لنيل حقوقها.. أو ما تتصور أنه حق لها.. وأمريكا نفسها تقف مع بعض هذه المنظمات والجماعات.. مثل جماعة المتمردين فى جنوب السودان.. ومن قبل وقفت مع الجماعات المسلحة فى إقليم تيمور الشرقية حتى نال استقلاله عن أندونيسيا.

على الجانب الآخر هناك إرهاب حقيقى ناشئ من داخل أمريكا ذاتها.. كذلك الذى دمر المبنى الفيدرالى الضخم فى أوكلاهوما عام ١٩٩٥، مما أدى إلى مقتل ١٦٨ شخصاً من بينهم ١٩ طفلاً وإصابة عشرات آخرين.. وظلت العيون المتربصة وأصابع الاتهام الشاخصة معلقة فى اتجاه العرب والمسلمين.. وكلما مروا على أشخاص لهم شعر أسود قالوا أمسكوهم إنه الإرهاب القادم من الشرق الأوسط. وفى النهاية اتضح أن الجانى تيموثى ماكفاى- ٢٧ عاما- ينتمى إلى جماعة يمينية مسلحة تدعى "ميليشيا متشجان" وهى جماعة شبه عسكرية تأسست فى أبريل ١٩٩٤ من مواطنين أمريكيين ساخطين على الحكم وناقمين على ما يسمى ب" المؤامرة الاتحادية " للسيطرة على حياة الأمريكيين.. وقد قدر عدد المنتمين لهذه الجماعة بـ ٢٠ ألف شخص.

وقد تم تنفيذ حكم الإعدام فى " ماكفاى" هذا فى ١١يونيه ٢٠٠١.. وطلبت منه السلطات أن يعتذر عن أفكاره المتطرفة فرفض.. وبعد تنفيذ الإعدام الذى يعد أول إعدام ينفذ فيدرالياً منذ ٣٨ سنة فى أمريكا هدد أعضاء من الجماعات اليمينية المتطرفة التى تتبنى أفكاره ومعظمهم من متوسطى السن بالانتقام واعتبروه شهيداً.

إذن.. هناك فرع - بل فروع - للإرهاب فى المجتمع الأمريكى ذاته.. لأسباب، المعلوم منها أقل بكثير مما خفى تحت السطح، وليس ببعيد تلك الجماعات الدينية المهووسة التى نسمع عنها بين حين وآخر.. وتتبنى أفكاراً غريبة كالانتحار الجماعى.

إضافة إلى ذلك هناك شعوب أخرى غير عربية وغير إسلامية لها ثأرات مع أمريكا.. هناك يابانيون ضد الوجود العسكرى الأمريكى على أرض اليابان منذ ٥٦ عاماً، وناقمون على ضرب هيروشيما وناجازاكى بالقنبلة الذرية، وهناك جماعات صربية ساخطة على ضرب بلادهم بطائرات حلف

الأطلنطى ومحاكمة رئيسهم الإرهابى الجزار سلوبودان ميلوسوفيتش كمجرم حرب.. وهناك أمريكيون وأوروبيون رافضون للعولمة.. ورافضون للهيمنة الأمريكية.

لماذا ـ وسط كل هذا اللغط ـ لايلصق الإرهاب إلا بالعرب والمسلمين؟

ومن المفارقات العجيبة أن الولايات المتحدة خاضت الحرب ضد ما سمَّته بالإرهاب بتحالف مفروض فرضاً.. حيث أعلن الرئيس بوش أمام الكونجرس يوم ٢٠٠١/٩/٢١ أنه " من ليس معنا فهو ضدنا".. وحذر الدول والجهات التى ستتقاعس أو تفشل فى مساندة بلاده قائلاً :" إما أن تكونوا معنا أو يتم تصنيفكم فى خانة واحدة مع الإرهابيين ضد الولايات المتحدة ".

وبالطبع.. لم تكن أمريكا فى حاجة إلى قوة عسكرية تساعدها فى حربها الانتقامية لكنها كانت فى حاجة إلى تحالف، ولو شكلاً، تتخذ منه ستاراً أو غطاء لحرب الانتقام، كما يوفر لها مصدراً مهماً للتمويل.

وقد صرح مارك روبنسون عضو اللجنة الاستشارية الاقتصادية التابعة للكونجرس الأمريكى فى سبتمبر ٢٠٠١ بأن دول الخليج مطالبة بالوقوف بدعمها المالى إلى جوار واشنطن.. وتردد أن على رأس الدول التى طلب منها دعما ماليا كبيرا الكويت والسعودية والبحرين والإمارات وقطر.. أى أن هذه الدول -وغيرها كثير- كانت مطالبة بأن تدخل فى تحالف يحارب دولا إسلامية وعربية بسلاح ومال إسلامى وعربى.

ومع كل هذا الوضوح الفاجر فى توجه حرب الإرهاب الأمريكية ضد المسلمين والإسلام، كان هناك حرص ظاهرى على التمويه.. وعلى أن يتم تمرير الحرب والإساءات الرسمية والشعبية ضد المسلمين حتى لا تبدو مقصودة ومدبرة.

ولقد اعتذر سيلفيو بيرلسكونى رئيس وزراء إيطاليا عن تصريح شهير قال فيه إن الحضارة الغربية أرقى من حضارة الإسلام التى لم تقدم شيئا مهما للإنسانية.. وأكد فى اجتماع مع سفراء الدول الإسلامية فى روما احترامه العميق للإسلام والمسلمين.. وتراجع بوش عن تصريح "الحرب الصليبية ".وارتفعت نغمة التفرقة بين الإسلام والإرهاب فى الغرب، الأمر الذى لفت نظر راديو مونت كارلو فأذاع فى أكتوبر ٢٠٠١ تقريراً "طريفاً" عما سمّاه بـ "حملة اللطافة" الغربية تجاه العرب والمسلمين.

قال التقرير إن الحكومات الغربية تقوم بحملة علاقات عامة غير مسبوقة تجاه العرب والمسلمين، وهم يؤمنون بعكس ما يقولون، لكنها الضرورة لتهدئة الخواطر حتى يتم تمرير الكم الهائل المتوقع من الضحايا فى الانتقام الأمريكى والذى سوف يشبه المجزرة.

أضاف التقرير إن هناك حكومات مثل أمريكا وبريطانيا اضطرت لافتعال "اللطافة" لأنها تعرف أن لديها تراثاً سلبياً فى هذا المجال، وفى بعض الأحوال لم تخل حملة اللطافة من الحرج لأن هناك تاريخاً من النفاق والتكاذب جرى تورثه، والتستر عليه، إلى أن حانت إحدى لحظات الحقيقة.

وكانت النقطة المضيئة فى " حملة اللطافة" ما قاله ليونيل جوسبان رئيس وزراء فرنسا أمام الجمعية الوطنية الفرنسية حيث أكد أن حكومته لن تتسامح مع أى فعل معادٍ للمسلمين.. وحذر من أنه ستتم ملاحقة أى فعل ذى طابع عنصرى أو أى تصرٍّفات تمييزية.

وهكذا انتقلت اللطافة القولية إلى" فعل" لحماية حقوق المسلمين..والأروع منه قول جوسبان إنه لا بد من إيجاد حلول عادلة للنزاعات العالمية خاصة مشكلة الشرق الأوسط واحترام حقوق الإنسان حتى نقضى على الكراهية والإرهاب.

وقد كانت هذه رؤيةً ناضجةً لكنها لم تستمر طويلاً، وما كان لها أن تترجم إلى واقع فى ظل مناخ محموم يندفع اندفاعاً رهيباً إلى الحرب.

والحقيقة أن بيرلسكونى لم يكن بدعاً فى أوروبا حين هاجم الإسلام، وصرح بأن الحضارة الغربية أرقى من حضارة الإسلام، مع أن التاريخ يشهد بأن حضارة الإسلام لم تخرج منها عصابات المافيا ولم تتسبب فى اندلاع حربين عالميتين، ولم تضرب مدنا بالقنبلة الذرية، ولم تقدم للعالم شخصيات مريضة مشوهة مثل موسولينى وهتلر ونيرون، وإنما قدمت عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من موازين العدل وأساطين الحكمة.

حضارتنا لم تحرق اليهود.. ولم تقتل المخالفين معها فى العقيدة والديانة.. وإنما تعاملت مع الجميع من منطلق "لكم دينكم ولى دين"،واتسعت لكل الأديان، وحافظت على الكنيسة المسيحية والمعبد اليهودى، ولو كانت ضد

حقوق الإنسان - كمازعم- لما كان فى العالم العربى والإسلامى كنيسة ولا معبد.

حضارتنا هداية.. ورسالتنا عدل.. أما حضارتهم فقد قدمت نظريات الإرهاب والانتهازية والانتحار الجماعى، فضلا على الانهيار الخلقى والتفكك الأسرى.. من جعبتهم خرجت الماركسية والشيوعية والديكتاتورية والبراجماتية الانتهازية والوجودية الفاسقة، والعبثية والفوضوية.

وفى حين عرف العالم عن حضارتنا العدل والإحسان عرف عن حضارتهم إبادة الهنود الحمر واستعباد الأفارقة واستعمار الشعوب المستضعفة لامتصاص خيراتها.. لقد دخلوا أفريقيا بالنار والسلاح، وحضارتنا دخلت أفريقيا بالنور والهداية والمساواة، وكان عنوانها " لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى".

حملة "اللطافة" كانت واضحة جداً فى التصريحات والتحركات العاطفية التى أداها أركان الإدارة الأمريكية فى ذلك الوقت، بهدف دغدغة مشاعر المسلمين وطمأنتهم وضمان ارتباطهم بالبقاء الفعال داخل التحالف الذى تقوده أمريكا فيما سمى بـ "الحرب ضد الإرهاب".

لقد قام الرئيس بوش خلال شهر سبتمبر ٢٠٠١ بزيارة للمركز الإسلامى فى واشنطن - كما أشرنا سابقا - وسط حفاوة بالغة من القيادات الإسلامية هناك.. وبدت الزيارة بمثابة رد اعتبار للإسلام والمسلمين بعد الإهانات التى تعرضوا لها، وحملة الحقد والكراهية التى عانوا منها فى أوروبا وأمريكا خلال تلك الأيام.

وقد أدلى بوش بتصريحات أثناء الزيارة، ندد فيها بإساءة معاملة المسلمين الأمريكيين، ودعا مواطنيه إلى معاملتهم باحترام، مؤكدا أن هناك ملايين الأمريكيين المسلمين الذين قدموا مساهمات جليلة للولايات المتحدة، ومشيرا إلى أن وجه الإرهاب ليس هو الجوهر الحقيقى للإسلام، وأن أعمال العنف التى تقع فى حق الأبرياء تنتهك العقائد الأساسية للدين الإسلامى.

وأدلى كولن باول وزير الخارجية الأمريكى بتصريحات أكد فيها أن العالم العربى ليس هدفاً للتحرك الأمريكى فى مواجهة الإرهاب.. وأن واشنطن تستبعد مشاركة إسرائيل فى أى رد عسكرى.. ولن تنسى الصراع العربى الإسرائيلى.

ورغم هذه التصريحات الإيجابية فقد ظل سيف الانتقام مصلتا على رقاب العرب والمسلمين باعتبارهم وقود الحرب الشاملة والمعلنة ضد الإرهاب.. التآمر على العرب والمسلمين سمة القرن الجديد.. وظهرت حملة دولية منظمة لوضع لافتة الإرهاب على كل ماهو إسلامى.

وفى الأسبوع الأول من سبتمبر٢٠٠٢ قام الرئيس بوش بزيارة لمقر السفارة الأفغانية فى واشنطن بمناسبة الذكرى الأولى لأحداث ١١سبتمبر.. وألقى كلمة أكد فيها أن الإسلام برئ من الإرهاب.. وأن الولايات المتحدة تمتلك تقاليد إسلامية قوية وديناميكية ومهمة.. حيث شارك المسلمون الشعب الأمريكى أحزانه أثناء أحداث يوم ١١سبتمبر.. وأن الإرهاب ليس الواجهة الحقيقية للإسلام.

وفى الأسبوع التالى عرضت المكتبة البريطانية نسخة من مخطوط قرآنى عمره ٧٠٠سنة فى موقعها على شبكة الإنترنت.. هذا المخطوط النادر هو"مصحف الظاهر بيبرس".

وبهذه المناسبة أدلى تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا ببيان قال فيه:" إن القرآن تحفة فنية وإيمانية.. ومن الرائع أن تمكن المكتبة البريطانية جمهوراً واسعا من دراسة هذه التحفة الرائعة".

لكن هذا الكلام الجميل فى الحقيقة لا يعنى شيئا أكثر من دغدغة مشاعر البسطاء.. لأن ما حدث فى اجتماع بوش وبلير فى كامب ديفيد خلال الأسبوع نفسه أكد محاولتهما اختلاق الأسباب لتبرير ضرب العراق، وهو شعب مسلم ودولة مسلمة.. يستخفان بالإسلام والمسلمين.. بل إنهما يتعاملان على أساس نظرية "الصراع الدينى " الذى يلبسانه ثوب "الصراع الحضارى" من باب التخفيف.. لتمرير المعركة.. والخلط المقصود بين الإرهاب وحق مقاومة الاحتلال.

كيف يحترمان الإسلام والقرآن وهما قد شنا حربا لا هوادة فيها ضد المسلمين فى كل مكان.. ويعتبران كل مسلم إرهابيا حتى يثبت العكس.. وينتصران فى كل قضية دولية ضد الإسلام إذا كان أحد طرفى القضية مسلمين. ويجتهدان فى حصار الإسلام والمسلمين وإحياء الصراعات القديمة على كل المستويات الثقافية والدينية والاقتصادية والعسكرية.

ماذا يمنع أن يقول بوش وبلير كلاما جميلا عن الإسلام والقرآن وفى الوقت ذاته يتم تجميد أموال جميع الهيئات والجمعيات والمؤسسات الإسلامية وإن كانت هيئات ومنظمات خيرية. ويُفرض حصار حديدى على الدول العربية والإسلامية؟!

لقد توصل الزعيمان فى اجتماع كامب ديفيد هذا إلى تقرير لهيئة الطاقة الذرية الدولية أعدته عام ١٩٩٨، يحذر من قدرة العراق على إنتاج أسلحة نووية فى غضون ستة أشهر.. ثم اتضح أن القصة كلها مكذوبة وأنها مجرد ذريعة لضرب شعب عربى مسلم انتهكت حرماته.. وأسقطت كل حقوقه التى يكفلها القانون الدولى.

لقد أحدثت أمريكا ضجة هائلة ضد خطر أسلحة العراق.. فى حين أنها تقدم كل ألوان الدعم والسلاح لإسرائيل، بهدف القضاء على ما يسمونه بـ"الإرهاب الإسلامى" أو " الإرهاب الفلسطينى".. وهى تطلق التهديدات ضد كل ما هو مسلم.. وتشوه صورة المسلمين فى كل مكان.. وكأنهم قد صاروا شيئا من " سقط المتاع".. وليس لهم الحق المتساوى مع جميع دول العالم فى امتلاك أسباب القوة والسلاح للدفاع عن أنفسهم.

إن التآمر على العرب والمسلمين صار سمة القرن الجديد.. وهناك حملة دولية منظمة لوضع لافتة الإرهاب على كل ما هو إسلامى.. ومع ذلك يعطوننا من طرف اللسان حلاوة لمزيد من الاستغفال.

## ٤

# الحرب الوقائية

وفى الذكرى الثالثة لأحداث ١١سبتمبر نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية تقريراً مطولاً وصفت فيه عقيدة "الحرب الوقائية" التى يتحمس لها الرئيس الأمريكى بوش ونائبه ديك تشينى بالفشل، وذلك لأنها قامت على أكذوبة افتراضية بأن استعمال القوة هو الوسيلة الوحيدة لإبعاد مخزونات العراق من أسلحة الدمار الشامل عن أيدى تنظيم القاعدة، ثم تبين أنه لم يكن هناك مخزونات من تلك الأسلحة، ولم تكن هناك علاقات بين نظام صدام والقاعدة.

وقالت "نيويورك تايمز" إن الدرس الحقيقى المستفاد من "الحرب الوقائية" فى العراق هو أن أمريكا تعمل على تآكل دفاعاتها العسكرية والدبلوماسية على نحو خطير عندما تحتشد مندفعة وراء"أعداء وهميين" وهاجمت الصحيفة ديك تشينى نائب الرئيس الأمريكى بشدة، وقالت إنه بدلا من أن يقود البلاد نحو تفكير ناضج لمواجهة "القاعدة" راح يعد بمزيد من الحروب العدوانية الوقائية ضد مخاطر افتراضية على غرار حرب العراق، وهو ما سيدفع أمريكا إلى المزيد من العزلة عن حلفائها الأوروبيين والآسيويين الأساسيين، ويجعل أمريكا تبدو كبلد معقد بالنسبة لجانب كبير من العالم العربى والإسلامى، وفوق ذلك سيؤدى إلى قتل المزيد من جنود ومدنيين أمريكيين فى البلدان التى يتم مهاجمتها.

ونستطيع أن نضيف إلى ما ذكرته "نيويورك تايمز" أن عقيدة الحرب الوقائية التى تباهى بها بوش وتشينى قد حملت الولايات المتحدة إلى مواقف مضطربة على المستوى العالمى، وأشعلت الحرائق فى أفغانستان والعراق وباكستان وأندونيسيا... وكل مكان يذهب إليه الأمريكيون صار هدفا عسكريا وصار خطرا، ولا يمكن الادعاء أبدا بأن العالم بعد إعلان الحرب الوقائية، وبعد غزو دولتين مسلمتين والاشتباك مع دول أخرى، صار أكثر أمناً.

الحقيقة.. أن العكس هو الصحيح.. فقد أصبحت تكلفة الأمن أكثر ارتفاعا فى مختلف دول العالم، وعلت نبرة العداء لكل ما هو أمريكى ليس فى العالم العربى والإسلامى فحسب، وإنما لدى قطاعات عريضة من الرأى العام العالمى.. وأصبحت الولايات المتحدة عبئا ثقيلا على حلفائها، خاصة عندما زينت عقيدة الحرب الوقائية لإدارة بوش أن تتدخل حتى فى الشعائر الدينية، وفى المناهج الدراسية والهوية القومية لدى هؤلاء الحلفاء بدعوى الإصلاح الديمقراطى.

لقد عبرت الحرب الوقائية عن ملامحها وأهدافها فى عالمنا العربى والإسلامى من خلال السياسات والخطط المعلنة التى بدأ تنفيذها على أرض الواقع.. ومنها:

- أولا: مشروع فرض الديمقراطية الأمريكية على العالم العربى والإسلامى والذى ليس الهدف منه - بالطبع - تطبيق الديمقراطية الحقيقية التى تتطلع إليها الشعوب، وإنما الهدف هو الاختراق الذى يحقق استراتيجيات غير استراتيجيتنا، ويخلق تيارا انهزاميا تابعا يرى أن أمريكا والغرب لديهما الخلاص والرفاهية والديمقراطية والمستقبل، وبالتالى تسقط قضايانا وحقوقنا المشروعة، وينقطع حاضرنا ومستقبلنا عن ماضينا، ونصبح أمة هشة،تابعة،بلاجذور، وبلا انتماء اللهم إلا انتماء التابع للمتبوع.

- ثانيا: حصار العالم العربى واحتواؤه وملاحقته بالعقوبات والاتهامات، من إيران إلى سوريا وليبيا والسودان وماليزيا بل والسعودية ومصر، لكى تظل هذه الدول دائما فى حالة دفاع عن النفس، ولا تكاد ترفع رءوسها.

- ثالثا:ضرب منظمات المقاومة الإسلامية فى كل دول العالم ودمغها-

جميعاً - بالإرهاب دون تمييز، وتفريغ قضاياها من مضمونها، والإطباق عليها من كل جانب، من خلال التحالفات المشبوهة مع الدول المعنية.

- رابعاً :التصدى للمدارس الدينية فى الدول الإسلامية وخلق أصوات وطنية ضد هذه المدارس، تتهمها بالتخلف والجمود والإرهاب، مع أن هناك مدارس وكليات دينية فى أمريكا وأوروبا لا يستطيع أحد المساس بها أو التدخل فى شئونها، فإذا تعذر إغلاق المدارس ودافع أهلها عنها بقوة علت الدعوة لتغيير المناهج والكتب الدراسية لتفريغ التعليم الدينى من الوعى العام.

- خامسا : محاصرة واحتواء العمل الخيرى الإسلامى تحت دعاوى محاربة الإرهاب بحيث لم يعد فى الإمكان إنشاء جمعية لمساندة الشعب الفلسطينى بالمال فى العالم الإسلامى فى حين ينتشر فى أوروبا وأمريكا العديد من الجمعيات (المشهرة) لمساندة الكلاب والحيوانات وجمع التبرعات علناً لإسرائيل واللوبى اليهودى.

- سادسا : سن قوانين لإثارة الفتن فى العالم الإسلامى بدعوى محاربة الاضطهاد الدينى ومساندة حقوق الأقليات.

- سابعا : إثارة حملات الكراهية والخوف ضد الإسلام "إسلاموفوبيا" والتى كان أحد مظاهرها محاصرة المساجد وإغلاقها، وتفجر مشكلة الحجاب فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا .. وتشويه الإسلام بصفة دائمة وإهانته على ألسنة مسئولين مثل رامسفيلد وبيرلسكونى فضلا عن حاخامات إسرائيل.

- ثامنا : استخدام اتفاقيات الشراكة والعولمة والجات والمعونة فى اختراق الخصوصية الثقافية والدينية والتشريعية للعالم الإسلامى، وفرض مفاهيم علمانية لقضايا حساسة مثل الشذوذ والزواج وحرية الاجتراء على المقدسات، واستخدام مصطلحات مستحدثة مثل "إصلاح الإسلام" لفرض دين آخر له طابع مختلف تماما على المسلمين.

- المبالغة فى إظهار التأييد والدعم اللامحدود لإسرائيل فى حربها ضد الشعب الفلسطينى والشعب اللبنانى ومحاصرتها لغزة، مما شجعها على إقامة المزيد من المستوطنات والجدار العازل.. وتوقيع بوش على قرار الاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل فى عام ٢٠٠٢ بما يقطع أى أمل للعرب فى موقف أمريكى متزن.

وحين نقرأ ما قالته كوندوليزا رايس مستشارة الرئيس بوش للأمن القومى عام ٢٠٠٢ عن الدور الذى ترسمه أمريكا لنفسها فى العالم العربى والإسلامى ندرك فعلا حجم التحديات وخطورة ما تخبئه الأيام.. حيث قالت إن الولايات المتحدة قوة تحرير تكرس نفسها لإحلال الديمقراطية ومسيرة الحرية فى العالم الإسلامى، والنضال من أجل القيم الليبرالية يجب ألا يتوقف عند حدود الاسلام، وهناك عناصر إصلاحية فى العالم الإسلامى تريد دعمها.. إن التفوق العسكرى الأمريكى يفرض مسئوليات لتأمين محيط آمن تزدهر فيه بعض القيم، وهناك القليل من الدول كانت تاريخيا فى هذا الموقع من التفوق العسكرى.. والأمريكيون يرون أن السلطة والقيم أمران متحدان.

معنى هذا الكلام أن أمريكا تكرس نفسها لإصلاح وتحرير العالم الإسلامى بفرض القيم الأمريكية الليبرالية، وهذا حقها.. طالما تمتلك التفوق العسكرى.. فمادامت السلطة فى يدها فلها أن تفرض القيم التى تراها صحيحة على بلدان العالم الإسلامى..ولاتعترف بأية خصوصية ثقافية أو دينية.. أليست السلطة والقيم أمرين متحدين؟!

وإذا كانت الإدارة الأمريكية تزعم أنها جعلت من العراق نموذجاً ديمقراطياً يحتذى به فإن الشعوب المحيطة بالعراق، والمرتبطة معه بوشائج الدين والقومية، والمعنية بالنموذج المزعوم، تنظر للمسألة من زاوية مختلفة.. فالعراق تحت الاحتلال صار مقسماً على أرض الواقع بين الشيعة والسنة والأكراد والآشوريين والكلدانيين..وفى العراق حكومة تابعة مصنوعة، وتنظيمات عميلة وشركات عميلة، وكل شئ فى العراق صار قابلاً للبيع والشراء والمساومة.. وفى مقابل المقاومة الوطنية الشجاعة هناك إرهاب وقتل على الهوية.. فأين النصر الذى تحقق.. وأين الاستقرار.. وأين الإعمار.. وأين النموذج الديمقراطى؟!

لقد صورت الدعاية الأمريكية عملية غزو العراق بأنه نزهة.. وقالت إن العراقيين سوف يستقبلون جنود الاحتلال بالورد.. ثم اتضح أن هذا كله وهم.. وأن العراقيين الذين دخلوا بغداد فى ركب الإحتلال وفوق دباباته لم يستطيعوا توفير الأمن والحماية والاستقبال الحسن للقوات الغازية.. وكانت المقاومة المسلحة هى أبرز مكونات الصورة فى معظم المدن العراقية.

الولايات المتحدة جربت كل أشكال الحروب تحت لافتة " الحرب على الإرهاب "ومع ذلك لم تنجح فى حربها ضد الإرهاب.. ولم يصبح العالم أكثر أمناً كما كان يتمنى الرئيس بوش.. بل أصبح أكثر اضطراباً.. وأكثر كلفة.. وأكثر كراهية لأمريكا.. ولإدارة بوش على وجه التحديد.

وقد دارت حوارات واسعة داخل المجتمع الأمريكى حول الحرب التى يخوضها الأمريكيون بشراسة فى أفغانستان والعراق.. والحرب التى تخوضها إسرائيل فى فلسطين ولبنان.. والحصار الذى تفرضه إدارة بوش على كل من إيران والسودان وسوريا بزعم أنها من دول محور الشر.. واللافتات التى ترفعها الولايات المتحدة بهدف تغيير هوية الشعوب الإسلامية فى الشرق الأوسط.. وكلها محاور مرفوضة من الشعوب الإسلامية.. وبالتالى لا أحد يستطيع أن يفرضها فرضاً على الجماهير الغاضبة.

عندما وقعت أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١ كانت دهشة الولايات المتحدة مختصرة فى السؤال التلقائى:لماذا يكرهوننا؟!.والآن وبعد مرور سبع سنوات على هذا الحدث الجلل ما زال السؤال مطروحاً من الأمريكيين فى مواجهة أنفسهم.. ولكن بصيغة : لماذا لا يكرهوننا؟!.

إن نظرة سريعة على جرائم سجن أبوغريب.وجرائم جوانتانامو وما تكشف عنه السجون السرية فى أوروبا.. والمغامرات العسكرية فى أفغانستان والعراق وفلسطين ولبنان.. وممارسة أسوأ ألوان ازدواجية المعايير ضد الدول الإسلامية والمقاومة والانحياز الصارخ لإسرائيل والرغبة الدائمة فى محاصرة العالم الإسلامى تحت دعاوى الديمقراطية وحقوق الإنسان والفوضى الخلاقة وحماية الأقليات.. كل ذلك يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن هناك حالة من التربص لدى الولايات المتحدة ضد المسلمين فى هذا العالم واعتبارهم - دون تمييز- هم المسئولين جميعاً عن جريمة ١١سبتمبر.. ناهيك عن الفقاعات الهوائية التى تطلق بين حين وآخر لتحقير المسلمين ودينهم كنوع من القصاص.. وآخرها تعبير بوش الذى يحلو له استخدامه بكثرة هذه الأيام.. وهو تعبير" الإسلام الفاشستى".

ومن أسف أن الولايات المتحدة حاضرة بقوة فى كل هذه المظاهر المعادية للمشاعر الإسلامية.. حتى وإن لم تكن مصدرها المباشر.. ولذلك فإنه مما

يستوجب الاعتراف به الآن أن المشاعر المعادية للولايات المتحدة تزداد حدة في عالمنا الإسلامي.. وأن إدارة بوش لم تنجح في أن تكسب بوصة واحدة من الأرض التي تفصلها عن الشعوب الإسلامية، بل إن هوة الفصل تزداد يوماً بعد يوم.. ومشاعر الكراهية تزداد تأججاً يوما بعد يوم.

ولم يعد في مقدور الرئيس بوش ومعاونيه التراجع عن الطريق الذي اختاروه.. والذي جعلهم في موضع الكراهية التلقائية في نظر الشعوب الإسلامية والشعوب النامية.. وشعوب العالم الثالث..ولم تعد هناك من وسيلة لتصحيح هذا الوضع إلا بظهور تيار جديد في الإدارة الأمريكية يشعر بنبض الجماهير الرافضة للحرب والراغبة في السلام الحقيقي.. الذي لن يأتي إلا بالعدل.. وتطبيق المعايير الصحيحة على جميع بني البشر.

## ٥

# حرب الكراهية

فى عام ٢٠٠٦ وبمناسبة مرور خمس سنوات على أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ذكرت دراسة أمريكية جديدة صادرة عن معهد بروكينجز بالعاصمة الأمريكية واشنطن أن الولايات المتحدة خصصت ٥٦٠ مليار دولار فى موازنة الحكومة لعام ٢٠٠٦ للعمليات العسكرية.. أنفقت منها ١٥١ مليار دولار على برامج الدعاية الحكومية ضد الإسلام.

وقد جاءت الدراسة لتقييم تأثيرات هجمات ١١ سبتمبر على العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامى.. وتوصلت إلى أن هذه الهجمات وتداعياتها أدت إلى توتر العلاقة بين الدين والدولة على مستوى السياسات الدولية وتدهور العلاقة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامى بشكل لم يحدث من قبل فى تاريخ تلك العلاقات.. بحيث تعمقت واتسعت موجة الكراهية الإسلامية للولايات المتحدة فى مرحلة ما بعد سبتمبر ٢٠٠١.

وأثبتت الدراسة التى قام بها الخبير بيتر سنجر أن تناول الإسلام بشكل سلبى قد زاد لدى الأمريكيين خلال هذه الفترة.

وذكرت الصحف التى نشرت تفاصيل الدراسة فى عددها الصادر يوم ١٠ نوفمبر ٢٠٠٦ أنه قبل عقد من أحداث سبتمبر كان الجدل الدائر داخل مؤسسات ومراكز البحث الأمريكية يركز على أن الصين هى القوة العظمى التى يحتمل أن

يأتى منها تهديد رئيسى باتجاه الولايات المتحدة.. فى ظل بيئة سياسية دولية تميزت بسيطرة القضايا ذات الطابع التجارى، وتسارع عمليات العولمة.. ومن ثم فقد انشغلت تلك المؤسسات بوضع الاستراتيجيات الكبرى والبرامج اللازمة للتعامل مع هذا التهديد.. لكن هجمات١١سبتمبر غيرت اتجاه هذا الجدل.. فقد بدأ التركيز أولاً على تحديد ونمط التهديد الجديد، وهو الإسلام، تحت مسميات وعناوين عديدة مثل : بن لادن، تنظيم القاعدة، محور الشر، الإسلام الفاشستى، الإرهاب الإسلامى. وتطرقت الدراسة لأسباب كراهية العناصر الإسلامية المسلحة للولايات المتحدة، تلك العناصر التى دفعت بأشخاص للقيام بعمليات استشهدوا فيها وقتلوا معهم آلاف المدنيين من الأبرياء.

وإذا كانت عناصر الإنفاق العسكرى الأمريكى فى حرب الكراهية قد اتضحت من خلال الحملات التى استهدفت احتلال أفغانستان والعراق ومساندة العدوان الإسرائيلى على فلسطين ولبنان.. وإحداث أكبر قدر من التدمير للأرواح والمنشآت.. وإهلاك الحرث والنسل.. فإن عناصر الإنفاق على برامج الدعاية الحكومية " الأمريكية" ضد الإسلام قد اتخذت صوراً عديدة.. منها ماهو ظاهر، ومنها من لم يظهر بعد.

وعلى مدى السنوات الماضية التى تلت أحداث ١١سبتمبر٢٠٠١ تركزت الصور الظاهرة فى برامج الدعاية الأمريكية ضد الإسلام على النقاط الست التالية:

١ـ تشويه الإسلام على مستوى التنظير من خلال التوسع فى تشجيع الأدبيات التى تربط بين الإسلام والإرهاب والتخلف والديكتاتورية وجميع القيم السلبية.. والتأكيد على أن الإسلام هو العدو الأساسى للحضارة الغربية والأولى بالمواجهة.

٢ـ إثارة التناقض بين الإسلام وقضايا المرأة.. واستخدام العديد من العناصر النسائية الإسلامية والمنظمات المدنية والأهلية رأس حرية فى هذا المجال.

٣ـ الاهتمام بقضية الشذوذ والحرية الجنسية فى العالم الإسلامى باعتبارها إحدى علامات التقدم فى المجتمع الحديث.. وباعتبارها جزءاً أساسياً من حقوق الإنسان.

٤ ـ التشكيك فى العديد من ثوابت الإسلام وشعائره وشرائعه.. وابتداع تقاليد إسلامية جديدة بادعاء أنها تناسب العصر.. حتى وصل الأمر إلى

اختلاق قرآن جديد باسم "الفرقان المبين" والدعوة لتولى المرأة إمامة المسلمين فى صلاة الجمعة، وإلقاء الخطبة.. والترويج لحق المصلين فى مناقشة الخطيب وهو على المنبر فى صلاة الجمعة حتى تتوافر عناصر الديمقراطية!!..

٥ - إثارة قضايا الأقليات الدينية والطائفية فى دول العالم الإسلامى وتشجيع كل الفعاليات التى من شأنها تصعيد التوتر بين المسلمين والأقباط أو بين السنة والشيعة، وتصعيد قضايا الأقليات المذهبية، مهما كانت هامشية كالبهائية والقاديانية والصوفية.. إلخ.

٦ - إثارة قضايا الأقليات العرقية والنفخ الدائم فى الاختلافات والتناقضات حتى تصل إلى حد الصراع المسلح.. ولعل أوضح مثال على ذلك قضايا الأكراد فى العراق والأفارقة فى دارفور.. وما لايتفجر بالصراع الدينى يتفجر بالصراع العرقى.. كى يظل العالم الإسلامى مشتعلاً من داخله بالمشكلات والصراعات.. فلا تقوم له قائمة.

ومن هذا كله يتضح أن أمريكا تأخذنا بضربات متلاحقة.. لا نكاد نفيق من ضربة حتى تسارع بالثانية.. وكأنما قد أصبح هدفها أن تجعلنا فى دوامة مستمرة.. نلهث فيها من أجل الدفاع عن أنفسنا وديننا وهويتنا.

وضربات أمريكا ليست خجولة ولا مستترة.. وإنما سافرة فى عدائها.. وواضحة جداً فى رسالة الكراهية التى تحملها.. والمغزى الذى تقصده.

وقد ظهرت تقارير صحفية عديدة تتحدث عن الانعكاسات السلبية للعلاقات العربية - الأمريكية المتوترة على أوضاع العرب والمسلمين داخل المجتمع الأمريكى.. وتتمثل هذه الانعكاسات السلبية فى اشتعال نبرة التعصب والتمييز ضد كل ماهو عربى وضد كل ما هو مسلم فى المجتمع الأمريكى.

ومن الأمثلة الفجة على الدرجة التى بلغها التعصب تلك الإشارة التى أطلقها النائب الجمهورى هوارد كويل عضو مجلس النواب الأمريكى عن ولاية نورث كارولينا عشية غزو العراق، وأعطى من خلالها انطباعاً بأنه قد يوافق على وضع عرب أمريكا ومسلميها فى معسكرات اعتقال إذا ما نشبت الحرب فى العراق لتحقيق هدفين: الأول حماية الأمن القومى الأمريكى من خطر قد يأتى من العرب والمسلمين.. والثانى حماية هؤلاء العرب والمسلمين.. من أى

اعتداء يقع عليهم فى الشوارع أو فى المساجد أو فى بيوتهم إذا تركوا هكذا أثناء الحرب ووقوع ضحايا أمريكيين.

النائب كويل الذى كان يشغل منصب رئيس لجنة خاصة بالأمن القومى فى مجلس النواب لم يطلب وضع العرب والمسلمين - صراحة - فى معسكرات اعتقال.. وإنما أدلى بتصريحات فى برنامج إذاعى لراديو مدينة جرينزبرو بولاية نورث كارولينا فى الرابع من فبراير ٢٠٠٣ قال فيه: «إنه يؤيد الأسلوب الذى عامل به الرئيس الأمريكى روزفلت اليابانيين الأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية حين وضعهم فى معسكرات اعتقال.. وأنه قد يوافق على إخضاع عرب أمريكا ومسلميها لمعاملة مماثلة فى الوقت الحالى.

وأضاف النائب هوارد كويل: "نحن فى حالة حرب، وقد كان اليابانيون الأمريكيون فى خطر أثناء الحرب.. ولم يكن من دواعى الأمن لهم أن يتواجدوا فى الطرقات، بعضهم كان ينوى الإضرار بنا مثلما ينوى بعض العرب أن يلحقوا الضرر بنا ".

صحيح أن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية المسمى اختصاراً "كير" طالب النائب بتوضيح عباراته المقلقة.. وهو لم يفعل.. لكن تظل الإشارة المزعجة تعطى مدلولات وانعكاسات خطيرة.. تؤكد أن أمريكا فى ظل حكم الرئيس بوش تتبنى سياسات التمييز ضد مواطنيه بسبب الدين والعرق.. ولا تثق فى ولاء هؤلاء المواطنين وانتمائهم لوطنهم وارتباطهم بنموذجه الحضارى سياسياً وأقتصادياً.

وإذا كان روزفلت قد وضع اليابانيين الأمريكيين فى معسكرات اعتقال إبان الحرب العالمية الثانية فإن العالم قد تغير كثيراً فى الألفية الثالثة.. وما كان مقبولاً فى الحرب العالمية الثانية لم يعد مقبولاً اليوم.. ولايمكن التستر عليه.. وقد رأينا على شاشات القنوات التليفزيونية مظاهرات ١٥ فبراير ٢٠٠٣ التى انطلقت فى نيويورك و٨٠ مدينة امريكية تضامناً مع المظاهرات التى اجتاحت العالم كله فى ذلك التاريخ ضد الحرب على العراق.

العالم تغير.. هذه حقيقة.. ولكن يظل فى الجعبة الأمريكية الكثير.. ويظل هناك دائماً وجه آخر لأمريكا يمكن أن يفاجئنا ويفاجئ العالم بممارسات وسياسات غريبة.. لم تكن تخطر على بال أحد وهل كان هناك عقل يمكن أن

يتوقع أن يعتدى على المساجد فى وضح النهار فى أمريكا راعية حقوق الإنسان والسياسات المعادية للاضطهاد الدينى؟!

وهل كان هناك عاقل يمكن ان يتوقع ما حدث من تعذيب وحشى للمعتقلين فى سجن أبوغريب ببغداد ؟!.

لقد تميز التعذيب الوحشى الذى مارسه الأمريكيون فى العراق بالأكياس التى تغطى الرؤوس لتمنع المعذبين من رؤية جلاديهم، وبأسلاك الكهرباء المثبتة فى الأطراف، ووضع الأحذية على الرؤوس والصدور وتعرية الأجساد بالكامل وإجبار أصحابها على اتخاذ أوضاع جنسية شاذة.. ومن ثم فقد أعطت الصور دلالة خاصة جداً لهذا النمط من التعذيب الأمريكى.. هذه الدلالة تؤكد لكل ذى عينين أن الهدف من التعذيب ليس إيذاء البدن وإنهاكه فقط كعقاب.. وإنما إيذاء الروح وإهدار الكرامة وكسر النفس وتحطيم الإرادة.

التعذيب على هذا النحو ثقافة متعصبة متغطرسة لدى هؤلاء الذين جاءوا إلى العراق بزعم إقامة ديمقراطية نموذجية.. ونشر ثقافة التسامح والتعدد والتعايش وقبول الآخر.. ومهما قيل من تبريرات لسلوكيات التعذيب الشاذة التى ظهرت فى معاملة المسجونين العراقيين فإنها ستظل تبريرات ساذجة لا تقنع طفلاً.. لأن الصور لا تكذب.. وهم الذين التقطوا هذه الصور ربما للتسلية بها.. واستكمال حالة النشوة والتلذذ بمناظر المعذبين.

لقد عرفت الإنسانية عصوراً كثيرة ساد فيها التعذيب.. وتفنن المستبدون والطغاة فى الكيفية التى يعذبون بها ضحاياهم.. لكن هذه هى المرة الأولى فى التاريخ التى يجرى التعذيب فيها بكل هذا الكم من الحقد والبغض والكراهية.. وباسم الديمقراطية والتحرر والحضارة.

ومن دواعى السخرية أن المجرمين الذين ثبت قيامهم بهذا التعذيب فى سجن أبوغريب لم يحاكموا على جرائمهم باعتبارها جرائم فى حق الإنسانية مثلما يحدث مع غيرهم فى فضائح أقل شأناً من فضائح سجن أبوغريب.. لكنهم خضعوا لتحقيقات لينة.. وما علمنا من عقابهم أكثر من إقالة مسئولة السجن وبطلة التعذيب التى كانت تتلذذ بتكويم الرجال عراة وإجبارهم على ممارسة الشذوذ الجنسى.. أو إجبارهم على الوقوف وتصوير عوراتهم.

وقد قيل كلام كثير فى حكايات التعذيب.. واختلطت الحقيقة بالخيال..

وتردد أن قوات الاحتلال استعانت بخبراء إسرائيليين فى التعذيب.. وتعذيب العرب على وجه الخصوص.. لأن هؤلاء الإسرائيليين يعرفون من أين يتم الإيذاء النفسى للمواطن العربى.. وما هى أكثر الأمور التى تكسر نفسه.. وتحط من شأنه.. وتجعله بقية عمره يشعر بالعار.

والذين رددوا تلك المزاعم لم يقدموا دلائل ومستندات عليها.. ولكنهم يعتمدون على حكايات رواها المسجونون الذين تعرضوا للتعذيب.. ثم إن ما يجرى من تعذيب وحشى فى السجون ربما يعطى تفسيراً للعنف المبالغ فيه الذى تقوم به الجماعات المسلحة ضد المخطوفين فى العراق.. كما حدث فى قتل السيدة مارجريت حسن وغيرها من الرهائن الذين ذبحوا ذبحاً بالسكين لتأكيد الرغبة الطاغية فى الانتقام.

إن ما يحدث فى العراق من إهانة للإنسان العربى والمسلم ليس تعذيباً فقط.. وإنما سادية وغطرسة وشذوذ من جانب أناس منعدمى الضمير والإحساس والإنسانية.. لا هدف لهم إلا إذلال المواطن العراقى.. وسوف تظل هذه الجريمة تطارد إدارة الرئيس بوش التى وفرت لهم المناخ لارتكاب فظائعهم.. ومهما طال الزمن لن تسقط الجريمة بالتقادم.

تلك ثقافتهم وديمقراطيتهم النموذجية، ديمقراطية التعذيب وسحق الكرامة الوطنية وإهدار إنسانية الإنسان، وهى جرائم دنست أرض العراق، ونشرت فى ربوعه ألواناً من " النجاسات " لا تطهرها مياه دجلة والفرات، ولا مياه محيطات العالم أجمع.

إن المرء ليحار فى تفسير ظاهرة التعذيب هذه.. خصوصاً أنها تمت على أيدى أناس يدعون أنهم جاءوا إلى العراق لينشروا فيه قيم الديمقراطية والحضارة والتسامح وحقوق الإنسان.. فإذا بصورهم تفضحهم.. وتفضح ما فى قلوبهم من غل وحقد وكراهية.. وما ارتكبوه من جرائم جعلهم فى نظر أنفسهم وفى نظر الناس جميعاً مجرد همج وقتلة وسفاحين وشواذ..هم أقرب إلى قطاع طرق فى القرون الوسطى، ممن لم يسمعوا شيئاً عن الحضارة والتفاهم واحترام حقوق الإنسان.

ولنا أن نتخيل ما حدث فى سجون العراق على أيدى السفاحين من البريطانيين و الأمريكيين إذا علمنا أن ما نشرته وسائل الإعلام عندنا

لايمثل عُشر معشار ما نشرته صحف العالم عن جرائم التعذيب، وما نشرته صحف العالم لا يمثل عُشر معشار ما جرى على أرض الواقع.. والغريب أن هناك من إخواننا من يهون من أمر هذا التعذيب، ما دامت أمريكا وبريطانيا فى الموضوع، رغم أن الصحف البريطانية أعلنت بوضوح أن صور التعذيب أصابت قراءها - فى بريطانيا- بصدمة شديدة.. وأنها تخشى صدمة مماثلة لدى الشعوب العربية والإسلامية.

وحينما وقعت مذبحة " قانا الثانية " فى ٣٠ يوليو ٢٠٠٦ أثناء الحرب الإسرائيلية على لبنانٍ لم تكن الخسائر الهائلة فى الأرواح هى المفاجأة ـ ٦٥ شهيداً منهم ٢٥ طفلاً وعشرات الجرحى ـ وإنما كانت المفاجأة فى الأعصاب الباردة التى استقبل بها الغرب هذه الجريمة الإنسانية البشعة.. وصمته عليها حتى تمر دون عقاب.. فردود الأفعال كانت هزيلة.. ولاتتناسب مع حجم الجريمة.

أما الموقف الأمريكى الداعم لإسرائيل، والذى تبدى فى رفض أى قرار يصدر من مجلس الأمن لإيقاف الحرب غير المتكافئة، فقد تناسى تماماً الشعارات الزائفة التى تخرج من واشنطن عن السلام وحقوق الإنسان.. وعبَّر خير تعبير عن ثقافة الكراهية التى يتم التعامل بها مع كل من يعترض ويتصدى للمخططات الأمريكية الصهيونية.

وفى حرب لبنان ٢٠٠٦ اختلط الدين بالحرب اختلاطاً كبيراً.. واتخذ وسيلة لتبرير جرائم الحرب ضد المدنيين.. فقبل مذبحة قانا بأيام قلائل أصدر حاخامات اليهود فتوى بشعة تجيز لجنودهم قتل الأطفال والنساء والشيوخ العزل فى لبنان.. ومن ثم جاءت المذبحة ترجمة سريعة ومباشرة لهذه الفتوى الوحشية التى تصطدم بكل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية التى تعارف عليها البشر.

وقد كان من شأن هذه الفتوى أن تمنح ضمائر الجنود والقادة العسكريين الإسرائيليين إجازة مفتوحة.. وترخيصاً لاهوتياً بالخروج على كل المواثيق والعهود الإنسانية والدولية التى تحول دون قتل الأبرياء من المدنيين.. فما بالك بقصف ملاجئ الأيتام.

ومن العجيب أن هذه الفتوى البشعة مر عليها العالم أجمع مرور الكرام،

ولم يتوقف أحد أمامها.. فى حين أنه لو حدث وصدرت فتوى من عالم مسلم تدعو الناس إلى الجهاد لنصرة إخوانهم فى لبنان الذين كانوا يقتلون كالطيور والأنعام لقامت الدنيا ولم تقعد.

ومع ذلك فإن القضية ليست فى الفتوى فقط.. فبعد أن وقعت المذبحة عكست ردود الفعل الشعبية فى إسرائيل تأييداً غير مسبوق للعدوان.. وتشجيعاً على الاستمرار فى القتل والتخريب والتدمير..وقد نقلت صحيفة" الحياة " الصادرة فى لندن باللغة العربية يوم الاثنين ٣١ يوليه ٢٠٠٦ جانباً من ردود الفعل الشعبية فى إسرائيل التى هللت للمذبحة.. أما الإعلام العبرى فقد طالب بإطلاق يد الجيش الإسرائيلى من أجل تدمير القرى والبيوت فوق ساكنيها.. وترك الأخلاق جانباً، والدوس على العدو.. وغير ذلك من الدعوات المشابهة.

وإذا كان بعض من النواب العرب فى الكنيست قد تجرأوا وطالبوا بوقف إطلاق النار واستقالة أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلى وصدقوا أنهم فى دولة ديمقراطية، فقد كان الرد عليهم فى منتهى القوة والقسوة.. إذ اتهموا بالخيانة ووصفوا بأنهم " طابور خامس " ووجهت إليهم شتائم وإهانات بالغة.. وصدرت دعوات صريحة تطالب بترحيلهم وسائر الفلسطينيين.

ورغم ذلك لم تنجح إسرائيل – ومعها حليفتها العظمى - فى كسر إرادة المقاومة لدى الشعب اللبنانى وخرجت المقاومة منتصرة وبقى الدرس الأهم أن إدارة بوش وفرت الحماية والدعم لحرب لم تعرف القيم الإنسانية.. ونفذت المذابح على الملأ.. واستخدمت الدين أسوأ استخدام.

وقد شهد يوليه ٢٠٠٤ حادثين تزامنا معاً ليعطيا نموذجاً واضحاً لثقافة الكراهية التى تفجرت ضد العرب والمسلمين فى أوروبا.. ومن العجيب أن كلا الحادثين انطوى على جانب كبير من السخرية رغم أن الموضوع جد خطير.

الحادث الأول وقع فى بريطانيا.. حيث أذاعت القناة الأولى لتليفزيون ال"بى بى سى" فيلماً تسجيلياً أعده أحد المراسلين تحت عنوان " العميل السرى" ليكشف به الوجه العنصرى البغيض لقادة الحزب الوطنى البريطانى اليمينى ضد الدين الإسلامى والآسيويين البريطانيين.

وقد استمر المراسل يعمل داخل مقرات الحزب اليمينى ستة أشهر كاملة

فى الخفاء حتى استكمل هذا الفيلم الوثائقى الذى اعتبر عريضة اتهام جنائى وسياسى ضد الحزب وقادته.. وخصوصا رئيسه نيكولاس جريفين.

فى هذا الفيلم يقول جريفين :" إننى أعتبر الإسلام ديناً شيطانياً ضد كل المبادئ الإنسانية جاء به إلى بلادنا منذ أربعة قرون أناس جهلة.. وهو - للأسف - يزحف شيئاً فشيئاً نحو أوروبا.. دولة بعد الأخرى ".

كما تضمن الفيلم تصريحا لأحد أعضاء الحزب يقول فيه :" أرغب فى تنفيذ هجوم مسلح ضد مسجد مدينة براد فورد بواسطة طائرة هيلوكبتر مدججة بمليون قذيفة لقتل المصلين أثناء صلاة الجمعة".

وفور إذاعة الفيلم قامت جماعات مناهضة التمييز العنصرى فى بريطانيا بحملة واسعة ضد الحزب اليمينى وقادته.. وقالت إن الفيلم يحمل وثيقة إدانة صريحة لهم.. وفى مواجهة ذلك خرج جريفين رئيس الحزب ليصرح ويؤكد أنه لن يتراجع عن أى كلمة قالها فى حق الإسلام رغم أنه يعتذر للمسلمين.

وللأسف لم نسمع حتى الآن عن إجراء أمنى رسمى اتخذ مع قادة الحزب لكن الإجراء العملى الوحيد جاء من جانب بنك بركليز البريطانى الشهير الذى جمد حسابات الحزب واوقف جميع التعاملات المصرفية والتجارية معه.. وأصدر بياناً قال فيه : لا تراجع عن القرار.. إن الحزب الوطنى اليمينى يثير العنصرية فى المجتمع البريطانى.. وسياسة البنك الداخلية ترفض هذا النمط من السلوك والأيديولوجيات خصوصا أننا نعيش فى بلد ديمقراطى يهدف إلى المساواة بين جميع الأجناس والأديان!

ومعروف أن بنك باركليز هوثالث أكبر بنك فى بريطانيا والعالم.. أما مسجد برادفورد الذى نال التهديد الصريح فى الفيلم فيعتبر ثانى أكبر المساجد الثمانين فى بريطانيا.. كما أن المسلمين يمثلون حوالى ٢٠٪ من سكان برادفورد البالغ عددهم ٨٠ ألفا.

وكانت الضجة التى أثارها فيلم "العميل السرى" قد جاءت فى أعقاب الضجة الكبرى التى قامت بها جماعات الضغط الصهيونية وجماعات الشواذ ضد زيارة الشيخ يوسف القرضاوى لبريطانيا.. فقد اتهمته تلك الجماعات بالإرهاب نظراً لتأييده للعمليات الاستشهادية.. كما اتهمته بمعاداة حقوق الإنسان لأنه يرفض الشذوذ ويرفض الاعتراف بزواج الشواذ مع بعضهم.

أما الحادث الثانى فقد وقع فى فرنسا حيث ادعت الزوجة الشابة مارى ليونى -٢٣عاما- فى محضر رسمى بالشرطة أنها تعرضت هى وطفلتها ليا- ١٣شهرا- للاعتداء من قبل ستة من العرب المسلمين المغاربة والسود فى قطار شمالى باريس معتقدين خطأ أنها يهودية.. وزعمت فى المحضر أن الاعتداء وقع أمام ٢٠ من الشهود الذين لم يتحرك أحد منهم لنجدتها.

وبعد أن اندلعت موجة الإدانة ضد العرب والمسلمين، وشارك فيها الرئيس جاك شيراك ووزراؤه والمنظمات الإنسانية والشخصيات العامة والسياسية ووسائل الإعلام وخرجت المظاهرات المتعاطفة مع الزوجة الشابة مطالبة بالانتقام اكتشف البوليس أن المرأة اختلقت قصة الاعتداء عليها اختلاقاً، فلا وجود للمعتدين العرب فى كاميرات المراقبة بمحطة القطار.. ولا وجود للشهود..لقد شك البوليس فى الرواية بعد أن أدرك أن لديها سجلاً طويلاً فى تقديم الشكاوى دون دليل.. وبعد تضييق الخناق عليها اعترفت أن القصة وهمية وأنها هى التى مزقت ملابسها وأصابت نفسها بسكين المطبخ وقصت خصلة من شعرها وأنها استغلت مناخ الكراهية للعرب والإسلام لكى تجذب الاهتمام وتنال الشهرة.

لا أحد يعرف إن كانت مارى ليونى مختلة عقليا أم تعمل لحساب منظمة يهودية.. لكن المؤكد أن قصتها تعكس ثقافة الكراهية ضد الإسلام، أو الخوف من الإسلام،التى يقولون عنها " إسلاموفوبيا".

والآن.. ماذا فعل العرب والمسلمون فى مواجهة الهجمات المتصاعدة ضدهم سياسياً وإعلامياً ؟!.. للأسف لم يتعلموا شيئاً ذا قيمة.

لم يتبلور صوت عربى ولا إسلامى قوى يتحدث نيابة عنا.. فيرد كيد الكائدين.. واتهامات المتهمين.. للأسف الشديد الدول العربية والإسلامية تتحرك منفصلة.. وتعمل من زاوية ضيقة جدا.. هى زاوية مصلحتها القطرية.. التى تدفعها أحيانا إلى ارتكاب حماقات "انتهازية" متصورة أنها حين تلعب ضد الجميع ستكون بمنأى عن الخطر.. وستكسب.

وزراء الإعلام أعدوا خطة للتحرك الجماعى دفاعا عن صورة العرب والمسلمين فى أوروبا وأمريكا بعد أحداث ١١سبتمبر لكن الخطة لم تنفذ.. لأنها لم تؤخذ مأخذ الجد..ولم توضع لها الإمكانيات الكفيلة

بتنفيذها..وبعد عام واحد من وضع الخطة عقد وزراء الإعلام العرب اجتماعا بالقاهرة للمتابعة.. وفى هذا الاجتماع أطلق وزير الإعلام اللبنانى كلمات تقطر سماً حين قال لزملائه الوزراء: "هاهى الخطة أعيدها إليكم كما هى، لم تمس ولم ينظر لها أحد منذ أن تسلمتها من اجتماعكم الماضى ".

وسلم الوزير اللبنانى الخطة إلى خلفه وزير الإعلام السورى الذى رأس الدورة التالية لوزراء الإعلام العرب.. وقد سلمها هو الآخر إلى خلفه كما هى، لم تمس، وهكذا مرت الأيام.. ونحن مصابون بالعجز.

أين هو الصوت الذى يجب أن يصدع برسالة الإسلام فى أوروبا وأمريكا.. ليخفف من حدة الصورة الكريهة التى رسمت لنا فى وسائل الإعلام هناك؟.

فى يوليه ٢٠٠٢ شهدت العاصمة البريطانية لندن مظاهرتين متجاورتين متناقضتين.. واحدة تطالب بدعم إسرائيل والأخرى تطالب بحق الشعب الفلسطينى..والبوليس البريطانى يؤدى مهمته كاملة فى حراسة المظاهرتين وتأمينهما.. الفارق الكبير كان واضحا بين المتظاهرين فى الجانبين..المظاهرة الإسرائيلية حية ومتحمسة ومليئة بالنجوم السياسية والثقافية التى تخطب فى الشارع بقوة.. وعلى رأسهم السفاح نتنياهو الذى لديه قدرة ساحرة على قلب الحقائق والتأثير فى الناس.. وكان مما قاله إن إعطاء دولة لعرفات (لاحظ) يعنى الموافقة على إقامة قاعدة رسمية للإرهاب سيقيم فيها يوما ما بن لادن». أما المظاهرة العربية فكانت خالية من الوجوه المعروفة.. واقتصرت على الهتافات واللافتات.. ولم تستثمر حتى بعض الحاخامات اليهود الذين يرفضون ممارسات شارون وحكومته أمام الشعب البريطانى.. وهؤلاء الحاخامات شاركوا فى المظاهرة بصورة رمزية.

إن العمل العربى المشترك يعانى من الجمود، والفشل والعجز لكننا إذا قدرنا حجم المخاطر المحدقة بنا.. واستيقظنا من رقدة العدم فربما نستطيع أن نصحح صورتنا المشوهة التى رسمتها آلة الدعاية الأمريكية على مر السنين.

## ٦

# حرب الأفكار

فى عهد الرئيس بوش.. لم تعد أمريكا ضد طالبان أو تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن وعمر عبد الرحمن وصدام حسين أو حتى ضد المنظمات والأحزاب الإسلامية المتشددة.. وإنما صارت الحرب ضد الإسلام نفسه.. بشكل سافر ومستفز.. وعلى كل الجبهات.. وعلى الذين صدقوا فى يوم من الأيام تصريحات الإدارة الأمريكية بأنها تحارب الأصوليين المسلمين فقط ولا تحارب الإسلام أن يراجعوا أنفسهم.. ويعترفوا بالحقيقة.

لقد تعددت الأسباب لكن الهدف واحد.. وهو الحرب ضد الإسلام كدين وثقافة ونظام حياة.. وإذا كان هناك من يضع أحداث ١١ سبتمبر كأساس لتبرير هذه الحرب المجنونة.. فإن الواقع يؤكد كل يوم أن أمريكا وضعت الإسلام كهدف استراتيجى تستجمع قواها ضده لتقضى عليه بعد أن سلبت من المسلمين روح المقاومة والجهاد، وهى ليست حرباً مجانية نيابة عن إسرائيل وعن قوى الاستعمار الجديد فى القرن الحادى والعشرين.

هذه الحقيقة كشفت عنها صحيفة " واشنطن بوست " فى مقال نشرته فى أغسطس٢٠٠٢ يؤكد أن " أمريكا تخوض حرباً دولية مماثلة لتلك الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفييتى فى القرن الماضى.. والخصم هذه المرة هو الإسلام وأنظمة الحكم فى الشرق الأوسط وفى مناطق أخرى من العالم".

وهكذا استطاع الرئيس بوش أن يجعل من أمريكا بلداً آخر يهدر مبادئ الحرية وحقوق الإنسان.. خاصة فى مواجهة الإسلام.

فى أواسط أغسطس ٢٠٠٢ شهدت جامعة نورث كارولينا معركة حامية لمجرد أنها وافقت على تدريس كتاب يتناول الإسلام والقرآن كتبه مايكل سيلس أستاذ علم الأديان المقارن بجامعة هارفارد ويحمل عنوان " منهج القرآن.. الوحى الأول" فقد طالبت إحدى لجان برلمان الولاية بوقف التمويل الحكومى عن الجامعة..وأقامت إحدى الجمعيات المسيحية المتشددة فى أمريكا دعوى قضائية ضد الجامعة قالت فيها: " إنها بتدريس هذا الكتاب تروج لدين الأعداء".

وتعرضت الجامعة لانتقادات حادة بسبب هذه الخطوة.. الأمر الذى دفعها إلى جعل دراسة الكتاب المذكور اختيارية.. على أن يقوم الطالب الذى يرفض دراسته بإعداد مقال يوضح فيه أسباب هذا الرفض.

بالطبع لم يكن تدريس الإسلام فى الجامعة بهدف الترويج لدين الأعداء، لكنه - كما قال جيمس موسير مستشار الجامعة - جاء استجابة لتزايد الاهتمام بدراسة هذا الدين والتعرف عليه فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر.

الغريب أن أحداً وسط هذه المعمعة لم يتذكر شعار الحرية الأكاديمية للجامعة الذى يرفعونه فى وجه أى انتقاد يوجه لمن يشوهون الإسلام فى الجامعة.. ولعلنا نتذكر - بهذه المناسبة - الضجة التى أثيرت فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عندما تقدم أولياء أمور الطلاب بشكوى ضد كتاب يدرس لأبنائهم يشوه الإسلام.. ويقدم ديناً غير الدين الذى يعرفونه.. لقد قيل وقتها إن هذا اعتداء على الحرية الأكاديمية للجامعة.. والحقيقة أن تدريس الكتاب فى حد ذاته كان اعتداءً على الحق والحقيقة.

الأمر على هذا النحو ليس مستعصياً على الفهم.. والهجوم على الإسلام لم يعد مستتراً، ولا من وراء حجاب.. إنما هى الحرب الصريحة المكشوفة.. والسافرة.. وهذه الحرب جزء كبير منها يجرى على مستوى الفكر والثقافة والكلمة والعقيدة.. أو ما يعرف بـ "حرب الأفكار".. التى هى الغطاء الإعلامى للحرب الحقيقية المدمرة التى تخوضها الولايات المتحدة وإسرائيل

على الأرض العربية لتحقيق أهدافهما المشتركة..وأولها تغيير الطبيعة الدينية والثقافية والتاريخية لهذه الأمة وتذويب هويتها وكسر إرادتها.

وقد نشرت صحيفة " المصرى اليوم " القاهرية فى ٢٠يوليو ٢٠٠٨ أن جيمس جلاسمان مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية للدبلوماسية العامة كشف عن اعتماد الخارجية الأمريكية استراتيجية " حرب الأفكار"لمحاربة الإرهاب والجماعات الأصولية فى العالمين العربى والإسلامى.. وقال فى لقاء مع عدد من الصحفيين فى واشنطن:" إن نجاح استراتيجية ( حرب الأفكار) يعتمد على استخدام وسائل الإعلام المختلفة، وإطلاق برامج التبادل الثقافى والتعليمى لخلق بيئة عالمية معادية للمتطرفين الإسلاميين.. لكنه فى الوقت نفسه اعترف بصعوبة المهمة.. مشيراً إلى أن أكثر من ٨٠٪ من مسلمى العالم، خاصة فى الشرق الأوسط، يعتقدون أن الولايات المتحدة وأوروبا ترغبان إما فى القضاء عليهم واستئصالهم نهائياً ومحاربة الإسلام أو تنصيرهم".

و جيمس جلاسمان هو المسئول الأمريكى عن تحسين صورة الولايات المتحدة فى الخارج.. والغريب فى الأمر أن هذا الرجل بدلاً من أن يشرح للناس كيف يتم تحسين صورة الولايات المتحدة وفقاً للمهمة الموكولة إليه يتحول إلى الحديث عن " التطرف الإسلامى" وكيفية تغييره.

وقد نشرت له " الأهرام" تصريحاً فى ١٨ يوليو٢٠٠٨ قال فيه إن مهمته تتمثل فى القضاء على الفكر المتطرف.. إلا أنه اعترف فى الوقت نفسه أنه لا يملك شيئاً يستطيع به تغيير الصورة النمطية السائدة عن المسلمين والعرب " غير المتطرفين " فى الولايات المتحدة.

ورغم كل شئ فإنه أمر جيد أن تسعى الإدارة الأمريكية إلى تحسين صورها لدى العالم العربى والإسلامى.. لكن المشكلة أن الجهود التى تبذل لهذا الهدف تسير فى طريق عكسى.. فالذين يحملون مهمة التحسين يعتقدون - كما رأينا فى السيد جلاسمان - أن العرب والمسلمين هم الذين يجب أن يتغيروا حتى يصححوا صورة أمريكا لديهم.. وهذا التغيير لن يحدث إلا باستخدام مكثف لوسائل الإعلام والثقافة والسياسة والاقتصاد.. باختصار لابد من خوض " حرب الأفكار" بكل أبعادها.

فى هذا الصدد أصدرت مؤسسة " راند " تقريراً مهماً فى ٢٠٠٧ يكشف طبيعة الحالة التى يجب أن تكون عليها هذه الحرب الشاملة حتى تؤتى ثمارها وتحقق النتائج المرجوة منها.. و " راند " هى أكبر مؤسسة بحثية فى الولايات المتحدة وفى العالم، تأسست عام ١٩٤٨.. وهى تابعة، أو متعاونة مع وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون ".

ولأن المواجهة فى زمن بوش على أشدها بين الولايات المتحدة من جانب، والعرب والمسلمين من جانب آخر فإن الدراسات والأبحاث التى تجريها " راند " منذ فترة طويلة تركز على الظاهرة الإسلامية وقضايا العالم الإسلامى.ثم يأتى دور المؤسسات التنفيذية، السياسية والعسكرية، التى تستفيد من هذه الدراسات والأبحاث فى خططها الاستراتيجية طويلة المدى.

ومن المفيد بالطبع متابعة تقارير " راند " الخطيرة وغيرها من المؤسسات البحثية الغربية، لمعرفة كيف تفكر أمريكا وكيف يفكر الغرب تجاهنا.

فى ٢٦ مارس ٢٠٠٧ أصدرت مؤسسة " راند " تقريرها الخطير، على شبكة الإنترنت فى ٢١٧ صفحة ولم تعلن عنه فى مؤتمر صحفى كعادتها، وربما كان السبب فى ذلك أن هذا التقرير الذى جاء تحت عنوان " بناء شبكات مسلمة معتدلة" يحمل إشارات لتغيير كبير فى الاستراتيجية الأمريكية إذا ما أخذ بتوجهاته.

يبدأ التقرير بالاعتراف الصريح بفشل السياسة الأمريكية فى التعامل مع العالم الإسلامى، وينتقد تلك السياسة ويدعو إلى تغييرها، ويرى أن المعركة لم تعد مع "الإسلاميين" بل مع "المسلمين" وأن الـ ١,٥ مليار مسلم يجب احتواؤهم وحصارهم، حيث لا فرق بين الإسلامى والمسلم فى الأصول والثوابت، وأن المسلم الجيد الذى يعترف به هو فقط من يعادى الشريعة الإسلامية.

وينصح التقرير باستخدام أساليب الحرب الباردة التى نجحت مع الاتحاد السوفيتى، وتطويرها لتلائم حالة العالم الإسلامى، كما ينصح بعدم خوض أمريكا للمعركة فى مراكز الثقل الإسلامى، يقصد المنطقة العربية، لأن هذه توجد فيها القوة الرئيسية للإسلام والمسلمين، وإنما يجب نقل المعركة إلى الأطراف.

ولخطورة ما جاء فى هذا التقرير نظم المركز العربى للدراسات الإنسانية بالقاهرة مساء السبت ٧ أبريل ٢٠٠٧ حلقة نقاشية حول التقرير شارك فيها عدد من الباحثين والإعلاميين.. وأجمع المشاركون على أن التقرير يعتبر حلقة جديدة من حلقات التربص بالمسلمين، ويؤصل لمفاهيم جديدة تخدم الأهداف الأمريكية، من خلال التركيز على تحويل مسار الصراع الحالى بين الإسلام والغرب إلى الصراع بين المسلمين بعضهم البعض.. والوقيعة بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها.. من خلال إثارة الخوف لدى الحكومات من الشريعة الإسلامية والمتمسكين بها.

ولاحظ البعض أن التقرير يحاول أن يرسخ لمفهوم الاعتدال الذى يجب أن يسود العالم الإسلامى من وجهة النظر الأمريكية.. بصرف النظر عما إذا كان هذا المفهوم يتعارض مع أصول الإسلام أم لا.. ويكفى أن التقرير يشدد على خطورة دور المسجد وضرورة دعم العناصر الداعية إلى "تحديث الإسلام" الذين يتبنون المفاهيم الأمريكية أو الإسلام الأمريكى، ممن يعملون خارج المسجد، ويرفعون راية التعايش بعيداً عن الشريعة.

ومن الغريب أن تقرير "راند" كان صريحا هذه المرة فى هجومه على الأزهر الشريف ودوره.. وقد أوصى بضرورة سحب البساط من تحت أقدامه، وتسليط الأضواء على أماكن أخرى بتخريج "المعتدلين".. وأوصى بالبحث عن النصوص الشرعية التى تدعم التيار المعتدل، وتقديم الدعم المالى لهذا التيار، وتكثيف استخدام أداة المجتمع المدنى لتكون البديل للجانب الاجتماعى فى الإسلام، المتمثل فى الأعمال الخيرية والجمعيات الإسلامية.

وإذا ما اعتبرنا أن كل ما سبق خطير فإن الأخطر هو ذلك الفصل الذى ضمه التقرير بعنوان "اختبار الاعتدال" ويشتمل على قائمة من الأسئلة توجه إلى المسلمين، من يجتازها بنجاح يصير وفق الأهداف الأمريكية معتدلا، ويتم استقطابه ودعمه فى مواجهة من يرسبون فى الاختبار.

وقائمة الأسئلة هى فى الحقيقة قائمة استجواب تعتبر كل مسلم مذنبا حتى يثبت العكس.. ثم هى إلى جانب ذلك قائمة خبيثة.. تتضمن من الأسئلة ما يحض على الفتنة والاستفزاز والإثارة.. ومن هذه الأسئلة: هل أنت تدعم أو توافق على العنف؟!.. هل تؤمن بحق الإنسان فى تغيير دينه؟!.. هل توافق

على تطبيق الشريعة؟!.. هل تؤمن بحق الآخرين فى العيش فى كنف قوانين علمانية؟!.. هل توافق على أن شخصاً من الأقلية يحكم الأغلبية المسلمة؟!.. هل تؤمن بأن يكون النظام القانونى مستنداً إلى طوائف؟!

وهذه الأسئلة تكشف بجلاء أن القضية ليست الدعوة إلى الاعتدال والتعايش وليست القضاء على العنف والإرهاب والتطرف، وإنما هى خدمة الأهداف والمخططات الأمريكية والإسرائيلية على حساب أمننا واستقرارنا..

وكان الرئيس بوش ـ شخصياً ـ قد أعطى بياناً رسمياً حول المقصود بالاعتدال والتطرف من وجهة نظره حين ركز فى خطابه أمام معهد الديمقراطية الوطنى بواشنطن يوم السادس من اكتوبر ٢٠٠٥ على إدانة ما أسماه بـ "الإسلام الراديكالى " وقال إنه يشبه الشيوعية التى تمكنت الولايات المتحدة من هزيمتها.

وقد جاء تعبير "الإسلام الراديكالى" ليشكل تحولاً خطيراً فى الخطاب الرئاسى الأمريكى المكرس لـ"حرب الإرهاب"فبدلاً من أن يهاجم التنظيمات المسلحة اخترع بوش تعبير "جماعات الإسلام الراديكالى " أو "جماعات الجهاد الراديكالية"أو "الفاشية الإسلامية" ليجعلها هدفه الذى لابد أن ينتصر عليه كما انتصر على الشيوعية من قبل.

والخطر الذى نتوقف أمامه فى هذا التحول الحادث فى خطاب بوش أن العدو الجديد "الإسلام الراديكالى"يشبه عباءة فضفاضة يمكن أن تتسع لتشمل ليس فقط حملة السلاح ودعاة الإرهاب، ولكن أيضا كل من يختلف مع السياسات الأمريكية فى المنطقة، ومن يختلف مع السياسات الإسرائيلية.

ولم يترك لنا بوش فرصة للانتظار أو التكهن والتخمين بمن يقصدهم بهذا المسمى..لكنه سارع إلى التأكيد بأن الجماعات الراديكالية الإسلامية تتلقى الدعم من نظم شمولية مثل سوريا وإيران، والذين يشتركون معهم فى رغبة إلحاق الأذى بالولايات المتحدة ويلقون بلائمة الفشل الذين يعانون منه على الغرب وأمريكا واليهود، أو على استمرار الاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية ووجود القوات الأمريكية فى المنطقة العربية.. ودعا -بهذه المناسبة- دول العالم المتحضر إلى محاسبة هذه الدول المارقة.

وزعم بوش أن الراديكاليين يلقون الدعم كذلك من وسائل إعلام عربية

تحض على الكراهية ومعاداة السامية، وترسخ نظرية المؤامرة بالحديث عن حرب أمريكية ضد الإسلام مع تجاهل ما قدمته الولايات المتحدة من مساعدات للمسلمين فى أفغانستان والبوسنة والصومال وكوسوفو والكويت والعراق.

وهكذا فإن من لم ير - مثل بوش- أن ما فعلته الولايات المتحدة فى أفغانستان والصومال والعراق مساعدة تستوجب الشكر والامتنان يصبح من الإسلام الراديكالى، وتلصق به تهمة الحض على الكراهية ومعاداة السامية.

ويتوسع بوش فى دائرة الاتهام أكثر وأكثر لتشمل كل من يحلم من المسلمين بالوحدة أيا كان شكل الحلم، وأيا كان شكل الوحدة.

يقول بوش :" إنه مثل الشيوعية فإن الراديكاليين الإسلاميين لا يمانعون فى التضحية بأرواح الآلاف من البشر من مواطنيهم بزعم أنهم يسعون لهدف أكبر، وهو بناء امبراطورية إسلامية تمتد من أسبانيا إلى أندونيسيا، تمتلك أسلحة دمار شامل، وتقوم بتدمير إسرائيل.. وهذا لايشكل خطراً على الولايات المتحدة فقط، وإنما يهدد السلام والبشرية كلها".

وأعلن بوش أن هذا النوع من الإيديولوجية المتطرفة ـ الإسلام الراديكالى ـ لا يمكن التحاور معه أو تقديم التنازلات أو رشوته، فلا يمكن أن تقبل أمريكا بأى شئ أقل من الانتصار عليه.. وأضاف إن المسلمين الراديكاليين يحملون أيديولوجية تحض على الكراهية وتمثل تهديداً للجنس البشرى والحضارة الإنسانية..وهم أكبر تحدٍ يواجه الولايات المتحدة فى القرن الحالى، تماما كما واجهت خطر الشيوعية فى القرن الماضى.

وهكذا فإن بوش قد جعل من "الإسلام الراديكالى" عربة كبيرة وجمع فيها كل من لاتتطابق مواقفه مع مواقف أمريكا تمام الانطباق ثم وضع على هذه العربة لافتة"العدو" ودعا العالم كله لكى يطلق عليها النار..مدعياً أنه بذلك يحارب الإرهاب.

ومن ليس مع أمريكا فهو ضدها.. ليس ضدها بالمفهوم السياسى وإنما بالمفهوم الأمنى.. ومن ليس راديكاليا أمريكياً فهو راديكالى إسلامى، لابد أن يتحسس رقبته.

على هذا النحو استقر لدى إدارة بوش يقين بأن المسلمين صاروا بيئة للتطرف والإرهاب، لا يختلفون فى النوع وإن كانوا يختلفون فى الدرجة.. ومن ثم فقد أعدت لهم زعيمة العالم خططا لتهذيبهم أخلاقيا، وتعليمهم ما لم يتعلموه " حضاريا".. ورصدت من أجل ذلك الميزانيات الكفيلة بإصلاح أحوالهم.. وفق مفهوم " إعادة التأهيل" الذى يعتبر البند الأول فى "حرب الأفكار".

وقد تم تسويق خطط التهذيب للمسلمين بمسميات ناعمة يسهل تقبلها مثل " شراكة الديمقراطية" أو "الإصلاح " أو "التنوير والتحديث".. فى إطار الشرق الأوسط الكبير الذى تعاد صياغته ليصبح متلائما ومتوافقاً مع تصورات زعيمة العالم.

وفى بعض الأحيان حملت خطط التهذيب لافتات خادعة لإخفاء هدفها الحقيقى الذى لا يخرج عن تذويب الخصوصية الإسلامية بدعوى "العولمة" أو "وحدة البشرية"..أو وحدة الحضارة الأنسانية"أو "وحدة الثقافة العالمية"..وكلها - فى الحقيقة- تعنى أمراً واحداًهو سيادة الحضارة الغربية والشخصية الغربية، وطمس الثقافات الأخرى والحط من شأنها، وفى مقدمة تلك الثقافات الثقافة الإسلامية.

إنه الهدف الغربى القديم الذى يخفى فى أعماقه التعصب والاحتقار والاستعلاء.

وقد استمدت هذه الدعوة وجودها من منطق " رسالة الرجل الأبيض المتوسط إلى العالم الملون، وهدف هذه الرسالة هو سوق الناس جميعاً إلى الولاء والعبودية للسيادة الغربية، وتذويب الفكر الإسلامى فى أتون العالمية، واحتواء خصائصه ودمجها فى مفاهيم وقيم، تختلف فى جوهرها عن قيم الإسلام ومصادره الأصيلة.

وتؤكد شواهد عديدة أن محاولة الغرب لتوحيد البشرية تحت شعار "العالمية " إنما يعنى صبغها بالصبغة الأوروبية، وطبعها بطابعها، والقضاء على مقوماتها وقيمها الخاصة، وشخصيتها الذاتية، ومثلها العليا التى تختلف اختلافاً بيناً عن مقومات وفكر الغرب.

وليس صحيحاً مايردده البعض من أن الداعين إلى "العالمية"يلتمسون ما

دعت إليه الأديان من وحدة بشرية..فالفرق كبير بين غايات الأديان وغايات هؤلاء.. الذين يقولون بالعنصرية والتميز الذى ينفرد به الإنسان الأبيض.

ومن أبرز اللافتات الجذابة التى حملت شعار " العالمية" تلك الدعوة إلى الديانة الإبراهيمية باعتبارها ديانة جديدة لتوحيد بنى البشر.

وقد دعا أصحاب هذه اللافتة إلى التحلل من شرائع الأديان والاقتصار منها على الايمان بالله.. ومزج الأديان والعودة بها جميعا إلى ديانة "الإبراهيمية" على أساس أن إبراهيم هو أبو الأنبياء عليهم السلام.

وحيث إن النصرانية واليهودية الموجودتين الآن لم يبق منهما أية شرائع فيصبح المقصود من هذه الدعوة هو تحلل المسلمين من شريعتهم، وما تحمل من نظم وقوانين وحدود تمهيداً لانهيار العقيدة بأكملها.

وللأسف الشديد فقد اشترك فى رفع هذه اللافتة بعض الذين لعبت الفتن برءوسهم.. الذين لم يتعلموا من الإسلام أصوله، فراحوا يفتون بما لايعلمون.

وفى الإبراهيمية ـ على حد قول د. بنت الشاطئ- لن يكون هناك حدود ولن يكون هناك تحريم للخمر.ولن يكون هناك توحيد ولاشريعة ولاصوم ولا صلاة وزكاة.

والإسلام فى غنى عن هذه المشاركة وهذا الخلط..والمسلمون ليسوا على استعداد لإسقاط ركن واحد من أركان الإسلام ونظمه وشرائعه حتى لاتحل علينا نقمة ربنا إذا آمنا ببعض الكتاب وكفرنا ببعضه.

ومثلما ظهرت الدعوة إلى "الإبراهيمية"الخادعة ظهرت دعوات أخرى إلى إصلاح الإسلام، أو تحديث الإسلام، ليتواكب مع النظام العالمى الجديد،الذى انفردت أمريكا بقيادته،وأصبحت هى مصدر قيمه وتشريعه، وبيدها وحدها تحديد معايير الصواب والخطأ فيه، وما يصح وما لا يصح، عبر آلة الدعاية والإعلام، فهى سلاحها البتار فى " حرب الأفكار".

وقد تفاوتت الدعوات إلى إصلاح الإسلام،أو تحديثه، بين ماهو علنى فج يعلن ـ صراحة- أن هناك شيئاً خاطئاً ينبغى تصويبه فى المسلمين، وفى الثقافة الإسلامية، وربما فى الدين الذى يدينون به، وما هو مستتر يردد الهدف نفسه، ورفع المطلب نفسه، ولكن بكلمات رقيقة معسولة، يسهل تجرعها وهضمها.

أصحاب الدعوة العلنية الصريحة كتاب وسياسيون غربيون، يرون أن الإسلام هو المسئول عن تدمير برجى التجارة العالمى بنيويورك فى ١١ سبتمبر، وهو بذلك يمثل تحدياً حضارياً وخطراً حقيقياً على الحياة الغربية وقيمها ومنجزاتها.. ومن ثم يجب إعادة النظر فى ركائز هذا الدين ومنطلقاته لتطويرها، بما يؤدى إلى خفض صوت الإسلام،وخفض هامته، وتخفيف حضوره، وإلغاء دوره فى الحياة إن أمكن، فلا يبقى منه إلا الشعائر والعبادات، ولا مانع أن يظل المسجد للإسلام، أما الوطن والشارع فللغرب، وللنمط الأمريكى تحديداً.ولتحقيق ذلك ينبغى العمل على تقليص جرعة التعليم الدينى، وتهميش المناهج الدينية، ووضع الدين فى علاقة تصادمية مع قيم الحياة المعاصرة، مع التحضر والرقى والرفاهية والسلام والاستقرار والأمن.. فيسهل ربط الإسلام دائماً بدلالات وانطباعات سلبية حتى فى وطنه.

أما أصحاب الدعوات المستترة فهم رسميون، أو شبه رسميين، يضعون دعواتهم فى نصائح يعلمون مقدماً أنها واجبة التنفيذ.. ومن أمثلة هذا النوع تلك النصيحة التى قدمها رئيس الوزراء البريطانى السابق تونى بلير بأن يعمل زعماء الدول الإسلامية من أجل أن يهيمن الإسلام العادى - أو الإسلام الرئيسى- فيخضع له المسلمون كافة فى شتى أنحاء العالم، وما هذا الإسلام العادى أو الإسلام الرئيسى إلا الإسلام الذى يريده تونى بلير والغرب، وما هذه النصيحة إلا دعوة لفرض إصلاح دينى على أمة الإسلام من خارجها، أو فرض دين جديد على المسلمين ينسجم مع القيم الغربية والنظام العالمى الجديد.

والواقع أن أصحاب الدعوات لإصلاح الإسلام - العلنية والمستترة- يخطئون فى تشخيص العلة التى يريدون علاجها، وبالتالى يخطئون فى العلاج، فالذين مارسوا ويمارسون الإرهاب ضد أهداف أمريكية لم يمارسوه هواية أو احترافاً، وإنما هناك دوافع سياسية قبل أن تكون دينية هى التى حركتهم.. والمنظمات التى تحارب ضد إسرائيل وضد الهند والفلبين وروسيا لا تحارب لأن دينها يحرضها على تدمير حضارة هذه البلاد، أو لأنها حاقدة على حكوماتها، ولكن لأن هناك حقوقاً ضائعة، وعدالة مفقودة، وشرعية

دولية مهدرة، وقرارات صدرت من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وتم تجاهلها تماماً من منطلق القوة، وهناك مظالم كثيرة وقعت على شعوب مستضعفة ولا تجد من يردها، ومن ثم لم يكن هناك بديل عن الحرب، التى اتخذت شكلاً من أشكال العمليات الفدائية نظراً لانعدام التكافؤ فى الحرب النظامية بين الطرفين.

إنها حرب سياسية إذن ووطنية، ويلعب الدين فيها عاملا مساعداً،خاصة عندما يرتبط العدوان على الشعوب وعلى الوطن بالاعتداء على المقدسات.

المنظمات الفلسطينية مثلاً لاتحارب اليهود لأنهم يهود.. ولكن لأنهم اعتدوا على أرض فلسطين اغتصبوها،وطردوا أهلها منها واستدعوا مهاجرين من شتى بقاع الأرض ليسكنوا فى هذه الأرض بدلاً من الشعب الذى عاش فيها آلاف السنين.. ولو افترضنا -جدلا- أن إسرائيل لم تحتل فلسطين ولم تطرد أهلها هل كان هناك مبرر لهذه الحرب التى يسمونها بالإرهاب؟!

ولو تصورنا- جدلا-أن أمريكا اتخذت موقفاً عادلاً بين المعتدى والمعتدى عليه، ولم تساند إسرائيل بالمال والسلاح والفيتو هل كان هناك مبرر لأن تكون مصالحها هدفاً للضرب والانتقام؟!

إن هناك أسباباً سياسية وإنسانية ووطنية ودينية تدفع الناس فى ظرف تاريخى معين إلى أن يتركوا مشاغلهم وحياتهم الخاصة، ويتحولوا إلى محاربين وفدائيين يقاتلون ويقتلون، وكل الشعوب خاضت هذه التجربة عندما كانت أرضها محتلة، لكن المشكلة أن أوضاعاً كثيرة فى العالم تمت تسويتها فى ظل ضعف المسلمين، وكانت هذه التسوية على حسابهم، ولذلك تشعر الأجيال الحالية بالقهر، وتلجأ للحرب والعنف من أجل الحصول على حقوقها المهدرة.

كيف يسمى هذا بإرهاب.. وكيف يلصق هذا الإرهاب بالدين؟!

لقد أوصى الإسلام أتباعه بالتعايش مع كل البشر تحت لافتة " لا إكراه فى الدين" و"لكم دينكم ولى دين" و"فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم" لكنه فى الوقت ذاته حث أتباعه على رفض الذل والهوان، والتضحية بالروح من أجل الوطن والعرض والأرض.. وليس هناك معنى للدعوة المرفوعة فى الغرب لإصلاح الإسلام إلا تفريغ الإسلام من هذا المضمون النضالى.

هناك من يتخوف من مصطلح" الجهاد " ويراه عنوان الإرهاب فى الإسلام، ويريد شطب هذه الكلمة تماماً من قاموسنا، فى حين أن الجهاد فى الإسلام هو المحرك الأساسى لقيمة العطاء والتضحية والبذل عندما يستدعى الأمر ذلك من المسلم، والجهاد لم يشرع العدوان أبداً" إن الله لايحب المعتدين " وإنما شرع الدفاع عن النفس وعن الوطن وعن الأهل عندما يتعرض كل هؤلاء للقهر والذل.

فى الحرب.. أرسى الإسلام قيم الفداء لاستنهاض همة الأمة وعزيمتها أمام المعتدين..وفى السلم أرسى قيم التعايش والسلام والمودة والمساواة والعدل والتعاون والتعارف، والمسلمون لا ينعمون بالسلام اليوم فى بقاع كثيرة من الأرض، وإنما يعيشون فى ظل محاولات لفرض واقع استسلامى عليهم بالقوة.. والأعجب أن تصاحب ذلك الواقع الأليم دعوات لما يعتبرونه " إصلاح الإسلام" حتى يتم نزع روح المقاومة منه، ولايبقى فيه إلا الإسلام العادى، الإسلام الرئيسى، أى الشعائر والعبادات فقط لاغير.

وحتى هذا الدين العادى لم يسلم من العبث ومحاولات إعادة الصياغة..فقد نشطت دعوات متتالية لإجراء عمليات فك وتركيب للإسلام لكى يأخذ شكلا مناسباً لزمن بوش.. لكن المشكلة أن الدين الجديد الذى قدموه على أنه الإسلام بعد التعديل لم يكن أكثر من إسلام مشوه وملفق.. بينما احتفظ الدين الإسلامى بنقائه وثوابته.

والغريب أن الدين الجديد لم يقدم بحسبانه إنجازاً بشرياً وإنما باعتباره الدين النموذجى الذى لا يقبل النقد ولا يتسع للاجتهاد.. وعلى هذا النحو أسقط الدين الجديد حرية الفكر وحرية الاختيار..وأعلن قيماً مستحدثة.. مثل الحرية الجنسية، وتقنين الدعارة وحقوق الشواذ ومنع ختان الذكور وتجريم تعدد الزوجات وتغيير الخطاب الدينى وتغيير المناهج الدراسية وإلغاء مبدأ الجهاد والشهادة وحق المقاومة.. وجعل من مقررات مؤتمرات السكان نصوصاً مقدسة واجبة التطبيق ولو بالقوة، فى الوقت الذى يتم فيه سحب البساط من تحت أقدام الشريعة بدعاوى التحديث والتمدين.

ولم يعد هناك مجال لأن تكون الدعوة للدين الجديد بالحكمة والموعظة الحسنة.. فلقد قدمت الإدارة الأمريكية النموذج الذى يرهب الجميع حينما

غزت العراق، وأعلنت أنها جاءت لتحريره، وأنه سيكون واحة الديمقراطية فى المنطقة العربية.. وعندما كانت أصوات الانفجارات تدوى فى كل المدن العراقية كانت أبواق الاحتلال تصر على أن الشعب العراقى استقبل قوات التحالف بالورد.. وأن عمليات المقاومة تقوم بها قلة ضئيلة من الإرهابيين الأجانب.

وفى الوقت الذى كان الدين الجديد يبذل كل إمكاناته وقدراته لتهميش الدين الرسمى للشعب، وإلغاء دوره فى المجتمع، كان يفتح كل الأبواب باسم الحرية أمام هيئات التبشير الآتية من كل حدب وصوب لتزرع الفتنة فى أرض الرافدين.وتفرق بين أبناء الوطن الواحد على أساس الطائفة أو العرق أو اللغة.. أو أى شئ آخر يمكن أن يكون أداة لتمزيق الوحدة، وقطع أواصر الدين والدم والتاريخ.

من أجل ذلك..حظى النموذج الأمريكى بأكبر قدر من الرفض ومن الكراهية.. فالمفروض مرفوض.. مهما كان بريقه، ومهما كانت الدعاية المصاحبة له.

وقد انتهت اللعبة بسقوط الدين الأمريكى الديكتاتورى الجديد، كما سقطت من قبل أديان زائفة كثيرة.. فهكذا اقتضت حكمة الله جل شأنه : " فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض" صدق الله العظيم.

وأبلغ دليل على هذا السقوط ما رصدته الدكتورة ليلى أبو لغد الأمريكية من أصل فلسطينى، التى تعمل أستاذة لعلم الاجتماع فى جامعة كولومبيا الأمريكية، وهى ابنة إبراهيم أبو لغد الأستاذ الجامعى الأمريكى الفلسطينى الراحل، وقد تخصصت على مدى ثلاثين عاماً فى إجراء الأبحاث والدراسات العلمية والميدانية على أوضاع المرأة العربية والمسلمة فى مختلف البيئات البدوية والريفية والحضرية.

والدكتورة ليلى أبو لغد تعترف بأنها من مؤيدات الحركة النسوية التى تدعو لمساواة المرأة بالرجل فى كل شىء، وتؤيد أيضا حركة "النسوية العالمية" التى تشمل المرأة فى أفغانستان وغيرها من الدول الإسلامية، وتريد مساواتها بالرجال فى هذه الدول، فى كل شىء.

فى عدد الأربعاء ٨ أغسطس ٢٠٠٧ نشرت صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية دراسة علمية للدكتورة ليلى أبولغد تحت عنوان "لماذا فشلت أمريكا فى تحرير الأفغانيات"؟ تضمنت حقائق مذهلة، وصراحة لم نتعودها من الباحثين الأمريكيين، خصوصاً إذا كانت أصولهم عربية.

فى بداية الدراسة أشارت د.ليلى إلى خطاب وجهته لورا بوش زوجة الرئيس بوش عبر التليفزيون إلى الشعب الأمريكى بعد شهرين اثنين فقط من هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وشهر واحد من غزو أفغانستان قالت فيه: "بسبب انتصاراتنا العسكرية فى جزء كبير من أفغانستان لم تعد النساء هناك سجينات منازلهن، وبإمكانهن أن يستمعن إلى الموسيقى.. فالحرب ضد الإرهاب هى أيضا حرب ضد اضطهاد المرأة"..

وخلصت د.ليلى من هذا الخطاب إلى أن بوش وزوجته يخلطان بين الثقافة والسياسة، وقد صورت لهما أوهامهما أن المرأة الأفغانية سوف تخلع الحجاب "البرقع" فور سقوط حكومة طالبان وترتدى الجينز وفساتين شانيل بعد إحساسها بالتحرر واقتناعها بالتطور.. ثم تبين للجميع فساد هذا التصور.. وتعقب على ذلك قائلة: "ها هى سنوات ست قد مرت، ويبقى وعد لورا بوش عصياً على الوفاء به، وهو أمر يشغل الباحثات الأمريكيات المهتمات بدراسة الظاهرة!"

وربطت بين خطاب لورا بوش وظاهرة تركيز الاستعمار الغربى على "تطوير المرأة" فى المجتمعات العربية والإسلامية، وفشله منذ أكثر من ١٥٠ عاماً فى إحراز تقدم كبير يذكر فى هذا الصدد.. ثم طرحت السؤال التالى: لماذا يركز الاستعمار كثيراً على قضايا المرأة فى مجتمعاتنا؟!

وأكدت الدراسة أن المرأة الأفغانية ترى أن الحجاب "البرقع" يحررها ويقيها من أذى الرجال ونظراتهم التى لا تريدها هى.. وسألت د.ليلى: أى الملابس النسائية أكثر تحرراً.. ملابس الأفغانية أم ملابس الأمريكية؟!.. وقالت إن البرقع فى نظر المرأة التى ترتديه يعنى التحرر لأنه يعزلها عن الرجال كما تشاء هى، ويمكنها من أن تختلط بالرجال بطريقتها الخاصة وتمشى فى الأسواق، والأماكن العامة.

وتفسر المرأة الأفغانية "الملابس المتحررة" كما تريد، وتقصها وتخيطها كما

تريد، لكن المرأة الأمريكية تشترى ملابس جاهزة، ولهذا تتأثر بتفسير بيوت الأزياء لـ"الملابس المتحررة".. ومن هنا جاء تعبير "ديكتاتورية الموضة".. لأن بيوت الأزياء الأمريكية تغير الموضة كل موسم، وتحاول الأمريكيات تقليدها. ويتنافسن فى ذلك، ويتفاخرن وتفوز اللواتى عندهن مال أكثر من غيرهن.. فأيهما أفضل: ديكتاتورية الموضة أم "حرية البرقع"؟!

وقالت د.ليلى أبولغد إن الاختلاف بين الأفغانية والأمريكية على تفسير كلمة "احترام" يدعو للبحث عن جذور الكلمة، فهى كلمة لها جذور دينية عند كثير من الشعوب، كأن تلبس الأمريكية ملابس "محترمة" داخل الكنيسة.. لكن الإسلام يؤثر على ملابس المسلمات أكثر من تأثير المسيحية على ملابس المسيحيات، ولهذا لا تبحث المسلمة عن ملابس "محترمة" لدخول المسجد، لأن كل ملابسها "محترمة".

ونقلت د.ليلى عن دراسة لـ"صباح محمود" الأمريكية المصرية وأستاذة علم الاجتماع فى جامعة كاليفورنيا فى بيركلى قولها: إن المسلمات المصريات يمارسن طقوساً دينية ليبرهن على طاعة الله، بالإضافة إلى طاعة الله الروحية، وأشارت إلى الصلاة والصيام وطقوس الفرح والحزن، وإدخال عبارات دينية فى الكلام والكتابة حتى بدون تفكير.. وهذه أمثلة لـ"ممارسات أخلاقية".. وفى هذا الإطار فإن زيادة لبس الحجاب وسط المصريات تعد واحدة من هذه الممارسات الدينية أو الأخلاقية، والمرأة التى تلبس الحجاب لا تفعل ذلك لمجرد أن تغطى جسمها، أو تتحاشى عيون الرجال، أو تعلن أنها إسلامية أو أصولية، ولكن لأنها فى أعماقها ترى الحجاب نوعاً من أنواع العبادة، ودليلاً لنفسها هى لا لغيرها على تقربها من الله.

وتتساءل د.ليلى فى ختام دراستها: لماذا يصر الأمريكيون على "تحرير" المرأة الأفغانية.. وماذا لو حررناها ثم أصرت هى على أن ترتدى البرقع.. ولماذا – أساساً – نريد إنقاذ الآخرين؟.. ثم تقول إن الأمريكيين لا يحترمون الثقافات الأخرى، وإصرارهم على إنقاذ المرأة المسلمة يدل على استعلاء له جذور قديمة.. لذلك لابد من مواجهة هذا الاستعلاء.

ثم.. هل تحتاج المرأة المسلمة لمن ينقذها؟!.. ومن ماذا؟!

هذا خبر ما عندهم فى أفغانستان.. وقد استطاعوا أن يواجهوا " حرب

الأفكار" بالثبات.. أما خبر ما عندنا.. فى هذا الصدد.. ففيه كثير مما يحزن القلب.. وسوف أتعرض لنموذج واحد لعله يكشف مدى الهزة التى أصابت قطاعاً من بيننا كانوا هم الأكثر قابلية للهزيمة.

فقد شهد شهر فبراير ٢٠٠٨ حدثاً مثيراً.. حيث توجه ما يسمى بـ "الاتحاد العربى لمنظمات المجتمع المدنى" بقائمة من الأسئلة إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف طلباً للموافقة عليها..وكان فى ذلك متأثراً - بالطبع - بشعارات إصلاح الإسلام التى تدوى من حولنا، ومن الواضح أن الأسئلة التى حملتها القائمة جاءت متوافقة مع أجندة الإصلاح المفروضة من الغرب، والتى تعكس رؤيته وأهدافه وأولوياته.. وكلها أسئلة ذات مغزى معروف.. لأنها مستقاة من الغثاء الذى يطرحه علينا الغرب لتحقيق هدف واحد هو هدم الأسس التى يقوم عليها ديننا الحنيف واختراع دين جديد ملفق.. يتماشى مع قناعاته وأفكاره التى تحللت تماماً من أى مقدس دينى.

- أول تلك الأسئلة كان عن الرأى الشرعى فى اقتراح بمنع تعدد الزوجات وتجريم الرجل الذى يرتكب هذا التصرف..وقد رد مجمع البحوث بأن التعدد مباح بحكم شرعى قطعى الثبوت والدلالة، ولا محل للاجتهاد فيه.

- السؤال الثانى كان عن الرأى الشرعى فى عدم تحريم وتجريم الزنى إذا ما ارتكبته الزوجة خارج بيت الزوجية وقصر تحريك الدعوى ضد المرأة إذا أتت هذا الفعل على فراش الزوجية فقط.. وهنا أوضح مجمع البحوث على أن الزنى محرم قطعاً بأدلة قطعية الثبوت والدلالة لا اجتهاد فيها.. سواء أكان هذا الزنى فى فراش الزوجية أم غيره.. بالنسبة للرجل والمرأة على حد سواء.

وأرجو أن تلاحظ هنا أن المقترح الأول يدور حول تقييد الحلال ومنعه..بينما يدور المقترح الثانى حول تيسير الحرام وإباحته.

- السؤال الثالث يتعلق بإباحة الإجهاض فى حالات الحمل السفاح الناتج عن علاقة غير شرعية..وكذلك إباحة عمليات ترقيع غشاء البكارة لأى فتاة فقدت عذريتها مع عدم سؤالها عن الظروف التى فقدت فيها العذرية.. وقد أوضح مجمع البحوث الإسلامية أنه لا يجوز الإجهاض فى حالات الحمل السفاح الناتج عن حالات غير شرعية، كما لا يجوز إعادة العذرية والترقيع فى كل الأحوال.

- السؤال الرابع اقترح وقف وصاية الآباء على الأبناء بعد سن ١٦ سنة خاصة البنات، وعدم سؤالهن عن علاقاتهن، وعدم العقاب عن التأخر والمبيت خارج المنزل.. وجاء رد مجمع البحوث برفض الاقتراح تماماً.

- السؤال الخامس تناول حق الزوجة فى إقامة الدعوى الجنائية ضد زوجها وعقابه بالحبس فى حالة قيامه بالعلاقة الشرعية دون رغبتها فيما يسمى بـ " اغتصاب الزوجة " وقد أكد مجمع البحوث أن ذلك لا يعد اغتصاباً ولا يحق للزوجة تقديم دعوى جنائية.

- السؤال السادس يدور حول التعديلات المقترحة لقوانين المواريث بحيث يتساوى الرجل مع المرأة فى الميراث تحت شعار " المساواة"، وقد أكد مجمع البحوث أن المواريث محكومة بنصوص قطعية الثبوت فلا يجوز تعديلها أو الخروج عنها.

- السؤال السابع يعرض اقتراحاً بتقسيم ثروة الزوج والزوجة مناصفة فى حالة الانفصال بالطلاق.. وقد أوضح مجمع البحوث الإسلامية أنه لا يمكن تطبيق هذا الاقتراح لاصطدامه بالنصوص الشرعية.

- السؤال الثامن يتضمن اقتراحاً بأن تخلع المرأة زوجها قبل أن تواجه الحكم بالحبس فى تهمة الزنى أو تعددالأزواج.. حتى تتخلص من حكم الحبس..وقد أفتى المجمع بأنه لا محل للخلع فى هذه الحالة.

- السؤال التاسع يتعلق بحق الزوجة فى أن تطلب أجرة من زوجها مقابل عملها فى بيت الزوجية.. وأفتى المجمع بأن عمل المرأة فى بيتها يأتى من قبيل حسن المعاشرة الزوجية وتبادل المنافع بين الطرفين وليس من حقها أن تطلب أجرة عليه.

- السؤال العاشر يتضمن اقتراحاً بإلغاء المهر المقرر للعروس عند الزواج.. لأنه - فى نظرهم - يحول الفتاة إلى سلعة.. وقد أفتى المجمع بأنه لا يجوز شرعاً إلغاء المهر فى عقود الزواج لثبوت ذلك للمرأة بنصوص قطعية الثبوت والدلالة.

وهكذا فإن الأسئلة عرضت أموراً صادمة ومتناقضة لما هو معلوم من الدين بالضرورة.. ولذلك كان رفض مجمع البحوث الإسلامية حاسماً وقاطعاً..

ولعلك لاحظت أن الاقتراحات كلها تتعلق بالدين الإسلامى فما يبيحه الإسلام مطلوب حظره وما يحظره مطلوب إباحته.

وإذا جاز لنا أن نتفهم دوافع الغرب من أجل تغيير ديننا الإسلامى، بعد أن فشل فى نزعه من صدورنا فإنه من الغريب جداً أن تأتى المحاولة هذه المرة بأيد عربية مفضوحة.. متصورين أن الناس يمكن أن تتقبل ألاعيبهم إذا حملت لافتة عربية.. وأن تتقبل الدين الجديد الذى يلفقونه بتدبير وتأليف وتمويل غربى.

لقد اختلطت المفاهيم إلى حد مرعب.. وما حدث على صعيد الدين حدث مثله وأسوأ منه على مستوى السياسة فى إطار " حرب الأفكار".. وقد ظهر ذلك من خلال المصطلحات التى درجنا على استخدامها فى الصراع مع العدو الصهيونى..كانت مصطلحاتنا فى الماضى عندما تتناول الصراع تستخدم كلمات مثل " المقاومة " و " الجهاد "و"الفدائيين" و " الاستشهاد" و" العمليات الفدائية "و"الاحتلال" و "القضية"و" الاستقلال" و"الجلاء" و"التحرير"..الآن تغيرت هذه الكلمات..أو "المصطلحات" التى تبدو قديمة وغير مواكبة للعصر.. لتحل محلها مصطلحات أخرى مثل " الإرهاب" و"العمليات الانتحارية"..رغم أن أحداً فى العالم حتى الآن لم يستطع أن يقدم تعريفاً صحيحاً للإرهاب يفصله تماماً عن المقاومة التى هى حق مشروع لكل الشعوب المحتلة من قبل جيوش أجنبية.

وقد نشرت صحيفة "إندبندنت" البريطانية تقريراً خطيراً فى الحادى عشر من ديسمبر عام ٢٠٠٢ لمراسلها فى القدس المحتلة واسمه " فيل ريفز " كشف فيه عن وجود تعليمات سرية تحرص الحكومة الإسرائيلية على التذكير بها كل فترة، وتطلب فيها من الصحفيين والإعلاميين والسياسيين الإسرائيليين عدم استخدام ألفاظ ومصطلحات معينة، وتشدد فيها على ضرورة استخدام الكلمات والمصطلحات التى تروج وتعبر عن وجهة النظر الإسرائيلية، مثل استخدام كلمة " التوغل" فى مدينة كذا، بدلاً من كلمة «الهجوم» على مدينة كذا وكلمة " الحملة العسكرية" بدلاً من كلمة " العدوان" أو "الاحتلال".. والإرهاب بدلاً من المقاومة، وإعادة الانتشار بدلاً من الجلاء، ومطالب الفلسطينيين بدلاً من حقوق الشعب الفلسطينى، والأرض المتنازع عليها بدلاً

من الأرض المحتلة، والانتحاريين بدلاً من الشهداء، والمسلحين بدلاً من رجال المقاومة، والمصادمات بدلاً من الانتفاضة.

وفى ٢٠٠٣/٨/١٤ نشرت صحيفة " يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية تقريراً - لأول مرة - تضمن تعليمات صدرت بقرار مباشر من مكتب إرييل شارون وقت أن كان رئيساً لوزراء إسرائيل.. وتقضى التعليمات - حرفياً - بضرورة:" التوقف عن استخدام ألفاظ ومصطلحات مثل الاحتلال أو الاستقلال أو الجلاء أو الجهاد أو الاستشهاد أو الانتفاضة أو المقاومة أو الفدائيين أو غيرها من المصطلحات التى تضر بأمن إسرائيل" هكذا نصاً!!

وقد علق على ذلك الكاتب شفيق أحمد على فى جريدة روز اليوسف يوم ٣١ يناير ٢٠٠٨ قائلاً :" المحزن أن شارون أصدر هذه التعليمات ليلتزم بها الصحفيون والإعلاميون والسياسيون فى إسرائيل.. لكن بعض إعلاميينا وسياسيينا وصحفيينا التزموا هم أيضاً بهذه التعليمات فيما يبدو، وبالتالى اختفت من صحفنا ومن نشراتنا الإخبارية كل الكلمات والمصطلحات التى تحض على الجهاد والاستشهاد والمقاومة، وأصبحنا محاصرين بكل هذا الاستسهال فى استخدام مصطلحات " صهيو - أمريكية " وخلافية مثل الإرهاب والإرهابيين والهجمات الانتحارية وغيرها من مصطلحات التزييف والتضليل التى ما زالت تقصفنا بها أمريكا وإسرائيل ونرددها كالببغاوات بلا تدقيق ولا تحليل!! وهل هناك أسوأ من أن تنساق إلى استخدام مصطلحات ومفردات عدوك بإرادتك؟!



# حرب العناوين المضللة

## تقارير الحريات

فى كل عام تصدر وزارة الخارجية الأمريكية تقريراً عن حقوق الإنسان فى العالم.. ويصدر الكونجرس تقريراً عن أوضاع الحريات الدينية بناء على توصيات لجنة مهمتها مراقبة هذه الحريات الدينية فى كل بقاع الأرض.

وفى السنوات الأخيرة تقوم الخارجية الأمريكية بإصدار تقرير سنوى مستحدث.. بمقتضى قانون مكافحة العداء للسامية الذى يهتم برصد حالات معاداة السامية فى مختلف أنحاء العالم والتنسيق مع حكومات الدول لمكافحتها.

وبناء على ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تطارد العالم بثلاثة تقارير رقابية على الأقل فى العالم، وعلى رأس البلدان المستهدفة بهذه التقارير تأتى الدول العربية والإسلامية.. ومعظم هذه الدول واقع فى مرمى النيران الأمريكية من خلال استراتيجية الحصار والاحتواء..ومن ثم تأتى تقارير الحريات وحقوق الإنسان سيفاً مصلتا على رقاب العرب والمسلمين حتى يندمجوا بالكامل فى النظام العالمى بقيمه الغربية وتقاليده وثقافته ومراميه.. ويتخلوا عن خصوصيتهم وأهدافهم ومصالحهم.

ونظرة سريعة على بعض نماذج تلك التقارير تشير بجلاء إلى الهدف

الحقيقى من ورائها.. والمخططات التى تسعى لتحقيقها.. خصوصاً إذا تأكد أن هذه التقارير غالباً ما تأتى مفصلة ومركزة على البلدان الإسلامية المؤثرة.. وبالذات مصر والسعودية.

فى التقرير الخطير الذى أعدته لجنة الحريات الدينية بالكونجرس عام ٢٠٠٢ ضد مصر فقرة خطيرة تقول :"إن الإسلام يُعقّد حرية الفكر والاعتقاد لدى الإنسان، وهو ما يعنى مخالفته لمبادئ القانون الدولى، والأسس الدولية المرعية لحماية حقوق الإنسان، ومن ثم يجب التنبيه على الحكومة المصرية وغيرها من حكومات الدول الإسلامية أن تحذف من معتقداتها الدينية كل ما يخالف الحرية الشخصية للإنسان وحرية فكره.. وحتى لو ورد ذلك فى القرآن فعلى رجال الدين أن يؤولوه بما يتسم مع المبادئ الدولية.. فإذا لم يفعلوا ذلك سيكونون من دعاة الإرهاب، وينطبق مفهوم محاربتهم فى إطار الحملة ضد الإرهاب الدولى".

معنى هذه الكلام - وبصريح العبارة - أن لجنة الحريات الدينية تشمر عن ساعدها لتمارس أسوأ ديكتاتورية دينية ضد الإسلام والمسلمين.. وهى ديكتاتورية لم يعرفها التاريخ البشرى من قبل، حتى فى أسوأ مراحله ظلاماً وظلماً..إذ لم ينقل إلينا المؤرخون أن دولة عظمى فى فترة زمنية معينة تدخلت لتغيير الأسس العقيدية لديانة سماوية بأية حجة ولأى سبب.

على مدى التاريخ هناك مظالم وقعت من الدول القوية المدفوعة بالغطرسة والرغبة فى الهيمنة ضد الأقليات وضد الشعوب المستضعفة وضد المخالفين فى العقيدة وأحياناً فى المذهب.. لكننا لم نسمع أن دولة عظمى متكبرة فى زمانها تتدخل بالقوة وبالضغوط وبالعقوبات لتغير من أسس العقيدة المخالفة لها.ولتجبر علماء هذه العقيدة أن يبدلوا ويؤولوا فيها.. فإذا لم يفعلوا صاروا من دعاة الإرهاب.وأصبح واجباً أن يحاكموا ويحاصروا ويضربوا فى إطار الحملة الدولية على الإرهاب.

تقرير لجنة الحريات الدينية بالكونجرس لا يريد أن يترك للمسلمين حرية الاعتقاد..أو حرية ممارسة دينهم الذى عرفوه وآمنوا به..وقد وصل الفجور بالتقرير وبمن كتبه أن يطالب بتأويل القرآن، أو تغييره، حتى يتلاءم مع مبادئ القانون الدولى والأسس الدولية المرعية لحماية حقوق الإنسان.

ومفهوم طبعاً أن التقرير لا يفرض القانون الدولى الذى نعرفه والذى نطالب بتطبيقه فى النزاعات المشتعلة ضد المسلمين فى فلسطين والعراق والسودان والشيشان وكشمير..لا.. إنه يطالب بفرض الرؤية الأمريكية للقانون الدولى، والقيم الأمريكية لحقوق الإنسان، وأولها حق الشذوذ وحق الزنى وحق الدعارة.

ولا شك أن هناك دولاً ومؤسسات دينية و طائفية كثيرة فى العالم تقف ضد بعض القيم الأمريكية لحقوق الإنسان، كالفاتيكان مثلاً الذى يرفض حق الإجهاض، لكن لجنة الحريات بالكونجرس أصبحت لا ترى مخالفات من أحد للقيم الأمريكية إلا هؤلاء المسلمين المستضعفين.

هناك الهندوسية والبوذية والكاثوليكية وغيرها من المعتقدات التى تحرم وتحلل.. لكن الإسلام صار هو الهدف.. وهو الدين الوحيد المطلوب تغييره ليحل محله دين جديد من وضع الأمريكان وقد سمّوه دين "القانون الدولى" الذى تسعى أمريكا لفرضه على المسلمين بالقوة.

هل هذه هى الحرية الدينية التى ينادى بها الكونجرس ؟!

إن المسلمين لم يفرضوا معتقداتهم على أحد.. ولم يفرضوا شريعتهم على أحد..إنهم فقط يريدون أن يعيشوا بسلام فى هذا العالم وفقاً لمعتقداتهم وقرآنهم..وهذا - على ما يبدو - قد أصبح مطلباً بعيداً..وإذا كان القانون الدولى يحكم سياسات الدول ولا ينفذ إلى معتقدات الشعوب فإن الدول الإسلامية هى أول من يلتزم بهذا القانون، فى حين ينتهكه غيرها كل يوم، ويخرق حقوق الإنسان فى وضح النهار دون أن يحاسبهم أحد.

نحن نعرف أن كل الدول الاستعمارية التى احتلت الشعوب الإسلامية والعربية تنبهت لخطورة القرآن وأرادت أو حاولت أن تعبث فيه، بيدها مباشرة أو بيد عملائها..لكن القرآن خرج من كل المعارك منتصراً حتى وصل لأيدينا! لأن الله - سبحانه وتعالى - تعهد بحفظه "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".. وسوف ينتصر القرآن فى معركته الحالية..وسيبقى معجزة الله الخالدة بينما يفنى المضلون المستكبرون.

ومعركة القرآن معركة حقيقية ظهرت بوادرها فى تصريح للسيدة كوندوليزا رايس مستشارة الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى فى بداية أكتوبر٢٠٠٢

قالت فيه :" إن التفوق العسكرى الأمريكى يفرض مسئوليات لتأمين ازدهار بعض القيم الليبرالية..والنضال من أجل هذه القيم يجب ألا يتوقف عند حدود الإسلام".

وهكذا بشرتنا السيدة الفاضلة بالمعركة التى تخوضها أمريكا لنشر قيمها ومعتقداتها على حساب قيمنا ومعتقداتنا.

وهنا يجب أن يتذكر الأمريكان أنه عندما كانت الريادة الحضارية للعرب، وكانوا يمتلكون زمام التفوق العسكرى لم يتدخلوا لتغيير أية عقيدة، ولم يعبثوا بثوابت أى كتاب مقدس.. بدليل احتفاظ غير المسلمين بكتبهم المقدسة وبمعتقداتهم كما هى..فأينا أكثر تحضراً وتمسكاً بالحرية الدينية؟!

ولم يتوقف التقرير المريب عند هذا الحد وإنما روج لافتراءات وأكاذيب كثيرة حول ماسّماه بالاضطهاد الدينى.. وقدم للكونجرس توصيات عقابية لتطبيقها ضد مصر..والسبب فى ذلك معروف فمصر بمثابة الرأس فى الأمة العربية والإسلامية.. وإذا حوصرت - لا قدر الله - بمثل هذه الاتهامات الظالمة، وخضعت للابتزاز، فإن الأمة كلها ستكون سهلة التركيع والانسحاق.

لم يأخذ التقرير المريب والمشبوه بالشهادات التى قدمتها وفود الكنائس الأمريكية التى زارت مصر.. وتجولت فى المدن والقرى المصرية.. وزارت الكنائس والمساجد، وزارت الأزهر والمقر البابوى وكتبت كلاماً حقيقياً ومشرفاً يتمنى الأمريكيون أنفسهم أن يقال عن بلادهم.

يزعم التقرير أن مصر لا تحترم الحريات الدينية، وتمارس نوعاً من الضغط والابتزاز على كل أصحاب الديانات غير الإسلامية..وتضيق من هامش الحريات الدينية إلى الحد الذى لا يستطيع معه أصحاب الديانات الأخرى ممارسة أية شعائر خاصة بهم، والحكومة المصرية تتجاهل دائما مطالب الأقليات الدينية الأخرى أو شكاواها المتكررة، خاصة الأقليات التى تتعرض لاعتداءات صارخة وانتهاكات جسيمة..وتجبر أفراد الأقليات الدينية على ألا يشكلوا أية تجمعات حتى لو كانت غير سياسية أو يكون هدفها مساعدة الآخرين من الطائفة ذاتها..كما أن الحكومة تجبر العديد من الأقليات الدينية على أن تكون أماكن عبادتها محدودة للغاية، وأن غالبية أماكن العبادة تقع فى مناطق متفرقة فى حين توفر للأكثرية

الدينية"المسلمين" ممارسة عباداتهم بالشكل الذى يرونه وفى المكان الذى يختارونه وتعتبر الأقلية المسيحية أحسن حالا من كل أصحاب الديانات الأخرى غير المسلمة،إلا أن ذلك يستهدف اخفاء الفظائع والأهوال التى ترتكب فى حق الأقليات الدينية.. فالمعابد اليهودية أصبحت فى طريقها للانقراض ووجودها صار رمزيا وفى مناطق محددة للغاية.

بالطبع.كل هذا الكلام الخبيث كاذب ومخادع ولا يمت للحقيقة بصلة، فالدستور والقانون يضمنان حرية العبادة والاعتقاد والمساواة بين جميع المواطنين بصرف النظر عن الانتماءات الدينية والعرقية.والخطوات التى اتخذتها الحكومة خلال السنوات الماضية فى مسألة أماكن العبادة أعطت للأقليات الدينية أكثر مما حملته نصوص القانون والدستور.. ولكن لأن القضية هنا هى حالة التربص والمقصود هو التشويه المتعمد فإن كل خطوة تتخذ تترجم إلى العكس مباشرة.. فالحكومة المصرية - حسب التقرير - تعطى بعض المناصب الوزارية للأقليات حتى تظهر فى صورة المدافع عن حقوقهم، واللقاءات التى تتم بين القيادات المسلمة والمسيحية هى لقاءات إعلامية للتمويه بأن الحرية الدينية قائمة، وأن الجميع يعيش فى كنف المحبة والرضاء.. ولا نعرف من أين جاء التقرير بأن" القيادات القبطية تدرك أنها تعيش فى خطر داهم على الرغم من أن الأقباط يظهرون تعاطفاً ووداً متصلا للمسلمين ولأفراد الحكومة ".

وبعد هذه الادعاءات الكاذبة ينتقل التقرير فى خط تصاعدى إلى الدفاع عن سعد الدين إبراهيم الذى وصفه التقرير بأنه مدافع عن الحريات الدينية.. كما ينتقد المحاكمات والملاحقات القضائية للشواذ، ويتهم الحكومة بأنها لم تحترم حقوق الشواذ وزجت بهم فى السجون، ويفتئت فى ذلك على القانون المصرى الذى يجرم الشذوذ وممارساته.. خصوصا إذا تمت هذه الممارسة بشكل جماعى فاجر يتحدى قيم المجتمع وآدابه العامة.. فالشذوذ مثل الدعارة لايلاحق إلا عندما يتحول إلى فجور جماعى.. ولكن التقريرالأمريكى يزعم أن"الأقباط واليهود والشواذ يمارسون كل أنواع معتقداتهم وأفكارهم فى ظروف استثنائية وضيقة للغاية".. وهذا الربط بين الأقباط واليهود والشواذ فيه إساءة بالغة للديانتين المسيحية واليهودية اللتين تحظيان بكل الاحترام والتقدير فى مصر.

ويبقى فى التقرير أهم نقطتين : الأولى تتعلق "بفرض عقوبات اقتصادية وسياسية ضد مصر وإرسال لجان تفتيش لمراقبة أوضاع الأقليات التى تحمل تعاطفا قويا وولاء غير معلن للولايات المتحدة وتتعرض لأقصى أنواع حملات التطهير العرقى والدينى ".. والثانية مطالبة الحكومة المصرية بالسماح لأفراد الأقليات الدينية بالتجمع والعمل والإقامة فى إحدى المناطق الجديدة التى يتم إنشاؤها داخل مصر.. وهو مطلب - كما نرى - متخلف ومثير للفتنة، لأنه يحمل دعوة للتمييز العنصرى والفرز الطائفى المرفوض.. ففى مصر يعيش المسلم والمسيحى متجاورين فى المنزل والعمل والحقل.. وحياة المصريين فيها تداخل وتمازج لا يعرفه الأمريكيون ولن يعرفوه.. وليس بين المصريين الوطنيين - مسلمين ومسيحيين - من يحمل ولاء لأمريكا وإنما ولاؤهم كله لوطنهم.

وفى يوليو ٢٠٠٤ استقبلت مصر لجنة الحريات الدينية التابعة للكونجرس الأمريكى مرة أخرى، التقت اللجنة مع شيخ الأزهر والمفتى وعدد من القساوسة وقيادات برلمانية وصحفيين وسياسيين وناشطين فى مجال حقوق الإنسان وزارت كنائس وأديرة ومساجد ومعابد يهودية ومنظمات أهلية، وأدارت حوارات وفتحت ملفات..لكنها مع كل هذا النشاط الكثيف لم تقنعنا بأنها صاحبة قضية جادة، وإنما أكدت اقتناعنا الراسخ بأنها جاءت لتثير الفتن وتؤلب الطوائف سعياً ليوم يتم فيه تفكيك هذا الوطن الشامخ وهذه الأمة الملتحمة المتماسكة.

فى الزيارة قال الأقباط لوفد اللجنة سواء فى اللقاء الذى تم فى منزل نائب السفير الأمريكى أو فى اللقاءات التى تمت فى الكنائس والأديرة: «إن مصر لا تعرف الاضطهاد الدينى وإن القانون المصرى يسوى بين جميع أبناء الوطن وإذا كانت هناك شكاوى أو تظلمات فإنها تعالج فى نطاق الأسرة الواحدة.. وقطع الإخوة الأقباط الطريق على لجنة الحريات.. لكن هذا لم يفت فى عضدها، ولم يصرفها عن الهدف الحقيقى الكبير الذى جاءت من أجله، هدف التفكيك والتشويه، لذلك انصرفت أنظار اللجنة إلى جوانب أخرى غير اضطهاد الأقباط.

التقت اللجنة مع عناصر من جماعة الإخوان وقالت: إنها جماعة دينية

مضطهدة !! والتقت مع عناصر من جماعة ما يسمى بـ " القرآنيين " الذين يطالبون بضرورة إلغاء الأحاديث النبوية ومنع تدريسها فى المدارس نظراً لأنها تمثل نوعاً من القيود الدينية على حرية ممارسة العقيدة.

ونشرت صحيفة " الشرق الأوسط " الصادرة فى لندن عن عناصر فى اللجنة أنها فتحت ملفات اضطهاد الأقليات الدينية مثل البهائيين والبهرة والمسيحيين الخارجين عن الكنيسة المصرية.

وبعد أن زارت اللجنة المعبد اليهودى فى القاهرة ومعبداً آخر بالاسكندرية توجهت إلى مديرية الأوقاف بالإسكندرية، وطلبت فتح ملف ما يسمى بـ"تعويضات اليهود المصريين " وحصر أملاكهم.. وهو ما ألقى بظلال كثيفة من الشك حول هوية السيدة التى ترأس وفد اللجنة.. والتى اتهمها البعض بأنها يهودية متطرفة.

وقد جاء مطلب اللجنة بالبحث فى مسألة تعويضات اليهود المصريين بمثابة الصدمة التى كشفت طبيعة عملها والهدف أو مجموعة الأهداف التى جاءت من أجلها.

وحين صدر التقرير السنوى عن الحريات الدينية فى العام نفسه - سبتمبر ٢٠٠٤ - جاء محملاً بمفاجآت وأكاذيب.

أولى المفاجآت كانت رفع اسم العراق من قائمة الدول التى تنتهك الحريات الدينية.. وهى لفتة مقصودة - فيما نتصور - لمجاملة حكومته الموالية لأمريكا.. أو ربما للإيحاء بأن العراق تحت الاحتلال قد تخلص من الاضطهاد الدينى، وصار متحضراً ونموذجاً ديمقراطياً لما كانوا يزعمون قبل الحرب.

وأياً كان الأمر فإن رفع اسم العراق من قائمة الدول التى تنتهك الحريات الدينية لن يغير من الواقع شيئا.. والواقع يؤكد لكل ذى عينين أن العراق قد سقط فى هوة سحيقة من الصراعات الدينية والعرقية لا نهاية لها.. ويعيش فى فتن كقطع الليل المظلم بين الشيعة والسنة والآشوريين والكلدانيين والأكراد، وصار العراق موزعاً بين الطوائف والأعراق.. رغم جهود الحكماء والمخلصين من أبنائه.ونحن جميعاً ندرك أن السبب الأول فى هذا الذى حدث هم أولئك الذين دخلوا العراق لتحريره من صدام وتمزيقه وتفكيكه فى الوقت ذاته حتى لا تقوم له قائمة.

أما ثانية المفاجآت فكانت إضافة السعودية للمرة الأولى إلى قائمة الدول المتهمة بارتكاب انتهاكات خطيرة فى مجال الحريات الدينية..ووضعها ضمن الدول التى قد تتعرض لعقوبات فى هذا الشأن..رغم أن السعودية حليف رئيسى للولايات المتحدة فى الحرب ضد الإرهاب وسند قوى للسياسات الأمريكية فى العراق وممول رئيسى للنفط.

وفى الوقت الذى اعترف التقرير بأن إسرائيل دولة يهودية وأبدى ـ لهذا السبب ـ تفهماً كبيراً لممارستها الدينية إلا أنه لم يبد أى قدر من التفهم لوضع السعودية كدولة إسلامية تضم أعظم مقدسات المسلمين، وراح يكيل لها الاتهامات الظالمة بأنها تفتقر إلى حرية الأديان، ولا تعترف إلا بالدين الإسلامى، ولا يحظى بحماية قوانين الدولة إلا الإسلام، ومن لا يتمسك بتعاليم الإسلام يواجه عواقب وخيمة على أيدى الشرطة الدينية.. بينما يتعرض الشيعة والسنة غير الوهابيين للتمييز وأحياناً لقيود قاسية بشأن ممارسة معتقداتهم الدينية.. كما إن السلطات السعودية تمنع النشاطات الدينية العلنية لغير المسلمين.

ووضع تقرير الخارجية الأمريكية السعودية فى الخانة نفسها التى وضع فيها الدول المتهمة تقليدياً بانتهاك الحريات الدينية مثل إيران والسودان وكوريا الشمالية والصين وبورما وفيتنام.. وهو اتهام يخضع لمعايير سياسية وليست دينية.

وبالطبع لم تسلم مصر من سهام التقرير الذى زعم أن الحكومة المصرية تواصل التضييق على الديانات غير الأرثوذكسية.. وترفض منح بطاقات هوية وشهادات زواج وتراخيص زواج لأفراد الطائفة البهائية.. كما زعم أن الحكومة لا تعترف بالحوار بين الإسلام والمسيحية أو أى ديانة أخرى..وتعتقل الشيعة بدون اتهامات.

لكن أفظع الأكاذيب ما ورد فى التقرير عن اضطهاد المسيحيين فى مصر، وحرمانهم من العديد من الحقوق الأساسية مثل تعطيل إنشاء الكنائس وعدم التعيين فى القطاع العام والجامعات.

على الجانب الآخر التمس التقرير العذر لإسرائيل فى جميع الممارسات الإجرامية التى تنفذها ضد عرب الأراضى المحتلة ١٩٤٨ وضد الفلسطينيين

فى الأراضى الواقعة تحت إدارة السلطة الوطنية.. والمبرر الجاهز دائماً هو مواجهة الإرهاب الفلسطينى.. ومع ذلك فقد تجاهل التقرير تماماً العسف الذى يمارسه الإسرائيليون ضد المصلين فى المسجد الأقصى.. بل ضد المسجد نفسه واعتداءاتهم المتكررة لتدنيسه.. وهدمه.

ولم تكتف الولايات المتحدة الأمريكية بإصدار تقارير رقابية سنوية عن حقوق الانسان فى بلادنا والحريات الدينية والأحوال الديمقراطية العامة بهدف ترشيد مسيرتنا وتوجيهنا إلى الطريق المستقيم والضغط علينا أو معاقبتنا إن أمكن.. لكنها أضافت إلى تلك التقارير مراصد جديدة لقياس مشاعرنا ومراقبة ما نكتب وننشر تجاه إسرائيل واليهود بصفة عامة ومحاسبتنا عليه.

وهذه النوعية الجديدة من تقارير التفتيش الأمريكية لا تتعلق فى الحقيقة بنا وحدنا فى مصر والعالم العربى والإسلامى.. وإنما تشمل العالم كله. بجميع دوله ومؤسساته وأفراده لأجل حماية إسرائيل واليهود من أية أصوات أو تيارات أو جماعات ناقدة، واتهام كل من ينتقد إسرائيل واليهود أو ينكر دعاواهم، بمعاداة السامية.

ويتم إعداد تقرير سنوى فى هذا الشأن من الخارجية الأمريكية بمقتضى قانون مكافحة العداء للسامية الذى وقعه الرئيس جورج بوش فى ١٦ أكتوبر ٢٠٠٤.. وبموجب هذا القانون يجرى رصد حالات معاداة السامية فى مختلف أنحاء العالم والتنسيق مع حكومات الدول لمكافحتها، وتم إنشاء مكتب خاص لشئون مكافحة العداء للسامية بوزارة الخارجية الأمريكية يرأسه اليهودى جريج ريكمان، الذى كان أول مبعوث خاص لمراقبة ومكافحة العداء للسامية لدى الحكومة الأمريكية إثر تعيينه فى هذا المنصب فى ٢٢ مايو ٢٠٠٦.

فى التقرير الذى صدر بهذا الشأن لعام ٢٠٠٨ جاء اتهام عام بأن "العداء للسامية واليهود فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى والعربى وبعض دول أوروبا، بل وفى الأمم المتحدة فى تزايد مستمر".. واتهمت الحكومات العربية بالتغاضى عن هذه الظاهرة.

وحمل التقرير اتهاماً خاصاً لوسائل الإعلام العربية والإسلامية بتأجيج الشعور العدائى لليهود ونشر معاداة السامية.. وقال التقرير الذى رفع إلى

الكونجرس إن الصحف ومحطات التليفزيون والإذاعات الحكومية تقدم تصريحات وبيانات من قبل ضيوفها تدعو إلى معاداة السامية يقرؤها ويشاهدها ويستمع إليها الملايين فى مختلف أنحاء العالم العربى وأوروبا.

ويسرد التقرير الوارد فى ٨١ صفحة الكثير من ملامح معاداة السامية وكراهية اليهود فى مختلف أنحاء العالم.. حيث يتهم زعماء بعض الدول ووسائل إعلامها ومناهجها التعليمية بنشر معاداة السامية.. ويدخل فى ذلك أية إدانة للجرائم الإسرائيلية البشعة ضد الفلسطينيين أو اللبنانيين.. أو حتى مجرد انتقاد للسياسات الإسرائيلية والاستيطان وعرقلة المفاوضات.

وهكذا نجح الرئيس بوش فى تحويل إدارته إلى مفتش عام فى جميع أنحاء العالم ليس فقط بشأن ما يهدد أمن إسرائيل. وإنما ضد ما يهدد مصالحها وسمعتها.. وهذا يدل على أنه مشغول بسمعة إسرائيل وصورتها فى العالم أكثر من اهتمامه بسمعة وصورة الولايات المتحدة التى وصلت إلى الحضيض فى عهده.

ولكى نفهم مدى الارتباط بين تقارير بوش وإسرائيل، تجدر الإشارة هنا إلى أن إسرائيل أطلقت فى مطلع فبراير ٢٠٠٨ موقعاً باللغة العربية على شبكة الإنترنت لمتحف "ياد فاشيم" المخصص لضحايا المحرقة النازية "الهولوكوست" الذى يضم نصباً لتخليد ضحايا النازية من اليهود.. والهدف من هذا الموقع كما قيل هو "توعية العرب بما تراه إسرائيل مخاطر تنامى الاتجاهات اللاسامية فى أوساطهم.. واللاسامية هنا تعنى «كراهية اليهود أو الحقد عليهم أو إلصاق صفات مذمومة بهم أو إنكار ما حل بهم من كوارث على أيدى النازية أو توجيه أية اتهامات لليهود كشعب أو لإسرائيل كدولة عنصرية».

وطبقاً لما ورد فى تقرير نشره ملحق "المنتدى الثقافى" لصحيفة "الشرق الأوسط" السعودية فى ٣٠ يناير ٢٠٠٨ فإن فى إسرائيل من يراقب ويتابع ما يتعلق بما يطلق عليه مظاهر اللاسامية فى العالم كله.. وبالخصوص فى العالم العربى.. وتبدى وسائل الإعلام الإسرائيلية اهتماماً كبيراً بأى حدث يصنف ضمن "معاداة السامية".

ومن بين الجهات التى تراقب وتتابع مظاهر اللا سامية هناك "مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب".. ورغم أنه كما يدل اسمه يهتم بالقضايا الأمنية إلا أنه يهتم أيضاً بالقضايا الثقافية. ونشر مؤخراً دراسة بقلم ربؤفين إيزليخ حول ما سمَّاه: "الأدب اللاسامى ذو الجذور الإسلامية" رصد فيها الإصدارات التى يصنفها ضمن "الأدب اللاسامى" فى العالم العربى وتواريخ طبعاتها فى عواصم عربية كالقاهرة وبيروت.. ويطالب إيزليخ فى دراسته بمواجهة حاسمة مع "الأدب اللا سامى" الذى تتم تنشئة أجيال من الشباب والأطفال الرضع على أساسه.. فتأتى هذه الأجيال مناوئة لليهود وكارهة لإسرائيل.. وترفض أى تطبيع حقيقى للعلاقات بين إسرائيل والدول العربية.. بما فيها الدول التى وقعت معها اتفاقيات سلام.

لو دققنا النظر فى هذه التقارير الأمريكية والإسرائيلية الخاصة بـ "معاداة السامية" سوف نكتشف أننا إزاء مرحلة جديدة من "حرب الأفكار".. يتم فيها تحذيرنا بكل وضوح من أن نكره أو نعادى إسرائيل.. فتعريف اللاسامية كما تقدم ينطوى على مخاطر جمة.. وفخاخ مرعبة.. وإرهاب سافر.. ولو استخدم قضائياً لأمكن ملاحقة ثلاثة أرباع العرب أمام المحاكم بجريمة "اللاسامية".

إنهم يرصدون المشاعر والكتب المعادية ويطلقون الدراسات والتقارير والمواقع الإليكترونية.. وبدأت إسرائيل دعوة مجموعات عربية لتعريفها بـ "الهولوكوست"، إنه مخطط متكامل.. ومدروس جيداً، حتى ينسى العرب مرغمين عداوتهم لإسرائيل، ويبحثوا لهم عن عدو جديد.. ولا مانع أن يكون هذا العدو هو الفلسطينيين.. أو الإيرانيين أو السوريين.

وهذا يفسر لنا حرص إدارة بوش على إطلاق الفضائيات التى تخاطب العرب والمسلمين بلغة جديدة وفكر جديد.. مثل قناة " الحرة " وحرصها على تمويل الصحف الخاصة والمستقلة التى تبث وجهات نظرها، وتمارس التعتيم على جرائم إسرائيل. وتبرر السياسات والمخططات الأمريكية الإسرائيلية.. وتخلق جيلاً من الصحفيين والإعلاميين الذين ترتبط مصالحهم بالسياسات الأمريكية.

## الديمقراطية المصطنعة

استخدمت إدارة بوش سلاح الديمقراطية فى حربها الطويلة مع المجتمعات الإسلامية.. فقد توصل أركان الإدارة من المحافظين الجدد إلى مبرر مبتكر للحرب المفروضة على عالمنا العربى الإسلامى بعد أن فشلت المبررات التى ساقوها من قبل مثل أسلحة الدمار الشامل وحماية الأقليات العرقية والدينية.. والمبرر المبتكر هو فرض الديمقراطية على شعوب الأمة العربية والإسلامية.. إذ طالما بقيت هذه الشعوب ترزح تحت نير الديكتاتورية فسوف تفرخ أجيالاً من الإرهابيين.. ولذا فإن على الولايات المتحدة وحلفائها واجباً حضارياً لنقل الديمقراطية إلى الدول المحرومة منها.

والديمقراطية المقصودة عندهم تعنى «التحرر الكامل من أية قيود».. وأولها قيود الدين وقيود الوحدة الوطنية.. ومن هنا ارتبطت الديمقراطية المفروضة أو المصطنعة بخلخلة الانتماء والاشتباك مع الدين ونشر الفوضى.. التى وصفت بأنها " فوضى خلاقة".

ومن أسف أن الدعوة إلى بناء الديمقراطية فى العالم العربى والإسلامى ولو بالقوة المسلحة وإسقاط الأنظمة لم تقتصر على الكتاب والمفكرين والسياسيين الأمريكيين أصحاب المشورة لدى بوش وإنما كان هناك دائما من يحرض على ذلك من الإسرائيليين الذين يزعمون أنهم يساندون خطط بوش لإحلال السلام.. وقد عمل هؤلاء على طرح فكرة فرض الديمقراطية كشرط مسبق للسلام فى المنطقة حتى قبل المفاوضات وتوقيع الاتفاقيات وإعادة الحقوق إلى أهلها الفلسطينيين.. وقد تم بلورة القضية فى أن الصراع فى الشرق الأوسط ليس صراعاً على الأرض، وإنما هو صراع بين دولة ديمقراطية ودول ديكتاتورية، تحيط بها من كل جانب.. وأن السلام سوف يتحقق بعد تحول هذه البلاد إلى الديمقراطية.

ووصل الأمر إلى حد أن أعدت إدارة بوش مشروعاً لفرض الديمقراطية الأمريكية على العالم العربى والإسلامى بعد غزو العراق عام ٢٠٠٣، وهو المشروع الذى عرف باسم "مبادرة كولن باول".. ورصدت له ميزانيه بمليارات الدولارات.. وبالطبع لم يكن الهدف من المشروع هو الديمقراطية الحقيقية التى تتطلع إليها الشعوب وإنما الهدف هو "الاختراق" الذى يحقق

استراتيجيات غير استراتيجيتنا، ويخلق فى ديارنا تياراً انهزامياً تابعاً.. يرى أن أمريكا والغرب لديهما الخلاص والديمقراطية والرفاهية والمستقبل، ومن ثم تسقط خصوصيتنا وقضايانا وتتكسر إرادتنا ويذهب استقلالنا هباء.. وينقطع حاضرنا ومستقبلنا عن ماضينا.. فنصبح مسخاً.. وأمة هشة تابعة بلا جذور وبلا انتماء..اللهم إلا انتماء التابع للمتبوع.

وقد سقطت إدارة بوش فى أول اختبار واضح لمصداقيتها فيما يتعلق بالدعوة إلى الديمقراطية وذلك حينما ألحت على ضرورة إجراء انتخابات حرة نزيهة فى الأراضى الفلسطينية تحت سمع وبصر مراقبين دوليين.. وأجريت الانتخابات فعلاً ونالت احترام العالم وثقته فى نزاهتها لكن الإدارة الأمريكية تنكرت لها لأن نتيجتها كانت لصالح حماس المرفوضة أمريكياً وإسرائيلياً.. ولم يتذكر بوش وحلفاؤه فى تلك اللحظة أن اختيار حماس يعبر ديمقراطياً عن إرادة الشعب الفلسطينى..وليس عن إرادة أمريكا وإسرائيل.

إن المعركة من أجل الديمقراطية قديمة فى عالمنا العربى والإسلامى.. حيث تتوق الشعوب إلى أنظمة ديمقراطية حقيقية..تتبلور فيها العدالة والمساواة والتعددية السياسية والفكرية واحترام حقوق الأقليات وحقوق المرأة وحقوق الإنسان بصفة عامة.. فشعوب أمتنا ليس فيها عاهة حضارية أو دينية أو إنسانية تجعلها ضد الديمقراطية كما يتردد فى الغرب..لكن المشكلة أن هذه الشعوب ابتليت فى مراحل عديدة من تاريخها بديكتاتوريات طاغية أعاقت مسيرتها الديمقراطية.. وأعطت للآخرين الفرصة للحط من قدرها والنيل من سمعتها.. ولو قدر أن ابتلى الغرب بمثل هذه الديكتاتوريات وما ساندها من قوى خارجية.. لأنهكت قواه وما بلغ ما بلغه من ديمقراطية وتقدم واستنارة.

وقد شاهدنا الضجة التى صاحبت سقوط صدام والتى امتدت لتأخذ الأمة كلها باتهام ظالم أنها ضد الديمقراطية.. وأنها أعتادت -لعيب فيها - على الطاعة العمياء للحكام المستبدين الطغاة.. وهذا استنتاج ظالم مرفوض.. فقيمنا الحضارية ومعتقداتنا الدينية ومواريثنا الاجتماعية تقف بقوة ضد الظلم وضد الاضطهاد وتدعو إلى حرية الإنسان..وبالمقاييس العلمية فقد كان المنظور أن تكون أمتنا هى الأسبق إلى الديمقراطية الكاملة.. لولا الديكتاتوريات التاريخية والمؤامرات الخارجية.

وما تفعله الحملة الأمريكية من أجل ما تسميه بـ "نشر الديمقراطية" في البلدان العربية والإسلامية يخلط الأوراق، ويجعل من قضية الديمقراطية التي هي قضية تطور سياسي محلية ووطنية وداخلية بالدرجة الأولى قضية تدخل خارجي ينبغي التصدي له.. وهذا الخلط يزيد من تعقيد الحالة الديمقراطية.. ويدفع بالكثيرين إلى الحيرة.. حيث تتوه الخيارات وتختلط المعايير إلى حد أن غزو العراق يتم تصنيفه وتسويقه باعتباره جهدا مخلصاً لإقامة نموذج ديمقراطي في هذا البلد العربي المسلم ليتم تطبيقه في سائر دول المنطقة!!!

المفارقة الكبرى هنا تتلخص في السؤال التالي : كيف سيقام نموذج ديمقراطي حقيقي بواسطة قوات احتلال وفي ظروف غير طبيعية.. ومن قبل سلطات تسعى لتغيير البنى التحتية للعملية السياسية حتى تظهر قوى وتيارات أخرى مؤيدة لها وتابعة يكون لها الصوت الأعلى، وإن لم تكن لها قواعد شعبية أوسع؟!

لا شك أن مثل هذه المحاولات المكشوفة لن تنجح في تحقيق الحلم الديمقراطي الذي تتطلع إليه الجماهير، وإنما غاية ما يمكن أن تقيمه في إطار النموذج الذي يجري إعداده ديمقراطية مصطنعة، وحرية مزيفة.. ومن ثم فإن المطلب الديمقراطي العربي والإسلامي سيظل مؤجلاً حتى إشعار آخر.

وهكذا.. فإن مجرد وجود شبهة ضغط خارجي لبناء نظام ديمقراطي عربي سوف يقود إلى نتيجة سلبية بكل المقاييس.. وربما يدفع البعض من أنصار الديمقراطية إلى موقف مضاد للتحول الديمقراطي المرغوب فيه.

إن شعوب أمتنا ليست أقل من أي شعوب أخرى على وجه الأرض.. وتراثنا الثقافي دافع كبير وقوي ضد الديكتاتورية وضد التخلف والاستبداد والظلم.. وإذا كانت شعوبنا تشعر بوطأة غياب الديمقراطية كمنهج حياة على مدى تاريخها.. فإنها تشعر بهذا الغياب أكثر وأكثر في ظل الهجمة الشرسة والمتزايدة على واقعنا وماضينا ومستقبلنا وثقافتنا وديننا وقيمنا وحضارتنا.

وإذا كنا نطالب بأن تكون هذه الهجمة حافزاً ودافعا إلى التحول الديمقراطي الصحيح فإننا في الوقت ذاته نطالب بأن يأتي هذا التحول

بأيدينا وعلى طريقتنا الخاصة، وطبقا لرؤيتنا.. ولو كان هناك من يغار على هذه الأمة.. ويعمل عقله وفق شرائعها ومصالحها لما استقر بنا المقام هكذا بين شقى الرحى.. مأزق سياسى ديمقراطى داخلى وقوى أجنبية متربصة من الخارج تهدد هويتنا ووجودنا.. ولا حل لهذه المعضلة إلا بالتحول إلى الديمقراطية الكاملة وتوسيع مساحة المشاركة الشعبية.. وارتضاء حكم الجماهير.. من خلال صناديق الانتخابات وفى المقابل رفض كل محاولات الإغراء بالديمقراطية المصطنعة.

إن الديمقراطية الشكلية المصنوعة التى ظهرت فى العراق فى كنف الغزو والاحتلال ليست هى الديمقراطية «الحلم» ولن تكون.. لأنها ديمقراطية مستوردة..لم تستلهم إرادة الجماهير العريضة.. وإنما اكتفت بالتوزيع الرقمى للمناصب بين الشيعة والأكراد.. وكلما أوغلت تلك الديمقراطية فى التطبيق ظهرت عوراتها وتأكد للجميع أنه لايمكن أن تصبح النموذج الذى يحتذى فى المنطقة العربية.

إنها ديمقراطية طائفية..تفكيكية وليست ديمقراطية بناءة..ولهذا السبب فإن تقرير الأمم المتحدة الذى صدر فى أبريل ٢٠٠٥ عن التنمية العربية وتناول قضية الحرية والديمقراطية فى البلدان العربية وصف تجربة الانتخابات فى العراق بأنها "ديمقراطية ناقصة".

وقد تضمن التقرير "صفعة" للادعاءات الأمريكية بأن حرب العراق أطلقت "ثورة" ديمقراطية فى العالم العربى، واتهم أمريكا - صراحة - بأنها المسئول عن العنف فى العراق والانحياز لإسرائيل..واعتبر التقرير أن الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية والاحتلال الأمريكى للعراق يمثلان انتهاكاً للحرية وعقبة فى طريق التنمية فى المنطقة.

ويبدو أن المساومات الطويلة وتوزيع المناصب الحكومية فى العراق بعد انتخابات٢٠٠٥ قد استفزت مايكل هوارد مراسل صحيفة"جارديان" البريطانية.. على أساس أن ماحدث لا يمثل سلوكاً ديمقراطياً وإنما يعكس طبيعة طائفية بدأت بتشكيل حكومة علاوى المؤقتة، وتم تكريسها فى انتخابات الجمعية الوطنية التى جرت على أساس قوائم تمثل الطوائف وليس على أساس المواطنة.

ونقل هوارد عن محمد عثمان العضو البارز فى الكتلة الكردية بالجمعية الوطنية قوله:" إن المهمة التى يباشرها الأعضاء أصبحت من يحكم البلاد وليس كيف تحكم البلاد".

هناك وجه آخر للتدليل على فساد نموذج الديمقراطية الأمريكية فى العراق يكشفه ذلك التصريح الخطير الذى نشرته صحيفة " الحياة اللندنية" يوم ١٨ مارس ٢٠٠٨ للكاردينال عمانوئيل دللى بطريرك المسيحيين الكلدان فى العراق والذى قال فيه إن عدد المسيحيين فى العراق أيام الديكتاتورية كان يبلغ مليونا، فى حين أن عددهم فى العهد الديمقراطى لا يزيد على ثلاثمائة ألف!!

وأضاف أن الأسباب الظاهرة لهجرة المسيحيين من العراق إلى أنحاء العالم - السويد - والولايات المتحدة واستراليا وكندا - هى الخوف من القتل، وضيق سبل العيش - ووقوع مواطن سكناهم وسط الأعراق والمذاهب المتناحرة، من كردية وعربية وتركمانية وشيعية وسنية.

والحقيقة أن هذا التصريح يلقى ضوءاً كاشفاً على ظاهرة لم يلتفت إليها أحد - ربما - بالقدر الكافى، هى ظاهرة هجرة، أو تهجير المسيحيين العرب من دولهم إلى خارج المنطقة العربية بالكامل.. وبالذات إلى الغرب، أوروبا والأمريكتين، خلال الفترة الزمنية من منتصف القرن العشرين إلى اليوم.

لقد حدثت موجات هجرة أو تهجير للمسيحيين العرب قبل ذلك، لكنها كانت هجرة داخلية، أى داخل نطاق أقطار العالم العربى، وابتداءً من منتصف القرن العشرين صارت هناك هجرة، أو تهجير من المنطقة العربية إلى مناطق بعيدة، وهو ما يعنى أن وجود المسيحيين العرب فى بلادهم يشهد حالة من الانكماش والتضاؤل.

وطبقاً لما ذكره تقرير " الحياة " اللندنية فإنه منذ ظهور الكيان الصهيونى فى أربعينيات القرن الماضى تعرض مسيحيو فلسطين، الذين كانوا يشكلون ١٨ إلى ٢٠٪ من الشعب الفلسطينى لضغوط شديدة وقاسية أفضت إلى تهجير شبه قسرى، كما حدث بالنسبة إلى سائر العرب فى فلسطين، لكن هذا التهجير أثر فى المسيحيين أكثر من العرب المسلمين لقلة أعدادهم.

ولا أحد ينكر أن التغيرات والتحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التى

شهدتها المجتمعات العربية منذ منتصف القرن الماضى وإلى اليوم قد أثرت بشكل مباشر فى حركة الهجرة، أو التهجير، وبالذات فى مراحل الفتن والحروب الداخلية التى مرت بها بعض البلدان العربية، لكن ما يحدث فى العراق الآن شئ مختلف، وليس له مثيل إلا ما حدث فى فلسطين بعد قيام إسرائيل.

الآن يخرج المسيحى العراقى إلى سوريا، ثم يهاجر من سوريا إلى حيث تتوافر له فرصة الأمن والرزق خارج المنطقة العربية بأسرها، وغالباً لا تكون لديه النية فى العودة بعد أن فقد العراق هويته تحت الاحتلال الأمريكى، وأصبحت كل بقعة فيه تخضع لسيد مختلف، هو فى الغالب صاحب الأكثرية العرقية او المذهبية.. بما يعنى خضوع العراق لموجات تطهير وتبادل سكانى بين مناطق، وهنا لا يكون للأقلية من يحميها فى الداخل فتضطر تلقائياً إلى مغادرة البلاد إلى أوروبا وأمريكا.

إن المسيحيين كانوا وما زالوا جزءاً أساسياً فى بناء الشخصية العربية ومكوناً رئيسياً فى المجتمعات العربية والحضارة الإسلامية، وموجات الهجرة أو التهجير التى تتم الآن مهما اختلفت أسبابها سوف تؤدى إلى خلل فى البنيان العربى ككل بنيان الشخصية وبنيان المجتمع، ولو استمر الحال على ما هو عليه فسوف تبدو آثار هذا الخلل بشكل سلبى على المجتمعات العربية..بالضبط مثل الجسد الذى يعانى من خلل - أو اختلال - فى تركيبته الجينية.

الحل الوحيد لهذا التدهور فى بنيان المجتمعات العربية أن تعود هذه المجتمعات إلى استقلالها الوطنى وأن تمارس حركة الإصلاح والتطور بشكل طبيعى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفق منظومة قيمها وتقاليدها المتميزة.. حينذاك ستحقق لهذه المجتمعات الديمقراطية الفعلية التى تتمتع بها الشعوب الحرة المتقدمة.

ولعل هذا ما عبر عنه الرئيس الفرنسى السابق جاك شيراك عند زيارته لبريطانيا فى نوفمبر ٢٠٠٤.. وهى أول زيارة له إلى هذا البلد عقب غزو العراق الذى كان شيراك يقف ضده وفضل الحل السلمى بينما كان تونى بلير هو الحليف الأول لبوش، بل المحرض الأول، نحو الغزو.

قال شيراك: "إن الغرب لا يمكنه أن يفرض إرادته أو قيمه متفردا على العالم.. العالم فى حاجة إلى أوروبا قوية فى إطار شراكة جديدة عبر الأطلنطى.. وعلينا أن نتجنب أى خلط بين التحول للديمقراطية وفرض النمط الغربى.. لأن الناس سوف يعتبرون ذلك امبريالية واستعمارا.

ولو التزم الغرب- صادقاً- بما قاله شيراك فسوف تخمد نيران كثيرة اندلعت فى مناطق متعددة.. بسبب الرغبة الكامنة لدى الغرب فى الهيمنة على الآخرين، وفرض نمطه الثقافى والدينى على الشعوب المختلفة معه.

المشكلة أن شيراك نفسه لم يطبق هذه الرؤية داخل بلده أثناء معركة منع الحجاب فى المدارس والمؤسسات الحكومية مما ألقى ظلالاً كثيفة على مصداقية هذا الرجل الذى يدعو الغرب إلى احترام خصوصية الآخرين.. ويعرف جيداً أن فرض الإرادة وفرض القيم على العالم شئ بغيض.. لا يحقق السلام والاستقرار والتفاهم والتعايش بين الشعوب.

وقد تعمد شيراك أن يذكر تونى بلير بأن العالم لم يصبح أكثر أمناً بعد غزو العراق كما كان يقول أصدقاؤه الأمريكيون.. وإنما العكس هو الصحيح.. وصورة أمريكا فى العالم لم تتحسن وإنما تزداد سوءاً وفحشاً يوماً بعد يوم.. وبالذات عندما تتكشف الأسرار وتتضح الأهداف الحقيقية لسياسات إدارة بوش فى الخارج.

وإذا كان الدبلوماسيون يتحدثون عادة لغةً فضفاضةً.. إلا أن شيراك كان واضحاً جداً عندما طالب بتجنب أى خلط بين دعوة الشعوب إلى التحول للديمقراطية ومحاولة فرض النمط الغربى عليهم، حتى لو كان نمط الديمقراطية الغربية، لأن الناس سوف يعتبرون ذلك إمبريالية واستعماراً، وتهديداً لهويتهم ووجودهم.. ومن ثم فإنهم سيدافعون عن أنفسهم، وعن خصوصيتهم، بكل ما أوتوا من قوة.. وسوف يخترعون وسائل مستحدثة للمقاومة لم تخطر للمتجبرين على بال.

إن ضرب المساجد فى الفلوجة، واقتحام المنازل، وامتهان إنسانية المواطن العراقى فى السجون لا يمكن أن يكون أبداً.. وبأى مقياس، ضرورة للتحول الديمقراطى الذى تريده إدارة بوش.. الصحيح أن ما حدث من غزو عسكرى للعراق، وما يحدث الآن من عدوان على المقدسات ومن محاولات لإثارة الفتن

الطائفية والحرب الأهلية ليس إلا جريمة بشعة فى حق الإنسانية.. الهدف منها كسر إرادة شعب عريق.. وانتهاك سيادته، وتقسيم أراضيه.

ومهما قيل من تبريرات واهية لأسباب ضرب مساجد الفلوجة وهدمها وتدنيسها بأقدام الغزاة المستعمرين فإن الجريمة باقية، ولن تسقط بالتقادم.. وسوف تظل الصور التى وزعتها وكالات الأنباء لقوات الاحتلال وهم يدوسون بأحذيتهم على "سجاد" بيوت العبادة شاهداً على بربرية هذا الاستعمار.. الذى لا يختلف كثيراً فى تصرفاته عن بربرية المغول.

ولسوف يظل الغضب متأججاً فى النفوس.. حتى يحمل المستعمر عصاه ويرحل.. ويترك الأرض لأصحابها.. فهم وحدهم القادرون على إقامة السلام.. وتحقيق التحول الديمقراطى.

## شراكة أم وصاية ؟!

تمثل اتفاقات الشراكة الاقتصادية فتحاً جديداً فى العلاقات بين الشرق والغرب.. ومنذ أواخر ٢٠٠١ أخذ الحديث عن التعاون فى إطار اتفاقات الشراكة يتردد بكثرة بين الدول العربية وأوروبا.وأيضاً بين الدول العربية والولايات المتحدة.

وقد لفت الأنظار أن اتفاقات الشراكة اتخذت وسيلة للتطبيع مع إسرائيل حتى يتم تمريرها من جانب الولايات المتحدة فى المناطق الحرة.. وهو ما يكشف الجانب السياسى المهم فى هذه الاتفاقات الاقتصادية.

وربما كان البرلمان الأوروبى أكثر وضوحاً فى كشف العلاقات المباشرة بين اتفاق الشراكة مع مصر وربطها بقضايا سياسية واجتماعية ودينية وثقافية.. وذلك عندما أصر على توجيه رسالة فى ديسمبر ٢٠٠١ إلى الحكومة المصرية للحصول منها على إجابات لتوصيات مهمة قبل أن يصدق على الاتفاق.. ومن هذه التوصيات:

× مطالبة الحكومة المصرية بمزيد من احترام حقوق الإنسان.

× إيقاف دعوى الشذوذ الجنسى وعدم معاقبة المتهمين فيها.

× إقامة علاقات أكثر قوة بين مجلس الشعب المصرى والبرلمان الأوروبى.

× تنفيذ اتفاقية الشراكة يجب أن يخضع للتقييم من البرلمان الأوروبى.

ومثل هذه التوصيات تخرج باتفاقية الشراكة من إطارها الاقتصادى وإقحامها فى قضايا أخرى تمس خصوصيات مصر واستقلالها.. وتجعل منها اتفاقية وصاية لا شراكة.. وقد ردت مصر على هذه التوصيات برسالة من د.فتحى سرور رئيس مجلس الشعب أوضح فيها النقاط الآتية:

× احترام حقوق الإنسان منصوص عليه فى الدستور المصرى، ومجلس الشعب هو الجهة الوحيدة التى لها سلطة الرقابة على الحكومة فى ذلك،ونرجو ألا تكون هناك رقابة لسلطة أخرى غير البرلمان المصرى.

× فى مسألة الشذوذ الجنسى.. لا نقبل التعليق على القانون المصرى ولا على القضاء المصرى، لأن القانون بطبيعته يحمى القيم والمطالب الداخلية فى كل دولة، ولا يوجد قانون عالمى يحكم الدول والشعوب كلها.

× أرفض أن يكون تقييم تنفيذ الشراكة من جانب أوروبا فقط، وهذه الاتفاقية للشراكة بين طرفين، مصر والاتحاد الأوروبى، ويجب أن تكون هناك آلية مشتركة بين الاثنين للرقابة.. لأن الاتفاق هو اتفاق شراكة وليس اتفاق وصاية.

× إذا كنتم تتحدثون عن حقوق الإنسان فلا تنسوا أن هناك دولاً على شاطئ البحر المتوسط (يقصد إسرائيل) تدافع عنها أوروبا وهى تنتهك حقوق الإنسان يومياً.

× إن مثل هذه التوصيات تخلق جواً متوتراً بين مصر والاتحاد الأوروبى، وأخشى أن تكون له انعكاسات سلبية.

فى أعقاب ذلك صرح د.سرور بأن بعضاً من أعضاء البرلمان الأوروبى حين قرأوا الرسالة ثاروا وطالبوا بتاجيل التصديق على اتفاقية الشراكة برمتها لأن رئيس مجلس الشعب المصرى تجرأ ورد على توصيات إحدى لجانهم بما يمس سيادة البرلمان الأوروبى.. أما الأغلبية فقد أيدت التصديق على الاتفاقية قائلة إنه لا يجوز أن نلقن مصر دروساً وهى دولة ذات حضارة.

ومن هذا السياق نكتشف أنه حتى فى موضوع اقتصادى وتجارى مثل اتفاقية الشراكة تصر اوروبا، وهى بالقطع أهون حالاً من أمريكا، على أن ترتدى ثياب الغطرسة، وتتدخل فى شئوننا، وتجعل من نفسها قيماً وكفيلاً ورقيباً على تصرفاتنا، وعلى قوانيننا.

إنهم لا يعترفون بالخصوصيات الثقافية والدينية للشعوب، ويصرون على اقتحام حياة الناس تحت ستار العولمة أو صراع الحضارات.. والمعنى الوحيد عندهم للاتفاقيات هو ضمان الإذعان لمفاهيمهم ومعتقداتهم وإخضاع الشعوب لما يعتقدون أنه الصواب دون مراعاة للاختلافات الحضارية والثقافية والدينية.

وإذا كان هذا يحدث فى اتفاقية اقتصادية جداً، فماذا يحدث فى الاتفاقيات السياسية والعسكرية، وإذا كان هذا يحدث فى اتفاقية للشراكة فماذا يحدث فى اتفاقية المعونة؟!

إنهم يريدون أن يجعلوا قانونهم قانون العالم، حتى يضمنوا أن يتحول العالم كله إلى تابعين.. ولايقبلون بالشراكة العادلة المتساوية.

وفى يونيه ٢٠٠٦ ذهب أحمد أبو الغيط وزير الخارجية، والمهندس رشيد محمد رشيد وزير التجارة والصناعة إلى لوكسمبرج على رأس وفد رفيع المستوى لحضور اجتماع مجلس الشراكة المصرية- الأوروبية أمام الوفد الأوروبى الذى ترأسه السيدة بينيتا فيرارو فالدنر المفوضة الأوروبية للعلاقات الخارجية.

كان هدف الاجتماع "الانتقال باتفاقية الشراكة المصرية- الأوروبية الموقعة بين الجانبين عام ٢٠٠٤ إلى مرحلة جديدة من التكامل والاندماج على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية".. لكن الهدف لم يتحقق، ويبدو أن تلك الجولة من المباحثات التى شهدها اجتماع لوكسمبرج قد باءت بالفشل.

وكان من المفروض- طبقاً لما نشرته "الأهرام" يوم الثلاثاء ٢٠٠٦/٦/١٣ - أن يعلن عن اتفاق بين الوفدين فى اليوم التالى مباشرة- الأربعاء - وأن عدم الإعلان عن هذا الاتفاق يعنى تأجيل المباحثات إلى سبتمبر ونوفمبر وضياع فرصة كبيرة على الجانبين.. وبالطبع لم يعلن عن الاتفاق.. ونقلت "المصرى اليوم" فى عددها الصادر يوم الجمعة ٢٠٠٦/٦/١٦.. أن الخلافات المصرية- الأوربية حالت دون التوقيع على الخطة المعروضة على مائدة المباحثات، والتى أطلق عليها "خطة سياسة الجوار".

وهذه الخطة المثيرة للجدل كانت قد عرضتها المفوضية الأوروبية على مصر

عدة مرات منذ عامين، أى منذ توقيع اتفاقية الشراكة، وفى كل مرة كانت مصر تتحفظ على ما فيها من عناصر تتجاوز الجوانب الاقتصادية، وتتجاوز حتى الجوانب السياسية، لتنفذ إلى مجالات اجتماعية وثقافية ودينية، ولكن الجانب الأوروبى كان يصر دائماً على هذه العناصر، وطرحها فى كل جولة من المباحثات، ويجعل التقدم فيها شرطاً لزيادة حصة مصر فى الصادرات الزراعية إلى الدول الأوروبية، وزيادة المعونات الأقتصادية لمصر، وما شابه ذلك.

ومن يقرأ نقاط الخلاف بين مصر والاتحاد الأوروبى لابد أن يخرج بنتيجة مؤداها أن أوروبا تصر على أن تجعل من "خطة الجوار" ثغرة لاختراق المجتمع المصرى وتغيير بنيته الأساسية وقيمه وثوابته من خلال الحديث الدائم عن أمور هى من صميم الشأن الداخلى لأية دولة.. ومن الصعب التنازل عنها لأنها تتعلق بالخصوصيات الثقافية والهوية وإرادة الشعب.

لا تكتفى "خطة الجوار" بالحديث عن استقلال القضاء فى مصر ومنع حبس الصحفيين وضرورة توافر ضمانات للحريات الشخصية.. لكنها تخلط ذلك- كما جرت العادة- بالحديث عن حقوق الشواذ، وإباحة " زواج المثليين" وقد كان رد الوفد المصرى دائماً: "إننا لا نعتبر مثل هذه المطالب حقوقية بقدر كونها تقاليد وعادات مرفوضة دينياً وأخلاقياً لدينا".

ومعروف أن الأجندة الأوروبية الأمريكية المطروحة علينا فيما يتعلق بالتغيير والتحديث وتوطين الديمقراطية تختلف تماماً فى كثير من عناصرها الجوهرية عن الأجندة الوطنية التى يحمل لواءها فصيل عريض من أبناء مصر الشرفاء، يطالب بالإصلاح وفق رؤية مصرية خالصة، مبرأة من الحماية والاستقواء والتمويل الخارجى، وليس لها من مرجعية إلا هذا الشعب بتاريخه وقيمه الضاربة فى عمق الزمان.

وقد كشف كلاوس إيبرمان سفير الاتحاد الأوروبى بالقاهرة جانباً آخر من جوانب الخلاف مع مصر حيث صرح بأن القاهرة أرادت تضمين إشارة فى الاتفاق إلى موقفها القائل إن الشرق الأوسط ينبغى أن يكون خالياً من الأسلحة النووية، فى إشارة ضمنية إلى ضرورة التعامل مع البرنامج النووى الإسرائيلى، ولكن الاتحاد الأوروبى يقاوم تلك اللغة.

وهكذا.. فإن أوروبا التى تتبنى مع الولايات المتحدة برنامجاً طويل المدى لدمج الدولة اليهودية فى تعاملات دول الشرق الأوسط من خلال مؤتمر دافوس وعملية برشلونة واتفاقات الكويز والاتحاد اليورومتوسطى وغير ذلك، ترفض- أى أوروبا- بل تقاوم أى لغة تتناول ولو ضمنياً أية اشارة إلى برنامج إسرائيل النووى.

هذه هى أوروبا ذاتها التى تشارك الولايات المتحدة فى مخططات احتواء البرنامج النووى الإيرانى المعلن، والذى يؤكد أنه يركز فقط على الاستخدام السلمى للطاقة النووية، على الأقل فى هذه المرحلة.

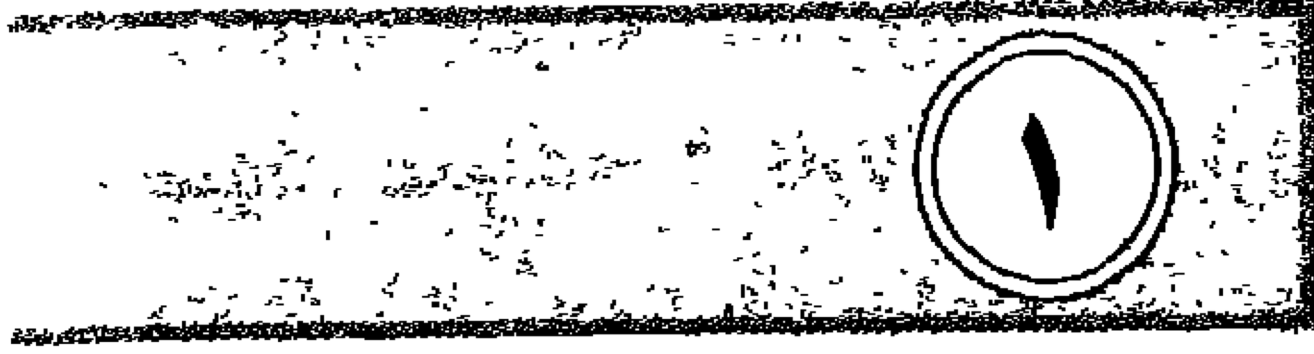
ولعل هذه المؤشرات تعطينا دليلاً جديداً على أن تلك الدول لا تنظر إلينا بالعين نفسها التى تنظر بها لإسرائيل، وأنها تتعاون معنا، أو تدخل فى شراكة ليس لأهداف اقتصادية فقط، وإنما تسعى لاختراق مجتمعنا كى تبذر فى أرضه الطيبة بذوراً غريبة عليه، أملاً فى أن تطرح هذه البذور فى المستقبل أجيالاً تفتقد الروح المصرية الأصيلة، وتكون أكثر ميلاً إلى التطرف والعنصرية والتعصب والتفكك والتغريب والتبعية.

وليس أمامنا من سبيل لقطع الطريق على هذه المخططات المدمرة إلا اليقظة.. واليقظة ستقودنا بالضرورة إلى إجراء تنمية حقيقية لمواردنا وثرواتنا الضائعة.. وتعميق القناعة العامة بحتمية تنفيذ برنامج وطنى مصرى للإصلاح نعتمد فيه على أنفسنا، فلا نحتاج إلى "شراكة" أوروبية أو معونات أمريكية.. وهذا البرنامج هو وحده القادر على أن يغنينا عن المعونات التى عرضها ذات مرة معتوه إسرائيلى مقابل أن تتنازل مصر عن ٦٠٠ كيلو متر فى سيناء لإقامة دولة عليها للفلسطينيين.

إن قوتنا وغنانا هما السلاح الذى نقطع به ألسنة هؤلاء الذين نسوا أنفسهم.. ونمزق به أوراق الاتفاقيات المريبة التى تسعى لفرض الوصاية والهيمنة على بلادنا.

# ◆ الفصل الثالث

# وقائع للتاريخ




# المؤامرة على القرآن الكريم

## إهانة المصحف الشريف

فى مايو٢٠٠٨ فاجأتنا الأخبار بأن عسكرياً أمريكياً فى جيش الاحتلال بالعراق أطلق الرصاص على المصحف الشريف.. وأنه قد عثر على المصحف مليئا بثقوب من الأعيرة النارية فى ساحة الرماية بقرية الرضوانية قرب بغداد .وقد أمرت القيادة العسكرية الأمريكية بإعادة الجندى إلى بلده على الفور وبإعفائه من الخدمة فى العراق، معتبرة أن من شأن هذا التصرف إشعال الغضب من الوجود العسكرى الأمريكى فى العراق.

كانت الجريمة صادمة.. لكنها كشفت عن حجم الكراهية التى يتم شحن العسكريين الأمريكيين فى العراق بها ضد القرآن الكريم الذى هو خط الدفاع الأول عن العقيدة الإسلامية.

والحقيقة أن عملية إثارة البغضاء والكراهية ضد القرآن الكريم تتم بشكل يومى وعفوى عبر الخطاب السياسى والإعلامى والدينى والثقافى العام فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة.. ويقوم بهذه العملية سياسيون وقساوسة وجنرالات وأكاديميون.

ومن قبل عمد الحراس والمسئولون عن إدارة معتقل جوانتانامو بكوبا ـ الذى

يضم مسلمين متهمين بالإرهاب - إلى تدنيس القرآن الكريم - ووضعه فى "المراحيض" أمام هؤلاء المعتقلين لإثارتهم وإذلالهم.

وعندما هاجت العواصم الإسلامية بمظاهرات الغضب بعد التقارير التى نشرتها مجلة " نيوزويك" الأمريكية عن جريمة تدنيس القرآن الكريم فى صيف عام ٢٠٠٥، لم تعتذر الإدارة الأمريكية.. ولم تعلن أن جنودها مذنبون.. ولم تحاكم أحداً منهم لمعاقبته.. وإنما مارست ضغوطاً " خفيفة " على المجلة لكى تتراجع بعض الشئ عن الحقائق التى ذكرتها أو على الأقل تشكك فيها.

وبالطبع.. لم تشأ المجلة الرصينة أن تكذب نفسها، وإنما اكتفت بأن نشرت فى العدد التالى أن المصادر التى استقت منها المعلومات حول تدنيس القرآن الكريم " ربما لم تكن دقيقة " وأن " أحداً لم يجزم بأن إهانة القرآن وتدنيسه قد حدثا بالصورة التى تم نقلها " وزادت على ذلك بأن أوردت أن كاتب التقرير الذى تناول تدنيس القرآن الكريم عرض تقديم استقالته لكن رئيس التحرير رفض.

وعلى هذا النحو جاء تكذيب قصة التدنيس - أو قل التراجع عنها - ساذجاً وسخيفاً بقدر ما يحمل من استخفاف لا ينطلى على عقل طفل.. ناهيك عن عقول الأمة الإسلامية التى ترغب الإدارة الأمريكية فى أن تحسن صورتها أمامها بعد أن بلغت ذروة السوء.. ولسوء حظهم.. فقد خرجت منظمة " هيومان رايتس ووتش " المتخصصة فى مراقبة أوضاع حقوق الإنسان فى العالم لتعلن أن مصادرها الخاصة تؤكد أن ما نقلته " نيوزويك " صحيح.. بل إن هناك وقائع تتعلق بإهانة الأخلاق والقيم والمقدسات الإسلامية تحدث بصفة دائمة فى جوانتانامو بهدف كسر إرادة المعتقلين المسلمين وإهدار كرامتهم وإذلالهم.

وفى الاتجاه ذاته ذكرت صحيفة " لوس أنجلوس " الأمريكية فى طبعتها الاليكترونية على شبكة الإنترنت أن هناك حوادث كثيرة ارتكبها أفراد الجيش الأمريكى بسجن جوانتانامو، تؤكد تعمدهم الإساءة إلى مشاعر التبجيل والاحترام التى يكنها المسلمون للقرآن الكريم.. ومن بين تلك الحوادث السماح لكلب أحد الحراس بحمل المصحف الشريف بفمه.. أو قيام حراس آخرين بالتبول عليه ووطئه بالأقدام.

وهكذا ترتكب الجرائم الفظيعة دون محاسبة ودون عقاب.. ثم يأتى التبرير أو التشكيك فى ارتكاب الجريمة على سبيل الاستخفاف بعقول المسلمين "السذج ".

وفى مرحلة تالية تجاوز الكاتب الأمريكى توماس فريدمان هذا الاستخفاف إلى" الاستظراف " فقد رأى فى مقاله بصحيفة " نيويورك تايمز " أن إدارة الرئيس بوش خاطئة لأنها لا تقول الحقيقة للعرب والمسلمين.. والحقيقة أن الاعتذار عن تدنيس القرآن الكريم مسألة غير واردة.. فالعرب والمسلمون يسيئون إلى أنفسهم أكثر من تدنيس القرآن.. والمتطرفون فى العراق ينتهكون القرآن أكثر من انتهاك الحراس الأمريكيين فى جوانتانامو.. وأن هؤلاء المتطرفين هم الأعداء الحقيقيون للإسلام وليس الحراس الأمريكان.

## فيلم التحريض

ولأن أمريكا هى الرائدة دوماً.. ومنها تنتقل "الموضة" إلى سائر المعسكر الغربى بفضل ما توفره من تشجيع ودعم وتهيئة للمناخ فقد انتقلت عدوى إهانة القرآن الكريم إلى هولندا فى مطلع عام ٢٠٠٨ حين أعلن النائب فى البرلمان " جيرت فيلدرز " زعيم حزب "الحرية" اليمينى المتطرف أنه أنتج فيلماً يحمل انتقادات شديدة للقرآن ويكشف - وفق مزاعمه - كيف يحض القرآن "الكريم" على التعصب ضد النساء والمثليين، وكيف يستغله المتشددون للتحريض على العنف.

عنوان الفيلم "كشف الإسلام".. وقال تقرير لشبكة "بى. بى. سى" على الإنترنت إنه فيلم مستفز، وإن بعض المحللين يخشون أن يقوم فيلدرز بحرق القرآن "الكريم" فى فيلمه مما قد يشعل احتجاجات غاضبة فى العالم الإسلامى. مثلما فعلت الرسوم المسيئة للرسول من قبل.

ويعرف جيرت فيلدرز بعدائه الشديد للإسلام، ودعوته الدائمة إلى وقف ما يسميه بـ "أسلمة أوروبا"، وتحذيره من أن الإسلام قد يصبح القوة السياسية المهيمنة فى أوروبا.

الغريب فى الأمر أن الضجة التى مهدت للفيلم جاءت متزامنة مع حدثين

مهمين شهدتهما أوروبا فى الوقت ذاته للدعوة إلى الحوار والتفاهم بين الثقافات واحترام الآخر.

الحدث الأول كان افتتاح فعاليات المؤتمر العام الأوروبى للحوار بين الثقافات.. حيث ألقى الشيخ أحمد بدر الدين حسون مفتى سوريا كلمة بليغة عن الإسلام والحوار والتطرف والعنف وصراع الحضارات.. ودعا إلى العمل الجماعى لإعلاء شأن كرامة الإنسان.. ووجدت الكلمة ترحيباً هائلاً من أعضاء البرلمان.. وأعرب رئيسه عن سعادته لسماع شهادة الشيخ حسون الذى "يعبر عن رفض الحرب والعمل من أجل السلام" .. وقال مخاطباً إياه: على أساس التسامح وكرامة الإنسان التى تكلمتم عنها يمكن بناء مستقبل سلمى بين الشعوب.

وبالطبع سمع الشيخ حسون بحكاية الفيلم وهو فى ستراسبورج.. وصرح بأنه حذر الحكومة الهولندية مما يمكن أن ينتج عن ظهور الفيلم، كما قال إنه يرغب فى الحديث مع فيلدرز، مؤكداً أنه من أنصار الحوار.. لكنه استبعد أى حوار مع هذا اليمينى المتطرف إذا قام بحرق القرآن فى فيلمه.

أما الحدث الثانى الذى تزامن مع ضجة الفيلم البذئ فكان مؤتمر منتدى تحالف الحضارات الذى عقد فى إسبانيا يوم ١٥ يناير ٢٠٠٨ بهدف تشجيع الحوار بين الدول الإسلامية والغرب، وحضره رئيس وزراء إسبانيا خوسيه ثاباتيرو ورئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان وخافيير سولانا مفوض الشئون الخارجية فى الاتحاد الأوروبى ومارى روبنسون الرئيسة السابقة لجمهورية أيرلندا إلى جانب ممثلين لدول وهيئات دولية ومؤسسات مدنية وهيئات إعلامية وخيرية من ٨٠ دولة.

وبعد يومين من المشاورات والاجتماعات أعلن المنتدى الاتفاق على ١٢ مبادرة من بينها إطلاق "آلية إعلامية للرد السريع على نشوب أية أزمة قد تؤدى إلى إثارة الحساسيات العرقية والثقافية والدينية" .. وسيدعم هذه الآلية إنشاء "صندوق إعلامى يهدف للمساعدة فى إنتاج أفلام تروج للتفاهم عبر الثقافات، والقضاء على النمطية فى التعامل".

ونقل عن وزير خارجية هولندا ماكسيم فورهيجن الذى شارك فى أعمال المنتدى بمدريد قوله: "إن حرية التعبير لا تعنى الحق فى إهانة الآخرين".

وقد فُهم من هذه الإشارة أن حكومة هولندا تدرك جيداً أن فيلم الإساءة يحمل إهانة لعقائد ومقدسات المسلمين، وأن الدبلوماسية الهولندية تحاول احتواء الموقف والتخفيف من رد الفعل.. خصوصاً أن جيرت فيلدرز يؤكد أنه ستتم إذاعة الفيلم فى التليفزيون أو الإنترنت مهما كانت الضغوط لكشف أن القرآن هو العامل المهم لعدم التسامح والقتل والإرهاب.

وذكرت صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية أن الحكومة الهولندية تشعر بالقلق إزاء الفيلم المستفز، وسارعت من خلال وزارات الداخلية والعدل والخارجية بتحذير فيلدرز من مخاطر مشروع فيلمه.. كما اتخذت إجراءات وقائية تحسباً لجدل دولى واسع حول الفيلم وعواقب داخلية أيضاً.. لكنها أكدت فى الوقت ذاته أن فيلدرز حر فى التعبير عن رأيه.. وأعلن فورهيجن وزير الخارجية أن الحكومة تساند حرية التعبير وحرية العقيدة، ولكن مواقف الزعيم اليمينى لا تتفق مع مواقف الحكومة.

وأعادت "الشرق الأوسط" إلى الذاكرة عواقب فيلم "الخضوع" عام ٢٠٠٤ للمخرج الهولندى ثيوفان جوخ الذى عرض صوراً لسيدات منقبات عاريات مكتوب على أجسادهن آيات من القرآن الكريم، وبعد وقت قصير اغتيل فان جوخ على يد شاب هولندى من أصل مغربى يدعى محمد بويرى الذى يقضى الآن عقوبة السجن مدى الحياة.. أما إيان هيرسى التى كتبت سيناريو الفيلم، وهى برلمانية سابقة فى هولندا فقد هاجرت من الصومال وتحولت عن الإسلام وعادته عداء شديداً فقد استقالت من البرلمان بعد افتضاح قيامها بتزوير وثائق فى هولندا لنيل الإقامة، وتعرضت لتهديدات بالقتل حتى اضطرت لمغادرة هولندا وتعيش حالياً فى قاعدة عسكرية أمريكية فى هولندا.. وأحياناً يتم نقلها تحت الحراسة المشددة إلى الولايات المتحدة.

كما تعرض بيم فورتيون أحد السياسيين الهولنديين الذى عرف بانتقاداته الشديدة للإسلام للقتل على يد ناشط فى مجال الحفاظ على البيئة ورعاية الحيوان عام ٢٠٠٦.. ورغم هذه التحذيرات أعد الفيلم وعرض على شبكة الإنترنت.. وأصبح ـ تاريخياً ـ مظهراً من مظاهر الإساءة إلى القرآن الكريم.

## الفرقان الحق

ومع كل ذلك فقد حفظ التاريخ ما هو أخطر من الإساءة والتشويه.. حيث صدر فى أمريكا قرآن مبتدع أطلق عليه اسم " الفرقان الحق " ليكون بديلاً للمسلمين عن كتابهم " القرآن الكريم " الذى يتهمه الكارهون فى الغرب بأنه المصدر الرئيسى للإرهاب، وأنه المسئول عن تخلف المسلمين حضارياً واجتماعياً وسياسياً.

استغرق العمل فى هذا الكتاب الملفق سبع سنوات بدءًا من عام ١٩٩١ وصدر علناً فى ولاية تكساس الأمريكية عام ١٩٩٩ عن دار نشر "واين برس" و " أوميجا ٢٠٠١ ".. ومع اتساع نشره وتوزيعه فى الولايات المتحدة وأوروبا وإسرائيل، بل فى بعض المدارس الأجنبية بعدد من الدول العربية، اعتبر إحدى العلامات البارزة فى الحرب ضد الإسلام خلال سنوات الرئيس بوش - بالنظر إلى أنه يتضمن المفاهيم الدعائية نفسها التى رفعتها هذه الحرب، ويرمى إلى الأهداف نفسها التى وضعتها.

ينسب "الفرقان الحق" بشكل صريح وعلنى إلى جماعة إنجيلية "بروتستانتية " فى ولاية تكساس، لها موقع إلكترونى على شبكة الإنترنت باسم " مركز المحبة الإلهية "، وأما الواضع الحقيقى لهذا الكتاب فهو د.أنيس شورش، أحد المهاجرين المسيحيين من فلسطين إلى أمريكا، وله جهود كبيرة فى محاربة الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.

يقع الكتاب فى ٣٦٨ صفحة، ويتألف من عدد من الموضوعات، كل موضوع جعل تحت اسم خاص، على هيئة سور القرآن الكريم، وبلغت تلك الموضوعات - أو السور - سبعاً وسبعين،مع مقدمة وخاتمة، ومن أمثلة تلك الموضوعات - أو السور - التى تضمنها الكتاب: الفاتحة، المحبة، المسيح، الثالوث، المارقين، الصَّلب، الزنى، الماكرين، الرعاة، الإنجيل، الأساطير، الكافرين، التنزيل، التحريف، الجنة، الأضحى، العبس، الشهيد، الانبياء.....

كما أن الموضوعات- أو السور- التى تضمنها الكتاب مقسمة إلى مقاطع مرقمة على هيئة الآيات القرآنية، فقد حاول واضعوه أن يأتى مشابهاً للقرآن الكريم، حتى طريقة خط الكتابة تشابه رسم المصحف العثمانى.. ولذا قال د.أنيس شورش: إن الكتاب مشابه للقرآن من حيث الأسلوب لكنه يحتوى على رسالة الإنجيل.

صدر "الفرقان الحق" باللغة العربية وترجم إلى الإنجليزية.. ويزعم واضعوه أنه وحى من عند الله تعالى نزل على من دعوه بالصفى كما ورد ذلك نصاً فى الكتاب: "ولقد أنزلنا الفرقان الحق وحياً، وألقيناه نوراً فى قلب صفينا ليبلغه قولاً معجزاً بلسان عربى مبين، مصدقاً لما بين يديه من الإنجيل الحق، صنواً فاروقاً محقاً للحق، ومزهقاً للباطل، وبشيراً ونذيراً للكافرين"/ التنزيل: ٥/٤،٠ ص٣٢٥ .

جاء الكتاب جزءاً من مشروع بعيد المدى، هادفاً الى صرف المسلمين عن دينهم، وإخراجهم من ملتهم، ولهذا رأينا حرصه الشديد على مشابهة أسلوب القرآن الكريم، وطريقته فى ذكر الآيات والسور، بل ورأينا فيه اقتباساً كثيراً لبعض الكلمات والجمل والأساليب القرآنية، مع تغيير المضمون لكى يأتى على النحو الذى أرادوه، وهو الطعن فى القرآن الكريم وعقيدة التوحيد ونبذ الجهاد والشهادة والتهكم على الطلاق وتعدد الزوجات.

وهذه أمثلة على بعض ما جاء فى هذا المسخ الملفق:

- يقول الكتاب إن الله سبحانه وتعالى لم ينزل القرآن الكريم، وإنما هو وحى الشيطان، وأن النبى صلى الله عليه وسلم تلقاه من الشيطان.. ووصف الكتاب النبى صلى الله عليه وسلم بالكذب والزور والبهتان، وغير ذلك من الألفاظ البذيئة النابية.

جاء فى الكتاب: "إن الشيطان إذا أراد أن يضل قوماً استحوذ على أمى منهم فأغواه فأغوى قومه، وزين لهم سوء أعمالهم فأضلهم وهم بضلالهم يفرحون، وأوردهم ناراً تلظى وهم لا يشعرون" (الإفك ٣، ٤)

وجاء فيه أيضاً: "ياأيها الذين كفروا من عبادنا لقد ضل رائدكم وقد غوى- إن هو إلا وحى إفك يوحى علمه مريد القوى- فرأى من مكائد الشيطان الكبرى- كلما مسه طائف من الشيطان زجره صحبه فأخفى ما أبدى - واذا خلا به قال إنى معك - فقد اتخذ الشيطان ولياً من دوننا- فلا يقوم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس إذ ينزل عليه رجزاً (الغرانيق ١:١١)

- الطعن فى المسلمين وسبهم ووصفهم بكل نقيصة، وإلصاق تهمة الكفر بهم. يقول: "فسيماؤكم كفر وشرك وزنى وغزو وسلب وسبى وجهل وعصيان" (الكبائر ٢٥٩-٢٦٠).. وفى موضع آخر: "ولا تغلوا فى دين لقيط ولا تقولوا علينا غير الحق المبين" (الفرقان ٢٩)

- إثارة الشبهات حول شرائع الإسلام وأحكامه والتشكيك فيها.. وهى شبهات قديمة قال بها المستشرقون قديماً.. كموقف الإسلام من المرأة، ومشروعية الصلاة والصوم.. جاء فى الكتاب: "وما كان النجس والطمث والمحيض والغائط والتيمم والنكاح والهجر والضرب والطلاق إلا كومة ركس لفظها الشيطان بلسانكم" (الطهر: ٦)

- تشويه فريضة الجهاد.. ومن أمثلة ذلك: "وافتريتم علينا الكذب إذ زعمتم بأنا أوحينا إليكم بشرعة الكفر والقتل والضلال - ألا إنا لا نوحى بقتل عبادنا ولو كانوا كافرين - لكنها شرعة الكفر من وحى شيطان عنيد" (الهدى: ٥،٦).. وفى موضع آخر: "وزعمتم بأنا قلنا قاتلوا فى سبيل الله وحرضوا المؤمنين على القتال وما كان القتال سبيلنا وما كنا لنحرض المؤمنين على القتال إن ذلك إلا تحريض شيطان رجيم لقوم مجرمين" (الموعظة: ٢).. وفى موضع آخر: "فلا تطيعوا أمر الشيطان ولا تُصدقوه إن قال لكم: كلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفورٌ رحيم".

- ترديد الاتهامات التى ألصقها المستشرقون بالإسلام فيما يتعلق بالمرأة والزواج والطلاق.. يقول فى سورة النساء: "ياأهل الظلم من عبادنا الضالين، لقد اتخذتم من المرأة سلعة تباع وتشترى، وتنبذ نبذ النوى، مهيضة الجناح، هضيمة الجانب، وما كان ذلك من سنة المقسطين. تقتتون ما طاب لكم من النساء كالسوائم تأسرونهن حبيسات وهن حرث لكم تأتون حرثكم أنى شئتم، ذلك هو الظلم والفجور، فأين العدل، فللذكر مثل حظ الأنثيين وهى نصف شاهد، فإن لم يكن رجلان فرجل وامرأتان، فللرجل عليهن درجة، وهذا عدل الظالمين.

. وأثار الفرقان المزعوم قضية تعدد الزوجات حيث يقول: "ياأيها الناس: لقد زنى من كان أحد أربعة: مشركاً بزوجته أخرى، أو مطلقها دون زناها، أو زوج مطلقة، أو ذا عين زانية وفعل ذميم" سورة الزنى:١٢.

وهكذا يتبين أن كل ما أثاره هذا الكتاب هوالشبهات نفسها التى أثارها ويثيرها المستشرقون ومن سار على نهجهم من المستغربين فى بلاد المسلمين، وقد لجأوا جميعاً إلى الزيف والكذب والافتراء وطمس الحقائق لتشويه القرآن الكريم ورسالته السامية النبيلة.. ومما يثير السخرية أن هذا الكتاب

الملفق يقـرر فى معـرض تكذيب نبوة محمـد صلى الله عليه وسلم أنه لا نبى بعد عيسى عليه السلام، حيث يقول: "وما بشرنا بنى إسرائيل برسول يأتى من بعد كلمتنا وما عساه أن يقول بعد أن قلنا كلمة الحق وأنزلنا سنة الكمال وبشـرنا الناس كـافـة بدين الحق ولن يجـدوا لـه نسـخـاً ولا تبـديلاً إلى يوم يبعثون" (الأنبياء: ١٦)

ونتسـاءل: إذا كـان الوضـع على هذا النحـو فكيف يدعى واضـعـو الفـرقـان المزعوم أنه وحى من الله لنبى يقال له الصفى؟!

وفى الوقت الذى يقـرر فيـه هذا الكتـاب الملفق أن القـرآن الكريم وحى من الشـيـاطين ورجـسـهم نجـده وبشكل فـاضح ومـخـز يحـاكى القـرآن الكـريم فى ترتيبه وجمله وأساليبه.. وهى محـاكاة ركيكة وفاشلة.. قامت كلها على توجيه الشتـائم البـذيئـة ضـد الإسـلام ونبيـه والمسلمين أجـمـعين، وليس فيه شئ من المناقشـات المنطقـية ولا الحجـج والبراهـين ولا حتى محـاولة الفهم والتسـامح والتواضع.

وسيبقى كتاب الله تعالى محفوظاً فى الصدور وفى السطور، ولن تؤثر فيه محـاولات صبيانية للتـزييف والتحريف.. قال تعـالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

## موقع "قرآن نت"

وهذا موقع صهيونى على شبكة الإنترنت.. يمثل أحدث فصول المؤامرة على القرآن الكريم.. وقد أطلقت وزارة الخـارجية الإسـرائيلية هذا الموقع المريب فى يونيـه ٢٠٠٨ لتقـدم من خـلالـه- وفقـاً لما جـاء فى افتـتـاحـيتـه- تفسـيـراً عصـرياً مختلفاً لكتاب المسلمين المقدس، سعياً نحو تواصل أقـرب إلى النص القـرآنـى ومـا فـيـه من مـعـانـى التسـامـح والسـلام.. واسـتـشـهـد الموقع فى ذلك بالآية الكريمـة: "ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىٌّ حميم"

وليس هنـاك من شك فى أن هـذه الخطوة الصـهـيـونيـة تمثل حيلة جـديدة لإقناع الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين بالتطبيع من خلال تحريف القرآن الكريم، وتقديم تأويلات خـاطئة للآيات تتفق مع الاسـتـراتيجية الصهيونية

الأمـريكيـة المعلنة.. ولا يغـيـر من ذلك أن يكون القـائمـون على تحـرير الموقع المشبوه كتاباً من عرب إسرائيل وليس اليهود.

وسـواء قـام بالمهـمـة هؤلاء أو أولئك فـإن الهـدف واحـد وهو انتـقـاء الآيات واجتزاء النصوص ونبذ الشرائع واختيار كل ما يُظهـر الإسـلام بلا قوة وتجنب كل آية تحض على الجهاد والحفـاظ على الهوية الإسـلاميـة.. والتـركيـز على العـبـادات ونقـائض الوضـوء وحقـوق الجـار وغـيـرها وإسـقـاط كل مـا يتـعلق بالحياة المعاصرة وتحدياتها.

سـوف تحـاول إسـرائيل من خـلال هذا الموقع ضـرب المقـاومـة فى مـعـتـقـدها وتسـويق مـفـاهيـم التـعـايش والتـعـاون والسـلام التـى تروج لهـا وتشـويه الدعم الفـكرى الذى يقـاوم الاحـتـلال.. وسـوف تحـاول اللعب على النص القـرآنى والدوران حوله لترويج فكرة مـعينة، وهـى كسـر حـدة الكراهية للصهاينـة مهما فـعلوا والاسـتـسـلام لمخـطـطاتهم، وخـلق جيل يتـوافق مع الواقـع والنـمط الذى يراد فرضه على العرب والمسلمين.

وقد جـاء فى افتتـاحيـة الموقـع أن ١٥ أكـاديمـيـاً من مـسلمـى عـرب ٤٨ قـامـوا بإعـداد المشـروع فى إطار دراسـتـهم لنيل درجـة المـاجـسـتـيـر فى مـجـال الاسـتـشـارات التـربوية تحت إشـراف أسـتـاذ إسـرائيلى هو "عـوفـر جـرو زيرد" وبرعـاية شيمـون بيـريز الرئيس الإسـرائيلى.. وقـد اختـيـر المشـروع كـواحـد من أفضل ٦٠ اختراعاً وتجديداً إسـرائيلياً قد يؤدى إلى تغيير المستقبل فى مؤتمر "آفاق الغـد" الذى أقيم فى مـركز المؤتمرات الدولى بالقـدس المحتلة فى الفـتـرة من ١٣-١٥ مايو ٢٠٠٨.

إنها مـحـاولة مـخـادعـة.. ظاهـرها تقديم تفـسـيـر عصـرى للقرآن الكريم يقـوم على الدور التربوى وباطنه مـشروع خطير لتحـريف القرآن الكريم وتزويره فى إطار "العولمة الدينية" و "حرب الأفكار"

و "الحـرب الدينيـة" التى نشـهـد فصـولها واحـداً بعـد الآخـر.. ولكن كل هذه المحاولات البائسة سوف تبوء بالفشل بإذن الله.

٢

# أزمة الرسوم الكاريكاتورية

فى أواخر عام ٢٠٠٥ تفجرت أزمة دينية كبرى بين الشرق والغرب بسبب رسوم كاريكاتورية نشرتها بعض صحف أوروبا وأمريكا بهدف الإساءة إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والسخرية من الإسلام والمسلمين.. والتأكيد على أن محمداً ورسالته هما أساس دعوات الإرهاب فى العالم.

بدأت قصة الرسوم حينما اشتكى الكاتب الدانمركى كار بلوتغين من أنه لم يجد من يرسم صوراً لكتاب يقوم بإعداده عن النبى صلى الله عليه وسلم، لأن أحداً لم يتجرأ على تخطى الحظر الإسلامى المعروف عن رسم الرسول.. وهنا نشرت صحيفة " يولاندز - بوستين " الدنماركية واسعة الانتشار مسابقة للرسامين لرسم الرسول كما يرونه كتأكيد على حرية التعبير ورفض ضغوط المسلمين والحظر الذى يفرضونه على رسم نبيهم.

وفى ٣٠ سبتمبر نشرت " يولاندز- بوستين " سلسلة من الرسوم التى تلقتها.. يصور بعضها النبى صلى الله عليه وسلم على أنه إرهابى.. يخبئ القنابل فى عمامته.. فى حين تظهره رسوم أخرى وهو يقف على باب الجنة ويقول : " إن الجنة لم يعد بها حور عين يكفين للاستشهاديين".

وكان من الطبيعى أن ترتفع صيحات الغضب والرفض والاحتجاج بين المسلمين والعرب فى كل مكان رداً على هذه الرسومات البذيئة.. وعلت

الصيحات المطالبة باعتذار رسمى وبمقاطعة شاملة للمنتجات الدنماركية.. وفى الوقت ذاته كانت هناك صحف أخرى، ألمانية وإيطالية وهولندية ونرويجية وأمريكية وإسبانية ومجرية وفرنسية تعيد نشر الرسوم المسيئة كنوع من الدعم للصحيفة الدنماركية التى بدأت المعركة.. وقالت هذه الصحف إنها تمارس حرية التعبير عن الرأى.. لكن الصحف البريطانية رفضت نشر الرسوم.

وقد اعتذرت الصحيفة الدنماركية - التى نشرت الرسوم - عن إساءتها للمسلمين بعد مماطلات طويلة.. لكنها أصرت على أن من حقها بموجب القانون الدنماركى أن تنشر الصور.

وقد لفت الأنظار فى هذه الأزمة - التى استغرقت نحو ستة أشهر - قيام بعض الصحف العربية بإعادة نشر الرسوم، فقد نشرت صحيفة "الفجر" المصرية بعضاً منها يوم ١٧ أكتوبر ٢٠٠٥.. ووصفتها بأنها إهانة مستمرة وقنبلة عصرية.. كما نشرتها صحيفة " شيحان " الأردنية فى ٢ فبراير ٢٠٠٦ ودعت المسلمين إلى التعقل.

وعندما نشرت صحيفة " شارلى أبدو" الفرنسية الأسبوعية هذه الرسوم المسيئة، بالإضافة إلى رسوم أخرى خاصة بها، أدان الرئيس الفرنسى جاك شيراك قرار بعض الصحف الفرنسية بإعادة نشر الرسوم واعتبره " استفزازاً صريحاً ".. وفى ٢ فبراير ٢٠٠٦ أقيل رئيس تحرير صحيفة" فرانس سوار " لنشره الرسوم.

وكان من نتيجة هذه الأزمة أن خرجت مظاهرات الاحتجاج الغاضبة فى معظم العواصم الإسلامية.. وأضرمت النار فى عدة سفارات للدنمارك والنرويج.. وشكا سفراء عشر دول إسلامية لرئيس وزراء الدنمارك بسبب الرسوم..بينما سحبت السعودية سفيرها من الدنمارك.. وأعلنت إيران قطع جميع علاقاتها التجارية مع الدنمارك.. واقتحم مسلحون مكتب الاتحاد الأوروبى فى غزة، وطالبوا باعتذار رسمى عن الإساءة التى لحقت بنبى الإسلام.ولقى خمسة أشخاص على الأقل مصرعهم فى مظاهرات بأفغانستان.

فى ١٠ فبراير ٢٠٠٦ أعلن رئيس الوزراء الماليزى عبد الله بدوى فى كلمة

أمام مؤتمر فى كوالالمبور أن الهوة اتسعت بين الغرب والعالم الإسلامى.. وتذكيها إحباطات المسلمين من السياسة الخارجية الغربية.

وفى اليوم التالى سحبت الدنمارك دبلوماسييها من سوريا وإيران وأندونيسيا بسبب مخاوف على سلامتهم.

وفى ٦ أكتوبر ٢٠٠٦ عرض التليفزيون الدنماركى خلال شهر رمضان مقاطع من شريط فيديو التقطه أحد الهواة فى أغسطس لمسابقة للرسوم تبارى فيها متسابقون شبان فى السخرية من النبى الكريم صلى الله عليه وسلم.. وذلك خلال معسكر صيفى نظمته قيادة الشباب بحزب الشعب اليمينى المتطرف المشارك فى الائتلاف الحكومى..وتظهر اللقطات - التى عرضها التليفزيون الدنماركى - شاباً من حزب الشعب يقوم بدور الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يضع عمامة ويربط حزاماً من المتفجرات على خصره أمام جمهور يطلق الضحكات.. كما تضمنت اللقطات مشاهد تصور الرسول الكريم فى شكل جمل يشرب الخمر.

وفى ١٩ أكتوبر ٢٠٠٦ ظهرت حلقة جديدة فى مسلسل الإساءات فى الدنمارك حيث قامت شركة ألعاب خلال شهر رمضان بتسويق لعبة " بلاى ستيشن " جديدة تظهر رسول الرحمة على هيئة مجسم من البلاستيك لرجل بلحية يطأ مجسماً بلاستيكياً آخر يجسد أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.. وكتبت الشركة على اللعبة " العب وكأنك النبى محمد الذى تزوج أكثر من مرة وتزوج عائشة ابنة الست سنوات".

ووصل اللدد فى الإساءة إلى حد أن دعت جماعات فى الدنمارك إلى حرق آلاف النسخ من القرآن الكريم فى ميدان عام رداً على قيام مجموعات من المسلمين بحرق علمى الدنمارك والنرويج فى الضفة الغربية وغزة، وهدد الاتحاد الأوروبى بمقاطعة منتجات الدول العربية والإسلامية وتطبيق عقوبات اتفاقية التجارة الحرة رداً على قيام الجماهير المسلمة فى السعودية وليبيا وبعض الدول الأخرى بمقاطعة منتجات الدنمارك والنرويج، وبالذات الجبن الدنماركى.

وخلال ٢٠٠٧، أظهرت تقارير صحفية تزايداً فى حالات استفزاز المسلمين فى هولندا بصور متعددة منها دعوة قس كنسى لمنع التلفظ بكلمة " لا إله إلا

الله " بدعوى " أنها تستحوذ على الإله للمسلمين " ودعوة جيرت فيلدرز عضو البرلمان الهولندى وزعيم حزب الحرية اليمينى إلى منع تداول القرآن الكريم حتى فى المساجد بزعم أنه يحض على العنف ومعاداة السامية، وفيلدرز هو نفسه الذى أنتج الفيلم المسئ للرسول والقرآن الكريم بعد ذلك فى ٢٠٠٨، كما تجرأ الهولندى - من أصل إيرانى - إحسان جامى على اتهام الرسول الكريم بأبشع النعوت بعد أن ارتد عن الإسلام، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه " مثل اسامة بن لادن وأن القرآن كتاب عنف وحروب يستوجب التخلى عنه"، الأمر الذى استفز المسلمين هناك وجعله يحظى بحماية أمنية مستديمة.

وفى عام ٢٠٠٨ زادت فى هولندا التصريحات والمقالات التى تتطاول على الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجاته، بالإضافة إلى ظهور توجهات قوية للتفريق بين المواطنين الأوروبيين المسلمين، ونظرائهم المسيحيين واليهود.

وفى الدنمارك أعادت ١٧ صحيفة فى شهر فبراير ٢٠٠٨ نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم بحجة التضامن مع صاحبها الذى زعمت السلطات هناك أنه واجه تهديدات بالقتل، من قبل ثلاثة من المهاجرين المسلمين، أفرجت فيما بعد عن واحد منهم، وقامت بترحيل الاثنين الآخرين دون توجيه أية تهمة لهما.

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل ارتكبت السلطات هناك خطأ آخر فادحاً بحق المسلمين لا يقل فى وقاحته عما اقدمت عليه الصحف، وذلك عندما أعلنت المكتبة الملكية الدنماركية فى ٢٦ فبراير ٢٠٠٨ اعتزامها حفظ وتوثيق الرسومات المسيئة، معتبرة إياها جزءاً من تاريخ البلاد، حيث نقلت صحيفة " الجارديان " البريطانية عن المتحدثة باسم المكتبة الملكية الدنماركية جيتى كجارجارد قولها " إن الحرص على عرض وتوثيق الرسومات إنما ياتى انطلاقاً من قيمتها التاريخية.. لسنا مهتمين بنشر الرسومات، وإنما يعنينا بالمقام الأول حفظها للأجيال القادمة لأنها أصبحت جزءاً من تاريخ الدنمارك".

وقالت :" ستكون لدينا فى مكانها الطبيعى، حيث تتوفر التدابير الأمنية

اللازمة لمعاملتها ككتاب نادر غير متاح للجمهور، وإنما تقتصر إتاحتها على الباحثين اعتماداً على خطابات توصية صادرة من أساتذتهم الجامعيين"

وقد كشفت جريمة الرسوم المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام أننا لا نواجه الغرب المسيحى لكننا نواجه الغرب العلمانى الملحد المتعصب العنصرى، الغرب الذى داس على كل قيم المسيحية الغراء وتجاهل تعاليم السيد المسيح عليه السلام، واستسلم للوثنية الإغريقية القديمة، التى تمجد القوة والغطرسة وإخضاع الآخرين وإذلالهم والاستهانة بالمقدسات والمشاعر الإنسانية.

الغرب الآن لم يعد مسيحياً، بل ليس دينياً على الإطلاق، أو إن شئت الدقة فقل إن دينه اليوم هو "العلمانية" التى تدفعه إلى معاداة الدين، واستبعاده تماما من حياة البشر، فالذين أساءوا للنبى محمد صلى الله عليه وسلم أساءوا من قبل مرات عديدة، وما زالوا يسيئون إلى السيد المسيح عليه السلام ومريم البتول بالقول والفعل، وقد برز هذا من خلال رسم كاريكاتورى نشرته إحدى الصحف أثناء أزمة الرسوم المسيئة يظهر فيه السيد المسيح، وهو يقول للنبى عليهما الصلاة والسلام: "لا تغضب يا محمد.. فقد سخروا منى وأهانونى أكثر منك".

ومن عجب أن العلمانية الغربية بقدر ما أخذت من قدسية الدين والأنبياء بقدر ما أعطت من قدسية للقيم المدنية.. فصارت هناك قداسة لحرية الصحافة ـ مثلاً- وحرية التظاهر، تفوق قداسة احترام الأديان والأنبياء، ولم يعد هناك وسط الطوفان العلمانى من يجرؤ على الوقوف ضد إهانة المقدسات، لأنه إن فعل ذلك حكم عليه بأنه متخلف، واتهم بمعاداة الحرية.

وهكذا نجحت العلمانية الغربية فى أن تجعل من نفسها ديناً جديداً بديلاً للدين السماوى، وأن تضع القيم المدنية فى تصادم وتناقض حتميين مع القيم المدنية، مع أن العقل السليم لا يقبل بهذا التصادم أو التناقض، فالدين هو مؤسس الحرية الإنسانية ومنه خرجت كل القيم الحضارية العليا، كالأمانة والصدق واحترام الآخر والمساواة والتسامح والتعايش والحب والوفاء واحترام العهود وعدم استعباد الخلق واضطهاد المستضعفين ونبذ الاستبداد والإرهاب.. إلخ.

والعقلية العلمانية الغربية تتصور أنها بعنادها وتماديها بنشر الصور المسيئة للرسول تعلى من قيمة حرية الصحافة، وتدافع عنها فى مواجهة ما يتهموننا به من "هوس دينى" حين نعترض على "مجرد" نشر رسوم كاريكاتورية لنبى الإسلام، وهذه العقلية التى أسقطت كل المقدسات لم تعد قادرة على فهم ما تمثله شخصية الرسول الكريم لدى المسلمين من قيمة عليا وما تحتله من مكانة سامية وأن أى مساس بشخصية الرسول يعد عند المسلمين جريمة بشعة تهون فى سبيلها الأرواح لأنها جريمة تطعن فى أساس عقيدتهم وهويتهم ووجودهم.

ولعل أكبر دليل على أن العقلية العلمانية الغربية تعانى من الازدواجية فى المعايير أنها وهى تستهين بالأديان والأنبياء تحت ستار حرية الصحافة لا تجرؤ أبداً على المساس بالأساطير التى يروجها اليهود، ويحيطونها بالتقديس والإجلال، ومنها- مثلاً- أسطورة المحرقة الجماعية "الهولوكوست" وأفران الغاز التى أباد فيها هتلر آلاف اليهود إبان الحرب العالمية الثانية، والسبب فى ذلك أن اليهود صارت لهم قوة مادية ومعنوية طاغية، استطاعوا بها أن يبتزوا المجتمعات الغربية العلمانية، وأن يقنعوها بسن قوانين لإدانة من ينكر أساطيرهم، وكان من أول ضحايا تلك القوانين المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى الذى حوكم وقضى عليه بالسجن لأنه أنكر أكذوبة أفران الغاز.

وقد كان سفير الدنمارك فى القاهرة صريحاً، وهو يعترف للتليفزيون بأن القانون فى بلاده لا يهتم كثيراً بالإساءة إلى الأنبياء والرسل لأن هذه الإساءة تعد من حرية الصحافة، بينما إذا أنكر أى كاتب محرقة اليهود فإن مصيره المحتوم هو السجن وبأقصى سرعة.

ومن علامات الازدواجية أيضاً أنك إن سرت فى شارع بيجال بباريس - مثلاً- سوف يلفت نظرك أن الغانية تقف فى عرض الشارع ممسكة بالميكروفون تنادى به على الزبائن وتتفاوض معهم بكل ثقة، بينما المسجد المجاور لها لا يستطيع رفع الأذان بالميكروفون.

وهكذا تكون الحرية.. بالطريقة التى يفهمها العقل العلمانى الغربى الذى يثور لأن بعض تماثيل بوذا وزرادشت تعرضت للهدم لكنه لا يرى أدنى مشكلة فى أن يساء إلى الأنبياء والمرسلين، بل إلى الله جل شأنه والعياذ بالله.

وفى المحصلة النهائية فإن المواجهة مع الدنمارك كانت فى صالحنا، لأنها على الأقل أيقظت الغافلين الذين لم يكن لديهم أى اهتمام بالاعتداءات الغربية المتكررة على نبينا وعلى عقيدتنا وهويتنا، ونجح تيار المقاطعة للمنتجات الدنماركية وهو تيار شعبى خالص فى أن يوحد الأمة ويجمعها على قضية وهدف والأكثر من ذلك أنه كشف المنافقين والمزيفين الذين صدعوا رؤوسنا سنوات طويلة بشعارات احترام الآخر وكونوا جماعات حقوق الإنسان الممولة من الخارج لنشر قيم التسامح والتعايش ثم لاذوا بالصمت التام عندما تعلق الأمر بإهانة الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

ونجح تيار المقاطعة الشعبية فى أن يجعل الحكومات والمؤسسات الرسمية تتصدر المشهد الاحتجاجى.. وتتحدث بلغة الشارع الرافضة والمستنكرة والمدينة بشكل قاطع للأزمة وتداعياتها ويكفى أن رئيس الوزراء الدنماركى الذى كان يرفض الاعتذار، ويرفض استقبال سفراء الدول الإسلامية الذين اعترضوا على نشر الصور المسيئة.. هذا الرجل يقدم كل يوم اعتذاراً رسمياً، ويحض الصحيفة والصحفيين على الاعتذار حتى تنتهى الأزمة التى سببت خسارة لبلاده قدر بمليونى دولار يومياً.

ولكن قبل أن نسجل الانتصار الحاسم الذى يكيد الأعداء فى قضية الرسوم البذيئة المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم.. لم تدم فرحتنا طويلاً بالموقف الموحد الذى اجتمع عليه المسلمون من أندونيسيا شرقاً إلى مراكش غرباً.. وانقسمنا كالعادة.. وتفرقت الصفوف.

جاء الانقسام بسبب مبادرة أعلنها الداعية الشاب عمرو خالد لعقد مؤتمر حوارى فى الدنمارك لاستثمار أزمة الصور واتخاذها وسيلة لتعريف المجتمع الدنماركى بالإسلام ونبى الإسلام.. وهذا المؤتمر الحوارى بعنوان "هذا نبينا".. ويعقد تحت رعاية فضيلة المفتى د.على جمعة، ويشارك فيه نحو ١٧٠ عالماً من علماء الإسلام ودعاته.. وقد تحمست للفكرة الداعيات الشهيرات مثل د.عبلة الكحلاوى والسيدة ياسمين الخيام.

على الجانب الآخر هاجم الشيخ يوسف القرضاوى مبادرة الحوار.. ووصف الدعوة إليه بأنها "مشبوهة".. واتهم عمرو خالد صراحة فى برنامج بقناة الجزيرة بالعمل على قطع الطريق على الأمة الإسلامية لصالح الحكومة

الدنماركية، كى لا تستطيع التعبير عن غضبها للإساءة للرسول.. إذ لا يجوز لعمرو خالد أن يذهب إلى هناك بحجة محاورتهم.

وأشار القرضاوى إلى خلاف بين د.محمد سليم العوا المفكر الإسلامى الكبير وعمرو خالد حول مسألة الحوار بعد الإعلان عن تنظيم المؤتمر وعن مموله، خاصة أن تكلفته ستتعدى ملايين الدولارات.. كما أثار القرضاوى قضية اعتقال السلطات البريطانية للمسلمين، ولكنها فى الوقت ذاته تسمح لعمرو خالد بإقامة ندوات ومؤتمرات على أرضها.

ووجد هجوم الشيخ القرضاوى صدى واسعاً ضد عمرو خالد، كما هاجم مبادرة الحوار أحمد عكارى أحد قيادات الجالية الإسلامية فى الدنمارك والمتحدث باسم اللجنة العالمية لنصرة النبى.. مؤكداً أن المبادرة لا تعبر عن وقوف المدافعين عن القضية صفاً واحداً.. وحذر من أن يكون عمرو خالد أداة سياسية فى يد أحد.. وتساءل: مادامت أهداف عمرو نبيلة فهل من المنطقى أن تتم مبادرته دون أى اتصال بالجالية الإسلامية فى الدنمارك؟!
وفى حين يتدهور الموقف الإسلامى على النحو الذى رأيناه يشتد الموقف فى الغرب ترابطاً وتضامناً.. ويظهر تيار يمينى متعصب يتهم السياسيين فى أوروبا بالجبن والكذب والنفاق فى معركة الصور.. مؤكداً أنها "معركة مصيرية حول حرية التعبير فى مواجهة عقيدة غير متسامحة وعنيفة ودموية".

وفى الاتجاه ذاته يصدر ١٢ كاتباً بينهم سلمان رشدى صاحب كتاب "الآيات الشيطانية" بياناً شديد اللهجة حملته صحيفة "شارلى إبدو" الفرنسية للتحذير مما وصفوه بـ"الشمولية الإسلامية".. وقالوا إن العنف الذى اندلع بعد نشر الرسوم الكاريكاتورية يظهر الحاجة للوقوف إلى جانب قيم العلمانية والحرية والدفاع عنها.

ويذكر أن من بين هؤلاء الكتاب من وجهوا انتقادات للإسلام أو ألفوا أعمالاً وأعربوا عن آراء اعتبرت معادية للإسلام أو لرموز إسلامية، وصدرت ضد الكثيرين منهم فتاوى بإهدار الدم.. وإلى جانب سلمان رشدى هذا تضم قائمة الموقعين على البيان كلاً من إيان هيرسى على النائبة الهولندية الصومالية الأصل التى ألفت فيلم "الخضوع" الذى قتل مخرجه ثيو فان جوخ،

وتسليمة نسرين الكاتبة البنجلاديشية التى تعيش فى المنفى، وأهدر دمها عقب روايتها "العار"، والفيلسوف الفرنسى برنار أنرى ليفى، وتشالا شقيق الكاتب الإيرانى المنفى إلى فرنسا، والكاتبة الفرنسية كارولين فوريست، وإرشاد مانجى الكاتبة الأوغندية اللاجئة إلى كندا، ومهدى مظفرى الأكاديمى الإيرانى المنفى فى الدنمارك، ومريم نمازى الكاتبة الإيرانية التى تعيش فى بريطانيا، وأنطوان صفير مدير دورية فرنسية متخصصة فى الشرق الأوسط، وابن ورق أكاديمى أمريكى من أصل هندى، وفيليب فال مدير تحرير صحيفة "شارلى إبدو".

وتكشف قائمة الموقعين أن معظمهم من المسلمين الفارين من بلادهم.. والملاحقين بسبب هجومهم ضد الإسلام وضد رموزه.. والعجيب أن هؤلاء المسلمين يتخذون موقفاً متشدداً دفاعاً عن الصور البذيئة بينما تصدر أصوات عاقلة من الغرب، تقول إن نشر الصور يظهر عجرفة أوروبية ومعاداة للإسلام.

وفى غضون ذلك نشر استطلاع للرأى أشار إلى أن أغلبية الشعب الدنماركى لا يفهم السبب وراء غضب المسلمين من نشر هذه الرسوم المسيئة.. وهم معذورون فى ذلك لأنهم فى أوروبا أسقطوا المقدسات الدينية بالكامل، ولم يعد هناك خط أحمر يقف عنده النقاد والساخرون والمستهزئون إزاء أى مقدس دينى مهما كان.. بينما هناك ألف خط أحمر إزاء انتقاد اليهود أو الصهيونية.

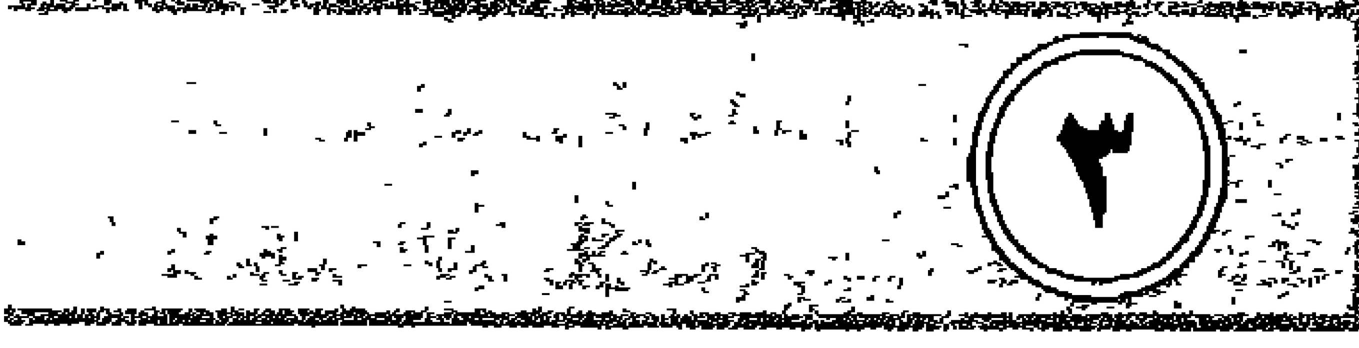
بقيت إشارة مهمة فى قضية الرسوم المسيئة لابد من التوقف عندها.. هذه الإشارة تتعلق بالصيحة التى أطلقها المطران عطا الله حنا رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس فى رام الله..وهى تمثل علامة مضيئة وسط هذه الحملة الكريهة..فقد أخذ المطران زمام المبادرة وعقد مؤتمراً صحفياً فى مطرانيته لإعلان موقف إنسانى ودينى يتسم بالاحترام ويحظى بكل التقدير لإخماد هذه الفتنة.

قال المطران عطا الله: إن ما قامت به الصحف الدنماركية هو تطاول مشين على عقيدة يؤمن بها الملايين من ابناء البشرية.. وأضاف :" أعتقد أن التطاول على رموز دينية إسلامية هو تطاول علينا جميعاً، وهو تطاول على القيم الإنسانية والحضارية والروحية ولا يمكننا أن نقبله".

وفى إشارة لها مغزى كبير دعا المطران عطا الله حنا وسائل الإعلام، وخاصة فى الغرب - ألا تتطاول على الرموز الدينية لكل الديانات، وألا تكون سبباً فى إثارة الفتن والصراعات الدينية والحضارية.. فالإعلام المتحضر يجب أن يكون عاملاً من أجل التقارب بين الشعوب والديانات لا أن يكون مفرقاً وعاملاً من أجل إثارة الفتن المشبوهة.

وقال: " إن المسلمين والمسيحيين فى فلسطين وفى وطننا العربى الكبير سيبقون إخوة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان.. فردنا على من يذكون صراع الديانات والحضارات هو مزيد من الوحدة والأخوة والتواصل والتعاون الإسلامى - المسيحى.

هذا نموذج للرد المسيحى الواعى والناضج على حملة الرسوم المسيئة.. وهو رد يقرب بين أبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة.. حتى يدرك الجاهلون أن جريمة الإساءة للرسول ترتكب باسم الغرب العلمانى المتعصب وليس باسم المسيح ولا باسم المسيحية.




# الإسلاموفوبيا

مصطلح "الإسلاموفوبيا" صار من أكثر المصطلحات شيوعاً فى الأوساط الثقافية والدينية خلال سنوات حكم الرئيس بوش الثمانية (٢٠٠٠-٢٠٠٨).. وذلك بفعل عوامل الصراعات الدينية والثقافية والسياسية التى تفجرت خلال تلك السنوات.. وترتبط ظاهرة الإسلاموفوبيا بتنامى المشاعر السلبية تجاه الإسلام والمسلمين فى المجتمعات الغربية.. وقد أدت هذه المشاعر إلى انطلاق سلوكيات غربية مجحفة بحقوق الأطراف المسلمة.

وترتبط ظاهرة الإسلاموفوبيا على المستوى الفكرى بنظرة اختزالية ضيقة للإسلام كدين وثقافة فى مجموعة محدودة من العقائد التى تحض على العنف والرجعية والنظرة السلبية للآخر وترفض العقلانية والمنطق وحقوق الإنسان..وينظر المصابون بالإسلاموفوبيا إلى المسلمين على أنهم مجموعة واحدة لها رؤية متشددة وجامدة وعنصرية للعالم..وأنهم منخرطون فى حركة سياسية عالمية لفرض هذه الرؤية على الآخرين فى حرب حضارية لا تتوقف.

وقد اختلفت الآراء حول دقة مصطلح "الإسلاموفوبيا"..هناك من أطلقوا عليه "مرض كراهية الإسلام".. وهناك آخرون قالوا إنه "موجة الخوف من الإسلام".

وانطلاقا من الرؤى السابقة فإن المصابين بـ"الإسلاموفوبيا"يرون أن العداء

للإسلام والمسلمين أمر طبيعى ورد فعل تلقائى نحو المسلمين الأشرار.. لذا فإنهم يساندون التمييز ضد المسلمين ويحشدون قوى الغرب فى حرب ضد الإسلام وأتباعه.

والتمييز هنا يعنى المطالبة بسياسات تحد من حقوق وحريات مسلمى الغرب المدنية، وإخضاعهم لمراقبة متزايدة من قبل السلطات الأمنية.. وقد تأخذ الإسلاموفوبيا صورة انتشار لمشاعر سلبية تجاه المسلمين داخل المجتمعات الغربية كرفض العيش بجوار سكان مسلمين ورفض بناء المساجد والمؤسسات الإسلامية.

وقد تتفجر أحيانا فى صورة أحداث عنف وتمييز وجرائم كراهية ضد المسلمين.. والاعتداء على مساجدهم ومقابرهم والتحريض ضدهم.. وهى أحداث توثقها بعض المنظمات المسلمة ومنظمات الحقوق المدنية الغربية.

فى أغسطس ٢٠٠٣ أصدر الدكتور أحمد عبد الرحمن كتاباً ضمن سلسلة "كتاب الجمهورية" بعنوان "مرض كراهية الإسلام.. الإسلاموفوبيا".. وفى الشهر التالى مباشرة أصدر الجزء الثانى من الكتاب نفسه..وأثبت فى المقدمة أن الإسلاموفوبيا مرض ثقافى اجتماعى تظهر أعراضه فى أفكار المرضى به، وفى مواقفهم السياسية والاجتماعية..وانتشار هذا المرض فى الغرب راجع إلى اعتقاد الغربيين بأنهم ينحدرون من أرقى الأجناس البشرية، وأن ثقافتهم هى أرقى الثقافات البشرية، وأن على الأجناس الأخرى أن تنبذ ثقافاتها المنحطة، وأن تتخذ الثقافة الغربية الراقية وتحل محلها فى كل جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية..وهذا هو ما يسميه الباحثون " الاستعلاء العنصرى والثقافى".

لكن المسلمين أظهروا استعصاءً ملحوظاً فى مواجهة الإحلال الثقافى الذى أداره الغرب، سواء فى أوساط الشعوب المسلمة أو فى أوساط المهاجرين الذين يعيشون فى البلاد الغربية ويحملون جنسيتها، ولم تنجح الجهود الواسعة المثابرة على امتداد قرنين من الزمان فى إقصاء الإسلام من حياة المسلمين، إلا فى جوانب محدودة، وبين طبقات محدودة، بل إن المسلمين استعادوا المبادرة وشرعوا فى عملية إحلال مضادة غايتها استعادة الحياة الإسلامية كاملة، ونبذ العناصر الدخيلة التى تتعارض مع الإسلام، ولم يكتف

المسلمون بهذا بل نشطت دعوتهم للإسلام فى الغرب نفسه، ونجحوا فى جذب أعداد كبيرة من الأوروبيين والأمريكيين إلى الإسلام، منهم مفكرون كبار وسياسيون وفنانون مرموقون.. وكان ذلك سبباً إضافياً فى نشر الإسلاموفوبيا.. وبعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١ الرهيبة تحول المرض إلى وباء.

ويرصد الكتاب جذور العنصرية فى الغرب بداية من الفكر اليونانى القديم..ومما فهمه العنصريون الصهاينة من نصوص التوراة.. ثم عنصرية العصور الوسطى التى تأججت فى الغرب بعد الهزيمة الساحقة التى لحقت بجيوش الصليبيين على أيدى صلاح الدين الأيوبى.. وجاء دور بعض المستشرقين الذين شوهوا الإسلام عن جهل أحياناً، وعن عمد أحياناً أخرى بسبب الحقد الذى سيطر على قلوبهم تجاه الإسلام، وينتقل بنا التاريخ إلى عنصرية القرن التاسع عشر..عصر الاستعمار الذى اقتحم ديار المسلمين وبذل أقصى ما يستطيع لاستئصال الإسلام من قلوبهم وعقولهم.. أو إفراغه من مضمونه.

ويتناول المؤلف أعراض مرض كراهية الإسلام الراهنة فى المجالات التربوية والإعلامية والفنية..فالكتب المدرسية تصور رجل الدين المسلم على أنه طاغية منتقم، وأن أتباعه يخضعون له تمام الخضوع، وأن المسلمين جهلاء يميلون إلى العنف بطبعهم، ويعبدون إلهاً غريباً.. وإلى جانب الكتب المدرسية هناك كتب أخرى تصدر لتشويه الإسلام وتلقى رواجاً كبيراً مثل سلمان رشدى وأوريانا فالاتشى وتسليمة نسرين.. هذا فضلا عما يصدر عن زعماء ورجال دولة من أمثال سيلفيو بيرلسكونى رئيس وزراء إيطاليا وجون أشكروفت وزير العدل الأمريكى وتوم لانتوس عضو الكونجرس الأمريكى وأوتو شيلى وزير الداخلية الألمانى والقس الأمريكى جيرى فالويل.. ناهيك عن المفاهيم الخاطئة التى تظهر فى وسائل الإعلام والسينما والإنترنت عن الإسلام والمسلمين.. وكلها مفاهيم تؤجج الكراهية والحقد.

ويكشف الكتاب الأعراض الإجرامية للإسلاموفوبيا.. والتى تتمثل فى الاعتداء على المساجد فى بلاد الغرب، وتجميد أموال المسلمين، وارتكاب جرائم وقحة ضد أفراد مسلمين، رجالاً ونساء..وتصل ذروة الكراهية ضد

الإسـلام والمسلمـين عند النازيين الجدد والعنصـريين فـى بريطانيـا وفـرنسـا والنمسا وألمانيا والنرويج وسويسرا ودول البلقان وهولندا وروسيا.

ويركـز الكتـاب على ضـحـايا الإسـلامـوفـوبيـا من المهـاجـرين واللاجـئـين والأقليات المسلمة.. ويعرض لقضية اندماج اللاجئين فى المجتمعات الغربية والمشاكل الثقافية والدينية التى تعترض ذلك..والتى لا تجد تسامحاً من قبل السلطات المحلية فى الغرب تجاه اللاجئين المسلمين.

وقد اعـتـرف الكاتب والصـحـفـى الفـرنسـى " تومـاس دلوتمب " بظاهـرة " الإسـلامـوفـوبيـا " التـى تجـتـاح الغـرب، وتتـبـع جـذورهـا ونتـائـجـهـا فـى كتـابه " الإسلام المتخيل:البناء الإعلامى للإسلاموفوبيا " الصادر عـام ٢٠٠٥.. مؤكداً أن الصـورة المتـخـيلة عن الإسـلام فى فـرنسـا تنم عن عـدم مـعـرفـة كـافـيـة بالإسلام والمسلمين.

وفى مقـال بجريدة الأهـرام المصـرية يوم ٢٥ مارس ١٩٩٥ ذكـر الدكتـور مراد هوفمـان السـفـير الألمـانى بالرياط ـ سـابقـاً ـ والذى اعـتنق الإسـلام منذ سنوات أن"الإسلام ما زال يعانى من أجواء سلبية معادية له تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وخاصة من وسائل الإعلام اليسارية، والأسوأ منها بعض القنوات التليفزيونية الخـاصـة، والتـابعـة للدولة. حيث تواصل رسم صـورة للإسـلام بوصـفـه دين العدوان والعنف وعدم التسامح، والتخلف، وأن من أبرز سماته تعدد الزوجات وإيذاؤهن نفسياً وبدنياً، علاوة على خطف الأطفال ! هذا بالإضـافة إلى بتـر الأيدى ورجم النساء".

وواضح مدى الجهل والحماقة فى هذه الأقاويل، ومـا كان لهـا أن تجد مكاناً فـى الإعـلام الألمانـى لولا المناخ العـام لهـا دون فـحص أو بحث.. والذى يصنع ذلك المناخ المعادى للإسلام هو الكتب المدرسية التى تغرس فى عقول التلاميذ صورة زائفة بشعة عن الإسلام.

واشـار الدكتـور هوفـمـان إلى مـحـاولة علمـية رصـينة جـرت لتـصـحـيح تلك الصـورة على يدى مـدير أكـاديميـة العلوم الإسـلامـيـة البـروفـسـور " فـلاتورى " وزميلته البـروفـسـيـرة " توروشكا " ـ وهـى غـيـر مـسـلمـة ـ فـقـد كـرس الأسـتـاذان الكبـيـران عـشـر سنوات كاملة من سنة ١٩٨٥ إلى سنة ١٩٩٥ من حيـاتهـمـا: " لتـحليل مـا يمكن أن يجـده المرء عن الإسـلام من مـعلومـات ومـفـاهيم بـالكتب

المدرسية باللغات الألمانية والهولندية والإيطالية والدنماركية من مواد الدين والتاريخ والجغرافيا وكانت النتيجة مذهلة للغاية حيث تصور هذه الكتب للطلبة الأوروبيين الإسلام بأنه دين التخلف والعنف وأن المسلمين مستعدون للدخول فى حرب مقدسة ضد المسيحيين فى أية فرصة تتاح لهم".

وقد نجح الأستاذان الكبيران فى إرسال ٤٦ ألف كتيب بالبريد توصى بإعادة صياغة مثل هذه المواد للمدارس ودور النشر المعنية ونحن الآن فى انتظار نتيجة ذلك.

ولا ريب أن تصحيح تلك الكتب الدراسية هو الخطوة الأولى المهمة لتهيئة الأجيال القادمة لإقامة علاقات طبيعية بين ألمانيا والعالم الإسلامى، فضلاً عن العلاقات السلمية مع المهاجرين المسلمين إلى ألمانيا.

والواقع المرير نفسه فى الولايات المتحدة الأمريكية.. حيث يقول بول فندلى - عضو الكونجرس الأمريكى لمدة عشرين عاماً - فى كتابه " لا صمت بعد اليوم " كانت بداية تعرفى على الإسلام سيئة.. ذلك أننى ضُللت بشأن المسلمين والدين الإسلامى عندما كنت أدرس فى مدرسة الأحد الأرثوذكسية فى مدينة " جاكسونفيل " فى ولاية " إلينوى " واستقر ذلك التضليل فى ذهنى حتى بلغت خريف العمر"

"قالت لنا معلمتنا فى تعريفها للمسلمين:" إن شعباً أمياً وبدائياً وميالاً للعنف، يعيش فى مناطق صحراوية فى الأراضى المقدسة، ويعبد " إلهاً غريباً " وما زلت أذكر، من طفولتى المبكرة، أنها كانت تسميهم " محمديين " وتواظب على تكرار قولها " إنهم ليسوا مثلنا "، وكنا فى أثناء حديثها نلهو فى صندوق رمل كبير، نغرس فى مواضع مختلفة منه نماذج مصغرة للنخيل والخيام والبدو".

" وانغرست تعليقاتها فى ذاكرتى، وظللت معظم حياتى أحمل صورة عن "المحمديين" الغرباء الجهلة الذين يضمرون الأذى للآخرين".

ويقول فندلى إن " المكاتب القومية للكنيسة الأرثوذكسية فى الولايات المتحدة أصدرت منذ ذلك الحين وثائق تتضمن معرفة واسعة بالإسلام، وتتحدث عن ضرورة التفاهم بين الأديان، غير إن إصلاح الأزمنة الغابرة ما زال فى بدايته".

كان ذلك قبل أحداث ١١ سبتمبر فما بالك بما تفجر بعدها من صراعات ومصادمات عمقت الإسلاموفوبيا وزادتها انتشاراً.

وإلى جانب الكتب المدرسية تصدر كتب أخرى لتشويه صورة الإسلام.. من ذلك - على سبيل المثال - ما فعله اليهود فى أمريكا مستغلين حالة الهياج التى نتجت عن أحداث ١١ سبتمبر..حيث أصدرت اللجنة اليهودية كتاباً بعنوان :" أبناء إبراهيم :مقدمة لشرح الإسلام لليهود"، فى مايو سنة ٢٠٠١، وظاهره من العنوان أنه محاولة لتصحيح فكرة اليهود عن الإسلام، كتبه مؤلف مسلم هو " خالد دوران " أما الحقيقة المرة فهى أن الكتاب محاولة جديدة للتشويه والتضليل.

قال المؤلف المزعوم:" إن صيام رمضان يؤدى إلى تخلف المجتمع، وأن حجاب النساء ينشر الفحشاء بين المسلمين!" وخرافات أخرى من هذا القبيل.. ولذلك لم يشرح الإسلام لليهود - ولم يساعد على الحوار والتقارب - وإنما أثار سخط المسلمين فى الولايات المتحدة وفى العالم أجمع..وعلى الفور نظم مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) حملة نقد للكتاب وتوعية من ضلالاته.. وحاول اللوبى اليهودى استغلال النقد الذى وجه إلى الكتاب فى الإعلام فزعم أن فتوى صدرت بتكفير المؤلف المجهول الهوية والوجود.. ومفهوم أن تلك محاولة لترويج الكتاب المزور.والتشنيع على المسلمين " أعداء حرية الرأى "

وفى مجال الكتب أيضاً، أصدرت حكومة إسرائيل سنة ٢٠٠١ ترجمة عبرية لمعانى القرآن الكريم، حذفت منها الآيات التى أدانت اليهود الذين نقضوا عهودهم مع النبى صلى الله عليه وسلم.. كذلك حرفوا ألفاظاً وحذفوا أخرى بقصد إقناع القارئ بأن القرآن الكريم من تأليف محمد بن عبد الله وليس منزلاً من السماء.

وبصفة عامة انطوت " الإسلاموفوبيا " على حالة من العداوة والسخرية والتحرش الدينى مع كل ما يمت للإسلام بصلة سواء فى الصحافة الغربية أو محطات التليفزيون أو شبكة الإنترنت.. فى البرامج أو الدراما أو الإعلانات التى تتضمن إساءات وإهانات توجه إلى الإسلام والمسلمين.

وظهرت أعراض الإسلاموفوبيا فى عدد من الأفلام السينمائية التى أنتجت

فى أوروبا وأمريكا.. حيث ركزت هذه الأفلام على تصوير الشخصية المسلمة تصويراً سلبياً تماماً.. فالمسلم هو الجبان الخائن الشره إلى الجنس.. المتخلف الذى لا يمكن أن يأتلف مع حضارة الألفية الثالثة.

وعلى سبيل المثال أنتجت شركة " بارامونت" فيلماً أمريكياً عام ٢٠٠٠ اسمه "قواعد الاشتباك" يصور عملية عسكرية ناجحة قامت بها قوات مشاة البحرية الأمريكية لتخليص البعثة الدبلوماسية الأمريكية من أيدى اليمنيين المتوحشين الذين احتجزوها داخل السفارة الأمريكية فى اليمن.. وفى منتصف ٢٠٠٢ عرض فيلم " الحارس " الذى يقوم على قصة خرافية لتصوير العربى المسلم فى صورة شرير ويصور اليهودى على أنه طيب وخيِّر.. ولابد أن ينتصر هذا الطيب على الشرير ليخلص العالم منه.

وإلى جانب ذلك تم فى بريطانيا إنتاج فيلم " الشرق هو الشرق " الذى قدم صورة مقززة عن المسلمين فى محاولة لإظهار الإسلام باعتباره منبعاً للإرهاب.

ودخلت النرويج سوق " سينما الكراهية " بفيلم قيل إنه دعاية لنوع من الطائرات الحربية الحديثة التى تغير على مدينة إسلامية، وتدك مبانيها بوابل من القنابل، وظهرت المساجد لتبين للمشاهد هوية الهدف الحربى، كما ظهر الهلال الأحمر على المستشفيات للغرض نفسه.

وفى قلب هذه الأجواء المسيئة ظهر فيلم " فتنة" للنائب الهولندى جيرت فيلدرز للإساءة إلى الإسلام كدين وثقافة.. والدعوة إلى تمزيق القرآن الكريم والاستهانة به.

وشهد عام ٢٠٠٦ إنتاج فيلم " الإسلام : ما يحتاج الغرب معرفته ".. وهو فيلم وثائقى مناهض للإسلام، روجت له دوائر المحافظين الجدد بالولايات المتحدة، لرسم صورة سلبية عن الإسلام فى إطار " الإسلاموفوبيا".

يبدأ الفيلم الذى تدور أحداثه فى ٩٨ دقيقة بصوت الآذان، ثم يأتى بعد ذلك استعراض لآراء قادة غربيين حول الإسلام، منهم الرئيس الأمريكى جورج بوش الذى يقول : إن الإسلام هو " دين سلام وإنه يمارس بحرية بين الملايين من الأمريكيين، كما أن الولايات المتحدة لديها من دول صديقة مسلمة".

ويمضى الفيلم فى استعراض وجهة نظرتونى بلير رئيس "وزراء بريطانيا السابق " الذى يكرر كلمات بوش السابقة، ثم رأى الرئيس الديمقراطى السابق بيل كلينتون.

يقول مخرج الفيلم :" إنه يفتش فى القرآن والنصوص الإسلامية الأخرى وسيرة النبى محمد ليكشف أن العنف ضد غير المسلمين هو سمة الإسلام وسيظل كذلك ديناً عنيفاً".

وتقول الشركة المنتجة فى بيان حقائق تلقت وكالة أنباء " أمريكا إن أرابيك " نسخة منه ووزعه

" نادى المحافظين " للترويج لمبيعات أسطوانة الفيلم:" منذ أحداث ١١ سبتمبر والعديد من القادة الغربيين يصرون على أن الإسلام هو دين سلمى..وأن العنف الذى يرتكب باسمه يتناقض مع تعاليم القرآن وسيرة النبى محمد ـ لكن هل هذا صحيح الآن؟"

وتضيف الشركة إن الفيلم هو " نظرة حول ما يسمى دين السلام توضح أن الإسلام فى الحقيقة عنيف ودين توسعى يسعى للدمار وإخضاع الثقافات وأنظمة الحكومات الأخرى".

بالإضافة إلى المقابلات التى تتحدث عنها مجموعة من أكبر المتطرفين الأمريكيين والأوروبيين المناهضين للإسلام، يقدمهم الفيلم على أنهم خبراء بارزون فى الإسلام.

وتصف بعض أجزاء الفيلم النبى محمد بأنه " سيد حرب "، وبأنه رجل ذبح بيديه أكثر من ٦٠٠ يهودى من قبائل العرب التى أجلاها عن المدينة فى فترة وجوده هناك.

ويحاول الفيلم أن يرسم أن الحكم الإسلامى للأندلس الذى استمر نحو ستة قرون كان عبارة عن غزو، منكراً حقيقة أن مسلمى الأندلس هم أنفسهم من صدروا العلم والمعرفة إلى أوروبا.

كما يؤكد الفيلم أن الإسلام يعتبر كل البلاد غير المسلمة ـ التى من بينها أمريكا بالطبع ـ هى دار حرب بالنسبة للمسلمين، وأن دماء الأمريكيين فى وجهة نظر الإسلام هى " دماء مباحة "، وأقبلت بعض وسائل الإعلام على

تغطية أخبار الفيلم، وتقديم لقاءات مع متحدثين يبررون الإساءة للإسلام ورسول الإسلام تحت مظلة حرية الرأى.

ولم يكن المسرح بعيداً عن " الإسلاموفوبيا ".. فعلى سبيل المثال فقد عمد مسرح مدينة " بوتسدام " الألمانية فى أبريل ٢٠٠٨ إلى عرض مسرحية كانت هى الأولى التى تقتبس روايتها من كتاب " آيات شيطانية " للكاتب البريطانى الهندى الأصل سلمان رشدى الذى هاجم فيه الرسول والإسلام والقرآن عام ١٩٨٩، وأثار غضباً عارماً ضده فى العالم الإسلامى.. مما اضطره إلى العيش مختبئاً تسع سنوات إلى أن منحته ملكة بريطانيا وسام فارس فى يونيو ٢٠٠٧ .

٤

# الفاتيكان والإسلام

فى يوم الثلاثاء ١٢سبتمبر ٢٠٠٦ وغداة الذكرى الخامسة لأحداث سبتمبر ألقى البابا بنديكت السادس عشر بابا الفاتيكان ورأس الكنيسة الكاثوليكية محاضرة فى جامعة ريجينز بورج بولاية بافاريا الألمانية، كانت بمثابة وقود جديد فى الحرب الدينية الدائرة ضد الإسلام فى عصر بوش.. وعامل جديد لتعميق مرض كراهية الإسلام "الإسلاموفوبيا" وتوسيع دائرة الخوف من الإسلام.

فى هذه المحاضرة اقتبس البابا عبارات وردت على لسان إمبراطور بيزنطى فى القرن الرابع عشر الميلادى أثناء حواره مع مسلم فارسى قال فيها: "أرنى شيئاً جديداً أتى به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلن تجد إلا ماهو شرير ولا إنسانى، مثل أمره بنشر الدين الذى يبشر به بحد السيف".

وقد أثارت هذه العبارات المشينة موجة عارمة من الاستياء والنقد، واعترف محللون كثيرون فى الغرب بأن البابا تحدث فى المحاضرة بروح عنصرية تقرباً للرئيس بوش وعصابة المحافظين الجدد الذين يروجون لصدام الحضارات.. ومن العجيب أن البابا كان يردد دائما فى محاضرته الدعوة إلى "الحوار بين الحضارات مع شركائنا"، وهى دعوة من طرف اللسان فقط، تتناقض تماما مع ما يفصح عنه التعبير من عنصرية واستعلاء.

ومن المؤكد أن تصريحات الرئيس بوش عن " الإسلام الفاشستى " و "الإسلام المحارب " و " الحرب الصليبية " وغير ذلك هى التى دفعت البابا بنديكت وجرأته على أن يخوض فى إدانة الإسلام ورسول الإسلام، وعلى أن يمسح بجرة قلم كل الصور المقبولة للباباوات المتسامحين الذين سبقوه..والذين دأبوا على إجراء حوارات للتفاهم مع المسلمين ونبذ صور التعصب المذموم.

إن هذه النزعة لدى البابا " الجديد " بفكره " العتيق " الميال إلى ثقافة الصراع الدينى، تمثل أكبر عقبة أمام تيار الحوار بين الشرق والغرب..وتجعل لغة التنابذ بين الفريقين سابقة على لغة التفاهم.. والغريب أن البابا بنديكت السادس عشر الذى ينتمى جغرافياً وعقائدياً إلى أوروبا يعبر عن روح أمريكية متعصبة مما دفع الكثيرين إلى التلميح إلى علاقته بالإدارة الأمريكية والرئيس بوش شخصياً وجهاز المخابرات الأمريكية " سى.أى.إيه"

ويهمنا هنا الإشارة إلى أن تصريحات البابا لا تعكس بالضرورة توجهات المسيحيين جميعاً، ولا حتى الكاثوليك جميعاً.

وقد أصدرت منظمة المؤتمر الإسلامى بياناً انتقد بشدة تصريحات البابا، وأدان زعم البابا أن الإسلام انتشر فى العالم عن طريق "إراقة الدماء والعنف مما يتعارض مع طبيعة الله".

وأعربت المنظمة عن أملها فى ألا تكون محاضرة البابا تعبيراً عن توجه جديد لسياسات الفاتيكان إزاء الدين الإسلامى بعد عقود من الحوار جمعت رجال الفاتيكان وعلماء الأزهر ورجال الفكر فى العالم الإسلامى فى عهد البابا الراحل يوحنا بولس الثانى.. وتمنت المنظمة فى بيان رسمى أن يصدر عن البابا ما يعبر عن حقيقة موقفه من الإسلام وتعاليمه.

وبالفعل صدر بيان من الفاتيكان عن تصريحات البابا، ولكنه جاء على النقيض حيث ذكر أن "تصريحات البابا أعربت عن رغبته فى إيجاد نزعة للاحترام والحوار بين الأديان والثقافات الأخرى.. ومن بينها الإسلام".. وذكر المتحدث الصحفى باسم البابا فيديريكو لومباردى أن خطبة البابا كانت تحذيراً موجهاً إلى الحضارة الغربية " لتفادى اعتبار السخرية من المقدسات بمثابة حرية تعبير".

وفى يوليو ٢٠٠٧ خرجت هجمة ثانية من الفاتيكان ضد الإسلام.. وجاءت هذه المرة من جانب جورج جاينز فاين السكرتيرالخاص للبابا.. حيث حذر من خطورة ما سمَّاه بـ"أسلمة أوروبا".. مشدداً على ضرورة عدم تجاهل الجذور المسيحية للقارة الأوروبية، ومؤكداً أنه على أوروبا ألا تتجاهل المساعى الرامية إلى إدخال القيم الإسلامية فى الغرب وهو ما يمكن أن يهدد حتى هوية القارة.

وفى مقابلة مع مجلة "زوديتشه تسايتونج" الألمانية (نشرت فى موقع المجلة على شبكة الإنترنت يوم ٢٦ يوليو ٢٠٠٧) قال السكرتير الخاص للبابا: لا يجب إغفال محاولات أسلمة الغرب.. إن الخطر الذى يهدد هوية أوروبا يجب ألا يتم تجاهله بمبررات مثل الاحترام القائم على مفاهيم خاطئة".

ولم يكتف سكرتير البابا بهذا.. بل إنه عاد ليدافع عن كلمة البابا التى وردت فى محاضرته العام الماضى قائلا:" وفقاً لمفهوم الإسلام فإن هناك مجموعة من الآراء المختلفة وأحياناً المتضاربة، مما ساهم فى وجود متطرفين يستشهدون بالقرآن فى أفعالهم واستعمالهم للسلاح".. وأكد أن البابا كان محقاً فيما فعل وقال.. لأنه كان يحاول ـ كما يرى سكرتيره الخاص ـ " التحرك ضد سذاجة اتسم بها البعض فى النظر إلى الإسلام".

وقد أعطت تصريحات سكرتير البابا انطباعاً بأن الكنيسة الكاثوليكية قد عادت إلى نهجها القديم فى التفنن فى صناعة الأعداء، وأنها تسير قدماً بخطى متسارعة نحو دفع العالم من جديد إلى حقبة أخرى من الحروب الدينية التى ستعيد إلى مخيلة الأجيال الحاضرة فظائع الحروب التى سمّاها الغرب " الصليبية" ولم نسمها نحن كذلك.

وقد كان الأحرى بالفاتيكان والبابا أن يكونا عنصر سلام وتهدئة فى الصراعات السياسية التى تجتاح العالم الآن من أجل بسط النفوذ والهيمنة والأطماع الاقتصادية وتبحث عن غطاء دينى حتى لا تظهر عورة القائمين عليها، وكان الأحرى بالفاتيكان والبابا أن يكملا مشوار البابا يوحنا بولس الثانى الذى نجح فى إدارة حوار حضارى مع المؤسسات الدينية الإسلامية،ووجد طريقاً سهلاً للتعاون مع هذه المؤسسات فى مجالات عدة، كما ظهر جلياً فى مؤتمرات السكان، حيث علا صوت الإسلام والمسيحية معاً

فى رفض الاعتراف بالشذوذ وإباحة الجنس خارج نطاق الأسرة والإجهاض.

ما يؤسف له أن الفاتيكان اختار أن يكون جزءاً من اللعبة السياسية الاستعمارية، وأن يقف فى معسكر المحرضين على صراع الأديان والحضارات، وأن يلعب الدور نفسه الذى يلعبه أشخاص يتمتعون بسمعة سيئة فى الأوساط الثقافية، بسبب تحيزهم المقيت وعنصريتهم، ودعوتهم العنصرية إلى تنظيف أوروبا من المسلمين.

ثم لماذا يخشى سكرتير البابا من انتشار الإسلام فى أوروبا؟!.. ولماذا يتهم الذين يميلون إلى الحوار واحترام الإسلام بأنهم سذج.. وبأن مفاهيمهم خاطئة ؟!.. وإذا كان الإسلام هو دين العنف والإرهاب والرجعية والتقييد والقهر، وهو دين لم يأت للبشرية بخير، ورسوله لم يأت للبشرية إلا بما هو شرير فكيف يقبل عليه الأوروبيون الفضلاء العقلاء المستنيرون المتحضرون المسالمون..ولماذا هو أسرع الأديان انتشاراً فى أوروبا وأمريكا؟!

لقد أصدر المجلس المركزى للمسلمين فى ألمانيا بياناً وصف فيه تصريحات سكرتير البابا بأنها مستفزة ودون المستوى.. مؤكداً أن انتشار الإسلام فى أوروبا سوف يرجح كفة الخير ويبعد الشر عن المجتمعات الأوروبية.

ويبدو أن هذا الذى ذكره بيان المجلس المركزى للمسلمين هو سر حالة الغيظ التى انتابت كنيسة الفاتيكان، تلك التى لا ترى نفسها أفضل من الإسلام فقط، بل أكدت مؤخرا أنها ترى نفسها أفضل من كل الكنائس والطوائف المسيحية الأخرى.

وفى مارس ٢٠٠٨ قام بابا الفاتيكان بحركة مظهرية مكشوفة لإثارة المسلمين..حيث نشرت الصحف صورة له وهو يعمد سبعة شبان بينهم صحفى مصرى من أصل مسلم خلال قداس الاحتفال بعيد الفصح فى كنيسة القديس بطرس فى الفاتيكان..وقال المتحدث باسم الفاتيكان فيدريكو لومباردى إن الصحفى الايطالى المصرى الأصل هو مجدى علام ويبلغ من العمر ٥٥ عاماً، ويعمل نائبا لمدير صحيفة كورييرى ديلاسيرا الإيطالية البارزة.

وكان علام يعتبر"مسلما معتدلا" قبل أن يتقرب من الكنيسة الكاثوليكية، وقد كتب بعض الكتب المثيرة للجدل حول الشرق الأوسط من بينها كتاب "

عاشت إسرائيل " ونظم فى عام ٢٠٠٦ فى روما مظاهرة لدعم المسيحيين فى بلدان عربية ومسلمة.

وهكذا يبدو أن المسألة بالنسبة للصحفى المصرى لم تكن تحولاً دينياً فحسب، وإنما سبقه تحول فى الانتماء الوطنى وانتماء الهوية.. مما جعله يتحمس لإسرائيل وقضيتها.

ورغم أن نائب رئيس الطائفة الإسلامية الإيطالية «يحيى بالافيتشينى» أعرب عن احترامه لقرار مجدى علام الذى يقيم وسط حراسة أمنية مشددة فى روما إلا أن استعراض البابا فى تعميده يلفت الأنظار.. إذ كان من الأولى أن يتم هذا التعميد فى إبرشية صغيرة بعيدا عن الأضواء والإثارة.. فهناك المئات الذين يتحولون يوميا إلى الإسلام ومنهم شخصيات بارزة فهل يصاحب هذا التحول ضجة وصخب وصور وصحافة ؟!

الإثارة إذن مقصودة.. والمغزى واضح..فالفاتيكان يعرف جيداً اهتمام العالم بالإسلام.. ويريد أن يعطل هذا الاهتمام..وهذا ما كشف عنه تصريح الكاردينال جان لويس توران المسئول عن العلاقات مع الأديان الأخرى حين قال فى يونيو ٢٠٠٨ إن " العالم مهووس بالإسلام.. وأنه لا يريد أن يتنامى الانطباع بأن الأديان ذات وضع طبقى أو أن هناك ديناً أفضل من آخر "

وأضاف توران:" إن الإسلام مهم للغاية ولكن هناك أيضا ديانات آسيوية عظيمة أخرى، والإسلام دين واحد، بالفعل فإن الناس مهووسون بالإسلام".

واختتم كلامه مشيرا إلى أنه سيسافر للهند قريباً حيث سيوجه رسالة مفادها أن جميع الأديان متساوية.

وتشرف إدارة "المجلس الرسولى للحوار بين الأديان" التى تقع تحت رئاسة توران على العلاقات مع جميع الأديان غير المسيحية ماعدا اليهودية.. وهى المسئولة عن الخطوط العامة للحوار الكاثوليكى معها.

ومن هذا يتضح أن توران يقصد من وراء كلامه أن الإسلام يتساوى مع غيره من الديانات الآسيوية غير المسيحية واليهودية..وأنه يتعجب من أن العالم مهووس بالإسلام.

ودائما يجب أن نتذكر أنه إذا كان بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر قد

أثار غضب المسلمين بتصريحاته المسيئة للإسلام ورسوله فإن بابا الفاتيكان الراحل يوحنا بولس الثانى كان من رواد الحوار بين الإسلام والكاثوليكية.. وأنشأ من أجل ذلك إدارات ولجاناً للحوار مع الأزهر الشريف.

ليس فقط هذا.. بل إن الفاتيكان كان الأعلى صوتاً فى انتقاد اندفاع بوش إلى غزو العراق.. وأعطى البابا يوحنا أكثر من تصريح يؤكد فيه رفضه للحرب على العراق ومطالبة العالم بالوقوف ضدها والعمل من أجل السلام.. ودعا المسيحيين على وجه الخصوص إلى الصلاة كى يجنب الله البشرية شرور القتل والدمار التى ستحدثها الحرب الغبية بدون مبرر.

وانتقدت إذاعة الفاتيكان الرسمية بشدة الإدارة الأمريكية بسبب الحرب واتهمتها بالغطرسة واتخاذ مواقف "صليبية".. وعدم إقامة أى اعتبار لشركائها فى إدارة الأزمة مع العراق.

ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن مدير الإذاعة الرسمية للفاتيكان الأب باسكوالى بورغوميو قوله:"فى الوقت الذى يدعو الفاتيكان إلى التعقل، ويشجع العمل الدبلوماسى، ويدافع عن الحق الدولى، نرى فى الجانب الآخر قوة عظمى تقودها إدارة خولت لنفسها مهمة إنقاذية، واتخذت لهجة ومواقف صليبية ".

وأضاف:" يبدو أن هذه الإدارة تنظر إلى السياسة والدبلوماسية وكأنهما مضيعتان للوقت ومملتان، وتنظر إلى الحق الدولى كأنه عصا فى الدواليب، وللأمم المتحدة كأنها ناد للمغالطين، وللرأى العام كعنصر يجب التأثير عليه عندما يكون ذلك ممكناوتّجاهله فى غير ذلك".

واختتم الأب باسكوالى حديثه الإذاعى مشدداً على أن الرأى العام العالمى أعطى فى الأيام الأخيرة دليلا حقيقيا على وجوده وأهميته،ويجب أن تأخذه إدارة القوة العظمى بجدية..لا سيما وهى تعى قوتها وحقوقها، لكن الحكمة تتطلب منها أن تكون أيضا واعية لواجباتها ومسئولياتها.

هذه هى اللغة التى تحدث بها الفاتيكان إزاء الأزمة العراقية وهذا هو الموقف المشرف الذى ينحاز للحق والقانون الدولى.. ويدين كل الطرق التى تؤدى إلى العدوان تحت أى مسمى.. ولو كان هذا المسمى هو "الصليب ".. وبمثل هذه المواقف تنفتح الأبواب للحوار بين الأطراف بدلاً من الصراع.

٥

# بوش والفاشية الإسلامية

قبل نحو شهر من محاولة بابا الفاتيكان الشهيرة التى أساء فيها إلى الإسلام.. وبالتحديد فى ٩ أغسطس ٢٠٠٧ عقب إعلان بريطانيا إحباط مخطط مزعوم لتفجير طائرات مدنية وهى فى طريقها من بريطانيا إلى الولايات المتحدة.. أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش أن إحباط هذا المخطط يؤكد أن الولايات المتحدة فى حالة حرب مع "الإسلاميين الفاشيين".. وقد قوبل هذا الإعلان بانتقادات عربية وإسلامية.. لأن الإسلام بسماحته واعتداله بعيد كل البعد عن الحركات الفاشية التى ظهرت فى أوروبا بداية القرن العشرين وقامت على الديكتاتورية والقمع والعنصرية.

وكان الرئيس بوش قد استخدم من قبل مصطلح "الراديكالية الإسلامية " و" الجهادية المسلحة " للإشارة إلى أعدائه فى تنظيم القاعدة والتنظيمات التى يصفها بالإرهابية.. ولكنه استقر أخيراً على تعبير "المسلمون الفاشيست" أو " إسلاموفاشيزم".. وأكد أن بلاده لن تتهاون معهم، وسوف تنتصر فى حربها ضدهم فى القرن الواحد والعشرين كما انتصرت فى القرن الماضى على الفاشيست والنازيين والشيوعيين والتوتاليتاريين.

وهكذا.. فقد دخل الرئيس بوش وإدارته فى حرب صليبية حقيقية ضد الإسلام والمسلمين بعد أن جعلهم هدفه السافر خلال المرحلة المقبلة،

ووضعهم تحت لافتة "الفاشية" الجديدة فى العالم النامى.. ووجه إليهم إهانة دينية عندما قرن بين الإسلام والفاشية.. وكان فى أعقاب أحداث ١١سبتمبر٢٠٠١ قد اعتذر عن استخدام مصطلح الحرب الصليبية، ولكنه وبمرور الأيام وتكاثر المصطلحات لم يعد لديه ما يعتذر عنه.

وقد اقترح الكاتب الكبير جهاد الخازن فى مقاله بجريدة الحياة اللندنية الناطقة بالعربية فى ٥ سبتمبر ٢٠٠٦ أننا لكى نغيظ المجرمين والقتلة فى الحكومة الإسرائيلية والجيش، وأصدقاءهم من المحافظين الجدد فى الإدارة الأمريكية أن نصفهم بأنهم "صهيونازيون" لأن أكثر ما يؤلمهم أن يقال عنهم إنهم "نازيون".

يقول: أقترح على المسلمين فى جميع وسائل الإعلام المتوافرة أن ينحتوا عبارة مضادة لعبارة "إسلاموفاشيزم"وبما أن كلمتى صهيونية ونازية بالإنجليزية تشتركان فى حروف كثيرة، فإننى أقترح أن نبدأ الحديث عن الصهيونيين النازيين، مثل المسيحيين الصهيونيين، ثم أقترح أن نستعمل عبارة "صهيونازى"بالإنجليزية (ZIONAZI).. فإذا توقف أنصار إسرائيل عن قول "إسلاموفاشيزم" يتوقف المسلمون عن قول "صهيونازى" وإذا استمروا يستمر المسلمون.

المشكلة أن المسلمين بالطبع لم يفعلوا ولن يفعلوا.. بل ليس لديهم الاستعداد أصلا للدخول فى مواجهة ولو كانت على مستوى المصطلحات.

فى ٢ يونيه ٢٠٠٨ أورد الكاتب الصحفى شفيق أحمد على فى جريدة روز اليوسف اليومية واقعة طريفة بخصوص " الفاشية الإسلامية" كشف عنها المعلق التليفزيونى الأمريكى البارز "كيث أولبرلمان " فى برنامجه الأسبوعى الشهير "العد التنازلى " من خلال الحلقة التى أذيعت قبل عام.. أى فى ٢يونيه ٢٠٠٧.

بدأت الواقعة "الفضيحة"عندما أعلن الباحث اليهودى الصهيونى ديفيد هورويتز العضو الناشط فى معهد أمريكى بحثى اسمه"مركز الحرية الأكاديمية" عن تنظيم حملة سمَّاها" أسبوع التوعية ضد الفاشية الإسلامية" فى كل الجامعات الأمريكية.. ومن باب الدعاية لهذه الحملة، كتب هذا الباحث العنصرى على صفحات جريدة "الواشنطن بوست"يقول نصاً (سوف

تهتز الأمة الأمريكية بأكملها، لأكبر حملة احتجاج يشهدها الحرم الجامعى فى أسبوع التوعية بالفاشية الإسلامية فى مائتى كلية وحرم جامعى، على امتداد الأراضى الأمريكية).. وكتب أيضا الشخص نفسه فى مقاله: (سوف يكون قمع المرأة فى الإسلام،من بين الأفكار الرئيسية التى سيتم فضحها فى هذا الأسبوع، وتكون الصورة المنشورة مع هذا المقال والتى تظهر فيها فتاة مسلمة مراهقة، تم رجمها فعلا حتى الموت فى إيران بسبب جريمة جنسية مزعومة.. ستكون هذه الصورة هى الملصق الاحتجاجى الذى سيغطى الجامعات الأمريكية لفضح فاشية الإسلام والمسلمين).

وبالفعل راح "ديفيد هورويتز " هو ومن معه من الصهاينة اليهود وغير اليهود، يغرقون الصحف والتليفزيونات وحوائط الكليات والجامعات الأمريكية، بصورة تلك الفتاة التى كتبوا أسفلها أنها (فتاة مسلمة رجمها المسلمون حتى الموت بسبب جريمة جنسية) وكتبوا أيضا أن هذه الصورة (أبلغ شاهد على القمع وعلى الفاشية الإسلامية التى تتعرض لها النساء فى البلدان العربية والإسلامية كل يوم).

وفجأة كشفت جمعية المسلمين الأمريكيين أن هذه الصورة، ليست لفتاة تم رجمها حتى الموت فى إيران أو غير إيران، وإنما هى صورة ملفقة، ومزيفة، مأخوذة من فيلم هولندى عرضته السينما الهولندية عام ١٩٩٤م.

وسارع المعلق التليفزيونى الأمريكى البارز " كيث أولبرلمان" وعرض لقطات من ذلك الفيلم فى برنامجه الأسبوعى، فاضحا مدى كذب واحتيال أمثال هؤلاء القتلة ومزورى العصر من أبواق الصهيونية.

٦

# "أورابيا" وتيار الخوف

من أبرز التيارات الهائجة فى بحر " الإسلاموفوبيا" ذلك التيار الذى تخصص فى إثارة الرعب لدى الحكومات والمؤسسات والأشخاص من سيطرة العرب والمسلمين على أوروبا.. وأصحاب هذا التيار عادة يرددون إحصاءات ديموجرافية عن زيادة أعداد الوافدين، خصوصا من شمال أفريقيا، وسرعة معدلات انتشار الإسلام فى أوروبا، ويعتبرون ذلك تطورا سلبيا ومخيفا.

وكلمة "أورابيا" أى أوروبا الخاضعة لسيطرة العرب والمسلمين قديمة.. غير أن مجلة "سبكتيتور" اليمينية استغلتها على المكشوف فى عدد ٢٠٠٥/١١/١٢ عندما اختارت لغلافها خريطة أوروبا وعليها هلال ضخم مع نجمة تغطى لندن وعبارة "كابوس أورابيا".

ويعد المؤرخ البريطانى سابقا والأمريكى حاليا - بيرنرد لويس - أشهر الكتاب الذين تخصصوا فى إثارة الخوف من سيطرة الإسلام على أوروبا.

وقد اكتسب لويس شهرته من محورين أساسيين يبرزان دائما فى كتاباته،وسجل فيهما براعة غير مسبوقة.. الأول تطويع التاريخ لخدمة منطقه وفرضياته، ويتبع فى سبيل ذلك منهجا انتقائيا مقيتا يسئ إلى التاريخ وإلى العلم بصفة عامة.. المحور الثانى هو إشاعة الخوف فى أوروبا من التغلغل الإسلامى.. والتحريض الدائم على طرد المسلمين من أوروبا حفاظا

على هويتها وخصوصيتها القومية التى ستضيع بسبب المهاجرين المسلمين ومن العجيب أنه وهو يقول هذا الكلام اللا إنسانى واللا حضارى يرتدى ثوبا أكاديميا زائفاً.

فى ١٧ أبريل الماضى نشرت صحيفة "الشرق الأوسط" نقلا عن " جلوبال ثيوبوينت"مقالا لبرنارد لويس تحت عنوان : «أوروبا والمسلمون..ناقوس الخطر القادم».. مارس فيه أحط ما يمكن أن يمارسه كاتب أو مفكر من كذب وتضليل لكى يسوق تحريضه الدائم ضد المسلمين فى أوروبا، ولكى يبرر دعوته إلى ترحيل المسلمين وطردهم.

يقول لويس إن مشكلة أوروبا والعالم المتحضر أنهم يقيدون أنفسهم بقيود حرية الرأى والتعبير واحترام التعددية الثقافية والسياسية.. أما فى العالم الإسلامى فلا توجد مثل هذه القيود.. فهم على وعى تام بهويتهم ويعلمون من هم وماذا يريدون وهى ميزة يبدو أننا - فى الغرب - فقدناها بشكل كبير للغاية.

وهكذا فإنه يوجه اللوم إلى أوروبا لأنها - من وجهة نظره- تتسامح مع المسلمين المهاجرين إليها، وتعطيهم الحرية فى أن يظلوا على هويتهم وانتمائهم.. وهذا هو التهديد الذى تواجهه أوروبا حاليا من هؤلاء المهاجرين.. والخوف كل الخوف أن تذوب القوميات الأوروبية أو تندثر إذا لم تتخذ إجراءات حادة وفورية لحماية نفسها.

لكن.. ماهى هذه الإجراءات الحمائية التى يطلبها برنارد لويس ؟!

إنه يذكرهم - بلا حياء- بمحاكم التفتيش التى طبقها الأسبان ضد المسلمين واليهود بعد سقوط الأندلس.. ويقول " لعلكم تتذكرون أنه فى نهاية المرحلة الأولى من الاسترداد المسيحى، بعد أسبانيا والبرتغال وصقلية، وضع المسلمون - وكان عددهم كبيرا فى تلك البلاد - أمام ثلاثة اختيارات.. التعميد- أى التحول إلى المسيحية - أو النفى، أو الموت!

وهو يعترف بأن المسيحيين وغيرهم من غير المسلمين كانوا يلقون معاملة أكثر تسامحاً فى الأراضى الإسلامية، وخاصة فى الامبراطوريات الإسلامية العظيمة فى الماضى.. فخلال عصر الإمبراطورية العثمانية على سبيل المثال - هكذا يقول - كانت الجاليات غير المسلمة منظمات منفصلة عن الدولة وكان أبناؤها يديرون شئونهم بأنفسهم، فهم يجمعون الضرائب ويفرضون

قوانينهم، وكانت هناك عدة جاليات مسيحية تعيش كل منها تحت زعامة شخص منها ومعترف به من قبل الدولة، وهذه الجاليات تدير مدارسها وأنظمة تعليمها، وتشرف على قوانينها الخاصة بها مثل قضايا الزواج والطلاق والإرث وما شابهها، واليهود كانوا يقومون بالشئ نفسه.

ورغم أنه يقر ويعترف بأن المسلمين المهاجرين لا يمتلكون تلك الدرجة من الاستقلالية في تسيير حياتهم الاجتماعية والقضائية بأنفسهم في الدولة الحديثة.. إلا أنه يسارع إلى القول.. إنه من غير المعقول أن يتوقعوا أمراً كهذا.. عند الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الدولة الحديثة التي لايمكن أن يسمح للمهاجرين المسلمين بأشياء مثل جلب زوجاتهم المتعددات معهم، أو فرض الشريعة، كذلك هناك قضية أخرى شديدة الحساسية تتمثل في وضع النساء الذي هو بالتأكيد مختلف بين المسيحية والإسلام، وهذا هو أحد الخلافات الأساسية ما بين المجتمعين.

ويسخر بشدة من سؤال سمعه من صديق مسلم له في أوروبا يقول " نحن سمحنا لكم بممارسة نظام الزواج بامرأة واحدة فلماذا لا تسمحون لنا بتبني نظام تعدد الزوجات؟!"

وأخيرا ينطلق برنارد لويس إلى النقطة الجوهرية.. حيث يقول إن المهاجرين المسلمين لديهم إيمان وحماسة قوية ولهم قناعة قوية بأنهم على حق في مطالبهم ولديهم ولاء والتزام.. وربما الأكثر أهمية أنهم يمتلكون عدداً سكانياً كبيراً.. وهذا المزيج من الزيادة الطبيعية والهجرة التي أفرزت تغيرات سكانية كبيرة، قادر على أن يحقق في المستقبل القريب بروز المسلمين كأكثرية على الأقل في بعض مدن أوروبا أو حتى بلدانها".

وعلى هذا المنوال ينسج برنارد لويس بمنطق كله مغالطات.. حتى وإن تدثر برداء التاريخ المزيف فالحقد واضح في حديث الرجل.. والتحريض لا يخفى على أحد.. وأبسط دليل على ذلك أن اليهود - مثل المسلمين - لهم نظمهم الخاصة في الزواج والطلاق.. والسيخ -مثل المسلمين - لهم زيهم الخاص.. والهنود - مثل المسلمين - لهم ملابس مختلفة لنسائهم.. لكن لا اليهود ولا السيخ ولا الهندوس يتعرضون لما يتعرض له المسلمون من عدوان وتحريض وحصار في المجتمعات الأوروبية.

٧

# مظاهر العنصرية

## الاعتداء على المساجد

يشكل التمييز العنصرى ضد كل ما هو إسلامى أحد أهم سمات مرض كراهية الإسلام " الإسلاموفوبيا ".. وقد عانت من هذا التمييز المؤسسات والشخصيات التى تمت للإسلام بصلة.. وكان الاعتداء على المساجد بشكل متكرر ومقصود هو الهدف رقم واحد فى إطار حملات التمييز التى أثارت غضباً شديداً بين المسلمين فى العالم أجمع.. وبالطبع تضاعفت الاعتداءات على المساجد وعلى قبور المسلمين أيضاً فى أمريكا وأوروبا بعد أحداث ١١ سبتمبر وطوال فترتى حكم الرئيس بوش.

فى آخر يونيه ٢٠٠١، أشعل العنصريون فى فرنسا النار فى مسجد " بور دى بوك " جنوب البلاد بعد افتتاحه بثلاثة أشهر.. وفى فرنسا أيضاً وقعت جريمة كبرى ضد أحد المساجد بعد تولى الرئيس نيكولاى ساركوزى الحكم.. حيث غطت كتابات ورسومات ذات طابع عنصرى ليلة الخميس - الجمعة واجهة المسجد.. وكشف المدعى العام جون مارى جايغلى أنه عثر على واجهة المسجد الرئيسى فى " أودينكور " وهى مدينة صغيرة يقطنها ١٥ ألف نسمة قرب مدينة بيزانسون على رسومات عبارة عن صلبان معقوفة " نازية " وصلبان ورأس خنزير ونجمة داوود، إضافة إلى الكثير من الكتابات ذات الطابع العنصرى مثل " فرنسا للفرنسيين " و " ارحلوا أيها العرب ".

وقد اكتشف المسلمون هذه الكتابات يوم الجمعة حين قصدوا المبنى الذى تم تحويله إلى مسجد عام ١٩٩٥ استعداداً لأداء الصلاة.

وقبل هذه الجريمة بأسبوع واحد كان قد تم اكتشاف تدنيس ١٤٨ من قبور المسلمين فى مدفن عسكرى قرب " آراس " فى شمال فرنسا. واستقبل ساركوزى وفداً من المسلمين إثر هذا الحادث.. وأعلن أنه سيزور المدفن فى ٢٤ أبريل ٢٠٠٨.

وفى بريطانيا تعرض مسجد لندن المركزى والمركز الثقافى الإسلامى يوم ٤ مايو ٢٠٠٠ للاعتداء.. حيث أضرم العنصريون النار فى أحد أبواب المصلى الرئيسية. وبعد أحداث ١١ سبتمبر هاجت العنصرية الكامنة لدى البريطانيين حتى دعا بعضهم ـ صراحة ـ إلى قتل المسلمين.. وألقيت قنبلة على مسجد فى منطقة " بولتون "، وقذف العنصريون البريطانيون مساجد كثيرة بالطوب والحجارة فى لندن ومانشيستر وجلاسجو وبلفاست وساوث إند ومدن أخرى فأثاروا غضب المسلمين الشديد.

وفى الولايات المتحدة تصاعد الهياج العنصرى فى جميع الاتجاهات فى زمن بوش حتى بلغ ذروته بأن طالب الكاتب " ريتش لورى " فى مجلة " ناشيونال ريفيو " الأمريكية بضرب مكة والمسجد الحرام بقنبلة نووية.

وكان الاعتداء على المساجد ايضاً أحد أبرز الجرائم العنصرية فى أمريكا. فقد اقتحم سائق عنصرى بشاحنته مسجداً بالقرب من جامعة فلوريدا يوم ٢٥ مارس ٢٠٠٢.. واعترف إدوارد سميث رئيس شرطة " تالاهاسى" بأن الجريمة وقعت بدوافع الكراهية.. لكن المسجد كان خالياً من المصلين وقت وقوع الجريمة.

وفى فلوريدا أيضاً اكتشفت الشرطة أن طبيباً قد أعد ترسانة ضخمة من المتفجرات والأسلحة لنسف خمسين مسجداً.. ولكن لأن هذا الطبيب كان على خلاف مع زوجته، وكان قد هددها بالقتل، فقد انتقمت منه بأن أبلغت الشرطة بما كان يدبر لتدمير المساجد، وعثرت الشرطة مع المتفجرات على قائمة بأسماء خمسين مسجداً فى فلوريدا، وعلى هامش القائمة كتب الطبيب " روبرت جولشين " عبارة تقول: " لابد من الاستعداد لتصفية المسلمين جسدياً.

وقد شهدت مدن عديدة فى أستراليا والأرجنتين وإيطاليا اعتداءات عديدة على المساجد وتدنيسها وانتهاك حرمتها.. وفى إيطاليا على وجه التحديد وزعت رابطة الشمال " العنصرية " بياناً ذكرت فيه أن بناء مسجد هو تأسيس قاعدة للإرهاب.

ومن المؤسف أن المسئولين فى مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى يسيطر عليهم اعتقاد بأن المساجد تتخذ لتغطية أنشطة إرهابية، وتبعاً لذلك يقومون بإحصاء لكل المساجد فى أمريكا، ويزرعون عملاءهم فيها ليتجسسوا على روادها من المصلين، ويرهبوهم ويشعروهم بأنهم موضع شك فى ولائهم لبلادهم.. ويظهر من تعليمات روبرت ميللر رئيس المكتب أن قضية إحصاء المساجد ومراقبتها أهم من قضايا المخدرات والسطو المسلح على المصارف، وهذه التعليمات يفهم منها أن رواد المساجد فى نظره إرهابيون، وهذا هو ما عبر عنه إبراهيم هوبر المتحدث باسم مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية، (كير) وأظهر استياءه منه.

## جرائم ضد الأفراد والممتلكات

بعد ثلاثة اشهر من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بلغت الجرائم الجنائية ضد المسلمين ـ الأفراد والممتلكات ألفى حادثة فى الولايات المتحدة.. وقالت منظمة " هيومان رايتس " الأمريكية لحقوق الإنسان إن معدلات الاعتداء على المسلمين تصاعدت بعد ١١ سبتمبر بنسبة ١٧٠٠٪، وذكرت فى بيان لها فى منتصف ديسمبر٢٠٠٢ أن السلطات الأمريكية لم تتخذ الإجراءات اللازمة لمنع وقوع تلك الاعتداءات، وهو ما شجع المعتدين على الإمعان فى اعتداءاتهم.

وتناقضت تصريحات المسئولين الأمريكيين الداعية إلى نبذ العنصرية مع الإجراءات القمعية التى امروا بها.. ووصل الأمر بالسيناتور جون كوكسى إلى المطالبة بإجراء تحقيق مع كل مسافر مسلم او عربى يرتدى عمامة، على افتراض إمكان إخفاء متفجرات فيها.

وقال نهاد عوض مدير مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية " كير " :" إن السلطات اتخذت منذ ١١ سبتمبر إجراءات عديدة، بعضها يستند إلى

اعتبارات عرقية ودينية، أو معممة أعطت انطباعاً أمنياً خاطئاً للشعب الأمريكى.

وفى ٢مايو ٢٠٠٢ أصدر " كير " تقريراً وافياً فى خمسين صفحة تحت عنوان " وضع الحريات الفردية لمسلمى الولايات المتحدة ".. وقد اتهم التقرير إدارة بوش - وخاصة وزير العدل أشكروفت - بإثارة مناخ التعصب الذى خيم على الحياة الأمريكية..وندد التقرير بحملات مداهمة المنازل والمتاجر المملوكة للمسلمين، كما أدان إغلاق الجمعيات الخيرية الإسلامية.

وفى هذه الظروف اعتقد كثير من المسلمين أنهم اتخذوا هدفاً لحملات قاسية وصفت بأنها ضد الإرهاب، وقالوا صراحة إن الحرب المعلنة ضد الإرهاب هى حرب ضد الإسلام.

وبعد صدور قانون الإرهاب فى الولايات المتحدة أبيح للسلطات مراقبة العرب والمسلمين والتنصت على هواتفهم استناداً إلى الشكوك التى تثيرها الأسماء الإسلامية.

وقد أورد الدكتور أحمد عبد الرحمن فى كتابه " مرض كراهية الإسلام: الإسلاموفوبيا" الذى أشرنا إليه سابقاً العديد من نماذج الاعتداءات التى وقعت على الأفراد المسلمين وانتهكت منازلهم وحرماتهم..ونماذج لقرارات الاعتقال التى صدرت لشخصيات مسلمة بدون اتهامات.. ونماذج أخرى لقرارات مصادرة أملاك وتجميد أموال فى البنوك لأشخاص وجمعيات خيرية إسلامية.

وفرض قانون الإرهاب على المهاجرين تسجيل أنفسهم لدى مكاتب الهجرة، ونظراً لكثرة عددهم وقفوا فى صفوف طويلة لساعات عديدة، كل ينتظر دوره، وعلى الرغم من اعتراضات جمعيات حقوق الإنسان على ذلك القانون باعتبار أن فيه عنصرية تتعارض مع الدستور، وعلى الرغم من المظاهرات التى اندلعت ضده فى عدد من المدن الأمريكية، فإن السلطات الحكومية مضت قدماً فى عملية التسجيل التى تسوى بين المسلمين والمجرمين.

## عدوى إغلاق المدارس

فى سبتمبر ٢٠٠٥ قرر المجلس المحلى لمدينة ميلانو الإيطالية إغلاق المدرسة الإسلامية بالمدينة التى يتردد عليها ٥٠٠ تلميذ معظمهم من المصريين بدعوى افتقارها للنظافة والشروط الصحية، وعدم الاعتراف بالشهادات التى تمنحها ومعادلتها بشهادات المدارس الإيطالية..وقد أثار القرار جدلاً واسعاً حيث أيده وزير الداخلية جوزيبى بميزانو، وهلل له حزب رابطة الشمال المعروف بتعصبه وعنصريته بينما انتقده العاملون بالمدرسة والجاليات الإسلامية مؤكدين أن المدرسة التى تقوم بتدريس المناهج نفسها التى اعتمدتها وزارة التربية والتعليم المصرية فضلاً على تعليم اللغة الإيطالية.

وكانت هذه المدرسة قد تأسست عام ١٩٩١ ويديرها مصريون وتقوم الدراسة بها على المناهج المصرية ويتقدم طلابها للامتحانات التى تعقد سنوياً بالقنصلية المصرية العامة بميلانو.

وقد جاءت عملية إغلاق مدرسة ميلانو بعد حوالى أسبوعين من إغلاق الحكومة المحلية فى ولاية بافاريا الألمانية للمدرسة العربية الإسلامية الوحيدة فى ميونيخ بعد أن سحبت رخصة التدريس الرسمية، منها وأوقفت دعمها المالى السنوى المقدم لها ووزعت تلاميذها على عدد من المدارس.

وبالطبع أحيط قرار الإغلاق بعاصفة من التصريحات التى تشكك فى المدرسة وتتهم إدارتها بالخضوع لتأثير الجماعات المتشددة.. بينما ذكرت إدارة المدرسة أن قرار الإغلاق غير عادل وغير قانونى.. ونفت جميع الاتهامات الموجهة لها من وزارة الداخلية البافارية ووصفتها بأنها جزء من الدعاية الانتخابية لكسب المزيد من الأصوات فى الانتخابات العامة على حساب الأقلية الإسلامية المستضعفة..مؤكدة أن الجميع يعلم أن مناهج المدرسة هى المناهج نفسها التى يجرى تدريسها فى المدارس الحكومية بولاية بافاريا إلى جانب مادتى اللغة العربية والتربية الإسلامية وبعض المواد العلمية التى يتم تدريسها باللغة العربية.

وكشف منير الصويصى مدير المدرسة أن عدداً من المراكز التربوية والأكاديمية الألمانية المتخصصة كانت قد اشادت بنجاح المدرسة الإسلامية

كجسر حضارى بين الإسلام والمجتمع الألمانى.. مشيراً إلى وجود توجه رسمى مستقبلى خطير يهدف إلى عزل المسلمين وإخراجهم من الحياة العامة فى ألمانيا.

وهكذا تنتشر عدوى غلق المدارس الإسلامية فى أوروبا.. من ميونيخ إلى ميلانو، وهى انعكاس لعدوى الخوف من الإسلام " إسلاموفوبيا ".. وحملات التحريض المستمرة التى يقودها مفكرون لديهم هوس طبيعى ضد الإسلام والمسلمين مثل أوريانا فالاتشى الإيطالية التى تخصصت فى إهانة كل مايمت للإسلام بصلة، وبرنارد لويس الأمريكى الذى لا يمل من التذكير بأن أوروبا سوف تصبح قارة إسلامية خلال نصف القرن الحالى.. بسبب تزايد نفوذ الإسلام والمسلمين فيها.

ولا شك أن عمليات التحريض قد أدت إلى تضييق الخناق على حياة المسلمين.. والسبب فى ذلك يعود إلى التوسع غير المبرر فى مفهوم التطرف الإسلامى.. خصوصاً بعد أن وضعت الولايات المتحدة العديد من منظمات المقاومة الإسلامية الفلسطينية واللبنانية وجمعيات ومنظمات العمل الخيرى على قائمة الإرهاب.

فى مثل هذا الجو المشحون والمعبا بالتحريض والتربص تكفى إقامة أسبوع للقدس - مثلاً - فى إحدى المدارس الإسلامية لوصم تلك المدرسة بالتطرف والتشدد، وربما مساندة الإرهاب، أو مساندة بن لادن شخصياً.

إن حل المسألة الإسلامية فى أوروبا يكمن فى أن يعترف الغرب بالآخر الإسلامى وحقوقه الكاملة وينهى جميع أشكال وممارسات التمييز والعنصرية.. ساعتها سوف ينتصر الاعتدال ويسود السلام بين الشعوب.

## معركة الحجاب

فى عام ٢٠٠٣ أثيرت ضجة واسعة فى فرنسا ضد الحجاب باعتباره رمزاً دينياً إسلامياً يناقض نظام الدولة العلمانى.. والحقيقة أن هذه الضجة لم تكن موجهة ضد الحجاب فى حد ذاته، وإنما كانت موجهة ضد التعددية الثقافية والدينية فى المجتمع الفرنسى.

فما كان مطروحاً من خلال الجدل الدائر فى الأوساط البرلمانية والحكومية

والتعليمية ليس الحفاظ على فرنسا الحرة التى تتسع للجميع، وتمنح الحرية للجميع، وإنما الحفاظ على فرنسا التى يذوب فيها الجميع لتظل هى فرنسا ذات الوجه الواحد واللون الواحد.

لقد أيقظ الحجاب فرنسا على مشكلة عميقة تتلخص فى السؤال التالى: هل العلمانية الفرنسية تنطوى على احترام العقيدة والديانة أم تنطوى على العداء للدين وقهر رموزه أياً كانت ؟

الواقع أن العلمانية الفرنسية تعايشت مع الأديان ومع الرموز الدينية لكنها حين اصطدمت بالحجاب الذى بدأ يتسرب إلى المدارس الحكومية مع الطالبات المسلمات انقلبت وتراجع الأمر.. ووصل الحال بالرئيس الفرنسى جاك شيراك إلى تكليف لجنة برلمانية ببحث القضية وتقديم توصيات وبالفعل بحثت اللجنة القضية وأوصت بإلغاء الرموز الدينية فى المدارس مثل الصلبان الكبيرة والقلنسوة اليهودية والحجاب الاسلامى.

ورغم أن إلغاء الصلبان والقلنسوة يبدو كما لو كان ترضية للمسلمين حتى لا يأخذوا الأمر على أنه اضطهاد لهم دون غيرهم إلا أن الحقيقة الثابتة هنا أن الحجاب ليس رمزاً دينياً وإنما هو لدى من ترتديه فريضة وشعيرة دينية.. فهل يحق للعلمانية الفرنسية أن تتدخل لإلغاء ما يوجبه الدين لدى بعض مواطنيها والمقيمين على أرضها ؟!

إن الملابس التى يرتديها الانسان - رجلا كان أو امرأة - جزء من اختياره وشخصيته وتركيبته الثقافية.. بل وهويته.. وأى تدخل فيها يشكل عدواناً على حرية الإنسان.. وليس معقولاً أبدا أن تندفع فرنسا الحرة الى اضطهاد فتاة مسلمة اختارت بكامل حريتها أن تغطى شعرها وليس معقولا أبداً أن تخشى العلمانية الفرنسية قطعة قماش تضعها امرأة مسلمة على رأسها؟!

العالم يتداعى الآن إلى احترام حقوق الانسان واختياراته.. واحترام التعددية الثقافيه والدينية.. لكن يبدو أن هذه الحصانة الإنسانية لا تسرى على المسلمين والمسلمات ولو كانوا فرنسيين.. تجرى فى عروقهم الدماء الأوروبية الخالصة.. ويبدو أن الغرب قد أصبح مستعداً للانفتاح والتسامح مع كل الأديان إلا الاسلام.. وبالذات حين يفصح عن وجوده من خلال الحجاب.

ما حدث فى فرنسا وانتهى بقرار الغاء الحجاب فى المدارس والمؤسسات الحكومية يذكرنا بما تردده الكتب عن أبشع سنوات الاضطهاد الدينى فى التاريخ.. عندما كانت الأقليات الدينية فى العصور الوسطى تؤمر بأن ترتدى زياً معيناً .. وتسير فى جانب معين من الشارع.. ويقيناً لو أن ما يحدث فى فرنسا قد حدث بتفاصيله فى دولة عربية أو مسلمة لثارت الدنيا ضدها ولطبق عليها الكونجرس الأمريكى قانون الاضطهاد الدينى.. وربما تحرك الأسطول السادس الأمريكى لتأديب الدولة المارقة.

إن الحرية لا تتجزأ.. ولا شك أن النموذج الفرنسى فى منع الحجاب قد أصبح النموذج المحتذى للتطبيق فى بعض دول أوروبا وأمريكا، وهو كلمة السر التى يتم بها فك طلاسم عصر العولمة حتى يتأكد من لا يزال لديه شك أن العولمة ليست فى الحقيقة إلا شعاراً براقاً يخفى الهيمنة والسيطرة والرغبة فى فرض نموذج ثقافى واحد.. تكون له السيادة.. فلا يعترف بالآخر.. ولا يضمن له أى حقوق.

الغريب أن الضجة ضد الحجاب جاءت فى وقت يعلو فيه صوت المرأة فى كل المنتديات.. وتحقق الثورة الأنثوية مكاسب جمة.. وكأن المرأة التى اختارت ارتداء الحجاب ليس لها نصيب من أولى ثمار هذه الثورة.. وهى الحرية الشخصية فى ارتداء ما تشاء من ملابس.

لكن يبدو أن القضية ليست الحجاب وإنما اتخذ الحجاب رمزاً فى معركة الصراع بين الشرق والغرب لإخفاء الموضوعات الأكثر أهمية.. والتى تتعلق بالهوية والوجود وحق الحياة فى عالم القطب الواحد.. القطب الذى يريد أن يفرض قيمه ورؤاه وثقافته على الآخرين لتسود.. ولو بالقوة.. ؟؟

## ٨

# حوار.. أم صدام ؟!

ليس فى الشريعة الإسلامية السمحاء ولا فى المسيحية الغراء ولا فى اليهودية السامية الخالصة ما يدعو إلى البغى والظلم والعدوان.. لكن البشر بأطماعهم وأحقادهم وتعصبهم هم الذين خلقوا هذه الموبقات على ظهر الأرض.. وحملوا الدين أوزارهم وخطاياهم..ثم راحوا الآن يتحدثون عن حتمية صراع الحضارات والثقافات والأديان.. متصورين- من سذاجتهم وسطحيتهم - أن اللحظة التاريخية مواتية تماما للمعركة الفاصلة التى ستقضى على أقوام لصالح غيرهم.. وأننا نعيش نهاية التاريخ الذى سيحسم فيه الصراعُ الطويل بين الأديان.

والغريب أن هناك فى كل فرقة من أتباع الأديان من يؤمن بأن النصر النهائى حليفه.. وأن الهزيمة المنكرة ستكون من نصيب غيره.. فيفنى الآخرون ليحيا هو.. ويعمر الأرض بعد أن خربوها..مع أن الدرس الماثل يؤكد أن الجميع خاسرون فى أى صراع ينشب.. وأنه حين يفقد البشر قناعتهم بأهمية التعاون والتعايش المشترك ويجعلون علاقاتهم قائمة على الصراع فلا سلام على هذه الأرض.. ولا أمن ولا استقرار.

وكلما اختل ميزان القوى بين البشر ظن الأقوياء أنهم قادرون على سحق الآخرين، فتفننوا فى ابتغاء أسباب الصراع.وغلفوا هذه الأسباب

بالدين..رغم أنها أسباب تتعلق فقط بالمصالح والأطماع الشخصية حينا والسياسية أحياناً أخرى.. ولنا فى الحروب الصليبية مثال واضح على ذلك.. فلقد أعلن الغزاة أنهم جاءوا من أوروبا إلى الشرق الإسلامى لنصرة الصليب والمسيحيين..وهم فى الحقيقة جاءوا لنهب ثروات الشعوب واستعبادها.

واليوم..يتم تأجيج الصراع بين المسلمين والغرب تحت لافتات التناقض الثقافى والدينى.. والزعم بأن الصراع بين الغرب والإسلام حتمى ولامفر منه.. لكن هيئة الإذاعة البريطانية "بى.بى.سى" أجرت استطلاعا للرأى فى فبراير ٢٠٠٧ شمل ٢٧ دولة وشارك فيه ٢٨ ألف شخص أكد معظمهم رفضهم لفكرة صدام الحضارات.. واعتقادهم الجازم بأن التوتر بين الإسلام والغرب سببه سياسى.. ولا يرجع إلى خلافات دينية أو ثقافية.

ومعنى هذا أن غالبية سكان العالم من المسلمين وغير المسلمين يدركون جيدا حقيقة الحرب القائمة فى فلسطين والعراق وأفغانستان والسودان ولبنان.. ويردونها إلى أصولها الصحيحة باعتبارها صراعات مصالح وحقوق.. وليست صراعات دينية.. دافعها وباعثها الدين.. ولهذا فإنهم يفضلون الحوار لإنهاء الصدام.

نتائج الاستطلاع الذى نشرته "البى.بى.سى" بالتفصيل فى موقعها على شبكة الانترنت العالمية تؤكد أن هناك وعيا كبيرا لدى غالبية سكان الكرة الأرضية.. لكن المشكلة أن هذا الوعى صوته ضعيف وخافت.. ولاينطق إلا إذا استنطقته وسائل الإعلام.. وهى قليلا ما تفعل.. لأن هذه الوسائل تبحث دائما عن المثير والمنتشر.

أعرب ٥٢٪ من المشاركين فى الاستطلاع أن التوتر بين المسلمين وغير المسلمين سببه الصراع بين القوى السياسية القائم على مصالح الدول فى حين أيد ٢٩٪ أن يكون اختلاف الدين والثقافة السببين الرئيسيين فى هذا الصراع..وقال ٥٦٪ إن الحضارتين الإسلامية والغربية يمكن أن يجدا " أرضا مشتركة " للحوار.. بينما قال ٢٨٪ إن العنف حتمى بين الغرب والإسلام.

فى بريطانيا أكد ٧٧٪ ممن شملهم الاستطلاع أن الحوار هو الطريقة المثلى لإنهاء النزاع بين الحضارتين وقال ١٥٪ فقط إن العنف سيظل السمة السائدة على النزاع.. وفى أمريكا أيد ٥٦٪ فكرة الحوار وأعرب ٣١٪ عن

اعتقادهم فى فكرة العنف.. وفى مصر أيد ٥٤٪ الحوار وفى لبنان أيدها ٦٨٪ وفى تركيا ٤٩٪ وفى الإمارات ٤٧٪.

وكما أوضح الاستطلاع فإن المسلمين أكثر يقينا بأن القلاقل بين الغرب والإسلام سببها السياسة..حيث أيد ذلك٥٥٪ من المسلمين مقابل ٥١٪ من المسيحيين.

ومن الحقائق التى كشف عنها الاستطلاع ما يلى:

● إن نظرية صدام الحضارات بين الإسلام والغرب لم تظهر إلا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط المواجهة الأيديولوجية بين العالم الاشتراكى والعالم الرأسمالى.

● إن التاريخ الإنسانى شهد مراحل للصراع والحروب بين الإسلام والغرب وشهد أيضا مراحل للتعاون والتكامل وهو ما يعنى أن الصدام ليس حتميا.

● من الخطأ القول إن الإسلام يتعارض مع الديمقراطية وحقوق الإنسان.. خصوصا أن هناك تنوعا فى الفكر الإسلامى.. فبينما توجد اتجاهات جهادية راديكالية توجد أيضا تيارات معتدلة تحاول شق طريقها نحو الديمقراطية.. ولو بشكل تدريجى.

● ما يحدث فى العالم اليوم من توتر يمكن أن يلخص بأنه استقطاب، فالعديد من المسلمين غاضبون بسبب ما يجرى فى العراق وفلسطين، وما يعتبرونه نزعة غربية للهيمنة، بينما يعيش الغرب فى قلق من خطر القاعدة منذ أحداث ١١سبتمبر، كما ساهمت تفجيرات مدريد ولندن فى ترسيخ هذا القلق.. ومما عمق ظاهرة الاستقطاب تفجر قضايا مثل الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية وتصريحات البابا بنديكت حول الإسلام والجدل الدائر حول الحجاب والنقاب وعرقلة اندماج المسلمين فى المجتمعات الغربية.

● يلقى كثير من المسلمين والغربيين باللوم على وسائل الإعلام التى تشعل الفتن.. ففى عالم مرتبط بعضه ببعض يمكن لقضية محلية أن تصبح دولية فى ساعات.

● فى الختام أظهر استطلاع الـ"بى.بى.سى" أن معظم الناس يريدون التعايش والتسامح.. لكنهم لا يفكرون كذلك فى أوقات الأزمات.

لقد خرجت نظرية صدام الحضارات فى الغرب بكتاب الأكاديمى صمويل هينتجتون الذى صك هذا العنوان.. واتجهت كتابات العديد من المفكرين فى أوروبا وأمريكا إلى التأكيد على أن المسلمين هم المستهدفون بهذا الصدام، وأنهم الأعداء الجدد للحضارة الغربية بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.. ورغم ذلك ظهرت أصوات غربية أيضا ترفض فكرة الصدام وتطالب بالاستجابة لدعوة إحلال حوار الحضارات محل الصدام الحضارى.

فالصدام ليس حتمياً.. والدين ليس هو السبب فى التوتر القائم بين الشرق والغرب لكنها الأطماع والمصالح..

وقد شهدت السنوات الماضية العديد من الندوات والمؤتمرات التى عقدت تحت عنوان حوار الحضارات..خصوصا بعد صدمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وما لحق بها من توابع.. ورغم الكلام الجميل و"الرتيب"الذى يصدر عن هذه الندوات والمؤتمرات فى شكل توصيات عامة لا تضيف جديدا إلا أن هناك كلاما آخر يقال فى هذه الحوارات يجرى التعتيم عليه ولايراد له أن يظهر للناس، مع أنه أهم كثيراً جداً من التوصيات المكررة والمعادة بلا معنى.. والسبب فى ذلك يرجع - ربما - إلى أن الذين تكفلوا بإقامة ندوات الحوار غالباً ما يكون همهم الأساسى إبراء الذمة أو"جبر الخواطر" أولفت الأنظار إلى أدوارهم..لا أكثر.

وعلى سبيل المثال هناك ثلاثة لقاءات مهمة للحوار بين الشرق والغرب.. لم تقل توصياتها - كالعادة - شيئا جديداً.. ولكن هناك من قال فيها وحولها كلاما جديراً بالنظر وطرح أفكار جديرة بالاهتمام.. ومع ذلك فإن الكلام تبخر والأفكار تاهت فى الزحام.. لأن هناك من يريد ذلك..هذه اللقاءات هى:

- مؤتمر تحالف الحضارات الذى عقد فى قطر أواخر فبراير ٢٠٠٦.
- مؤتمر حوار الحضارات الذى عقد بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة فى الأسبوع الأول من مارس ٢٠٠٦.
- ثم أخيراً مؤتمر الحوار الثقافى الدينى الذى استضافه المعهد الدنماركى للدراسات الدولية فى العاصمة كوبنهاجن بمبادرة من الداعية الشاب عمرو خالد.

مؤتمر تحالف الحضارات بقطر عقد بمبادرة من كوفى عنان الأمين العام

للأمم المتحدة، وشارك فيه عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية، وأكمل إحسان أوغلو الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى وميجيل موراتينوس وزير خارجية أسبانيا وعبد الله جول وزير خارجية تركيا والشيخ حمد بن جاسم وزير خارجية قطر.. وكان هناك أيضا محمد خاتمى الرئيس الإيرانى السابق والأستاذ محمد حسنين هيكل.

وبالطبع جاء البيان الختامى ملبياً لرغبات الطرفين: الشرق والغرب، فهو يعرب عن الحزن العميق للإساءة التى حدثت جراء نشر الصور الكاريكاتورية البذيئة، وأيضا جراء الخسائر فى الأرواح والممتلكات التى وقعت فى عدد من البلدان، ويطالب بضبط النفس والحوار وأيضا بممارسة حرية التعبير بمسئولية.

لم تشر التوصيات إلى ما هو أهم من تلك العبارات الفضفاضة.. ومن ذلك - على سبيل المثال- انخراط الأمم المتحدة فى التبعية الكاملة للاستراتيجية الأمريكية التى أصبحت وبالا على العرب والمسلمين بشكل خاص.. وقد كان من أبرز دلائل تلك التبعية على نحو ما ذكرت صحيفة "لوموند دبلوماتيك" الوثيقة الأساسية التى أصدرها عنان من أجل إصلاح المنظمة الدولية التى يتولاها.. وفيها يعتبر أن الخطر العسكرى والسياسى الوحيد الذى يحيق بالبشرية هو الإرهاب العابر للدول الذى يسعى إلى امتلاك أسلحة دمار شامل.

تقول"لوموند دبلوماتيك" فى عدد مارس ٢٠٠٦ :" هذا بالطبع ودون أى تحفظ أو إيضاح اتباع للسياسة الأمريكية التى تجعل من الإرهاب "الإسلامى بالطبع" عدو البشرية.. وليس أمام أصحاب نظرية حرب الحضارات إلا أن يغتبطوا بذلك.. فأصحاب القرار الدوليون لم يعتنقوا فقط إيديولوجيتهم، بل هم يعملون على تحقيق تنبؤاتهم الكارثية.

أما الأستاذ هيكل فقد كشف فى الورقة التى قدمها لمؤتمر قطر ونشرتها جريدة "العربى" فى مارس ٢٠٠٦ أنه ضد نظرية صراع الحضارات لأن هذا الصراع يعنى الاعتراف بالعزلة.. لكنه فى الوقت ذاته يقول :"حين دعينا- أو دعونا- للحوار فقد ذهبنا لما يشبه طلب إذن باللجوء من متظلم إلى متحكم ولم ندرك أن الحقوق ملكية أصحابها إذا استطاعوا إثبات جدارتهم بها، وليس تواضع الآخرين للسماح لهم ببعضها، ثم إن كل حوار على الحوار بينهم

وبين غيرهم لا نهاية له، خصوصاً إذا وقع، وهو يوشك أن يقع الآن، وانزلقت العلاقات بين الأطراف إلى صراعات سياسية تتحول بسرعة إلى حروب هويات دينية وعرقية فعند هذه الدرجة أى كلام بين غرباء أو بين أعداء، عداوة لا تحتمل غير انتصار طرف وهزيمة آخر، وهنا يموت الحوار أو ينتحر مهما قلنا ومهما قالوا ".

ثم يضيف :"والمحزن أن هناك من اعتدى على المقدسات العربية عملا وليس لمسا - حين سيطر على المسجد الأقصى فى القدس،وفى ذات الاتجاه فإن ذات الطرف رسم رسما مسيئا وكتب عليه اسم الرسول الأعز الأكرم.. وهناك غيره قام بتوظيف الدين الإسلامى قديمه وجديده فى حرب باردة - ساخنة على شباب عربى ومسلم فى أفغانستان - ثم أمسك فى النهاية بمن حاربوا لحسابه ووضعهم وراء القضبان فى جوانتانامو، ثم داس بالأقدام على كتابهم الكريم ومزق صفحاته ورماها فى المرحاض أمام عيون الجميع فى المعسكرات وخارجها.. وفى هذا كله لم يغضب أحد.. بل تستر كثيرون.. ولكننا مع ذلك رحنا - نحن الذين لم نغضب من الفعل - نثور باللمس كأننا كنا نبحث عن أهداف سهلة رخيصة".

وفى ندوة المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة فاجأ الدكتور حسن حنفى أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة الحاضرين بالحقيقة المرة حين قال:"إن فكرة الهيمنة والتوسع لا تزال مسيطرة على الفكرالأوروبى،والحوار بين الثقافات محمل بالمعانى الغربية، ولا يمكن إغفال العنصرية فى الثقافة الغربية، خاصة فيما يتعلق بأفكار معينة كالاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار ".

ثم أضاف : " إن الحوار بين الثقافات ممكن بشرط تغيير الوضع غير المريح الذى يحدد فيه الغرب والولايات المتحدة بشكل خاص جدول الأعمال دون وضع التحرر من الفقر والاستعمار فى أولوياته.. ودون التخلى عن المعايير المزدوجة التى تجعل إسرائيل دولة ديمقراطية، بينما تختلف النظرة إلى باكستان وإيران وتقوم الدنيا إذا جاءت الديمقراطية الفلسطينية بحماس إلى السلطة.. وتساءل: لماذا لم يصنف الغرب نضال أوروبا ضد النازية بـ"العمليات الإرهابية ".. وكيف يمكن إجراء حوار بين ثقافة تعتمد على الهيمنة وأخرى تسعى للاستقلال ؟!

ولفت د.حسن حنفى الأنظار إلى أن الحضارات مقسمة إلى "المركزية" الغربية والهامش خارجها.. بالضبط كما أن القاعة التى عقدت بها الندوة رتب جلوس الأوروبيين فى مركزها، بينما جلس معظم المصريين على الهامش.

أما مؤتمر كوبنهاجن فقد ذكر تقرير لإذاعة "بى.بى.سى" البريطانية على شبكة الإنترنت أن جلساته تحولت إلى مشاهد درامية شكسبيرية.. فعمرو خالد ترقرقت الدموع فى عينيه وهو يتحدث بلغة شاعرية، ود. طارق سويدان "الكويتى"بدأ محتداً على الرسوم البذيئة، ثم هدأ ثم اعتذر عن حدته.. ثم أخذ يمزح..ومرة ثانية يعود لحدته ثم يهدأ ويعتذر ويمزح.. لدرجة نسى معها الحاضرون النقاشات الجادة عن حرية التعبير وضوابطها.. وفى النهاية أعلن عمرو خالد مجموعة من المطالب العامة كإنشاء مركز للحوار، والتعريف بالإسلام فى مناهج التعليم.. وكان التعليق العام على هذين المطلبين أنهما بلا معنى.

والآن..اتضح أن القيمة الأساسية فى مثل تلك الندوات والمؤتمرات الحوارية يجنيها المتحدثون الذين يقبضون ثمن ما يقولون، وتجنيها أيضا الوفود التى تذهب والوفود التى تجئ.. ولا شئ أكثر من ذلك.

ولهذا السبب فإن الدعوة التى أطلقها رئيس الوزراء الأسبانى خوسيه ثاباتيرو إلى " تحالف الحضارات" أمام مؤتمر القمة العربى بالجزائر فى مارس٢٠٠٥ تبدو أكثر واقعية من مؤتمرات وندوات "حوار الحضارات" أو"حوار الأديان".

فى مؤتمر القمة العربى وقف ثاباتيرو ليكشف بشجاعة زيف مفهوم" صراع الحضارات".. وليؤكد أن تحالف الحضارات ليس جديدا على البشرية.. وأن المقصود بهذا التحالف هو مواجهة بعض القضايا والأفكار المتعلقة بالإرهاب.. مشيراً إلى ضرورة إعادة الاعتبار للقيم المشتركة.. فالإرهاب لايرتبط بأى ثقافة أو حضارة أو دين.. وقد كان الدين أداة للتعاون والتعايش بين الأوطان.. ومن الخطأ ربط الدين بالممارسات الإرهابية.. كما لايجب ربط الإرهاب بأى حضارة أو دين.

وكم كان رائعا أن يربط ثاباتيرو رؤيته فى تحالف الحضارات بضرورة

محاربة الفقر والعمل على رفع مستوى معيشة الشعوب وتأمين حياة كريمة لها.. والعمل على رد الحقوق لأصحابها.. ومراعاة العدل وتطبيق معايير واحدة فى القضايا الدولية.. وكم كان رائعا أيضا أن يشير بصفة خاصة إلى تأييده للقيادة الفلسطينية وجهودها فى إقامة السلام العادل ورفع ما يتعرض له الفلسطينيون من قهر واستبداد.

لقد أعادت مبادرة "تحالف الحضارات" الأمل فى أولئك الذين مازالوا يتمسكون بقيم التعاون بدلا من الصراع، والبناء بدلا من الهدم، والتقدم بدلا من التخلف والعودة إلى الوراء.. فالشعوب المتمدينة جدير بها أن تتعايش فى سلام، وأن تفتح صدرها للحوار وتتسامح مع الآخر حتى تنتهى حالة التوتر والتحفظ والتربص التى تحكم العلاقات بين شعوب العالم حاليا.

ولا شك أن ثاباتيرو كان على يقين تام بأن دعوته إلى تحالف الحضارات لن ترضى القطب الأوحد الذى يسوق العالم إلى هاوية سحيقة.ولن ترضى مستشارى السوء فى البنتاجون والكونجرس الذين يتفننون كل يوم فى خلق بؤر للصراع فى العالم وبالذات فى منطقتنا العربية ثم يبررون أفعالهم المشينة وغير الإنسانية بتفسيرات مغلوطة للتاريخ وتعليق أخطاء السياسة على شماعة الدين.

إن الحروب التى قامت بين الشرق والغرب فى معظم فترات التاريخ لم تقم على أسس دينية أو حضارية وإنما على أسس استعمارية.وإن كان البعض قد عمد إلى استخدام الدين عنوانا للحرب فسرعان ما انكشف أمره وظهرت حقيقته..وفى معظم فترات التاريخ كان التعاون الحضارى والتلاحم والتواصل هو أساس العلاقات بين الشرق والغرب وليس الصراع.. أضف إلى ذلك أن هناك حروبا كثيرة نشبت بين أبناء الحضارة الواحدة فى الغرب كحروب أوروبا الطويلة التى انتهت بالحربين الأولى والثانية..كما أن هناك حروبا كثيرة نشبت بين أبناء الحضارة الواحدة فى الشرق، وكان آخرها الحرب العراقية الإيرانية وغزو العراق للكويت.وهذه الحروب الكثيرة تنسف تماما فكرة "صدام الحضارات" كحتمية تاريخية..وتنسف تماما أية محاولة لتعليق الحرب على شماعة الدين.

فى ٧يوليو ٢٠٠٥ تعرضت بريطانيا لموجة من الاعتداءات الإرهابية وقعت

فى مترو الأنفاق ووسائل المواصلات العامة بالعاصمة لندن، وأدت إلى وفاة ٥٢ شخصاً.. وقد كان من السهل أن تندفع بريطانيا إلى الانتقام بدون تفكير وأن تشن الحرب على من تظن أنهم المسئولون عن هذه الجريمة..لكنها فيما يبدو اتعظت مما حدث فى غزو أفغانستان والعراق انتقاما لأحداث ١١سبتمبر..لذلك قررت أن تسير فى طريق آخر كان هو الأفضل والأكثر أمانا.. وسجلت على هذا الطريق ثلاث علامات مهمة لعلاج جذور المشكلة:

● العلامة الأولى كانت عبارة عن اجتماع عام لمسلمى أوروبا هو الأول من نوعه نظمته ومولته وزارة الخارجية البريطانية.

عقد فى اسطنبول بتركيا فى أوائل يوليه ٢٠٠٦ - بعد عام من الاعتداءات - وضم نخبة كبيرة من علماء الدين، مثلت غالبية التوجهات فى العالم الإسلامى.. بالإضافة إلى ممثلين عن الجمعيات والاتحادات الإسلامية فى أوروبا ..وكان هدف الاجتماع دراسة التحديات التى تواجه المسلمين فى أوروبا ..ووضع تصور محدد لمطالب الجاليات الإسلامية من حكوماتها الأوروبية ومسئولياتها فى المقابل باعتبارها سفيرة للإسلام فى أوروبا.

وجرت خلال جلسات الاجتماع الذى سمى "مؤتمر مسلمى أوروبا" مناقشة الأخطاء التى يقع فيها بعض أبناء الجالية الإسلامية والتى تؤدى إلى تشويه صورة الإسلام.. وهنا توقف المجتمعون عند بند الإرهاب - وهو أهم البنود المقصودة من الاجتماع - وتضمن البيان الختامى للمؤتمر فقرة تؤكد رفض الإسلام للإرهاب الذى يستهدف العدوان على الأبرياء بكل أشكاله.. وكذلك رفض أعمال العنف التى قامت بها قلة قليلة من المسلمين، أساءت إلى الإسلام بممارستها للعنف وترويع المواطنين المسالمين، وأكد المجتمعون أن الإسلام لا يسمح بأى حال من الأحوال بالعدوان وقتل المدنيين.

وهكذا خرجت بريطانيا من الاجتماع وهى تضمن إدانة جميع مسلمى أوروبا لما حدث على أرضها.. ليس هذا فحسب وإنما حصلت على تعريف إسلامى للإرهاب ما زال السياسيون فى الشرق والغرب غير قادرين على التوصل إليه.. فالإرهاب - كما قال البيان الختامى - هو" الذى يستهدف العدوان على الأبرياء بكل أشكاله ".

فى المقابل أشار المجتمعون فى بيانهم إلى أن للإسلام جذوراً قديمة فى

أوروبا، وأن المسلمين جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الأوروبى، وحذروا الحكومات الأوروبية من اعتبار المسلمين مواطنين من الدرجة الثانية أو عبئا اقتصاديا أو تهديدا أمنيا .وشددوا على حقهم فى انتقاد سياسات حكوماتهم ومناقشتها انطلاقا من حقوقهم كمواطنين واستناداً إلى الأسس الديمقراطية والحرية التى تكفلها أوروبا.

ودعا المؤتمر مسلمى أوروبا إلى تغليب صوت الإسلام السمح والتواصل مع مجتمعاتهم بشكل أفضل والاندماج فيها وعدم القبول بوضع الأقلية أو الانعزالية.. ودعا حكومات أوروبا فى الوقت ذاته إلى وضع برامج تعليمية وتثقيفية لإزالة الإرث التاريخى من الخلافات وسوء الفهم بين الطرفين، وإلى منع التمييز والترهيب من الإسلام، وأكد المشاركون انتشار ظاهرة التمييز فى أوروبا ضد المسلمين.

ولم ينس البيان - بالطبع - الإشارة إلى ضرورة رفع المظالم عن فلسطين، لكن وزارة الخارجية البريطانية أقرت بأنها فازت - على الأقل - بإجماع إسلامى فريد من نوعه حول تعريف الإرهاب ونبذه للمرة الأولى.

● والعلامة الثانية كانت استطلاعاً للرأى أجرته مؤسسة "يوجوف" فى بريطانيا وأظهر أن القيادة السياسية الأمريكية أصبحت غير محبوبة على نطاق واسع وبشكل لم يسبق له مثيل، ولم تتجاوز نسبة البريطانيين الذين أبدوا ثقتهم فى حكمة الأمريكيين فى التعامل مع المشكلات العالمية الـ ١٢٪ وهذه نصف نسبة البريطانيين الذين كانوا يثقون فى البيت الأبيض عام ١٩٧٥.

وأشار الاستطلاع الذى نشرته صحيفة "ديلى تلجراف" البريطانية يوم الاثنين ٢٠٠٦/٧/٣ إلى أن معظم البريطانيين يعتبرون الولايات المتحدة دولة "تتسم بالقسوة والفظاظة والغرور" فى حين أن المجتمع الأمريكى " مهووس بالمال ويتزعمه أشخاص غير أكفاء ومنافقون "

وقال الذين جرى استطلاع آرائهم إن القوات الأمريكية أخفقت فى كسب القلوب والعقول فى العراق وكذلك فى إدخال النظام الديمقراطى إلى ذلك البلد.. ورأى ثلثا المشاركين فى الاستطلاع أن أمريكا قوة إستعمارية إمبريالية تسعى للسيطرة على العالم.. وقال ٨١٪ منهم إن الرئيس بوش تبنى ودافع عن

الديمقراطية فى شكل منافق لإخفاء غرضه فى تحقيق المصالح الذاتية لأمريكا.. وذكر ٤٢٪ أن الإدارة الأمريكية الحالية جعلت العالم " مكانا أسوأ".. فيما ذكر٢٣٪ أن العالم أصبح أسوأ بكثير بسبب القيادة الأمريكية الحالية.

وسجلت شعبية الرئيس بوش نفسه تدنيا..إذ قال ٤٤٪ إنه "زعيم سيئ جدا" بينما قال ٣٤٪ إنه "زعيم ردئ جدا".

وهكذا استطاعت بريطانيا من خلال هاتين العلامتين أن تحقق التواصل مع الرأى العام الإسلامى فى أوروبا، وتتيح الفرصة أمامه ليعبر عن نفسه بكل وضوح وصراحة فى مؤتمر نظمته ومولته الخارجية البريطانية.وأيضا تعطى الفرصة الكاملة للرأى العام البريطانى ليعبر عن رؤيته الصريحة والواضحة فى السياسات الأمريكية التى تشكل السبب الرئيسى فى انفجار طاقات الغضب وتوجيه اللوم إلى السياسات البريطانية المتحالفة والتابعة للسياسات الأمريكية.

● أما العلامة الثالثة فتتمثل فى التقرير الذى صدر فى بريطانيا فى الأسبوع الأول من ديسمبر٢٠٠٦يتهم حكومة تونى بلير رئيس الوزراء بتحمل المسئولية عن انتشار الأفكار المتطرفة بين مسلمى بريطانيا.ويؤكد أن سياسات الحكومة عجزت عن دمج الجالية المسلمة وتسببت فى عزلها عن باقى المجتمع.. ونجحت فى تعميق الهوة بين غالبية الجالية المسلمة وباقى قطاعات المجتمع البريطانى.. وفشلت فى عزل العناصر المتطرفة والعنيفة فى صفوف المسلمين.

صدر التقرير عن مركز أبحاث "ديموس" التابع ليسار الوسط فى بريطانيا وشاركت وزارة الجاليات والحكومة المحلية البريطانية فى تمويله.. وتوصل إلى أن النتائج السلبية لأوضاع الجالية المسلمة ونزوع البعض منها إلى التطرف يرجع إلى الأسباب التالية:

١- إن محاولات إدماج المسلمين شابتها بعض الممارسات الخاطئة.فقد كان وزراء الحكومة العمالية يتحدثون عن الحاجة للمشاركة والتعاون لكنهم كانوا يطالبون أفراد الجالية فى الوقت نفسه بأن يصبحوا جادين بشأن محاربة التطرف، وأن يتجسسوا على أولادهم، ويقوموا بالعديد من الأمور غير المقبولة بالنسبة لهم بدعوى حماية المصلحة القومية.

٢- إن نظرة الحكومة لمشاكل وقضايا الجالية المسلمة اتسمت بالسطحية، مما أدى إلى تفاقم أزمة التطرف.. فقد تعاملت الحكومة مع الجالية كأنها مجموعة واحدة دون تمييز بين البعض الذين لديهم أفكار غاضبة وغيرهم الذين يترجمون أفكارهم فى شكل أنشطة متطرفة وعنيفة.. وقد تسببت هذه النظرة السطحية فى حصول العناصر المتطرفة داخل الجالية المسلمة على الدعم والتأييد من العناصر الأخرى التى كانت محايدة.

٣- إن السياسة الخارجية لحكومة بلير كانت سببا رئيسيا فى تفاقم ظاهرة التطرف.. فقد انساقت الحكومة وراء السياسة الأمريكية وأصبحت تابعاً، أميناً مما حملها كثيراً من أوزار سياسات الرئيس بوش والمحافظين الجدد.. خاصة فيما يتعلق بالحرب فى أفغانستان والعراق والدعم اللامحدود لإسرائيل.

٤- إن وزراء الحكومة العمالية أبدوا ترددا فى التعامل مع الجالية المسلمة، ورفضوا القبول بأن بعض القضايا التى أثارتها الجالية "عادلة".

ولا شك أن هذه العلامات الثلاث، وما تضمنته من مصارحة، كانت كافية لكشف الحقائق أمام الحكومة البريطانية أفضل من مؤتمرات الحوار التى تتسم بالمجاملات.. وغنى عن البيان أن كشف الحقائق كاملة هو أولى خطوات التحرك الإيجابى.

إن بداية حل أية مشكلة بطريقة صحيحة هو أن يأتى تشخيص المشكلة على الوجه الصحيح.. وإذا جاء التشخيص صادقا وصحيحاً جاء العلاج ناجعاً.. وجاء الدواء مفيداً.

## ♦ الفصل الرابع

# أسماء على الطريق




# ضحايا.. وشهود

لم يكن الغرب كله فى معسكر الرئيس بوش بطبيعة الحال.. كان هناك معترضون على الحروب التى أشعلها والأحقاد التى أثارها.. وكان هناك معترضون على سياسته المنحازة دائما لإسرائيل ومصالحها ولو كان على حساب مصالح أمريكا.. وكان هناك معترضون على حملات التشويه المتعمدة ضد الإسلام ورسوله.. والتمييز المتبع ضد المسلمين ومنطق " صدام الحضارات".

ومن هؤلاء المعترضين برزت شخصيات فى أمريكا وأوروبا أدركت خطورة الحروب الدينية ونبهت إليها وتصدت لها.. بالكلمة الواعية والموقف المسئول.. ولم يكن ذلك أمراً سهلاً بالنسبة لها.. فقد قدمت تضحيات مقابل كلمة الحق التى قالتها..ودفعت ثمناً للموقف العادل الذى تبنته.. وتم تسجيل هذه الأسماء كشهود على ظاهرة اقتران الدين بالحرب فى زمن بوش.

ونستطيع أن نقدم هنا نماذج لبعض هذه الأسماء والمعارك التى خاضتها فى سبيل الحق والعدل :

## بول فندلى

يمثل بول فندلى عضو الكونجرس الأمريكى السابق حالة خاصة ورائدة.. فقد استطاع بمبادرة ذاتية تماما أن يقهر فى داخله نزعة التعصب التلقائى لإسرائيل ضد العرب والمسلمين، وأن يتحرر من هيمنة اللوبى اليهودى، لكى

يكون مستقلا فى تفكيره، وموضوعياً فى أحكامه.. فيرى الحقيقة ناصعة بعيداً عن عمليات التلوين السياسى والإعلامى التى تطمس معالمها دائما.

ولم يكن ذلك بالأمر السهل، وبالذات فى المجتمع الأمريكى الذى يزرع التعصب لإسرائيل فى نفوس أبنائه منذ مولدهم، ثم يتولى اللوبى اليهودى حراسة هذا التعصب ورعايته، حتى يصبح من المسلمات التى لا تناقش، وقد دفع بول فندلى ثمن تحرره باهظا، وعلى مراحل.. بدأت بإسقاطه فى الانتخابات وإخراجه من الكونجرس الذى شغل فيه مقعد ولاية إلينوى لسنوات طويلة.. وملاحقته بالشائعات وتشويه السمعة، وفرض حصار سياسى وإعلامى عليه.وكأنه قد صار أمريكيا غير مرغوب فيه.. وذلك رغم تاريخه السياسى المشرف، وخدماته الجليلة التى قدمها لأبناء دائرته.

فى عام ١٩٧٤ طلبت منه سيدة أمريكية فى دائرته الانتخابية أن يبذل جهده لمساعدتها فى إطلاق سراح ابنها المدرس الذى قبض عليه فى اليمن الجنوبى إبان حكم الشيوعيين بتهمة التجسس، وساقته حميته الوطنية إلى الذهاب إلى عدن لإنجاز المهمة بعد موافقة السلطات الأمريكية وبعد جلسة خاصة مع كيسنجر وزير الخارجية آنذاك.. وكانت محطته الأولى فى دمشق حيث التقى بالرئيس الراحل حافظ الأسد، ثم انتقل إلى بيروت واستقل منها الطائرة إلى عدن.. وهناك التقى بالرئيس سالم ربيع على وأجرى معه حواراً سياسيا مطولا لمس من خلاله رغبة هذا البلد فى الانفتاح على أمريكا وإقامة علاقات طبيعية معها.. وفى نهاية المقابلة فاجأه الرئيس اليمنى الجنوبى بالإفراج عن المدرس «فرانكلين» وأخبره أنه يستطيع أن يعود به إلى أهله.

وفى زيارة تالية لعدن التقى فندلى مع قادة السعودية آنذاك، وبالذات الأمير فهد -الملك بعد ذلك - وخرج بانطباعات مختلفة تماما عن تلك التى كانت مستقرة لديه عن العرب والمسلمين.وعندما بدأ يجهر بآرائه ورؤيته الجديدة تصدى له اللوبى اليهودى بشراسة وحاصره، فألف أول كتاب له عن اتصالاته مع العرب ومعركته مع اللوبى اليهودى عنوانه" من يجرؤ على الكلام؟" فى هذا الكتاب قال فندلى :" كان لسلسلة رحلاتى إلى عدن أهمية شخصية تتجاوز جهودى لإطلاق سراح فرانكلين وإعادة العلاقات الدبلوماسية، فبعد سنوات من وجودى فى الكونجرس استمعت للمرة الأولى

لوجهة النظر العربية، ولاسيما بشأن نكبة الفلسطينيين فأخذت أقرأ عن شئون الشرق الأوسط وشجونه وأتحدث عنها مع الخبراء لأتفهم المنطقة، وتدريجيا برز العرب أمامى كبشر ".

واعترف الرجل بكل صراحة بأنه ذهب إلى عدن وهو يحمل - مثل الأغلبية الساحقة الأمريكية - صورة قاتمة كئيبة عن الإسلام عامة والشرق الأوسط بصفة خاصة، لكن الزيارة فتحت عينيه على ثقافة مستندة إلى الشرف والكرامة، وتعرف لأول مرة على ديانة مهمة يؤمن بها أكثر من مليار نسمة متفرقين فى أنحاء العالم.

يقول فندلى :"اكتشافى للإسلام لم يحدث عبر إلهام مفاجىء مثل اكتشاف كنز ثمين، بل كان كالدرر تبدو للعيان مع مرور الزمان الواحدة تلو الأخرى..وقد كان دائما أمام عينى خمسة اتهامات تشوه صورة الإسلام وهى:الإرهاب والتعصب، واستعباد المرأة، وانعدام التسامح تجاه غير المسلمين، والعداء للديمقراطية، وعبادة إله غريب وانتقامى.. وبالتجربة تبين لى - كمسيحى - مدى الظلم الذى أصاب هذه الديانة الإبراهيمية البارزة وقررت العمل على تنقية هذه الصورة المشوهة ونقل صورة حقيقية ومنصفة".

وفى كتابه " لاسكوت بعد اليوم " سجل معركته الشرسة مع اللوبى الصهيونى فى أمريكا منذ أن بدأ يدعو جهارا إلى ضرورة اعتراف أمريكا الصريح بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى، ويرتب لقاءات وزيارات لأعضاء الكونجرس إلى بعض الدول العربية، ثم كانت خطوته الشجاعة بلقاء ياسر عرفات، وفضح الممارسات الصهيونية فى فلسطين، وتسليط الضوء على السيطرة اليهودية على كثير من مراكز التحكم السياسى والاقتصادى والإعلامى فى أمريكا.. وقد قال صراحة إن مؤسسة الرئاسة الأمريكية ومؤسسة الكونجرس ووسائل الإعلام تكاد تكون محتلة من إسرائيل، وتتبنى دائما وجهة النظر الإسرائيلية.

فى محاضرة عامة خلال شهر مارس ٢٠٠٢ قال فندلى :"إننى كأمريكى أشعر بالعار لما يحدث للشعب الفلسطينى، وعندما تقرأ الاجيال الأمريكية المقبلة تاريخ شراكة أمريكا لإسرائيل فى تدمير الشعب الفلسطينى وإذلاله وذبح الابرياء منه سوف يدركون أن التحيز الدائم فى سياستنا الشرق

أوسطية يمثل اعتداء على أعظم مبادئ الأمة الأمريكية وسماتها، أن الظلم الواقع على الفلسطينيين هو الأسوأ والأشد وحشية واضطهادا عبر سنوات الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين، وإننى بعد أن عرفت قوة اللوبى الإسرائيلى الأمريكى أدركت على الفور أن العنصر المفقود فى السياسة الأمريكية ليس فى المعرفة ذاتها بل فى الالتزام بمبادئ العدل التى تشكل الأساس لدستور الولايات المتحدة.. إن أعضاء الكونجرس يصبحون لا حول لهم ولا قوة عندما يتصل الامر بإسرائيل، فهم يوقنون بأنهم سيدفعون ثمنا غاليا إذا أعلنوا رأيهم، وحاولوا وقف هذا التحيز ضد العرب، لأنهم سيوصمون بأنهم معادون للسامية.

وفى عددها الصادر يوم ١٦ سبتمبر ٢٠٠٢ نشرت صحيفة " الحياة " اللندنية مقالاً لـ" فندلى" تحت عنوان " تحرير أمريكا من إسرائيل " قال فيه : : خلال كل هذه السنين الـ ٣٥، لم أسمع فى لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب أو فى أى من مجلسى الكونجرس " النواب والشيوخ " كلمة واحدة تستحق أن تعتبر نقاشاً لسياستنا تجاه الشرق الأوسط، إن هناك تحريماً شبه تام فى الكونجرس على انتقاد إسرائيل حتى فى الأحاديث الخاصة، إذ يعتبر الانتقاد عملاً منافياً للوطنية، وتم ضمان استمرار هذا الحظر على حرية الرأى بعدما واجهت القلة التى كانت تجاهر بالانتقاد " وأنا منهم هزائم انتخابية على يد مرشحين مولتهم بسخاء القوى المساندة لإسرائيل"

اضاف فندلى : النتيجة منذ ذلك الحين كانت تلك التشريعات المنحازة لإسرائيل والمعادية للفلسطينيين والعرب التى واصل الكونجرس إصدارها سنة بعد سنة..فيما ضمن انحياز وسائل الإعلام لإسرائيل استمرار جهل غالبية الناخبين بأن الكونجرس يتصرف وكأنه لجنة فرعية فى برلمان إسرائيل.. لكن هذا الانحياز واضح تماماً خارج أمريكا حيث تنقل غالبية وسائل الإعلام انتهاكات إسرائيل وتدين أمريكا عموماً بالتواطؤ والرضوخ.ومازال نفوذ اللوبى الإسرائيلى وقدرته على التخويف على حاله، وتغلغلت هذه القدرة إلى كل دوائر الحكومة والجامعات ودور العبادة.. كما نجح اللوبى فى إخراس أصوات الأمريكيين اليهود الكثيرين الذين يعارضون أساليبه ويستنكرون وحشية إسرائيل.

ويلور الكاتب رؤيته بما حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مؤكداً أنه " لم يكن للهجمات أن تقع لو كانت حكومة الولايات المتحدة رفضت مساعدة إسرائيل على إلحاق أقصى الدمار والإذلال بالمجتمع الفلسطينى". فالإرهاب دوماً وليد مظالم عميقة مؤلمة، والمؤكد أن إزالتها أو على الأقل التخفيف منها يؤدى إلى القضاء على دوافعه لكن الرئيس بوش حتى اليوم، وبعد سنة من أحداث سبتمبر لم يحاول التعرف على أى مظالم بل إنه فى الواقع عمق من سوء الوضع بدعم الحرب الدينية التى تشنها إسرائيل على الفلسطينيين، فى تحالف ضاعف من مشاعر المعاداة لأمريكا، ويبدو أنه يغفل تماماً أن مليونى نسمة فى العالم، يقصد المسلمين، يعتبرون محنة الفلسطينيين المهمة الأكثر إلحاحاً أمام السياسة الخارجية.

ويؤكد فندلى بأنه ليس هناك أى مسئول أمريكى يعترف بالحقيقة المكتومة عن الشعب الأمريكى والمعروفة لكل العالم، فى أن أمريكا تعرضت لضربات ١١ سبتمبر ثم الكوارث التى قد تأتى بها الحرب ضد العراق، لأن سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط تصاغ فى إسرائيل وليس فى واشنطن.. واختتم الرجل مقاله بمطالبة الإدارة الأمريكية بتعليق مساعداتها لإسرائيل حتى تنسحب من الأراضى المحتلة..مؤكداً أن هذه الخطوة إذا قام بها بوش ستحرر أمريكا من سنين طويلة من خنوعها أمام جرائم إسرائيل.

## أنّا مارى شميل

فى مطلع فبراير ٢٠٠٣ وبينما كانت الولايات المتحدة تستكمل حشد قواتها لغزو العراق..فقد المسلمون صوتاً أوروبياً عالماً وعادلاً..صدع كثيراً لكلمة الحق دفاعاً عنهم وعن دينهم ونبيهم أمام حملات التشويه والتشكيك.. وناصر قضاياهم.ودعا فى كل المحافل إلى ضرورة التفاهم بين الإسلام والغرب.. إنها المستشرقة الألمانية البروفيسيرة الكبيرة "أنا مارى شميل" التى رحلت عن عمر يناهز ٨٠ عاماً.

والسيدة أنا مارى شميل كانت نجمة مؤتمرات الحوار.وكانت صاحبة موقف ورسالة.. وداعية إلى احترام الإسلام والمسلمين فى الأوساط الغربية.. وقد دافعت عن موقفها العقلانى ضد التمييز الواقع على الإسلام والمسلمين مثل كل المثقفين والمفكرين الذين لا يجرفهم تيار الديماجوجية.ولا يسيرون معصوبى الأعين وراء الهتافات والشعارات الجاهزة.

لقد ألفت أنا مارى شميل أكثر من ١٠٠ كتاب حول افكار المسلمين وعقيدتهم وعملت على تغيير الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين فى المجتمعات الأوروبية. واستخرجت من مبادئ الإسلام ومفاهيمه ما لم يستخرجه المسلمون أنفسهم وكان محور دراستها العلمية يدور حول المسلمين فى شبه القارة الهندية وإلى جانب دراستها الدينية والفكرية اتجهت لفترة طويلة إلى ترجمة الأدب العربى إلى الألمانية.. وحظيت قصائد الشعر العربى الحديث باهتمامها.. كما ترجمت كثيراً من كتب الأدب الأوروبى، والهندى والباكستانى، والفارسى، والتركى.

زارت القاهرة فى يناير ١٩٩٩ وألقت عدة محاضرات فى معرض الكتاب وجامعة الأزهر.. كما كرمها مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقد كانت أحد الضيوف اللامعين والناشطين فى هذا المؤتمر.. وكم كانت مبهرة وهى تتحدث بلغة عربية رصينة إلى جانب د.نعمات أحمد فؤاد ود.على السمان والأستاذ أحمد فراج.

ولم تستسلم السيدة أنا مارى شميل للانغلاق والإرهاب الفكرى وحملات التشويه وظهرت فى وقارها المعهود على شاشة التليفزيون لتؤكد موقفها وتدافع عن نفسها فقالت:" نعم..هذا رأيى..إن سلمان رشدى جرح مشاعر المسلمين بصورة مهينة للغاية..ويكفى أنه لأول مرة أطلق اسماء زوجات الرسول " صلى الله عليه وسلم " على بعض النساء الداعرات..بينما تمثل زوجات الرسول محمد " صلى الله عليه وسلم " مثالاً للفضيلة عند المسلمين..وقد رأيت فعلاً مسلمين يبكون بسبب الآيات الشيطانية.. ورأيت مسلمين أمريكيين فى حالة صدمة شاملة.. والشئ نفسه عايشته فى باكستان..لقد كرست جهدى من أجل تقديم الإسلام فى صورته الحقيقية إلى القارئ الأوروبى.. ومن هذا المنطلق فقط أقول إننى أدرك أن مشاعر المسلمين الأتقياء قد جرحت..إننى كغير مسلمة وكمؤرخة للدين صدمت بشدة على الرغم من أن الموضوع يتعلق بمجرد رواية" فى تصريحات عديدة أعلنت السيدة شميل أنها تقف مبهورة ومأخوذة أمام بعض آيات القرآن والأحاديث النبوية..بل وأمام بعض المفاهيم المنحوتة إسلامياً من الصحابة والصالحين.. ومن هذه

المفاهيم العبارة التى سمعتها مرة واحدة وحفظتها عن ظهر قلب وصارت ترددها دائماً: "الناس نيام فإذا ماتوا استيقظوا".

وفى أكتوبر ١٩٩٥، وبمناسبة إقامة معرض الكتاب الدولى فى فرانكفورت بألمانيا، أقيم احتفال بتسليم جائزة اتحاد الناشرين الألمان للسيدة "شميل" تقديراً لدراستها العلمية الكبيرة العميقة للمسائل الإسلامية التى أتاحت للألمان معرفة دقيقة بها.. وهنا شنت دوائر عنصرية عديدة حملة شعواء عليها.. متهمين إياها بتأييد فتوى الخمينى بإهدار دم سلمان رشدى بسبب كتابه " آيات شيطانية "، وتلك تعد من عظائم الآثام فى ألمانيا، ومطالبين بسحب الجائزة الكبيرة منها، وتحويلها إلى الكاتب التركى " عزيز نسين " الذى ترجم " الآيات الشيطانية " ونشرها فى بلاده.

وكان سلمان رشدى وتسليمة نسرين من ضمن الذين وقعوا على طلب سحب الجائزة من السيدة " شميل"، ولكن اتحاد الناشرين الألمان لم يتراجع عن قراره، ومنح الجائزة للعالمة العظيمة، وألقى رئيس الجمهورية الألمانية كلمة فى الاحتفال أثنى فيها على جهودها الرائعة.

وفى نهاية الاحتفال قالت السيدة " شميل " كلمة حكيمة جداً تعقيباً على المشكلة التى أثارها العنصريون قالت فيها: " فى هذا الزمن كل من يدافع عن الإسلام لابد أن يدفع ثمناً لموقفه، وقد دفعت نصيبى راضية.. ومازلت".

## جورج جالاوى

جورج جالاوى المولود فى اسكتلندا عام ١٩٥٤، هو أحد النواب البارزين فى البرلمان البريطانى، وكان من أشد المنتقدين لغزو العراق عام ٢٠٠٣.. وشارك فى المظاهرات الرافضة للحرب فى بغداد والقاهرة ولندن.. وطرد من حزب العمال الذى كان يتزعمه فى ذلك الوقت رئيس الوزراء البريطانى " تونى بلير" الحليف الأول لجورج بوش فى غزو العراق.. رغم أنه - أى جالاوى - كان قد مثل الحزب فى البرلمان منذ عام ١٩٨٧ .

وفى مايو ٢٠٠٥ فاز جالاوى بمقعد فى البرلمان عن إحدى دوائر لندن الانتخابية ذات الأغلبية المسلمة بعد أن دخل الانتخابات مرشحا عن حزب "الاحترام" الذى أسسه.. وقد ارتفعت أسهمه كثيراً فى بريطانيا بعد شهادته

أمام لجنة مجلس الشيوخ الأمريكى، وهى الشهادة التى أكدت إيمانه القوى بالذات.

وعلى رغم شهرته المعروفة كواحد من أفضل الخطباء فى تاريخ السياسة البريطانية المعاصرة إلا أن جالاوى رفض كل الفرص التى سنحت له لشغل منصب رفيع فى الحكومة حتى يظل وفيا للأهداف التى حددها لنفسه.. والتى كانت قضية غزو العراق من أكثرها إثارة للجدل.

لقد استدعى جالاوى فى ٢٠٠٥ ليدلى بشهادته أمام لجنة الأمن القومى بمجلس الشيوخ الأمريكى حول الاتهام الموجه له بتلقى رشاوى كوبونات البترول من صدام حسين بلغت ملايين الدولارات وذلك ضمن التحقيقات التى تجريها اللجنة بشأن مخالفات برنامج" النفط مقابل الغذاء".وخرجت الصحف البريطانية والأمريكية لتؤكد أن "جالاوى تمكن من قلب الطاولة على اللجنة" وأن " المقاتل الشرس لم يكتف بالدفاع عن نفسه بقوة لكنه ألقى التهم فى وجه الإدارة الأمريكية.. ونجح فى إهانة أعضاء اللجنة وتقريعهم.. خاصة رئيسها نورم كولمان الذى ناله الكثير خلال الهجمات المضادة التى شنها جالاوى عليه".

وقالت الصحف البريطانية والأمريكية إن جالاوى وجه عدة طعنات نافذة إلى اللجنة ومجلس الشيوخ والكونجرس والسياسة الأمريكية بشكل عام.. وأن الحوار كان طويلا ومريرا.ونتيجة لذلك خرج جالاوى بصعوبة من الاجتماع وسط عدسات المصورين لكى يتوجه مباشرة إلى المرحاض ".

وبالطبع.. كانت هناك صحف مؤيدة لما قاله جالاوى أمام اللجنة.وبدت عناوين تلك الصحف كما لو كانت تصفق له و تحتفى به.. بينما كانت هناك صحف أخرى مضادة له.. تحاول تشويه صورته.واستعداء الحكومتين البريطانية والأمريكية عليه.

ولأهمية شخصية الرجل.. ولأهمية القضية التى كان متهما فيها.ولأهمية الكلام الذى قاله.فقد حرصت كل الصحف والمجلات البريطانية والأمريكية أن تنقل جانباً من الحوار العنيف الذى دار داخل اللجنة بعدما حلف اليمين.وأكد أنه لم يستفد أبدا من أى مبيعات للنفط، مشيرا إلى أنه نجح فى كسب قضايا تشهير ضد صحيفة "ديلى تلغراف" ومجلة "كريستيان ساينس مونتير" اللتين اتهمتاه من قبل بتلقى رشاوى من صدام.

ثم بدأ الجدل على النحو التالى :

● كم مرة زرت العراق والتقيت صدام ؟!

- لقد قابلت صدام حسين بنفس عدد المرات التى قابله فيها وزير دفاعكم دونالد رامسفيلد..

الفارق الوحيد أننى قابلته لإقناعه بوقف حروبه ضد جيرانه.. وأيضاً لإقناعه بالسماح للمفتشين الدوليين بالعودة لأداء مهمتهم فى بلاده.. بينما قابله رامسفيلد ليبيع له السلاح ويعرض عليه الخرائط.

● هل شاركت فى تجارة النفط العراقى ضمن برنامج "النفط مقابل الغذاء"؟!

- اتهاماتكم باطلة، ووثائقكم غير صحيحة مطلقاً.. ولو كنت فعلت ذلك وتاجرت فى البترول العراقى لكنت من الأثرياء.. ورئيس اللجنة "نورم كولمان" الذى ذكر هذا الاتهام فى تقريره من المحافظين الجدد المصابين بالجنون.. إنه رجل يلعق بصاقه.. ومرتبط بأولئك الذين يطاردون كل السياسيين المعارضين لغزو العراق الذين ينظر إليهم على أنهم خانوا الولايات المتحدة فى خطتها لغزو واحتلال العراق.

● ألم تحصل على أموال من صدام؟!.. تقرير كولمان يقول إنك تلقيت عشرين مليون دولار من صدام؟!

- هذه مجموعة من الأكاذيب.. لم أقبض سنتاً واحداً من العراق.. إذا كانت لديكم وثائق عن ذلك فاعرضوها أمام العالم اليوم.. بالعكس.. إن شركة "هاليبروتون" الأمريكية هى التى تسرق نفط العراق وتسرق أموال دافعى الضرائب الأمريكيين أنفسهم..الحقيقة أن الإدارة الأمريكية تحاول تشتيت الانتباه عن جرائمها فى العراق عن طريق توجيه اتهامات لى ولآخرين من المعارضين للغزو بالحصول على رشاوى من صدام.. وهذه مسألة عادية.. فأنا لا أتوقع العدالة من مجموعة من الأصوليين المسيحيين والنشطاء الصهاينة بزعامة جورج بوش أحد المحافظين الجدد وقائد الحرب.

أعلم أن المعايير تراجعت فى واشنطن فى الأعوام القليلة الماضية.. وأن لجنتكم المتملقة متورطة فى صناعة ستائر دخانية لحجب الحقائق.. أما

بالنسبة للسيد كولمان "رئيس اللجنة" فإنه محام متعجرف ليس لديه فكرة عن العدالة.

● لماذا اندفعت إلى اتخاذ موقف مضاد للحملة التى استهدفت إسقاط صدام؟!

- إنكم لا تملكون شيئاً ضدى باستثناء وجود اسمى فى قائمة وردت إليكم من العراق تم وضعها بعد تشكيل إدارتكم الدمية.. لقد وهبت قلبى وروحى لمنعكم من ارتكاب الجريمة التى ارتكبتموها فى غزو العراق.. وقلت للعالم إن الحجة وراء تلك الحرب ليست سوى مجموعة من الأكاذيب.. وكل ما قلته ثبت أنه حقيقى وكل ما قلتموه ثبت أنه كذب.. لقد جئت إلى هنا ليس بصفتى متهماً وإنما موجه للاتهام.

## كبير الأساقفة.. روان ويليامز

بسبب تصريحات مرنة تجاه الإسلام والمسلمين دخل د. روان ويليامز كبير أساقفة كانتربرى فى بريطانيا معركة شرسة لم يسلم فيها من الانتقادات الحادة التى وصلت إلى الاستهزاء به والمطالبة باستقالته، وهو الزعيم الروحى للكنيسة الإنجليكانية التى يتبعها حوالى ٧٧ مليون شخص حول العالم.

لم يحتمل المجتمع البريطانى "المتحضر" و"المتسامح" وصاحب دعوات الحوار والتفاهم والتعايش وحقوق الإنسان وحرية التعبير أن يبدى كبير الأساقفة تفهما إزاء مطلب رآه عادلا يتعلق بحق المسلمين البريطانيين فى أن يعترف لهم القانون بمشروعية التعامل بالشريعة فى المجالات التى تختص بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والمواريث حتى يتسنى لهم الاندماج فى مجتمعهم والشعور بالانتماء إليه بدلا من إحساسهم بالغربة والانعزال.

فى هذا الصدد قال كبير الأساقفة فى حوار مع هيئة الإذاعة البريطانية يوم ٧ فبراير ٢٠٠٨ "إن تطبيقا جزئيا لبعض قواعد الشريعة الإسلامية قد يساعد على تحقيق الانسجام فى المجتمع".. ورداً على سؤال بشأن ما إذا كان تطبيق الشريعة سيصبح ضروريا من أجل تلاحم المجتمع فى بريطانيا أجاب: "يبدو ذلك أمراً لا يمكن تجنبه.. هناك اعتراف بالفعل فى مجتمعنا ببعض

أحكام الشـريعـة وبموجب قـوانيننا، ومن ثم فـإن الأمـر ليس كـمـا لو كنا نأتى بنظام غـريب ومنافس".. وشـدد علـى أنه يجب أن تكون للمـسـلمـين حـرية الاختيار فى منازعات قانونية بشأن الزواج والمسائل المالية.

وقال د. ويليامز كبير الأساقفة: «إن الديانات الأخرى تحظى بالتسـامح مع قوانينها فى بريطانيا، ومن ثم فليس هناك ما يمنع من "تكيف بناء" مع موقف المسلمين فى مجالات منها الخلافات الزوجية.. على البريطانيين أن يتعاملوا بذهن منفتح مع الشريعة الإسـلامية.. وعلى بريطانيا أن تواجه الواقع وهو أن بعض المواطنين فيها لا علاقة لهم بالنظام القضائى البريطانى، وتبنى جوانب من الشريعة الإسلامية قد يساعد فى الإبقاء على الاندماج الاجتماعى.. فمثلا يكون بمقدورهم أن يختاروا فيما يختص بالنظر فى نزاعات الأحوال الشخصية أو المالية فى محكمة تطبق الشريعة الإسلامية.

وأوضح أنه ينبغى ألا يكون المسلمون مضطرين للاختيار بين بدائل قاسية بالنسبة لهم، فإما الولاء الثقافى "الدينى" أو الولاء للدولة التى يعيشون فيها.. مؤكدا أن هذا يعتمد على الفهم الأفضل للشريعة الإسلامية.. فوجود قانون واحد للجميع "المختلفين" يحمل فى طياته بعض الخطر.

ويذكر هنا أن بريطانيا تعرف ما يسمى بـ "مجالس الشريعة" التى يلجأ إليها المسلمون فى بريطانيا طلباً للمشورة فى قضايا الأحوال الشخصية مثل الطلاق، وكذلك بإمكان اليهود المتدينين اللجوء إلى تشريعات الدين اليهودى فيما يتعلق بالأكل مثلا، بل أكثر من ذلك بإمكان الأطباء المسيحيين أن يطلبوا إعفاءهم من إجراء عمليات الإجهاض لأسباب دينية.. رغم أن القانون يجيزها.

وإذا كان العقل السليم فى مقدوره أن يتقبل دعوة كبير الأساقفة على أن هدفه كما قال هو "تبين بعض القضايا الكبرى بشأن حقوق المجموعات الدينية داخل دولة علمانية" إلا أن قوى التعصب قد استنفرت وأشهرت سلاحها فى وجه الرجل بلا رحمة ضاربة عرض الحائط بقيم الحوار والتفاهم واحترام حتى حرية التعبير.

قالت صحيفة "صن" البريطانية: "من السهل عزل كبير أساقفة كانتربرى روان ويليامز، إنه فى الحقيقة تهديد خطير لأمتنا".. وقال ديفيد كاميرون

زعيم حزب المحافظين المعارضين: "تصريحات روان ليست مناسبة".. وقال وزير الداخلية البريطانى السابق وأحد قياديى حزب العمال الحاكم ديفيد بلانكيت: "إن تطبيق بعض قوانين الشريعة فى بريطانيا يمثل كارثة على سياسة الاندماج الاجتماعى» أما رئيس لجنة المساواة وحقوق الإنسان فى مجلس العموم البريطانى تريفر فيليبس فأعلن أن "إثارة هذه القضية سوف تؤدى إلى زيادة حدة مشاعر العداء للمسلمين".

ووصفت صحيفة "التايمز" البريطانية تصريحات د. روان بأنها "خطأ شنيع".. وقالت إن هناك قانونا واحدا فى بريطانيا ينبغى تطبيقه على الجميع.

ودعا عضوان بارزان فى المجلس الكنسى العام بالكنيسة الإنجليكانية الدكتور روان إلى الاستقالة من منصبه.. قال العضو إدوارد أرميستيد لصحيفة "ديلى تلجراف": "لا أعتقد أن روان الرجل المناسب لشغل وظيفته.. إنه ينبغى أن ينتقل للعمل فى جامعة بدل أن يقود الكنيسة الإنجليكانية.. إننى أرغب أن أكون مهذبا لكنى أشعر أنه سيكون أسعد حالا لو أنه يعمل فى جامعة حيث يمكنه طرح هذا النوع من الأفكار".

وقال العضو الآخر أليسون روف: "أعداد هائلة من الناس ستشعر بالارتياح لو أنه استقال لأنه يؤجل اتخاذ قرارات بشأن كل القضايا، ونحن نحتاج الآن إلى قيادة إنجيلية مسيحية قوية فى مقابل شخص يتذمر ويتذبذب بين موقف وآخر.. إنه عالم فى الشئون الدينية البروتستانتية مقتدر وألمعى جدا، لكن فيما يخص كونه رئيسا للمجتمع المسيحى فإنى أعتقد أنه فى الوقت الراهن يمثل كارثة".

ووصف ويليام دوبى، وهو عضو سابق فى المجلس الكنسى، كبير الأساقفة بقوله: "إنه يمثل كارثة وخطأ تراجيديا".

أما المتحدث باسم رئيس الوزراء جوردون براون فقال: "موقف رئيس الوزراء واضح وهو أن ما يطبق فى بريطانيا هى القوانين البريطانية القائمة على أساس القيم البريطانية.. ولا يمكن استخدام الشريعة كمبرر لانتهاك القانون الإنجليزى، ولا يمكن أيضا استخدام مبدأ الشريعة فى محكمة مدنية".

بقى أن نعرف أن كبير الأساقفة كان قد أطلق تصريحات عدة سابقا

مساندة للأقلية المسلمة فى بريطانيا مثل رفضه لحظر الحجاب ولحوادث الاعتداء على بعض المساجد فى أعقاب تفجيرات لندن فى يوليو ٢٠٠٥، وقد رحبت منظمات إسلامية بدعوته الجديدة وقال مجلس مسلمى بريطانيا إنه ممتن لتدخل كبير الأساقفة المدروس بشأن النقاش المتعلق بدور الإسلام والمسلمين فى بريطانيا الحديثة.. وقال ناطق باسم المجلس إننا نلاحظ ببعض الأسى التحويرات الهستيرية لتصريحاته والتى لا تهدف سوى لافساد العلاقة بين مكونات الشعب البريطانى.

ورحبت منظمة "رمضان فونديشن" الإسلامية بتصريحات د. روان قائلة: "إنها خطوة شجاعة لفهم الإسلام ورغبات المسلمين.. خصوصا أنه تم تطبيق الشريعة فى المسائل المدنية بقدر كبير من النجاح فى بعض البلدان الغربية.. ولا شك أن المسلمين سيشعرون براحة هائلة لسماح الحكومة بتسوية المسائل المدنية بما يتفق مع عقيدتهم".

وقال المحامى أنجم شودرى المسئول الأسبق لحركة "الغرباء" الأصولية فى بيان تلقته صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية: "إن الشريعة ستكون مستقبل بريطانيا".

وصرح الأسقف "ستيفن لو" بأنه مذعور من ردود الفعل المتسرعة إزاء تصريحات د. ويليامز.. وأضاف: "عندنا ربما أحد أعظم وألمع كبيرى أساقفة كانتربرى لم تعرفه الكنيسة لمدة طويلة.. إنه ربما يمثل أحد ألمع العقول لهذه الأمة.. إن الطريقة التى استهزئ بها د. ويليامز وانتقد بها وعومل بها من قبل الأشخاص وبالتأكيد من قبل بعض وسائل الإعلام مخزية. وكان د. ويليامز قد دعا قبل عامين إلى تطوير الحوار الإسلامى - المسيحى، من أجل خلق أجواء إيجابية فى العلاقات بين الطرفين. كما طالب بالعمل على تغليب الاتجاهات المستنيرة والبعد عن الطائفية والتطرف من أجل نزع فتيل أى خلاف بينهما.

## النائبة جينى تونج

اشتهرت النائبة جينى تونج عضو مجلس العموم البريطانى عن حزب الليبراليين الديمقراطيين بمناصرتها للشعب الفلسطينى، وانتقادها الشديد لإسرائيل، بسبب المعاناة الرهيبة التى تفرضها على الفلسطينيين، مثل حصار غزة الذى سمَّته "الفصل العنصرى" والجدار العازل الذى سمَّته "جيتووارسون".

فى أواخر يناير ٢٠٠٤ شاركت السيدة تونج فى اجتماع ضم أعضاء جمعية التضامن مع الفلسطينيين فى لندن باعتبارها المتحدثة باسم الحزب الليبرالى الديمقراطى البريطانى لشئون الطفولة.. وعلقت على المناقشات التى دارت فى الاجتماع قائلة: "هذا الشكل من الإرهاب الانتحارى يولد من رحم اليأس الشديد، إن الكثير ينتقدون التفجيرات الانتحارية، ولكننى يمكن أن أتفهم ذلك حيث إننى انسانة عاطفية، وأنا أم وجدة، وأعتقد أنه لو قدر لى أن أعيش فى ظل الظروف نفسها فلربما فكرت فى أن أفعل نفس الشئ".

وإزاء هذه التصريحات أعلن تشارلز كيندى زعيم الحزب الليبرالى الديمقراطى، ثالث أكبر الأحزاب البريطانية، عزل جينى تونج عضو البرلمان من منصبها كمتحدثة باسم الحزب لشئون الطفولة ومن المقاعد الأمامية فى البرلمان، عقاباً لها على تعاطفها مع الفلسطينيين.. وعلق كيندى على تصريحاتها قائلاً: "لا يوجد مبرر تحت أية ظروف لقتل الأبرياء عن طريق الإرهاب.. وتصريحات د.تونج لا يقبلها الحزب.. كما أنها لا تتفق مع مبادئه.

وفى حديث مع إذاعة الـ"بى.بى.سى" أعربت د.تونج عن تفهمها لاستياء البعض من تصريحاتها.. وأوضحت أنها لا تدافع عن الانتحاريين، وإنما كما قالت "إننى أحاول أن أقول إننى أتفهم فقط بعد رؤيتى للعنف والإهانة والاستفزاز الذى يعيش تحت وطأته كل يوم الفلسطينيون منذ احتلت إسرائيل أراضيهم.. علينا أن نتفهم الظروف التى يعيش فيها هؤلاء الإنتحاريون".

وقد اعترض المتحدث باسم السفارة الإسرائيلية فى لندن على تصريحات د.تونج قائلاً: "إن الخطر الحقيقى يكمن فى أن تعليقاتها تؤجج نار الكراهية لدى الفلسطينيين والمجتمعات الإسلامية والتى هى السبب الحقيقى لمثل هذه الأعمال الإرهابية، والتى شجعت فى العام الماضى اثنين من البريطانيين على السفر إلى إسرائيل لتفجير نفسيهما وقتل أناس أبرياء".

ورغم أن الضغط اشتد على السيدة تونج من كل جانب إلا أنها رفضت بشجاعة الاعتذار لإسرائيل وتمسكت بتصريحاتها، مؤكدة أنها غير نادمة على ما قالته، لأنها لم تدافع عن الانتحاريين.. وانما فقط "تفهمت" دوافعهم.

لقد زايدوا عليها واتهموها بمساندة الإرهاب، وشاركت فى الحملة ضدها صحف وأحزاب عديدة، بينما لم يكن هناك- على الجانب الآخر- من يقف

بجانبها، أو يدافع عنها.. أو يرفع صوته إلى جانب صوتها على أقل تقدير.

على سبيل المثال قالت صحيفة " ديلى إكسبريس" على صدر صفحتها الأولى إن تصريحات تونج جلبت العار على بريطانيا بسبب تعاطفها مع من يقومون بالعمليات الانتحارية.. وقالت النائبة العمالية- صديقة إسرائيل- لويزا يلمان إن تونج توفر الغطاء الأخضر للإرهاب.. وأشار مايكل أنكيرم أحد قيادات حزب المحافظين المعارض إلى أن تصريحات تونج تصيب بالمرض هؤلاء الذين فقدوا أقارب أحباء لهم من خلال هذه الهجمات الانتحارية الفلسطينية.

وقد ذكرت صحيفة " الجارديان" البريطانية أن عزل د.تونج من وظيفتها يؤكد ضرورة الحرص الذى يجب أن يتبعه المتعاطفون مع القضية الفلسطينية فى عرضهم لها.. فقد كان من بين الحضور فى الاجتماع الذى تحدثت فيه جيرالد كوفمان وزير خارجية الظل السابق الذى هاجم بشدة الجدار الفاصل الإسرائيلى، وأيد فرض عقوبات اقتصادية على إسرائيل.. أما النجم الكوميدى جيريمى هاردى الذى حضر الاجتماع أيضاً فقد قال: "كان هناك أعداد من اليهود فى الاجتماع ولم يعترض منهم أحد على ما قالته د.تونج.. وفى الواقع فقد حظيت بتصفيق حاد لها فى نهاية الكلمة التى ألقتها.

الغريب فى الأمر أنه فى ظل الحملة المحمومة ضد تونج أظهر استطلاع للرأى أجرى فى بريطانيا أن واحداً من كل خمسة بريطانيين يرفض وصول يهودى لمنصب رئيس الوزراء، ورفض ١٨٪ قبول الفكرة بشكل قاطع، بينما رأى ٤٧٪ أن هذه الفكرة قد لا تلقى قبولاً لدى غير اليهود فى بريطانيا.. وأشارت صحيفة "تايمز" إلى أن نتائج الإستطلاع أصابت الجالية اليهودية فى بريطانيا- ٣٠٠ ألف يهودى- بالصدمة، ونقلت صحيفة "جارديان" عن ديفيد بلانكيت وزير الداخلية البريطانى قوله إنه شعر بخيبة أمل من نتائج الاستطلاع الذى شمل نحو ١٠٠٧ أشخاص.

وتزامن مع هذا الاستطلاع استطلاع آخر أجرى فى إيطاليا، وأعطى نتائج سلبية جداً بالنسبة لصورة اليهودى فى أوروبا.

والذى يهمنا فى هذا الأمر أن أوروبا تدرك جيداً خطورة اليهود عليها.. لكنها غير مستعدة لتفهم خطر إسرائيل على الشعب الفلسطينى الذى تحتل

أرضه وتنتهك مقدساته، وتعامله بإذلال يومى.. وغير مستعدة أيضاً لتغيير الصورة الذهنية الخاطئة عن أولئك الذين يسمونهم بالانتحاريين أو الإرهابيين.

لا شك أن هناك شخصيات محترمة ومتوازنة، وسط المناخ المنحاز والمتعصب.. والذى لا يريد أن يعرف أو يفهم.. رغم أن شاشات التليفزيون لا تغفل المآسى الفظيعة كل لحظة مما يجرى للشعب الفلسطينى على أرض الواقع.. لكن الصوت اليهودى، واللوبى المساند له، يستطيع أن يقلب الحقائق، ويضلل الرأى العام، ويجعل العيون لا ترى والأذن لا تسمع.. وحين يكون هناك من يستطيع أن يشهد ولو بجزء من الحقيقة فإنه يعرف- مقدماً- أنه سيدفع ثمناً باهظاً.

## الضابطة ياسمين رحمن

كانت شابة منطلقة، عاشت حياتها علمانية لم تعتنق أى دين، اعتادت أن تعاقر الخمر مع أصدقائها فى الأندية.. وحتى بعد أن التحقت بالعمل كضابطة فى شرطة العاصمة البريطانية لندن "أسكوتلانديارد" لم يتغير من أمرها شئ.. ثم شاء قدرها أن تتزوج ضابطاً مسلماً فى أسكوتلانديارد أيضاً وتكتشف بنفسها عالماً جديداً عليها حينما اقتربت من الدين الإسلامى.

ظلت تراقب وتفكر إلى أن اقتنعت بالتوجه إلى مسجد شرق لندن لتحصل منه على بعض الكتب التى تتحدث عن الإسلام ونسخة من القرآن الكريم وكتب الفقه الميسر لمعتنقى الدين الجدد.. وفى أبريل ٢٠٠٧ قررت الضابطة البريطانية أن تشهر إسلامها واختارت لنفسها اسم "ياسمين رحمن" وارتدت الحجاب.. وآثرت أن تستمر فى أداء مهامها الأمنية بحجابها فى محطة "واترلو" للقطارات وسط لندن لكى تثبت أن المرأة المسلمة قادرة على أداء دورها فى المجتمع، وأن الحجاب لا يمثل عائقاً لها فى ذلك.

فى عددها الصادر يوم الاثنين ٧ إبريل ٢٠٠٨ أوردت صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية القصة الكاملة للضابطة ياسمين رحمن.. وفيها نفت تماماً أن تكون قد أسلمت بناء على رغبة زوجها.. وإنما لاقتناعها الكامل بحاجتها إلى الإسلام.

تقول ياسمين: عندما تعرفت على الإسلام، تيقنت من أننى اكتشف دنيا جديدة، بدأت أشعر تدريجياً بأن الإيمان يسكن قلبى وبالطمأنينة، لقد تخلصت من كل الذنوب بعد دخولى إلى الدين الحنيف، لقد كانت هذه الطمأنينة طمأنينة إلهية، حينها أيقنت أن الوقت قد حان لارتداء الحجاب، الذى وافق عليه مسؤولون فى الشرطة البريطانية.

لقد أيقنت أن الله هدانى، ومن حينها وأنا أتلذذ بطعم الإيمان. إن الإيمان بالله، هو أجمل شعور ممكن أن يعيشه الإنسان فى هذه الدنيا.

وعن تأثير ارتدائها الحجاب على المجتمع المحيط بها أو خلال نوبات العمل، قالت كثيراً ما أسمع عبارات مستفزة أثناء نوبات العمل، مثل "الخائنة" أو "بن لادن فى واترلو" فى إشارة إلى عملها فى محطة قطارات واترلو بوسط لندن.

وتضيف: "لكننى فى معظم الأحوال أتجاهل تلك العبارات الاستفزازية التى تعبر عن جهل أصحابها" وتقول: كنت أتوقع ردة غاضبة من بعض أفراد المجتمع الذين يتصورون أن الحجاب يعنى بن لادن وطالبان.. ويمارسون أسوأ ألوان التمييز ضد المحجبات.

وتقول ياسمين: وجدت أن أهداف الحياة فى الدنيا والآخرة أجمل من خلال تعاليم الدين الإسلامى وهذا جعلنى أعتنق الإسلام بكل حب لأنه دين حق. وتقول: ماوجدته فى الإسلام بالنسبة لحقوق المرأة، غير ما سمعته، بل هو تأكيد أن الإسلام حفظ لها تلك الحقوق نفسها التى كفلها للرجل، مثل حقها فى التعليم وحقها كامرأة متزوجة، ونصيبها فى الميراث وغير ذلك من الحقوق الأخرى، وهناك أيضاً سورة "مريم" التى تتحدث عن براءة السيدة مريم مما نسب لها، وتتحدث السورة عن قصة ميلاد المسيح عليه السلام.

وتقول الضابطة ياسمين عرفت أن أول من اعتنق الإسلام امرأة وهى السيدة خديجة زوجة الرسول الكريم، وأول شهيدة فى الإسلام أيضاً امرأة السيدة سمية زوجة ياسر بن عامر "أم عمار". التى ارتبط اسمها بقول الرسول الكريم "صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة". وتقول: عرفت أيضاً أن الله سبحانه وتعالى جعل الجنة تحت أقدام الأمهات، واطلعت على حديث الرسول عليه الصلاة والسلام عندما جاءه رجل يسأل: من أحق الناس بحسن

صحبتى، فذكر الأم ثلاث مرات ثم جاء الأب أخيراً، وعرفت أيضاً أن الإسلام ليس دين عنف وتطرف، بل يفى بحقوق العدالة والجيران، بعد أن أوصى النبى بحقوق الجار.

وهكذا.. فقد رأت الضابطة البريطانية ياسمين رحمن فى الإسلام مالم تره العيون المغرضة فى الغرب وأذنابهم فى الشرق، وتحملت بعد اقتناعها جميع ألوان الإساءة والتمييز الذى عانت منه فى المجتمع البريطانى الحر، رغم أنها حديثة عهد بالإسلام.

# ٢

# الصداميون

إذا كانت الحرب على الإسلام فى الغرب لم تعلن بشكل سافر من قبل المسئولين الرسميين إلا أن هناك من السياسيين والمثقفين والكتاب من يمارس هذه الحرب، ويؤجج نارها، ويدعو إليها.. ومعظم هؤلاء يفعلون ذلك إما لأسباب سياسية تعود إلى ارتباطهم بدعم إسرائيل أو لأسباب مادية، ترتبط بحاجتهم إلى أن يلعبوا أدواراً تمنحهم الشهرة والمال والنفوذ فى مجتمعات تجهل الإسلام وتخاف منه، أما الأقلية فإنهم أولئك الذين يتصادمون مع الإسلام لأسباب دينية.

وهذه نماذج لبعض الأسماء التى اشتهرت فى سنوات الرئيس بوش بسبب انخراطها فى الصدام مع الإسلام والمسلمين :

## صمويل هنتنجتون

هو أستاذ للعلوم فى جامعة هارفارد، أمريكى الأصل،ولد فى ١٨ابريل ١٩٢٧، واشتهر بمقال نشرته مجلة " فورين أفيرز" (العلاقات الخارجية) عن صدام الحضارات عام ١٩٩٣ أحدث ضجة كبرى، مما دفعه إلى توسيع المقال إلى كتاب عام ١٩٩٦.

فى هذا الكتاب يقول هنتنجتون إن التأثير الأكبر فى حركة العالم خلال القرن الواحد والعشرين سيكون للتدافع بين الحضارات وليس بين الدول

القومية والإيديولوجية، وقسم العالم بعد الحرب الباردة إلى حضارات : غربية وإسلامية وصينية وهندية ويابانية وأفريقية وأمريكية لاتينية.. مؤكداً أن ما يحكم العلاقة بين تلك الحضارات هو " الصدام "، وهذا الصدام أساسه الثقافة أو الهوية التى تحكم كل حضارة.. وذلك لأن " الثقافة أو الهويات الثقافية، والتى هى على المستوى العام هويات حضارية، هى التى تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع فى عالم ما بعد الحرب الباردة ".. مع العلم بأن العوامل الثقافية المشتركة والاختلافات هى التى تشكل المصالح والخصومات بين الدول.

وبسبب هذا الصراع الحتمى فقد دعا هنتنجتون الغرب بصفة عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة إلى الحفاظ على عناصر القوة لديها فى عالم متعدد الأقطاب، وحذر الأمم الغربية من أنها قد تفقد زعامتها إذا فشلت فى فهم الطبيعة غير القابلة للتوفيق للتوترات القائمة فى العالم.

وتعرضت نظرية "صدام الحضارات" لانتقادات عديدة فى الشرق والغرب، ووصفت بأنها تقدم الأساس النظرى لإضفاء الشرعية على عدوان الغرب بقيادة الولايات المتحدة على العالم الإسلامى.. خصوصاً أن هنتنجتون نفسه اتجه إلى تأجيج هذا الصراع فى كتاب آخر أصدره فى مايو ٢٠٠٤بعنوان "من نحن.. التحديات للهوية القومية لأمريكا.." ركز فيه على معنى الهوية القومية لأمريكا والتهديد المحتمل الذى تشكله الهجرة الضخمة إليها، والتى يحذر من أنها قد " تقسم الولايات المتحدة إلى شعبين، بثقافتين، بلغتين ".وقد أثار الكتاب جدلاً واسعاً مثل "صدام الحضارات" واتهم البعض هنتنجتون بالخوف المرضى من الأجانب لتأييد الهوية الأنجلوبروتستانتية لأمريكا، والانتقاص من القيم والحضارات الأخرى.

فى ٢٣ديسمبر ٢٠٠١ - أى بعد ٣شهور فقط من أحداث سبتمبر الشهيرة- نشرت الأهرام مقالا لـ" هنتنجتون" بعنوان " عصر حروب المسلمين " زعم فيه - اتساقا مع رؤيته للصدام الحضارى - أن عصر ما بعد الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتى هو عصر حروب المسلمين، واستند فى ذلك إلى تقارير الخارجية الأمريكية التى جعلت الشيشان هم الجناة على روسيا والكشميريين هم المعتدين على المحتلين الهنود، ومسلمى البوسنة هم الذين

مارسوا التطهير العرقى ضد الصرب، ومسلمى "مينديناو " هم المعتدين على الفلبينيين.. وهذه التقارير ذاتها التى وضعت كل من يقف فى وجه المخططات الإسرائيلية والأمريكية ويدعم المقاومة على قائمة الإرهاب.

فى هذا المقال ذكر هنتجتون أن " ثورات المسلمين حالة من رد الفعل تجاه الحداثة والتحديث والعولمة ".. واعترف بأنها" تعود جزئيا كأثر من آثار الاستعمار والهيمنة التى مارسها الغرب على العالم الإسلامى فى أغلب سنوات القرن العشرين، واقترفته السياسات الأمريكية تجاه العراق منذ ١٩٩١ واستمرار العلاقات الحميمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وإلى القمع الذى تمارسه الحكومات ضد شعوبها المسلمة ومساندة الحكومات الغربية لها ".. لكنه بعد الاعتراف بهذه الحقائق لم يعط الشعوب المسلمة حقها كشعوب حرة تدافع عن حقها فى الاستقلال والحرية والعدل.. وبدلا من ذلك اتهمها بالإرهاب.

ومن الغريب أنه ينظر إلى الحرب العراقية - الإيرانية، والحرب العراقية - الكويتية، والجهاد الأفغانى ضد الاحتلال السوفيتى على أنها " حروب مسلمين ".. وينسى أن الولايات المتحدة كانت لاعباً أساسياً فى كل هذه الحروب إلى الدرجة التى تجعلها فى الواقع حروباً أمريكية.. ويتحدث عن إسقاط طائرة " بان أمريكا" وينسى إسقاط إسرائيل لطائرة مصرية وإسقاط أمريكا لطائرة إيرانية فى الخليج.. وهو يأخذ على اللبنانيين نسف مقر جنود البحرية الأمريكية فى لبنان بسيارة مفخخة، ويتناسى أن تلك القوة دخلت لبنان بغير إذن حكومتها بقصد مساعدة إسرائيل ضد الفلسطينيين.

وهكذا يقدم هنتجتون نموذجاً للأكاديمى الذى يستخدم قدراته فى حشد المعلومات لكى يبرر انحيازه ضد الإسلام والمسلمين.. وإثبات نظريته المغرضة لـ " صدام الحضارات ".. لكنه وهو يفعل ذلك يعتمد على قلب الحقائق وخلط الأوراق والتدليس.. حتى يزين الباطل على أنه حق.

## فرانسيس فوكوياما

يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما كاتب ومفكر أمريكى الجنسية من أصول يابانية ولد فى مدينة شيكاغو الأمريكية عام ١٩٥٢م، وتخرج فى قسم الدراسات الكلاسيكية بجامعة كورنيل، حيث درس الفلسفة السياسية، ثم

حصل على الدكتوراة من جامعة هافارد، وتخصص فى العلوم السياسية.. وقد عمل بوظائف عديدة أكسبته الكثير من الخبرة والثقافة، والتحق بالعمل مستشارا فى وزارة الخارجية الأمريكية، كما عمل بالتدريس الجامعى.. فضلاً على كونه أستاذاً للاقتصاد السياسى الدولى ومديراً لبرنامج التنمية الدولية بجامعة جونز هوبكنز.

فى عام ١٩٨٩ أثار جدلا واسعا عندما نشر فى دورية "ناشيونال إنترست" مقالاً تحت عنوان " نهاية التاريخ"قال فيه إن نهاية تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية قد ولى وانتهى إلى دون رجعة مع انتهاء الحرب الباردة وهدم سور برلين، لتحل محله الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية، ثم أضاف وشرح فوكوياما نظريته المثيرة للجدل فى كتاب أصدره عام ١٩٢٢ بعنوان " نهاية التاريخ والإنسان الأخير ".

وقد قصد فوكوياما بنظريته تكريس النفوذ النمطى الأمريكى من خلال الحديث عن النصر الذى حققه الغرب، وأمريكا تحديدا، واعتبار أن الديمقراطية الحديثة التى تقوم على الليبرالية ونظام السوق الحرة هى أنجح تجربة سياسية لتقدم العالم وحرية الشعوب، ولا مجال معها للحديث عن تجارب أخرى، أو التعلل بالتنوع الثقافى والخصوصيات الثقافية، وبالتالى فإنها التجربة التى يجب أن تسود.

ولفترة طويلة اعتبر فرانسيس فوكوياما واحداً من منظرى المحافظين الجدد فى أمريكا، حيث أسس هو ومجموعة من هؤلاء فى عام ١٩٩٣ مركزا للبحوث عرف آنذاك بمشروع القرن الأمريكى، وقد دعا هو ورفاقه الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون إلى ضرورة التخلص من نظام الرئيس العراقى السابق صدام حسين، ووقع على خطاب مماثل وجهه إلى الرئيس بوش فى أعقاب هجمات الحادى عشر من سبتمبر طالب فيه بإسقاط صدام حسين، حتى وإن لم يوجد ما يربط بين نظام صدام بمنفذى الهجمات، وكان فوكوياما خلال تلك الفترة مؤمنا بضرورة التخلص من الأنظمة الاستبدادية بالقوة خاصة فى الشرق الأوسط.

وقد طرأت تحولات على مواقف وقناعات فوكوياما فى نهاية عام ٢٠٠٣، حيث تراجع عن دعمه لغزو العراق، ودعا إلى استقالة وزير الدفاع الأمريكى

فى ذلك الوقت دونالد رامسفيلد، وأعلن عن احتمال تصويته ضد الرئيس بوش فى انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٤، معتبرا أن الرئيس الأمريكى قد ارتكب أخطاء رئيسية ثلاثة هى : المبالغة فى تصوير خطر التشدد الإسلامى على الولايات المتحدة، وإساءة تقدير إدارة بوش لردود الفعل السلبية، وازدياد مشاعر العداء للولايات المتحدة فى العالم، والتفاؤل الزائد فى إمكانية إحلال السلم فى العراق من خلال الترويج لقيم الثقافة الغربية فى العراق والشرق الأوسط بصورة عامة.

وعبر فوكو ياما فى مقالاته ومؤلفاته فى السنوات الأخيرة عن قناعته بأن على الولايات المتحدة أن تستخدم القوة فى ترويجها للديمقراطية، ولكن بالتوازى مع دبلوماسية ما أطلق عليه" نموذج نيلسون الواقعى "، حيث اعتبر أن استخدام القوة يجب أن يكون آخر الخيارات التى يتم اللجوء إليها، لكنه أكد أن هذه الاستراتيجية تحتاج إلى المزيد من الصبر والوقت، مشيراً إلى أن التركيز على إصلاح التعليم ودعم مشاريع التنمية يمنحان سياسة الولايات المتحدة لنشر الديمقراطية أبعاداً شرعية.

وقد تخلى فرانسيس فوكوياما صراحة عن ولائه وانتمائه لأفكار المحافظين الجدد فى مقال نشرته المجلة التابعة لصحيفة " نيو يورك تايمز" فى عام ٢٠٠٦ مقارنا حركة المحافظين الجدد باللينينية، ونفى فوكوياما أن تكون الحرب العسكرية هى الإجابة الصحيحة على الحرب على الإرهاب، وأضاف أن معركة كسب عقول وقلوب المسلمين حول العالم هى المعركة الحقيقية.

ويعتبر كتاب " نهاية التاريخ والإنسان الأخير" وكتاب " الانهيار أو التصدع العظيم" من أهم إصدارات فوكوياما..وهذا الكتاب الأخير يبحث فى الفطرة الإنسانية وإعادة تشكيل النظام الاجتماعى.

## برنارد لويس

برنارد لويس.. واحد من أهم المقربين إلى المحافظين الجدد الذين يهيمنون على الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس بوش الابن.. ويعزى إليه كثيرون فكرة " صدام الحضارات".. فهو مؤسسها وواضع لبناتها الأولى، لكنه تركها لكاتب أخر هو صمويل هنتنجتون لينشرها على صعيد واسع.

وبرنارد لويس مؤرخ بريطانى ولد عام ١٩١٦ فى لندن لأسرة يهودية ويقيم فى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٤.. وهو خبير مشهور فى الشئون التركية خاصة والإسلامية عامة.. وله العديد من المؤلفات تدور جلها حول العالم الإسلامى مثل : لغة الإسلام السياسية، واكتشاف المسلمين لأوروبا، والشرق الأوسط تاريخ مختصر للألفى سنة الأخيرة، والعرب فى التاريخ، وظهور تركيا الحديثة، وأخيرا كتابه " أين مكمن الخطأ" التأثير الغربى واستجابة الشرق الأوسط.. الذى صدر عام ٢٠٠٢. ونوه المؤلف فى مقدمته أنه عندما وقعت أحداث ١١سبتمبر كان الكتاب تحت المراجعة.وبالتالى فهو لايتناول هذه الأحداث أو أسبابها أو نتائجها.

وأبرز السمات الشخصية لـ "برنارد لويس" أنه ملتزم منذ زمن طويل برؤيته السلبية للإسلام وللعالم الإسلامى.. وكتاباته كلها تدور حول تبرير هذه الرؤية وتأكيدها.. فالمسلمون - من وجهة نظره - ضد المدنية وضد التطور.. ويكرهون الغرب المسيحى المتقدم ويكرهون حضارته.. ولا يرون فيمن يعيشون خارج ديار الإسلام إلا أنهم كفار وبرابرة لا يستحقون الاهتمام بهم أو التواصل معهم.

ويتميز برنارد لويس بدعمه غير المشروط للسياسة الإسرائيلية، ويرى أن الانتفاضات الفلسطينية المتكررة ضد الاحتلال الإسرائيلى دافعها كراهية الغرب، والمقاومة العراقية دافعها كراهية الغرب، وتأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس دافعه كراهية الغرب، وسقوط شاه إيران بسبب كراهية الغرب، وحتى النزاع فى كوسوفو أو البوسنة سببه رفض المسلمين أن يحكمهم الكفار، ولأنهم يرفضون قيم الحرية والمساواة، ولأنهم فقدوا جبروتهم قبل قرنين من الزمان، فهم يحقدون على الغرب ويكرهونه.ويكرهون الديمقراطية والعلم والتكنولوجيا.

ومنذ أن وصل جورج بوش الابن إلى سدة الرئاسة الأمريكية أصبح برنارد لويس مستشارا مسموع الكلمة لدى العناصر المؤثرة من المحافظين الجدد، لاسيما بول وولفويتز عندما كان مساعداً لوزير الدفاع، ولعب الاثنان دوراً خطيراً فى التخطيط لغزو العراق، والتأكيد على أن هذا الغزو سيخلق فجراً جديداً للديمقراطية فى الشرق الأوسط، وهو صاحب التعبير الشهير بأن

القوات الأمريكية ستستقبل فى العراق بالورود كقوات تحرير، وقد أطلقه بإيحاء من صديقه " أحمد الجلبى".

فى كتابه " أين مكمن الخطأ"يستعرض لويس رد فعل العالم الإسلامى، وهو يسعى إلى فهم الأسباب الكامنة وراء التقدم الهائل الذى أنجزه الغرب فى جميع المجالات.. كيف حقق الغرب الانتصارات.. الواحد تلو الآخر.. كيف سبقه الآخرون وتفوقوا عليه.. وكيف بسطوا سيطرتهم على أجزاء من أرضه.. كيف سارعت الشعوب الإسلامية إلى إلقاء اللوم على الآخرين، ولم يقم البعض بسؤال أنفسهم : من فعل هذا بنا؟!.. بل أين أخطأنا..ثم: كيف نصلح هذه الخطأ؟!.

ويبرز لويس فى هذا الكتاب الكثير من المقارنات الظالمة ضد الإسلام والمسلمين.. ويبدو انحيازه واضحاً وهو يتحدث عن الاختلاف الشاسع بين الثقافات الغربية والشرق أوسطية بشئ من التبسيط المخل والاختزال غير المنصف.. ويقع فى أخطاء علمية فادحة وهو يقارن بين المجتمعات الإسلامية والمسيحية، والموسيقى والفنون، ووضع المرأة، والعلمانية، والمجتمع المدنى.. إلخ.

على سبيل المثال هو يرى أن المسلمين لا يكترثون بعلوم الآخرين بل يحتقرونهم، ويرى أن الإسلام يحاصر أتباعه من كل جانب فلا يرون أن أحدا غيرهم يمتلك العلم، وبالتالى فليس هناك ما يدفعهم لذلك، وبالطبع هو لايعلم أن نبى الإسلام أمر المسلمين بأن يطلبوا العلم ولو فى الصين، وأن العلم فرض على كل مسلم ومسلمة، وأن طلب العلم ضرب من ضروب الجهاد فى سبيل الله.

ولأن آراءه وأفكاره سجينة فكرة واحدة هى الصراع الأبدى بين الشرق المسلم والغرب المسيحى فقد اضطر إلى تجاهل حقائق عديدة وهو يبرهن على نظريته.. فهو يتحدث كثيرا عن..الإسلام الضعيف - أو المقهور - الذى يحاول منذ قرنين الحصول على الدعم فى مواجهة "عدوه" الغرب فساند دول المحور ضد الحلفاء، وساند الشيوعية ضد الولايات المتحدة..ونسى - أو تناسى - ان هناك دولاً إسلامية كانت مع الحلفاء ضد المحور.. ودولا إسلامية كانت مع الولايات المتحدة ضد الشيوعية.. ودولا إسلامية كانت مع

الولايات المتحدة وهى تقوم بتحرير الكويت، ودولاً إسلامية مع الولايات المتحدة وهى تغزو - فيما بعد ١١سبتمبر - كلا من أفغانستان والعراق.. وأن المسألة برمتها محكومة برؤى وانحيازات وتقديرات سياسية وليس بموقف ثابت للشرق ضد الغرب.. أو العكس.

يقول لويس:" إنهم مختلفون عنا فى العمق، يرفضون حتى الموسيقى الغربية "..وقد تولى المفكر الفلسطينى الأمريكى الشهير إدوارد سعيد الرد على هذا القول بأن هناك عدة عواصم عربية تملك معاهد جيدة للموسيقى منها القاهرة وبيروت ودمشق وتونس والرباط وعمان ورام الله، وقد خرَّجت آلاف الموسيقيين المتازين على الأسلوب الغربى.. ثم يتساءل إدوارد سعيد :لماذا يستخدم لويس سلاح الموسيقى الغربية لمحاكمة الإسلام ؟! ولماذا لا يأخذ فى الاعتبار السجل الحافل للموسيقى فى العالم الإسلامى؟!

وعلى هذا النحو يسير برنارد لويس فى كتابه "أين مكمن الخطأ ".. فهو يفسر كل الحروب وكل الخلافات منذ الفتوحات الإسلامية للشام ومصر وشمال إفريقيا وفتح القسطنطينية وحصار فيينا فى القرن السابع عشر وسقوط الأندلس إلى الحملة الفرنسية على مصر والاستعمار الحديث ورغبة تركيا فى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبى وغزو العراق والصراع العربى - الإسرائيلى على أنه حلقات متواصلة فى سلسلة كبيرة اسمها " الإسلام ضد الغرب".. ويتجاهل الوقائع الملموسة : النفط ونفى الفلسطينيين وسجن أبو غريب وتوحش العولمة وسياسة الكيل بمكيالين، ومحاباة الغرب لإسرائيل.

ولأنه هكذا فقد كان من الطبيعى أن تحتفى به إسرائيل وتروج لكتبه وتشهر بخصومه.. وفى مارس ٢٠٠٢ أقامت له فى تل أبيب حفل تكريم شارك فيه بول وولفويتز وصقور الإدارة الأمريكية.

أسس برنارد لويس مع مجموعة من أمثاله تياراً عرف باسم " المسيحية الصهيونية".. وهو التيار الذى لا يكف الرئيس بوش وأركان إدارته عن ترديد دعاواها ابتداء من الفوضى الخلاقة إلى الإسلام الراديكالى والإسلام الفاشستى الذى يطالب بالعودة إلى الخلافة الإسلامية فى العصور الوسطى لكى تحكم العالم الإسلامى من أندونيسيا إلى أسبانيا.

وقد اكتشف برنارد لويس مبكراً باعتباره مستشرقاً متخصصاً فى التراث

العربى الإسلامى أن الخريطة البريطانية التى وضعت فى منتصف العقد الثانى من القرن الماضى باسم سايكس/بيكو لتقسيم الشعوب العربية لم تكن موفقة، فهذه المجموعات البشرية المدموغة بالتعرب أو العربانية - كما يقول - غير متجانسة عرقياً ومذهبياًودينياً وثقافيا، ولا يمكنها التعايش السلمى مع بعضها، لذلك هى لاتستحق أن تكون دولا حديثة، ومن أجل أن تكون أكثر انسجاماً مع ذاتها لا بد من وضع المشرط عليها مرة أخرى لتقسيمها من جديد، فتكون دولا رخوة تحتاج إلى حماية الأجنبى بصفة دائمة، وفى ذلك تكريس للنفوذ الأمريكى فى المنطقة حتى تنتشر فيها الرفاهية الاقتصادية وحقوق الإنسان والديمقراطية.

واكتسب لويس شهرة واسعة جراء تحذيره الدائم من سيطرة المهاجرين المسلمين على أوروبا. وما يستتبعه ذلك من غزو القيم الإسلامية للتقاليد المدنية التى تفخر بها أوروبا على مدى تاريخها الحديث.. وقد تنبأ لويس بأن أوروبا سوف تصبح إسلامية قبل نهاية القرن الحالى.

وقد أصدر مؤخرا كتاباً بعنوان " أوروبا والإسلام " هو فى الأصل محاضرة ألقاها فى منتدى المحافظين الجدد الأمريكيين الذين تأثر العديد منهم بأفكاره فى نظرتهم لقضايا الإسلام والمسلمين، وهو يستند فى تأثيره الهائل هذا على عنصرين أساسيين : كبر سنه الذى يجعله فى منزلة الأب الروحى للجميع.. والثانى قدراته المشهود بها على توظيف المعلومات المتراكمة، وأحيانا المتناقضة، لخدمة أهدافه، حيث استطاع أن يدرب نفسه على مدى سنوات طويلة ليبدو متدفقاً ومنظما فى عرض أفكاره، ومقنعاً بالنسبة لأولئك الذين يحدثهم دون أن تكون لديهم نظرة نقدية، أو حقائق كاملة تدحض الزيف الذى يعرضه.

الفكرة الأساسية التى يدافع عنها لويس فى هذا الكتاب هى أن العالم الإسلامى يشهد تحولا نوعياً فى تاريخه لا يقل عن سقوط روما واكتشاف أمريكا، ويجمل هذا التحول الجذرى فى انحصار حقبة التنافس الغربى على العالم الإسلامى والاستفادة من هذا التنافس، ولذا فإن أزمة العالم الإسلامى اليوم آتية من تحدى المسئولية المترتبة على أخذ مصيره بيده بدلاً من التعلل بالهيمنة الخارجية.. وقد انعكس هذا التحدى فى ظاهرتين أساسيتين هما

- حسب لويس - انفجار الصراعات الطائفية والمذهبية التى كانت نائمة فى المرحلة السابقة وأبرز تجلياتها حاليا الصراع الشيعى - السنى المشتعل فى ساحات عديدة، والتجدد العنيف والراديكالى لمحاولات فرض الدين الإسلامى على العالم بالقوة بصفته عقيدة كونية تحتكر الحق والصواب، على النحو الذى يبدو فى أدبيات" القاعدة " والذى يراه لويس تعبيراً صادقاً وصريحاً عن الخطاب الإسلامى السائد.

وهكذا تتدرج الاستراتيجية الإسلامية لاختراق الغرب ومواجهته حول مرتكزين أساسيين هما: الإرهاب من جهة، والهجرة الكثيفة التى تفضى إلى تقويض الهويات الثقافية والوطنية للأمم الأوروبية نتيجة لعجز الجاليات الإسلامية عن الإندماج فى النسيج القومى لأسباب دينية وثقافية وقيمية لا يمكن تجاوزها.

ويخلص لويس من ذلك إلى أن شرط بناء علاقة صحيحة وناجحة بين أوروبا والإسلام يكمن فى فرض إصلاحات تنويرية وعلمانية فى الثقافة الإسلامية السائدة،بدلا من الاكتفاء بكسر الاستبداد السياسى للدولة.

وهذه الفكرة ليست جديدة على لويس، فقد طرحها بعد أحداث ١١سبتمبر، واستندت إليه الأوساط اليمينية المحافظة فى تبرير غزو العراق، لكنها -مع ذلك - تحمل عنصرين مهمين فى السياق الراهن الذى تأكد فيه فشل المشروع الأمريكى فى العراق وتخلى إدارة بوش عن هدف نشر الديمقراطية بالضغط والعنف عند الضرورة.. العنصر الأول هو محاولة تفسير التناقضات الطائفية التى برزت فى بعض الساحات العربية مؤخرا على أنها عودة إلى طبيعة الوضعية الأصلية للعالم الإسلامى قبل الحضور الأوروبى الذى غطى على الصراعات الداخلية التى طبعت التاريخ الإسلامى فى مختلف مراحله.. أما العنصر الثانى فهو تفسير موجة الإرهاب التى اجتاحت بعض البلدان الغربية، وفى مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا وأسبانيا بأسباب دينية جوهرية، تتصل بالرؤية الإسلامية للديانات والثقافات الأخرى بدلا من النظر إليها كردود أفعال لدى مجموعات معزولة تشعر بالظلم والإحباط واليأس، لكنها لا تمثل التيار الرئيسى فى الأمة الإسلامية.

ويربط لويس بين العنصرين ليصل إلى النتيجة التى طالما دافع عنها وهى

أن حل مشاكل وأزمات المسلمين مرهون بالخيار العلمانى الذى سيسمح لهم بتحقيق الأمن والانسجام داخليا وتطبيع وضعهم داخل العالم.

وما يثير الانتباه هنا أن لويس يبلور صياغة جديدة معدلة لاستراتيجيات اليمين الأمريكى المحافظ الذى كان يصر على طرح الحل الديمقراطى القائم على الانتخابات الحرة والنزيهة وضمان الحريات العامة لمحاربة التطرف الذى يرتكز على أرضية الاستبداد والقمع.. فها هو يؤكد أنه لا فائدة من الخيار الديمقراطى فى مجتمعات تحكمها الرؤية الدينية للحكم باعتبارها رؤية ملازمة للإسلام، ولذا فإن على المسلمين أن يخضعوا دينهم وثقافتهم للخطوات النقدية الإصلاحية التى خضعت لها المسيحية منذ القرن السادس عشر، فهما الديانتان الوحيدتان اللتان تقومان على نزعة الرسالة الكونية.

وكالعادة انتشرت هذه الفكرة فى الدوائر الاستراتيجية الغربية رغم أنها تخلط بين أمرين متمايزين : هدف الإصلاح السياسى المنشود الذى لا يصطدم، ويجب ألا يصطدم بأية عوائق ثقافية أو دينية، وهدف الإصلاح الدينى والثقافى الذى يقتضى تدخلاً فى العقيدة ومنظومة القيم، وبالتالى قد يصطدم مع صخور وثوابت لا تقبل التغيير والتبديل، خصوصا إذا جاء هذا الإصلاح من الخارج.

وفوق ذلك فإن تعليق الإصلاح السياسى على الإصلاح الدينى والفكرى الذى هو بطبيعته ذو إيقاع بطئ يؤدى إلى تكريس واقع الاستبداد.. بما يؤدى إلى عكس النتيجة التى يدعو إليها.

ويخرج برنارد لويس، الذى يطلق عليه نبى الصهيونية الجديد، بمقولة أخرى غريبة يدعى فيها أنه من أجل إنقاذ الشرق الأوسط ينبغى أن يعتمد الغرب على ثلاثة عوامل هى: تركيا وإسرائيل والنساء، لأن تركيا اختارت العلمانية واللحاق بأوروبا فهى لا تحمل أمراض الشرق الأوسط، وإسرائيل فهى الدولة الديمقراطية الوحيدة بالمنطقة، أما النساء فقد تعرضن للقمع من قبل الثقافة التقليدية السائدة (يقصد الثقافة الإسلامية طبعاً) وخاصة النساء اللاتى يركز على دورهن فى تحويل الشرق الأوسط إلى بحيرة ديمقراطية.

ومنذ حرب الخليج أعلن برنارد لويس تفكك وموت العالم العربى، واعتبر

أن تركيا واسرائيل هما الدولتان الوحيدتان الناجحتان فى المنطقة.. أما سائر الدول فهى مصطنعة وحديثة التكوين، وإذا ما تم إضعاف السلطة المركزية فلن يكون هناك مجتمع مدنى حقيقى يضمن تماسك الكيان السياسى للدولة، ولا شعور حقيقى بالهوية الوطنية المشتركة أو ولاء للدولة الأمة، وفى هذه الحالة تتفكك الدولة.

ولذلك فهو يرى أن على أمريكا ألا تخاف من غضب الشارع العربى، فإن غضب العرب والمسلمين من الغرب يفتقر فى مجمله إلى أى أساس، إذ لا يتجاوز محاولة يائسة من مجتمعات فاشلة لتحميل قوى خارجية - خصوصا الولايات المتحدة واسرائيل - مسئولية الأزمة الخانقة والتخلف والتفكك الذى تعانيه.

ومما سبق يتضح أن معظم توجهات إدارة بوش فى العالم العربى خاصة،والعالم الإسلامى ككل، كان انعكاسا لمقولات وتوجيهات برنارد لويس، الذى استطاع بنفوذه الكبير أن يحول الاستشراق من جهد أكاديمى إلى سياسات وبرامج تعمل الإدارة الأمريكية المتصهينة على تنفيذها.

## أوريانا فالاتشى

هى كاتبة إيطالية شديدة الكراهية للإسلام والمسلمين، استغلت موجة العداء للإسلام بعد ٢٠٠١/٩/١١، وألفت كتاباً بعنوان " الاعتزاز والغضب"، وبصفة عامة هو ليس كتاب علم منهجى، وإنما هو مجموعة من المزاعم العنصرية.. من ذلك - على سبيل المثال - إعلان المؤلفة غضبها على المسلمين لأنهم يكثرون من إنجاب الأطفال، فيتكاثرون فى إيطاليا والغرب فى الوقت الذى يعانى فيه معظم دول الغرب من الانكماش السكانى، وخطر " التقزم " فى المستقبل القريب فتقول الكاتبة العنصرية إن المسلمين :" مجموعة من البشر الذين يتكاثرون كالفئران وتحيط بهم القذارة أينما كانوا ".

وقد حقق ذلك الكتاب التافه رواجاً هائلاً، لأنه أشبع مجاعة عنصرية لدى قطاع واسع من الشعوب الغربية التى تضمر العداء للإسلام، وقد تشربه الكثيرون من خلال الكتب المدرسية.

والتكاثر السكانى ليس نقيصة أخلاقية، إنه نتيجة لعقائد الإسلام ومبادئه التشريعية والأخلاقية التى تحرم الزنى وكل ضروب الفحشاء فلا يجد المسلم سبيلاً إلى إشباع حاجته الفطرية إلا سبيل الزواج، وتكوين الأسرة ويجتنب الإجهاض المحرم الذى هو قتل نفس بريئة، والشعوب الغربية تسير فى الاتجاهات المضادة لذلك، فيكتفى الرجل بالفحشاء ويرفض تكوين الأسرة، فينكمش النسل فى بلاده.

وحذرت " فالاتشى " كثيراً من الخطر الإسلامى لتخويف الغربيين من الإسلام والمسلمين، ولا حجة لديها سوى الإشارة إلى تمسك المهاجرين المسلمين بدينهم ورفضهم الخروج عن شريعته، لكنها ماتت قبل أن تتحقق نبوءتها بأن تتحول أوروبا إلى محافظة إسلامية.

وقد تعرض كتاب فالاتشى لنقد مرير، ففى ألمانيا كتب " لود فيج أمان " مقالاً فى مجلة "الأدب " وصف فيه فالاتشى بأنها تثير الضغائن الحقيرة مثل كلبة هائجة ! واعتبرها كاتبة غوغائية، ونفى أن يكون الإرهاب مقصوراً على المسلمين كما زعمت، وقال إن كل أمم الأرض فيها إرهابيون، والمسلمون كغيرهم من البشر فيهم الطيب وفيهم الخبيث،وقال "أمان" إن نجاح كتابها ينذر بتحول العداء للسامية إلى عداء للإسلام.

## فيد باهارد نايبول

هو أديب إنجليزى من أصل هندى حصل فى عام ٢٠٠١ على جائزة نوبل فى الأدب، مما أثار ضجة كبرى فى الأوساط الأدبية والعلمية، نظراً لما عرف عنه من إساءات متكررة إلى الإسلام والمسلمين.. وسجلت أقلام عديدة إدانتها للأكاديمية السويدية التى منحته الجائزة، ووصمتها بالعنصرية الثقافية.. وكان الأستاذ إدوارد سعيد، الأمريكى من أصل فلسطينى، أول النقاد الذين أدانوا "نايبول" بالعنصرية قبل فوزه بالجائزة.

ونقل د. أحمد عبد الرحمن فى كتابه مرض كراهية الإسلام "الإسلاموفوبيا" عن الناقد الكبير رجاء النقاش قوله :" إن أسوأ ما فعلته جائزة نوبل فى تاريخها كله - كما أظن - هو منحها جائزة الأدب هذا العام للكاتب الإنجليزى الهندى الأصل، يقصد نايبول، الذى جعل على رأس قضاياه

الرئيسية العداء للإسلام والتشهير به، وهو يطعن فى الإسلام ويعتبره، والعياذ بالله، كارثة على كل المؤمنين به".

وأكد أن جائزة نوبل لم تبرأ من الرشاوى والجاسوسية والإغواء الجنسى وفساد الضمائر والمصالح الفردية والأنانية، وهذه جرائم شنيعة جداً.

ثم نقل رجاء النقاش إدانة الصحف السويدية نفسها للأكاديمية، ومن أهم النقاد الذين اقتبس أقوالهم نقيب الصحفيين السويديين "جان جيللو" الذى قال :" إن اختيار "نايبول" لجائزة نوبل فى هذا الوقت بالتحديد هو اختيار بالغ التعاسة، خصوصاً فى الظروف التى يعيشها العالم الآن.. إن هذا الاختيار محزن للغاية، وما كان نايبول ليحصل على الجائزة إلا أنه قد أعلن آراء عنصرية ضد الإسلام والعرب".

وقد هاجم نايبول الإسلام دون أن يدرى عنه شيئاً. أو يدرس عنه شيئاً.. كل ما يعلمه هو مجرد انطباع بعد زيارة لبعض البلاد المسلمة مثل باكستان وبنجلاديش، وقد كانت نظرته مغرضة فلم ير شيئاً سوى بعض نواحى القصور والتخلف، فسجل تلك الملاحظات فى دفتره، واعتبرها تمثل الإسلام ! وبهذه الخلفية القاصرة المغرضة كتب رواياته التى هاجم فيها الإسلام، والتى نالت إعجاب الأكاديمية السويدية فمنحته الجائزة الكبيرة! وهذا دليل على أن أعضاء الأكاديمية السويدية يعادون الإسلام ربما أكثر من معاداة نايبول نفسه.. لذلك أدانت القوى الحرة فى الشرق والغرب الأكاديمية العنصرية المتعصبة كما أدانت ذلك الكاتب.. وحتى المرتد سلمان رشدى أدانه وأدانها، وقال إن نايبول هندوسى متطرف يمول الهندوس المتطرفين بالأموال لبناء معبد "الملك رام" على أنقاض المسجد البابرى الذى دمره المتعصبون الهندوس، وبذلك يساعد على إشعال حريق رهيب بين الهندوس والمسلمين فى الهند".

## ميشيل هولوبك

كاتب فرنسى أصدر رواية جنسية داعرة بعنوان " المقصة " تطفح بالتعبيرات العنصرية التى تكشف عن كراهية مريرة للعرب والمسلمين، والتى يريد بها الكاتب إغراء القراء على مشاركته فى تلك الكراهية.

ويذكـر النقـاد أن والدته أسلمت، وأدى إسـلامـهـا إلى توترات حـادة مع أسـرتهـا، وربما كـان ذلك سـببـا لكراهيتـه للإسـلام والمسلمين، وهو يقـول على لسـان أحـد شـخـصيات الرواية إن الإسـلام دمـر حـياتى، وأنا أكـره الإسـلام يقيناً، وقد عودت نفسى على كراهية المسلمين ونجحت فى ذلك.

ويعبر هولوبك عن أزمته المرضية فى عبارات كثيرة، حادة مسفة، من ذلك قوله :" كلما علمت أن فلسطينيا إرهابياً قُتل، أو أن طفلاً فلسطينياً قُتل، أو أمرأة فلسطينية حاملاً قُتلت فى قطاع غزة، شعرت بالسعادة، لأن مسلماً قد غُيب من على ظهر الأرض" والفلسطينى هو كما نعلم المجاهد الذى يقاتل الاحتلال الصهيونى الاستيطانى، لتحرير وطنه السليب.

ولم ينس الكاتب العنصرى أن يتـزلف إلى الصهاينة بطريقة مفضوحة فأجرى مقارنات ضحلة ركيكة بين التوراة والقرآن الكريم رفع فيها التوراة فوق القرآن، وأنا أعتقد أن توزيع مليون نسخة من الكتاب الفضل فيه للصهاينة.

وهو يردد المقـولات النمطية الشائعة فى الغرب بأن الإسـلام خطر محدق بالغرب، يريد تخويف الناس من الإسـلام وتحريضهم ضد المسلمين .

وكان من الطبيعى أن ينقده كثير من المسلمين وغير المسلمين، فكتب عنه " مارك فايبزمان" مقالا نقديا قال فيه إن رؤيته للإسـلام عنصرية وقحة، وقال إن ما يشجع " هولوبك" على الإعلان عن عنصريته هو ذيوع العنصرية فى البيئة الفرنسية والغربية عامة.

## سيلفيو برلسكونى

رئيس وزراء إيطاليا، غادر منصبه ثم عاد إليه مرة أخرى عام ٢٠٠٨، وقد أثار ضجة كبرى عندما صرح فى فترة رئاسته الأولى بأن الحضارات متفاوتة فى الرتب، ويجب على الأوروبيين أن يدركوا أن حضارتهم أعلى رتبة من الحضارة الإسلامية، وزعم أن الغرب سوف يواصل عملية تعميم حضارته وفرضها على العالم، وقد نجح فى ذلك مع العالم الشيوعى وجزء من العالم الإسلامى.

وعلى الفور ثارت الاحتجاجات فى وجهه، وكان أول من احتج عليه هم

زعماء الاتحاد الأوروبى أنفسهم، فقال "ليونيل جوسبان" رئيس وزراء فرنسا فى ذلك الوقت : " ليست هناك رتب بين الحضارات، وإن على الدول الاعضاء فى الاتحاد الأوروبى الالتزام بهذه النظرية الفلسفية.

وقال رئيس وزراء بلجيكا " فرهوفشتات": "لا أستطيع أن أتصور أن يكون رئيس الوزراء الإيطالى أدلى بمثل تلك التصريحات، وأعتقد أن الاتحاد يناضل من أجل التعددية الثقافية والديمقراطية والتسامح وتلاقى الحضارات " واعتبرت الحكومة الألمانية أن تصريح برلسكونى :" يعوزه المنطق، ويعطى الانطباع، وكأن الأمر يتعلق بحرب الحضارات، وهذا لا يعبر عن موقف ألمانيا وحكومتها بحال ".

ومن جهة أخرى، طالب عمرو موسى - أمين عام الجامعة العربية - باعتذار، وكذلك فعل كمال خرازى وزير خارجية إيران! واضطر برلسكونى إلى إعلان اعتذاره بسرعة تحت النقد العنيف.

وأجرى استطلاع للرأى فى إيطاليا أظهر أن ثلثى الشعب يرفض رأى برلسكونى، والثلث الباقى أيده.

وكشفت وسائل الإعلام الأوروبية عن معارضة واسعة لرأى برلسكونى وهاجمته بعض الصحف بعنف، وجاء فى تعليقات صحفية أن برلسكونى ليس له اهتمامات ثقافية، وهو تاجر كبير ومليardير، وذكرت أنه سبق أن اتهم بالتهرب من الضرائب، واتهم بالرشوة، ومحاباة عصابات المافيا، وفى ١٩٩٧/١٢/٣ قضت إحدى محاكم مدينة ميلانو بسجنه ١٦ شهراً وتغريمه ستة آلاف دولار بعد إدانته بجريمة التزوير فى حسابات مصرفية.

لكنه لم يدخل السجن لأن المدة التى حكم عليه بها لا تبلغ عامين، ووفقاً للقانون الإيطالى لا يدخل السجن إلا إذا حكم على المرء بسنتين، وقال معلق إيطالى إن برلسكونى لا يفقه شيئاً عن العالم الخارجى، ولا يهمه سوى جمع المال وتحقيق مصالحه بالطرق الخلفية، فكيف يجرؤ شخص هذا حاله على الحديث عن الحضارات وتفضيل إحداها على الأخرى ؟!.

وفى مايو ٢٠٠٣ ثار الرأى العام الإيطالى ضد " برلسكونى" عقب مثوله أمام القضاء لتورطه فى عملية بيع مجموعة شركات (S.M.A) بأقل من سعرها خلال عملية خصخصة القطاع العام سنة ١٩٨٥.

## القس جيرى فالويل

هذا نموذج لرجل الدين الذى يوظف معلومات مبتسرة فى التعبير عن حقده وكراهيته ليحقق شهرة ونفوذا من خلال قدرته على تشويه المقدسات والثوابت الإسلامية.

ويعد القس جيرى فالويل من زعماء حركة " المسيحية الصهيونية " فى أمريكا..وقد تطاول على النبى - صلى الله عليه وسلم- فى مناسبات عديدة، وفى حديث تليفزيونى وصف النبى - صلى الله عليه وسلم- بأنه إرهابى ودموى.. مع حزمة أخرى من الشتائم الوضيعة.. مما دفع مجلس الكنائس العالمى فى جنيف - الذى يمثل ٣٢٤ كنيسة منتشرة فى مائة دولة - إلى إصدار بيان يحمل إدانة شديدة لأقوال فالويل ووصفه بأنه مخرب وعدوانى.

كما اتخذ المجلس الوطنى لكنائس المسيح فى نيويورك - الذى يمثل ٣٦ كنيسة ينتسب إليها نحو ٥٠ مليون أمريكى - موقفا رافضاً لكلام فالويل ومدينا له بقوة، مما اضطر القس لسحب بذاءاته والاعتذار عنها.

## النجمة بريجيت باردو

اشتهرت بريجيت باردو نجمة السينما الفرنسية العالمية السابقة بأدوار الحب والإغراء خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى.. لكن بعد اعتزالها الفن عام ١٩٧٤ ارتبط اسمها بنشاطات اليمين العنصرى المتشدد.. والعداء للمهاجرين المسلمين فى فرنسا.

فى ٣ يونيه ٢٠٠٨ أصدر القضاء الفرنسى حكما بتغريمها ١٥ ألف يورو بعد إدانتها بإثارة مشاعر الكراهية ضد الإسلام.. طبقا لما ذكرته صحيفة " الشرق الأوسط " اللندنية فى ٤يونيه ٢٠٠٨.. وكانت هذه هى المرة الخامسة التى تدان فيها باردو قضائيا.

وترجع القضية إلى رسالة بعثت بها بريجيت باردو فى أواخر عام ٢٠٠٦ إلى رئيس الجمهورية الحالى نيكولا ساركوزى اعترضت فيها على ذبح المسلمين للأغنام دون تخديرها مسبقا، كما كررت اعتراضها على صمت السلطات على تنامى حجم الجالية المسلمة.

قالت " الشرق الأوسط" إن باردو تعيش فى شبه عزلة منذ اعتزالها عام

١٩٧٤ لا يكسرها سوى تصريحاتها ونشاطاتها المثيرة للجدل، ومنذ ذلك الحين أدينت عدة مرات بتهمة إثارة الكراهية العنصرية، وكانت البداية عام ١٩٩٧ لتعليقات لها نشرت فى صحيفة "لو فيجارو" الفرنسية المحافظة.

## توم تانكريدو

لمع اسم توم تانكريدو أثناء الانتخابات الداخلية للحزب الجمهورى الأمريكى الذى ينتمى إليه الرئيس بوش، إذ كان مرشحاً فى هذه الانتخابات التى أجريت تمهيداً للانتخابات الرئاسية فى ٢٠٠٨.. وقد لفت تانكريدو الأنظار بتصريحاته العنصرية وتهديداته التى فاقت كل الحدود.

فى أغسطس ٢٠٠٧.. وفى غمرة حملته الانتخابية هدد تانكريدو، وهو فى الوقت ذاته نائب فى الكونجرس عن ولاية كلورادو، بقصف المقدسات الإسلامية فى مكة والمدينة بالسلاح النووى.. وأكد أمام حشد من مؤيديه أن هذه هى الطريقة المثلى لتجنب هجوم نووى وشيك ضد أمريكا.

والواضح من هذا التهديد العنصرى أن الهدف الحقيقى منه ليس تجنب هجوم نووى وشيك كما يزعم، ولكن إبراز وجه الصرامة الوقحة، واجتذاب أصوات المناهضين للإسلام والمسلمين.

وبهذا الشكل دخلت المقدسات الإسلامية إلى دائرة اللعبة السياسية ومزايدات الحملات الانتخابية، وما كان هذا ليحدث إلا بعد أن أصبح هؤلاء السياسيون العنصريون أكثر استهانة بالإسلام والمسلمين.. والدليل على ذلك أنه لا يجرؤ هو ولا أحد من أمثاله على التهديد بضرب أية مقدسات أو رموز أخرى فى العالم، ولو كانت وثنية، أخذا بجريرة عمل إرهابى قام به شخص هنا أو هناك.

## ٣

# المحاربات بالدين

برزت فى سنوات الرئيس بوش الثمانية أسماء لنساء مسلمات كان لهن دور كبير فى تنفيذ مخططات الحرب ضد الإسلام التى دعت إلى تطوير الإسلام أو تجديد الخطاب الدينى.. وهؤلاء النساء عضوات فى جمعيات إسلامية مرتبطة مع مراكز أو أجهزة صنع القرار فى النظام الأمريكى، ومؤسسات الأمن والاستخبارات الأمريكية، وهذه المؤسسات هى التى تشكل اللجان وتعد الخطط والدراسات وتقدم البرامج والتوصيات والتعليمات.. وقبل ذلك وبعده تقدم التمويل اللازم، وتوفر الحماية الضرورية.

وسوف نقدم هنا نماذج لبعض هذه الأسماء التى اكتسبت شهرة واسعة بسبب انخراطها فى المخططات المضادة للإسلام، باعتبار أن هذه ظاهرة مستحدثة فى عصر الرئيس بوش.

### آمنة ودود

ركزت خطة تطوير الخطاب الدينى الأمريكية على ثلاث ركائز أساسية هى :عدم تسييس خطبة الجمعة، والعمل على تحويل الخطبة إلى لقاء ديمقراطى حوارى بين الخطيب والمصلين أثناء إلقاء الخطبة، فمن غير المقبول أن يكون الخطيب هو المتكلم الوحيد وهم يستمعون وينصتون، إذ لا بد أن يناقشوه ويعترضوا عليه ويرفضوا كلامه، أما الركيزة الثالثة فتتعلق بالمرأة.. إذ يجب

أن يكون لها دور مهم فى ممارسة التفرقة غير المبررة بين الرجال والنساء.. خصوصاً أنه لا توجد نصوص دينية فى القرآن الكريم تحرم على المرأة إلقاء خطبة الجمعة وإمامة الرجال فى الصلاة.

وإذا كانت هذه الخطة الأمريكية قداعتمدت رسمياً وأمنياً ومالياً وسياسياً فى أمريكا فى نهاية عام ٢٠٠٢ فإن أول تطبيق عملى مدو لها كان فى نيويورك يوم الجمعة ١٨ مارس ٢٠٠٥ بفريق عمل تقوده د.آمنةً ودود استاذة الدراسات الإسلامية في جامعة فيرجينيا.. حيث قامت بإلقاء خطبة الجمعة وإمامة المصلين، رجالاً ونساء بقاعة كنيسة " سينود هاوس " فى مدينة مانهاتن بنيويورك بعد أن رفضت جميع المساجد فى أمريكا استضافة هذه المهزلة التى تمثل سابقة هى الأولى من نوعها فى التاريخ الإسلامى.

لم يكن الحدث عفوياً، ولا تصرفاً فردياً، وإنما كان بداية منظمة جداً لتنفيذ الخطة.. حيث شارك فى الصلاة نحو ستين رجلاً وستين امرأة وثلاثين طفلاً من المسلمين الأمريكيين.. بينما احتشد خارج ابواب الكاتدرائية مجموعة من رجال الشرطة الأمريكيين لحماية المصلين من المتظاهرين الغاضبين فى الخارج.. المحتجين على العرض المسرحى " الإسلامى " المثير.. كما احتشد نحو مائة وخمسين صحفياً وإعلامياً، بعد المصلين، ومعهم كاميراتهم التى تنقل " بثاً حياً " بالصوت والصورة عبر القنوات الفضائية.

وأكدت آمنة ودود، وهى صاحبة كتاب " القرآن والنساء.. إعادة قراءة النص المقدس من وجهة نظر المرأة "حق النساء فى إمامة الصلاة مشددة على أن قيام الرجال بهذا العمل "هو أمر مجحف "

أما منظمو الحدث فقد قالوا إنه " يأتى ضمن حملة أوسع لتشكيل مجتمع جديد يعتمد على مبادئ وتعاليم الإسلام، وخاصة العدل والمساواة.. وأضافوا فى بيان أن النبى محمد أقام نموذجاً للمجتمع فى المدينة المنورة فى القرن السابع الميلادى، وفى القرن الحادى والعشرين " نحن ملزمون بإقامة مجتمع حديث يعتمد على القيم الدينية وكذلك على حقوق المرأة".

تم ترتيب المصلين فى قاعة الكاتدرائية الكنسية صفوفاً، الرجال والنساء فى الصف نفسه، وكان معظم النساء المصليات بملابسهن الأمريكية المتمثلة

فى قميص وبنطلون وغطاء رأس تقدمى، وبعضهن بلا غطاء رأس، وعندما دخل وقت الظهر قامت السيدة " سهيلة العطار " برفع الأذان، وقالت بعد ذلك إن والدها كان مؤذناً فى أحد مساجد مصر.

بعد الأذان صعدت د. آمنة ودود إلى منبر الكاتدرائية وألقت خطبة طويلة قالت فيها :إنها تريد تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة فى الإسلام فى كل شئ، حتى فى الخطبة والإمامة، فلا يجوز أن تبقى الخطبة والإمامة مقصورة على الرجال، ذلك ظلم " ذكورى " للمرأة المسلمة ثم نزلت إلى المحراب وصلت بأتباعها.

وكانت قبل الصلاة قد صرحت فى مؤتمر صحفى بقولها " لا أريد أن أغير من طبيعة المسجد، أريد أن أشجع قلوب المسلمين على الإيمان بأنهم متساوون".. مضيفة أنها تتمنى المساعدة فى إزالة القيود المصطنعة والمزعجة التى تستهدف المرأة المسلمة.

وقد أحدثت هذه التمثيلية صدمة نفسية هائلة لدى المسلمين فى كل مكان.. وأصدر مجمع فقهاء الشريعة بامريكا بياناً استنكر فيه إمامة المرأة للصلاة، ووصفه بالموقف البدعى الضال، وحذر المجمع من الافتتان بمثل " هذه الدعوات الضالة المارقة من الدين، والمتبعة لغير سبيل المؤمنين ".. ودعا إلى الاعتصام بالكتاب السنة.

وهكذا قدمت د.آمنة ودود، الأفريقية الأصل، وبعض من أتباعها، تمثيلية أمريكية الإعداد والإخراج..أثبتت من خلالها أن إدارة بوش قادرة على التدخل فى أى ميدان، وتلويث أى عمل وأى نشاط، والتحكم فى أى تصرف حتى ولو كان ذلك يتعلق بشعيرة العبادة الأولى، الصلاة.

## إســـراء نعمـــانى

هى مسلمة أمريكية من أصل هندى، وصحفية سابقة فى جريدة " وول ستريت جورنال " وهناك معلومات بأنها حملت لفترة اسم ساندر اجونز، ثم هى اول امرأة تتبنى الدعوة لاختلاط الرجال والنساء فى الصلاة بالولايات المتحدة، وأول امرأة مسلمة تدافع فى حديث علنى عن إنجابها بلا زواج شرعى قائلة إنها لا تؤمن بكلام من يتحدثون عن معاقبة المرأة التى تنجب

خارج الزواج، منتقدة بشدة النظر إلى المرأة باعتبارها إمتاعاً للرجل فقط، مشيرة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى التعامل الجنسى المخلص والمحترم مع المرأة، وليس إغصابها على الممارسة الجنسية.

وهى إلى جانب ذلك أول امرأة تقتحم حشود المصلين فى قاعة الصلاة المخصصة للرجال فى مسجد مزدحم بلوس أنجلوس، مصرة على الصلاة بينهم، ورافضة الصلاة فى المكان المخصص للنساء فى آخر المسجد.. وقدانتقدت بشدة تحول مساجدعديدة فى أمريكا إلى ما سَّمته بـ " أندية ذكورية " يتجمع فيها الرجال للدردشة والتسلية والتخطيط أحياناً ضد الزوجات.

أصدرت إسراء نعمانى كتاباً بعنوان " الوقوف وحيدة فى مكة " يحكى عن صراعها الداخلى كمسلمة بعد وقوع أحداث ١١ سبتمبر على نيويورك وواشنطن، ثم رحلتها إلى مكة لأداء مناسك الحج فى ٢٠٠٣وعودتها إلى أمريكا مجدداً لمهاجمة ما أسمته بـ " التسلط الذكورى " فى مسجد المنطقة التى تعيش فيها، وقد قامت بإمامة عدد محدود من النساء والرجال فى صلاة بعد أيام من تمثيلية الدكتورة آمنة ودود، والتى كانت نعمانى أحد المنظمين الرئيسيين لها.

أطلق على إسراء نعمانى لقب " رائدة الحركة الأنثوية الإسلامية". وتصر على أنها ترفض الحجاب رغم أنها كانت تضعه فى الماضى عندما تصلى، ولكن بعد تمثيلية آمنة ودود شعرت لأول مرة - حسبما قالت - أنها فى مجتمع مسلم، وفى مكان آمن،ومن ثم أصبحت تصلى بدون حجاب.

وقد اتهمت نعمانى - ٤٢ عاما - بأنها تصر على إثارة الصخب حولها للترويج لنفسها ولكتابها.. ووجهت بانتقادات عديدة، بينما ادعت هى أنها تلقت تهديدات بالقتل.. وذلك فى حركة واسعة حتى تستكمل الدراما أركانها.

## سارة الطنطاوى

هى مسلمة أمريكية من اصل مصرى - ٣٠ عاما - عملت كإعلامية مع شبكة فوكس.. تعيش فى بوسطن. ومؤيدة بشدة لأفكار إسراء نعمانى، أدلت بحديث لصحيفة " لوس أنجلوس تايمز " انتقدت فيه بشدة ما اعتبرته " الازدواجية "

بين وضعها فى العمل حيث توجد فى المقدمة، ووضعها فى المسجد حيث توجد فى آخر الصفوف.. وقالت إن المرأة ربما تكون طبيبة أو محامية تحظى بالاحترام ولكن حين تدخل المسجد " تقذف بالمنجنيق إلى عالم ينتمى إلى العصور الوسطى".. وتصف نفسها بأنها صارت " مدمرة روحياً " بسبب تجارب طويلة تم فيها إلقاؤها إلى مؤخرة الصفوف فى المسجد وتعرضت للمعاقبة إذا لم تغط نفسها.

## نونى درويش.. واسمها الحقيقى ناهد حافظ

ناشطة وكاتبة أمريكية من اصل مصرى، ولدت لأب ضابط فى المخابرات المصرية عمل مع الفدائيين الفلسطينيين فى غزة فى بداية الخمسينيات من القرن الماضى حتى اغتالته إسرائيل عام ١٩٥٦، تخرجت فى الجامعة الأمريكية بمصر سنة ١٩٦٩ فى عمر ٢٠ سنة، حيث درست علم الاجتماع وهاجرت إلى امريكا عام ١٩٧٨، محاضرة فى جامعات أمريكية مثل " بوسطن " و " براون ".

تنشر عبر صحيفة " هشابوع " الأسبوعية الإسرائيلية.. التى توزع مجاناً فى منطقة كفار حاباد ورمات جان والقدس وجامعة بار إيلان، وهى صحيفة يمينية دينية متطرفة تابعة لحزب المفدال الإسرائيلى.

أصدرت كتاب " الآن يسموننى كافرة: لماذا تخليت عن الجهاد من أجل أمريكا وإسرائيل والحرب على الإرهاب؟ ".

أطلقت مشروع عرب من أجل إسرائيل Arabs for İsrael على شبكة الإنترنت لحشد التأييد العربى لإسرائيل.

## إيان هيرسى

ولدت بمدينة" مقديشو " بالصومال، لعائلة مسلمة تنتمى لقبيلة الداردود.: وكان والدها " هيرسى ماغان " من زعماء الثوار المعادين للرئيس الصومالى - فى ذلك الوقت - " محمد سياد برى" استقرت فى هولندا بينما بقى والدها فى إنجلترا.

من أقوالها فى حق الإسلام:.. الإسلام دين لا يسمح لأحد أن ينتقده، ويلاحق ويقتل كل من يفعل ذلك، هذا ما قالته إيان، وتستطرد حديثها قائلة "

إن الله عطوف رحيم فى المفهوم الغربى، ولكن عند المسلمين فالله شئ آخر، حيث إن الإنسان يأتى إلى الحياة من أجل الحياة الأخرى ما بعد الموت.

وعندما ذكر السياسى الراحل " بيم فور تاون " - ٢٠٠٢ - أنه يعتبر الإسلام ديناً متخلفاً، أيدته قائلة: إنه فيما يخص قضايا معينة مثل النساء، فإن ذلك لا يمثل رأياً، وإنما حقيقة.. ومنذ ذلك الحين أصبحت نجمة إعلامية على شاشات القنوات الفضائية.. ومن ثم صارت هدفاً لانتقادات هائلة وأيضاً لتهديدات من بعض المتطرفين مما رفع أسهمها لدى الدوائر الغربية.

## إرشــاد مانجى

ولدت إرشاد مانجى لأب هندى وأم مصرية فى أوغندا عام ١٩٦٩ وهاجرت مع عائلتها إلى كندا فى ١٩٧٢ عندما قام الرئيس الأوغندى آنذاك عيدى أمين بطرد الجاليات الآسيوية من بلاده، وحين طردت من المدرسة الإسلامية وهى فى الـ ١٤ من عمرها واصلت تعليمها فى مدارس كاثوليكية، لكنها تصر على أنها مسلمة لا تتناول لحم الخنزير أو المشروبات الكحولية وتقرأ القرآن بانتظام.. ودرست فى جامعة " برتش كولومبيا " العلوم الإنسانية، ثم دخلت عالم الصحافة لتكون أصغر محررة فى الصحف الكندية.

بادرت إرشاد مانجى إلى نشر الترجمة العربية لكتابها " الخلل فى الإسلام على موقعها فى شبكة المعلومات الدولية.

ومن مواضيعها المثيرة لجماهير المسلمين:

- أنا سحاقية والله خلق التنوع
- الجنس مشكلة العرب.
- النبى لم يفصل بين الذكر والأنثى
- مدارس إسلامية تروج الأكاذيب
- جرائم الشرف والحجاب تقليد عربى

تصفها وسائل إعلام كندية بأنها " سلمان رشدى كندا " وذلك لشدة انتقادها لكثير من الأمور فى " الخطاب الفكرى الإسلامى السائد " وخاصة فى كتابها الشهير " الخلل فى الإسلام: دعوة إلى الصحوة من أجل الأمانة والتغيير " التى برزت كسحاقية تعاشر امرأة أخرى وتفخر بذلك.

## زينب على

تطلق على نفسها اسم سامينا على، هى كاتبة أمريكية مسلمة من أصل هندى، ولدت فى حيدر أباد عام ١٩٦٩ وهى واحدة من سبعة مؤسسين لمنظمة بنات هاجر، تلك المنظمة التى تدعو إلى المساواة بين الرجال والنساء فى أماكن الصلاة، وكانت ضمن مجموعة قامت باقتحام قاعات الرجال فى مسجد المركز الإسلامى فى مورجان تاون، غرب فيرجينيا يوم الجمعة، ٤ يونيه ٢٠٠٤.

بدأت المنظمة حملة سمَّتها ( استردى مسجدك ) على نطاق الولايات المتحدة وتهدف الحملة لإنشاء الضغط الكافى لتمرير قانون لحقوق مساواة النساء فى المساجد.

وباقى الأعضاء الستة المؤسسون هم : نبيلة عبد الغفور، شاعرة، وابنتها سليمة عبد الغفور، مؤلفة كتاب الجيل الجديد للنساء المسلمات الأمريكيات، والإعلامية سارة الطنطاوى، ومهجة كهف، الأستاذ المشارك فى جامعة أركانساس ومؤلفة كتاب " الاعتراضات الغربية للمرأة المسلمة" و " رسائل شهر زاد الإلكترونية"، وساجدة نعمانى رئيسة منظمة مسلمى مورجان تاون وأصدقاؤهم، وابنتها إسراء نعمانى مراسلة سابقة لصحيفة الوول ستريت ومؤلفة كتاب " أقف وحيدة فى مكة "

## تسليمة نسرين

كاتبة بنجلاديشية متحررة، طلبت من الهند إعطاءها الجنسية الهندية، وعللت ذلك بزعمها أنها تخاف على حياتها فى وطنها الأم بنجلاديش التى هربت منها سنة ١٩٩٤، وقضت معظم حياتها منذ ذلك الوقت فى أوروبا وخصوصاً فى السويد كما زارت الهند بين الحين والآخر.

كان هروبها من بنجلاديش بسبب تعرضها للانتقادات والتهديدات عقب نشرها رواية ( العار ) التى زعمت فيها أن الهندوس تعرضوا للمذابح فى بنجلاديش عقب هدم المسجد البابرى فى الهند وأن الأقلية الهندوسية فى بنجلاديش تواجه الاضطهاد على أيدى الغالبية الإسلامية.

ويرى معارضوها فى بنجلاديش أنها اختلقت قصصاً وهمية ذكرتها فى

كتابها " العار " وفى كتبها الأخرى لإثارة ضجة حول نفسها، وتقدم بها أوراق اعتمادها لدى الغرب.. وقد وصل بها الأمر إلى أن حكت عن علاقاتها الجنسية مع مختلف الرجال فى سيرتها الذاتية.

وقد وجدت هذ المرأة فى نفسها الجرأة لكى تطالب - صراحة - بتغيير القرآن الكريم نظراً لزعمها بأنه لا يعطى المرأة حقوقها.

وقد رحبت بها السويد وشجعتها على الكتابة والانتشار فألفت كتاباً بعنوان " أيام طفولتى " وصفه بعض النقاد بأنه عمل إباحى، وحظرته بنجلاديش لأنه يصدم القارئ المسلم، ويغرى المراهقين على الانحراف.

## فاطمة غوشة

هى فنانة إيرانية تمارس الرسم.. هاجرت إلى الغرب بعد الثورة الإيرانية حيث وجدت الرعاية والتمويل.

فى فبراير عام ٢٠٠٢ عرضت غوشة ثلاث لوحات تهاجم فيها الإسلام، وتردد التهم النمطية التى تلوكها أقلام الغربيين دون ملل، كالزعم بأن الإسلام يهين النساء ولا يعطيهن حقوقهن فى الميراث، وعرضت لوحة فى قاعة " ليليا فالش " تصور امرأة حاملاً معلقة على مشنقة، ولها جناحان ينزفان دماً، وفى خلفية المشهد يظهر عدد من المساجد فى إشارة واضحة للاحتجاج على حد الزنى، لكنها لم تراع أبسط الحقائق فى شريعة الله.. فالإسلام - إذا ثبتت جريمة الزنى - وذلك أمر غير ميسور بغير الاعتراف - لا يقضى بتطبيق الحد على الحامل فوراً، بل يؤجله حتى تلد، وترضع وليدها سنتين ثم يقام الحد، ولم يحدث قط أن أقيم حد الزنى على حامل، ثم إن إقامة الحد تكون بالجلد لغير المحصن وبالرجم للمحصن، وليس بالشنق كما ظهر فى الصورة.

وعادت الرسامة المفلسة إلى الفكرة المبتذلة ذاتها مرة أخرى، فى منظر آخر، يختلف قليلاً عن الأول.. رسمت " غوشة " علماء دين مسلمين، عراة إلا من العمامة التى تبين أنهم مسلمون.. ورسمت كتاباً على هيئة مقصلة، وعلماء الدين يستخدمونها فى إعدام امرأة.. تريد أن تقول إن القرآن الكريم يجيز إعدام النساء، والسويد تجرم الإعدام، فيتولد شعور بالعداء للإسلام وللقرآن الكريم.

لكنها أغفلت أن عقوبة الإعدام تطبق على الجناة رجالاً ونساء.. والتوراة والإنجيل يجيزانها، وكذلك معظم دساتير العالم الحديث، لكن من الواضح أنها مدفوعة بكراهيتها للإسلام ولا يهمها الحق ولا الباطل، بل تشويه صورة الإسلام.

وفى صورة ثالثة رسمت " غوشة " صورة مشابهة، فيها امرأة وقد تسلل عالم دين مسلم تحت عباءتها فى محاولة لإغوائها على الفحشاء، وهى تستغيث للفكاك منه.. تريد أن تقول إن علماء الدين المسلمين أهل فحشاء وإن تظاهروا بالطهارة، وغرض اللوحة هو التشنيع على الإسلام وأهله إرضاءً للكارهين للإسلام فى السويد، ومن يمنحونها الجوائز على ذلك.

وبعد هذا العرض يحسن بنا أن نقدم بعض النماذج لقادة المسيحيين الصهيونيين وأنشطتهم حتى تكتمل الصورة..

## القس جون هاجى

هو مبشر تليفزيونى يرأس مجموعة كنائس تحمل اسمه، وله فى سان أنطونيو بولاية تكساس كنيسة كورنر ستون "حجر الزاوية" التى تضم ٢٠ ألف عضو نشط.. ألف هاجى كتاباً عنوانه "العد العكسى للقدس" ضمنه نبوءته التوراتية بأن روسيا والدول الإسلامية ستهاجم إسرائيل، وسيهزمها الله ويدمر المسيح الدجال.. وهو دائم الهجوم على الإسلام والمسلمين.. وفى مقابلة مع المذيعة تيرى جروس قال: "إن الذين يعيشون بحسب القرآن يتبعون نصاً يأمر بقتل المسيحيين واليهود.. وعندما تحدته المذيعة أن يأتى بما يثبت كلامه لم يستطع طبعاً، ومع ذلك أصر على ما يقول.

فى عام ٢٠٠٦ أنشأ هاجى منظمة "مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل" التى تعمل كلوبى آخر لإسرائيل لدى الكونجرس.. وفى عام ٢٠٠٧ خطب فى مؤتمر اللوبى اليهودى الرسمى "إيباك" واستقبل بحماس منقطع النظير.

وفى ٢١ مايو ٢٠٠٨ نشرت صحيفة "هننجتون بوست" الإليكترونية تصريحات لهاجى تعود إلى التسعينيات من القرن الماضى زعم فيها أن النازيين نفذوا أوامر الله لطرد اليهود من أوروبا وإرسالهم إلى فلسطين، وكان أدولف هتلر "صياداً" ينفذ مشيئة الرب.

وثارت ضجة هائلة بعد نشر كلام هاجى، وأعلن المرشح الجمهورى للرئاسة جون ماكين أنه يرفض تأييد هاجى له بعد أن كان قد ذكر فى ٢٧ فبراير ٢٠٠٨ أنه تشرف كثيراً بدعم هاجى له، وأنه فخور جداً بهذا الدعم.

وقد كان من المفترض أن يدين الشرفاء من اليهود هاجى بسبب لا ساميته، وقد فعل كثيرون غير أن آخرين دافعوا عنه لأسباب واضحة، فطالما أنه ضد العرب والمسلمين فهم يريدون الاستفادة منه.

وتعلن منظمة "مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل" أنها منظمة شعبية أمريكية لتأييد اسرائيل، وتستشهد بفقرات من التوراة لدعمها وتتجاهل جرائمها ضد الشعب الفلسطينى والشعب اللبنانى..

وقد عقدت هذه المنظمة قمة فى يوليو ٢٠٠٦ تمخضت عنها جماعة "حلفاء إسرائيل فى الكونجرس".. ووجهت اتهامات لأعضاء المنظمة بتأييد إسرائيل على حساب المصالح الأمريكية.. وهم بالطبع أيدوا جرائم الحرب الإسرائيلية ضد لبنان فى صيف ٢٠٠٦ رغم إجماع العالم على إدانتها باستثناء بوش وتونى بلير.

وأرسل بوش رسالة تأييد إلى قمة "إسرائيل-واشنطن" التى نظمتها "مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل فى ٢٠٠٧ قال فيها إنه يقدر عاطفة المشاركين وإخلاصهم فى تعزيز العلاقات الأمريكية- الإسرائيلية.

## جيم روبيسون

مبشر تليفزيونى قاد صلاة إفتتاح مؤتمر جمهورى وطنى، وكانت صلاته مثيرة حيث قال فيها: "بهذا الشكل لن يكون هناك سلام حتى يعود السيد المسيح، كل تبشير بالسلام قبل عودته كفر، لأنه ضد كلمة الله، ولأنه ضد المسيح".

## بات روبرتسون

مبشر تليفزيونى، ومؤسس شبكة الإذاعة المسيحية والتحالف المسيحى، وقد فاز عام ٢٠٠٢ بجائزة صداقة إسرائيل التى منحتها له المنظمة الصهيونية الأمريكية تقديراً لخدماته الجليلة لإسرائيل.

وفى أكتوبر ٢٠٠٤ نظمت السفارة المسيحية الدولية فى القدس "احتفالات

العيد الفضى" ٢٥ سنة للهيكل.. واستضافت أربعة آلاف مسيحى صهيونى من ٧٠ بلداً.. وامتدح روبرتسون إسرائيل فى هذه الإحتفالات على اعتبار أنها جزء من خطة الله للبشر، وانتقد العرب والمسلمين لتفكيرهم فى بناء دولة فلسطينية من "أراضى اسرائيل" إلا أنه دعا أيضاً اليهود إلى طلب المخلص، وقال إنه فى جولاته حول العالم رأى يهوداً فى سيبيريا والبرازيل والولايات المتحدة يقولون: "نعم أيها المسيح أنت مخلصنا".

ويقود روبرتسون العديد من الأنشطة الداعية إلى رفض السلام ورفض انسحاب إسرائيل من أى جزء من "أراضيها التوراتية الموعودة لليهود".. واتساقاً مع هذه الأنشطة تراجع الرئيس بوش فى ١٤ إبريل ٢٠٠٤ على وجه التحديد عن سياسة قديمة معلنة للولايات المتحدة وأعلن تأييد بقاء إسرائيل فى أجزاء من الضفة الغربية مقابل انسحاب اسرائيل من غزة.

## القس روبرت أبتون

أحد أبرز قادة منظمة "المؤتمر الرسولى" المسيحية الصهيونية التى تتزعم الإيمان بقرب نهاية العالم، وتريد أن تلتزم إسرائيل بفكرها عن "القيامة الوشيكة".

ويبدى أبتون والمؤتمر الرسولى معارضة شديدة لقيام دولة فلسطينية، والخوف من أن الانسحاب من غزة سيسهل ذلك.

ويفاخر أبتون بأنه على اتصال بالبيت الأبيض، ويتلقى اتصالاً هاتفياً مرة فى الأسبوع على الأقل.

ويعارض المؤتمر الرسولى خريطة الطريق.. وزعم ابتون فى مجلة "فيلدج فويس" أنه مسئول عن إرسال ٥٠ ألف بطاقة إلى البيت الأبيض تعارض الخريطة.. وقال: "أنا أعارض كلياً قيام أى دولة فلسطينية. وإرسال ٥٠ ألف بطاقة تقول هذا الكلام تماماً خلال أسبوعين من أنحاء مختلفة من البلاد- أمريكا- أثر فى الرئيس وجعله يتراجع عن خريطة الطريق.

## مالكولم هيدنج

المدير التنفيذى لمنظمة "السفارة المسيحية الدولية فى القدس" وهى إحدى ثلاث منظمات للمسيحية الصهيونية تعمل فى إسرائيل.. والمنظمتان الأخريان هما "جسور السلام" و "الأصدقاء المسيحيون لإسرائيل".

وفى مطلع عام ٢٠٠٤ شارك هيدنج فى تأسيس "تجمع الحلفاء المسيحيين فى الكنيست، وهو أول تجمع فى البرلمان الإسرائيلى يهدف إلى تعزيز العلاقات مع التبشيريين فى العالم كله.. وشارك فى اجتماع التأسيس ممثلون عن المنظمات الثلاث السابقة. إلى جانب ممثلين عن "الزمالة الدولية للمسيحيين واليهود" و "تحالف الوحدة الوطنية لإسرائيل" و "قمة القدس".

وقال مالكولم هيدنج: إن التجمع الجديد تلقى رسائل تأييد بالآلاف من مختلف أنحاء العالم.. ورحب بالفرصة التى سمحت له أن يشرح لأعضاء الكنيست مدى تأييد جماعته لإسرائيل.. ووعد بأن يشجع التجمع المسيحيين على زيارة إسرائيل.




# المحافظون الجدد

المحافظون الجدد مجموعة من السياسيين والمثقفين والمفكرين الاستراتيجيين تبلورت افكارهم فى أمريكا، ثم انتقلت إلى العديد من الدول على جانبى المحيط الأطلسى.. يميل المحافظون الجدد الى اليمين المسيحى المتطرف، ويؤمنون بقوة أمريكا وهيمنتها على العالم، وهم جماعة ذات ميول صهيونية متعلقة بعداء شديد للعرب والمسلمين، ولأن معظم قادة ومنظرى المحافظين الجدد من المثقفين اليهود فان هذا التيار لصيق الصلة بإسرائيل، وحليف متعصب لها، وقد سُمّوا بالمحافظين استناداً إلى أن الفكر المحافظ هو لب القيم الأمريكية منذ تأسست الولايات المتحدة، وقد عادت هذه الخلايا النائمة إلى الظهور المتطرف من جديد فى عهد الرئيس الأمريكى الراحل رونالد ريجان، ثم علا شأنهم وصارت لهم الكلمة النافذة فى عهد الرئيس بوش الابن رغم أنه ليس منهم.

كان منشأ حركة المحافظين الجدد مع خروج مجموعة كبيرة من المفكرين اليهود واليمينيين من الحزب الديمقراطى إبان حكم الرئيس الأسبق جيمى كارتر الذى تبنى أجندة اليسار الجديد، وعارض التصعيد ضد السوفييت، ورفض مطالب المحافظين بتوظيف بعضهم فى إدارته، ومن ثم تحولوا إلى الحزب الجمهورى، وكونوا- كمجموعة منشقة- ماعرف باسم "ديمقراطيى

ريجان".. حيث تفرقوا فى المراكز الأكاديمية والبحثية والإعلامية إلى أن ظهروا على السطح بقوة فاعلة فى عهد بوش الابن.

وقد نبه الرئيس كارتر فى كتابه "القيم الأمريكية المعرضة للخطر" إلى أن المحافظين الجدد- الذين روجوا لفكرة إما أن تكون معنا أو تصبح ضدنا- أصبحوا بفلسفتهم الإمبريالية يشكلون خطراً على الولايات المتحدة فى العالم.. وأشار كارتر إلى أن ما يزيد الطين بلة هو توافق أجندة المحافظين الجدد مع أجندة متطرفة أخرى هى أجندة الأصوليين فى اليمين المسيحى الأمريكى.

ومن أهم المنطلقات الفكرية لتيار المحافظين الجدد:

- القوة العسكرية هى الأداة الأساسية لمواجهة التحديات والنزاع فى العالم وهى المؤثر الأكبر فى العلاقات الدولية.

- السلام الحقيقى يأتى فقط نتيجة الانتصار فى الحرب، وليس بالدبلوماسية أو العدالة.

- أمام أمريكا فرصة تاريخية لإعادة صياغة النظام العالمى فى ظل حالة الفراغ التى يعيشها العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، وهو فراغ يجب أن تملأه أمريكا من خلال الدور "الرسولى" الحتمى الذى يجب أن تضطلع به.

- العالم يبحث عن قائد.. وأمريكا هى حتماً ذلك القائد، ولا مفر من فرض سيطرتها وسيادتها المطلقة على العالم لتحقيق الاستقرار، ومن ثم يجب أن يتوحد الغرب وراءها لإعادة تشكيل النظام العالمى الجديد.

- الأمم المتحدة، وغيرها من المنظمات الدولية، يجب أن يأتى دورها تابعاً ومتناسقاً مع الدور الأمريكى، ولم يعد من المناسب أن تقوم بأى دور مستقل، أو بعيد عن الدور الأمريكى.

- تبرير التدخل العسكرى ليس مهماً.. لكن المهم أن يحدث هذا التدخل وبشكل سافر لإعادة تشكيل بعض الدول المناوئة كالعراق وأفغانستان وسوريا وإيران والسودان ولبنان، وجعلها نموذجاً لقدرة أمريكا على التدخل ومساعدة الأصدقاء والتغيير، ومن ثم لابد من تأكيد مبدأ السيادة الوطنية المحدودة، أو حتى إلغاء هذه السيادة عندما تتعارض مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية.

- تهميش دور الدول الكبرى الأُخرى فى العالم، حتى ترتبط بالاستراتيجية الأمريكية.

- التعجيل بعودة "المسيح" إلى الأرض لتحقيق نبوءة الكتاب المقدس "بشن الحرب على المسلمين والاستيلاء على الأراضى المقدسة".

- التشدد مع الآخر- أيا كان- واعتباره عدواً يجب استئصاله.

- الليبرالية الجديدة اقتصادياً تعنى فرض "الأمركة" على نظام العولمة، وما تتضمنه من تدويل واسع على صعيد الإنتاج والتبادل وتداول الخدمات والمال والاتصالات والمعرفة ومنظومة القيم والأفكار.

- لا مجال فى عالم ما بعد الحرب الباردة للحديث عن التعددية الثقافية، ومصالح الفقراء فإن ذلك من شأنه إضعاف أمريكا، وإنما لابد من دعم الأثرياء والشركات الرأسمالية الكبرى إلى أقصى مدى، والاعتماد عليها فى ترويج الاستراتيجية الأمريكية.

يقول ستيفن هيلبر وجوناثان كلارك مؤلفا كتاب: "المحافظون الجدد والنظام العالمى" إن المكونات الأساسية لفكر المحافظين الجدد تشمل الإيمان العقائدى، والصراع بين "الخير والشر"، إذ دعا مفكرهم ليوشتراوس - الذى هاجر من ألمانيا هرباً من النازية واستقر فى أمريكا - إلى بناء أمريكا كقوة كبرى تحارب الشر فى العالم.

وطبقاً لما ذكره شتراوس فإن السلطة الحقيقية لا يمكن ممارستها إذا ما بقى المرء فى حالة ثبات، أو حافظ على الوضع الراهن، بل على العكس ينبغى العمل على تدمير كل أشكال المقاومة، ومن هذا المنطلق خرجت فكرة "الفوضى الخلاقة" لتمثل نظرية المحافظين الجدد فى التعامل مع العالم من حولهم، وتعنى الفكرة باختصار إغراق الجماهير بالفوضى كى تتمكن الصفوة من ضمان استقرار وضعها.

ويعتمد المحافظون الجدد فى صياغة استراتيجياتهم على دراسة مهمة قدمها هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وتم اعتمادها عام ١٩٧٤ من قبل الإدارة الأمريكية بعنوان "مذكرة الأمن القومى ٢٠٠٠" من أهم توصياتها اعتبار النمو السكانى فى دول العالم الثالث تهديداً للأمن القومى

الأمريكى وحلفاء واشنطن الغربيين، لأن تزايد أعداد السكان فى تلك البلاد سيؤدى إلى استهلاك الثروات المعدنية هناك من قبل تلك الشعوب، وهذه الثروة المعدنية تعتمد عليها الدول الصناعية فى بقائها وتطورها مستقبلاً، ومن ثم لابد من استبدال الدول القائمة لتحل محلها دويلات أصغر تتسم بأحادية الطابع العرقى، وإيجاد تناقضات تجعل هذه الدويلات فى حروب مستمرة مع بعضها، حتى يسهل إضعافها والسيطرة عليها والتلاعب بثرواتها ومقدراتها.

وتزدحم شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" بمواقع تقدم معلومات عن المحافظين الجدد، ومواقع أخرى لقيادات هذا التيار.. وسوف أتوكأ فى كتابتى على بعض هذه المواقع.. وأيضاً على حجم المعلومات الهائلة التى قدمها الكاتب الكبير جهاد الخازن التى نشرها فى جريدته "الحياة" اللندنية فى سلسلة مقالات على دفعتين، الأولى فى أبريل ٢٠٠٦ والثانية فى يوليه ٢٠٠٨.

التقت أجندة المحافظين الجدد- منذ ظهورهم- مع اليمين الأمريكى والتيار المسيحى المتطرف، إذ تحالفوا مع "الجناح اليمينى" فى الحزب الجمهورى، وجماعات " الأصولية المسيحية" القريبة جداً من اللوبيات اليهودية، واعتمدوا على الجماعات اليمينية، والناخبين الإنجيليكيين، وأثرياء الجنوب الأمريكى، وقوى المحافظين التقليديين بولايات الجنوب والغرب الأمريكى.. ومن خلال هذه التحالفات نما تيار المحافظين الجدد داخل الجماعات والمؤسسات الفكرية والبحثية الأمريكية.. وتدثر بأفكار المسيحيين المتدينيين، خاصة رؤيتهم للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الاوسط والعالم..حيث يؤمن هؤلاء المتدينون بأن العالم وأمريكا يسيران بسرعة إلى نقطة صدامية تمثل نهاية العالم، من خلال حرب تأتى على الأخضر واليابس، يكون مركزها الشرق الأوسط، ويقودها العالم كله ضد أمريكا وحلفائها على رأسهم إسرائيل.

أما الإنجيليكيون فهم لا يثقون فى المنظمات الدولية، ولا يؤمنون بقضايا مثل الحد من التسلح أو تخفيض النفقات العسكرية الأمريكية، لأن أمريكا بالنسبة لهم تستعد لحرب طاحنة لا راد لها.

وفى معية جورج بوش الابن تحقق حلم المحافظين الجدد فى العثور على الحاكم الذى يتبنى أفكارهم، فرغم نشاطهم الدؤوب وسط الدوائر السياسية المؤثرة فى الولايات المتحدة، فإنهم لم يجدوا فرصتهم المواتية لتأخذ بناصية القرار السياسى، بصورة واضحة، إلا فى عهد وإدارة بوش الابن، الذى ضم إلى زمرته أفراداً مؤثرين من هذه المجموعة النشطة، وأوكل إليهم مناصب فى مواقع سيادية مثل وزارات الدفاع والعدل والبيت الأبيض، وفى مواقع أخرى لها تأثيرها المباشر بالسياسات الخارجية والدفاعية والاجتماعية فى الولايات المتحدة.

وقد أعطى هذا الاحتضان الرئاسى الأمريكى للمحافظين الجدد فرصة تاريخية لكى يكشفوا عن أفكارهم وفلسفتهم السياسية.. مما أدى إلى حضور مميز لهذه الأفكار والفلسفات طغى على النسق التقليدى المألوف فى إدارة المجتمع السياسى الأمريكى.. وقال المنتقدون لبوش وإدارته من المحافظين الجدد: إن هذه المجموعة قامت باختطاف وقح للسياسة الخارجية الامريكية.

فى كتابه " أين أخطأ اليمين" يتهم بات بيوكانن مجموعة المحافظين الجدد بأنهم اختطفوا السياسة الخارجية فى عهد بوش وغيروا أفكاره، من انتقاده لفكرة أن تلعب الولايات المتحدة دور الشرطى فى العالم، إلى اتباع سياسة شن الحروب الاستباقية الإجهاضية لدعم إسرائيل، ومن أجل نشر (الأمركة) فى العالمين العربى والإسلامى وإعادة تشكيلهما.

وعلى رأس إدارة جورج بوش، وجد صقر صقور المحافظين الجدد ديك تشينى فى منصب نائب الرئيس، وأيضاً الصقر دونالد رامسفيلد - وزير الدفاع السابق - والمعروف أن تشينى ورامسفيلد أكثر تاثيراً بدرجة كبيرة من أهم رموز المحافظين الجدد، فكتاب مثل " حالة إنكار " لبوب إدوارد، يركز بالأساس على رامسفيلد ومن خلفه تشينى كأكبر المسئولين عن مأزق أمريكا فى العراق، ويكاد لا يتناول المحافظين الجدد إلا عابرا.

وهناك أيضاً بول وولفويتز الديمقراطى السابق ونائب وزير الدفاع وأكثر المتحمسين لاحتلال العراق، وريتشارد بيرل الملقب بـ " أمير الظلام " منظر احتلال العراق وصاحب نظرية استخدام القوة الأمريكية لتدمير أعداء إسرائيل، ودوجلاس فيث وكيل وزارة الدفاع للشئون السياسية الذى أقام

مكتب الخطط الخاصة الذى أنشأه للتلاعب بالمعلومات المخابراتية حول أسلحة الدمار الشامل.

ويشكل بول وولفويتز وريتشارد بيرل ودوجلاس فيث الثالوث الجهنمى الذى سوغ للإدارة فكرة خداع الشعب الأمريكى بخطورة التسلح العراقى على الولايات المتحدة وشعبها، وجرها إلى حرب مكلفة بشرياً ومادياً وسياسياً وإنسانياً.. وهو الثالوث الذى ما زال يسعى من وراء ستار إلى جرجرة أمريكا نحو المواجهة مع إيران.

أما جون بولتون مندوب أمريكا السابق بالأمم المتحدة فينتمى إلى صقور المحافظين الجدد، وكان عضواً فى إدارة المجلس الاستشارى لـ " المعهد اليهودى لشؤون الأمن القومى " وبعض أفراد أسرته ومنهم شقيقته يقيمون فى إسرائيل، وقد عرف عن جون بولتون احتقاره للشرعية والقوانين الدولية ونشرت له صحيفة " وول ستريت جورنال " مقالاً عام ١٩٩٧، جاء فيه " إن المعاهدات الدولية التى توقعها الولايات المتحدة لا تعتبر قوانين ملزمة، واجبة الاحترام، ولكن كضرورة سياسية لا ضرر من التحلل منها مع تغير الظروف.

وتعد السمة المميزة التى ظلت تجمع المحافظين الجدد هى حبهم ودعمهم وولاؤهم لإسرائيل، واتهامهم من يخالف مواقفهم فى تأييد الدولة العبرية بالعداء للسامية، الذى يعنى - فى رأيهم - كراهية اليهود بسبب دينهم وثقافتهم أو أصلهم، فالمحافظون الجدد الذين نابذوا العالم كله تقريباً استثنوا منه إسرائيل، معتبرين أن المصالح الأمريكية والإسرائيلية يجب أن تكون متماثلة.. بل إنهم فى الحقيقة وضعوا مصالح إسرائيل قبل مصالح الولايات المتحدة.. وقدموا الولاء لإسرائيل على الولاء للولايات المتحدة.. وبالتالى هم يدفعون الولايات المتحدة إلى محاربة أعداء الدولة العبرية.

وبالطبع فإن التركيز على العالم الاسلامى له جذوره العقائدية التى يبنى عليها المحافظون الجدد منطلقاتهم الجديدة التى تتناسب وعالم ما بعد الحادى عشر من سبتمبر. وذلك ضمن أهداف استراتيجية وأسباب عقائدية وسياسية، من بينها الحفاظ على وجود إسرائيل كقوة مهيمنة فى المجال الحيوى للمنطقة العربية الإسلامية برمتها.. وعندما أعلن الرئيس بوش عقب أحداث ١١ سبتمبر أنها "حرب صليبية"، لم تكن زلة لسان- مثلما قالوا- بل

هى استراتيجية مؤصلة سلفاً، بدأت بالحرب النفسية ضد العرب والمسلمين، من خلال الحملات ضد الإسلام والعروبة، ثم الحرب الإعلامية والثقافية ضد ثقافتهم ومناهجهم التربوية، ثم الحرب العسكرية باحتلال جزء من بلدانهم، ثم الحرب الدينية والحضارية التى يروجون لها الآن.

ويعتقد المحافظون الجدد أن العالم الإسلامى عموماً والشرق الأوسط خصوصاً، هما نقطة انطلاق أمريكا فى سياستها لإعادة بناء النظام العالمى الجديد، إذ يربطون بين النازية، والشيوعية، والحركات الإسلامية، وهو ما تجلى فى خطب جورج بوش، حين يربط بشكل تعسفى ومجرد بين هتلر ولينين وحماس وحزب الله وما يصفه بـ (الإسلام الفاشى) فى حزمة واحدة.

يرى إيليوت كوهين أحد أكثر أكاديميى المحافظين الجدد تأثيراً، والذى بدأ نجمه يسطع داخل الإدارة الأمريكية بعدما عينته وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس مستشاراً لها. إن العالم يعيش الآن حرباً عالمية رابعة ضد العالم الإسلامى.

فهم يتهمون ديناً كاملاً بأنه يحرض على العنف، ويخلق جواً ثقافياً يقود إلى الإرهاب، ومن ثم يؤمنون بأن الخطر الأساسى الذى يهدد أمريكا هو خطر الإرهاب الذى تقوم به مجموعات مسلمة بالأساس. يقول ريتشارد بيرل: "إن السياسة الوحيدة الممكنة للغرب وللولايات المتحدة، فى كل حال، هى سياسة المواجهة طويلة الأمد ومتعددة الأشكال مع العالمين العربى والإسلامى".

وفى رده على سؤال لمراسل صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية، حول السبب الذى من أجله شنوا الحرب على العراق، يقول وليام كريستول رئيس تحرير مجلة "ويكلى ستاندرد" الأسبوعية لسان حال اليمين الصهيونى الأمريكى- وأحد المراجع المؤثرة فى عقل جورج بوش وكان من صناع فكرة غزو العراق- يقول: إن هذه الحرب تهدف أول ما تهدف إلى تشكيل وبناء شرق أوسط جديد، فهى حرب لتغيير الثقافة السياسية فى المنطقة بأكملها.

ويضيف كريستول: بعد ما حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ استيقظ الأمريكيون ليكتشفوا أن هذا العالم أصبح مكاناً خطيراً، ولهذا بحثوا عن مبدأ أو عقيدة تتيح لهم مواجهة هذا العالم الخطير، والعقيدة الوحيدة التى وجدوها هى

تلك التى يتبناها المحافظون الجدد، وتقوم على تغيير الثقافة السياسية للمنطقة، وإيجاد نظام عالمى جديد، والاستعداد لاستخدام القوة لبناء وتأسيس هذا النظام الجديد. وعلى هذا الأساس كانت حرب العراق لبناء النظام العالمى والشرق الأوسط الجديد.

ويسأله محرر "هآرتس" قائلاً: هل يعنى هذا أن الحرب ضد العراق كانت حرب المحافظين الجدد؟ فيضحك كريستول ويقول: هكذا يقولون.. لكن الحقيقة أن هذه حرب أمريكية، والمحافظون الجدد نجحوا فى التغلغل داخل نسيج المجتمع الأمريكى، وبسبب مثالية الأمريكيين فقد قبلوا ما عرضه المحافظون فى تبريرهم للحرب، فالأمريكيون لم يرغبوا فى شن حرب من أجل المصالح لكن حينما تعلق الأمر بالقيم والمثل وافقوا على تلك الحرب، أى أنها تستند إلى رؤية عقائدية.

ويسأله المحرر: هذه الرؤية العقائدية تعنى أنه بعد العراق يأتى دور السعودية ومصر؟ فيقول كريستول: إنه بالنسبة للسعودية فما زال هو والإدارة الأمريكية مختلفين بشأنها، لكنه يرى أنه لا يمكن السماح للسعودية بالاستمرار فى نهجها الذى يحض على كراهية ومعاداة الأمريكيين.

أما فيما يتعلق بمصر فيعتقد كريستول أنه لا يمكن الموافقة على الاستمرار فى الوضع الراهن، إذ يجب أن تتبع ديمقراطية ليبرالية، ويضيف ان الاستقرار الذى يعرضه القادة العرب هو استقرار وهمى وخيالى.

وكان عدد من كبار المحافظين الجدد الموالين لإسرائيل نظموا- أوائل مارس من عام ٢٠٠٧- ما سمي بمؤتمر "القمة الإسلامية الإصلاحية" فى الولايات المتحدة، بهدف "علمنة الإسلام" و "إعادة تفسير القرآن" بتفريغه من مضمونه، عقد المؤتمر بمشاركة وجوه علمانية بارزة، ومسؤولى إعلام ومخابرات غربيين، وفى بيان صحفى قال المنظمون: إن المؤتمر سيناقش التفسيرات العلمانية للإسلام، وأهمية توسيع مساحة النقد والحاجة لنقد القرآن. ويقول البيان: إنه يهدف لصياغة "إسلام عصرى" من خلال إعادة تفسير الإسلام بأسلوب "عصرى".

ومن أبرز المنظمين مايكل ليدين الذى ينتمى إلى معهد "أمريكان إنتربرايز" الذى يساهم فى تشكيل السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية، ومن المنظمين

أيضاً "المؤسسة الأوروبية للديمقراطية" التى تعتبر الذراع الأوروبية لمؤسسة "الدفاع عن الديمقراطيات" الأمريكية الموالية لإسرائيل والتى تأسست بعد يومين فقط من هجمات ١١ سبتمبر ويسيطر عليها اليمينيون الجمهوريون من المحافظين الجدد، كذلك شارك فى التنظيم وليام كريستول رئيس تحرير مجلة "ويكلى ستاندرد" الأسبوعية، وفرانك جافنى رئيس مركز الدراسات الأمنية، وهما من الرموز البارزة للمحافظين الجدد، ويتمتعان بارتباطات عديدة بمؤسسات المحافظين.

وعلى الرغم من أن موضوع النقاش فى المؤتمر هو "إصلاح الإسلام" فإن أغلب المتحدثين-وفقاً لقائمة المتحدثين التى وزعها المنظمون - من غير المسلمين، بل من العلمانيين أو ممن تحولوا عن الإسلام، ثم تخصصوا فى مهاجمتها.

ويعتقد المحافظون الجدد أن الإسلام هو العدو العالمى الجديد الذى يجب أن تتم هزيمته من خلال الحرب العالمية الرابعة التى بدأت تجرى وقائعها الآن حسب وجهة نظرهم.. ونشرت مجلة "اكزكتف إنتلجنس ريفيو" تقريراً حول اجتماع عقد فى واشنطن لمناقشة "الحرب العالمية الرابعة" حضره وتحدث فيه مجموعة من أبرز منظرى المحافظين الجدد وأكثرهم نفوذاً داخل الإدارة الأمريكية وفى مراكز صنع السياسة فى واشنطن، ومنهم ديك تشينى نائب الرئيس وبول وولفويتز وجيمس وولزى وإليوت كوهين.. والمسألة التى تم عرضها خلال الاجتماع هى أنه إلى أن يتم القضاء على جميع "الدول الراعية للإرهاب" إما عن طريق الحروب أو الانقلابات أو الأشكال الأخرى من تغيير الأنظمة فإن الولايات المتحدة ستكون فى حرب أبدية، وأهم عامل فى هذه المرحلة هو الإرادة لخوض القتال، وقد وصفت هذه الحرب بأنها "حرب المائة عام".

ويشعر المحافظون الجدد بأن أعظم نجاح حققوه عندما تخلى الرئيس بوش عن كلمة "الإرهاب" فى أحاديثه التى يحدد فيها العدو واستخدم بدلاً منها "الإسلام الراديكالى" أو "الإسلام المتطرف" أو "الإسلام الفاشستى".. وكما يقول دانيال بايبس أحد صقور المحافظين الجدد فإن هذا التغير له أهمية كبرى فى إقناع "المجتمع المهذب" بتحديد وتسمية العدو.. وتحقيق ذلك يعنى

- على سبيل المثال- أن تأخذ سلطات الهجرة وتطبيق القانون فى اعتبارها الإسلام عندما تقرر من تسمح له بدخول البلد ومن عليها التحقيق معه بخصوص جرائم الإرهاب، فإن تركيز الانتباه على المسلمين بوصفهم المصدر الوحيد للمتطرفين الإسلاميين يساعدهم فى النهاية على أداء وظيفتهم بالصورة السليمة المناسبة.

ويقدم كتاب "أمريكا وحدها" لمؤلفيه ستيفين هابلر وجوناثان كلارك الخبيرين فى السياسة الخارجية تحليلاً مفصلاً للكيفية التى اختطف بها المحافظون الجدد السياسة الخارجية فى كل الولايات المتحدة وبريطانيا تحت مزاعم مكافحة الإرهاب ظاهرياً، بينما كان الهدف هو إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط حتى تظل دائرة فى فلك السياسة الأمريكية ومستجيبة لإيحاءاتها وتوجهاتها، ومتقبلة لفكرة التدخل الأمريكى فى شئون دولها الداخلية، ومتقبلة أيضاً لفكرة حروب أمريكا الوقائية.

وقد اختار المحافظون الجدد العراق كهدف لتطبيق تلك الفلسفة خدمة لأمن إسرائيل، ولتحويله إلى قاعدة عسكرية دائمة للولايات المتحدة فى المنطقة، والأهم من ذلك كله هو تحقيق الحلم التوراتى بالنصر على ملك بابل وتدمير عرشه وقتله واستباحة دماء شعبه، ثم تحقيق المشروع الصهيونى القديم الذى ينص على تفتيت بابل والدول المجاورة لها لتكون على شكل دويلات وكيانات متناحرة، كى تتحقق أمنية إسرائيل الكبرى، وبهذا تتمكن إسرائيل من تحقيق معظم أحلامها التوراتية والدينية والسياسية والاستراتيجية دون أن تهدر قطرة دم يهودية واحدة.

(هذه حقيقة) أكدها الجنرال أنتونى زينى الرئيس السابق للقيادة الوسطى الأمريكية التى نفذت غزو العراق حين قال: "إن المثقفين اليهود المعروفين بالمحافظين الجدد هم من أشعل حرب العراق خدمة لإسرائيل".. وحدد ثلاثة أسماء يهودية بارزة هم بول وولفويتز نائب وزير الدفاع الأمريكى لشؤون التخطيط أثناء غزو العراق، ودوجلاس فيث مسئول السياسة الدفاعية أثناء غزو العراق، وريتشارد بيرل الذى شغل منصب رئيس مجلس السياسة

الدفاعية التابع لوزارة الدفاع الأمريكية من يوليو ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٣، وقد أبعد من منصبه بعدما نشر عن تورطه بتلقى عمولات من إسرائيل عن صفقات سلاح بمليارات الدولارات من بينها تطوير الطائرة الحربية الإسرائيلية (لافى).

وقد كتب أرى شافيت فى صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية متبجحاً فى ١٥ إبريل ٢٠٠٤: إن "حرب العراق كانت من بنات أفكار خمسة وعشرين شخصاً من المحافظين الجدد أغلبهم من اليهود" وجاء فى مقال للكاتب وداعية السلام الإسرائيلى أورى أفنيرى تحت عنوان "بعد انقضاء الليل" تحديد للمجموعة التى بادرت إلى الحرب وغزو العراق بأنها "خليط من المتدينيين المسيحيين المتطرفين والمحافظين الجدد من اليهود".. وهؤلاء وأمثالهم هم الذين يتنادون الآن لحرب إيران تدفعهم وتساندهم إسرائيل فى السر والعلن تطبيقاً لمفهوم الحرب الاستباقية التى اتبعت مع العراق.

وإذا كان المفكرون اليهود والمتدينون من المسيحيين الصهاينة والإنجيليين يشكلون الأغلبية فى تيار المحافظين الجدد فإن هناك فصيلاً آخر فى هذا التيار من اليساريين والشيوعيين السابقين، كانوا فى الحزب الديمقراطى ثم تحولوا إلى الحزب الجمهورى، على نحو ما ذكر جاكوب هايلبرون فى كتابه "كانوا يعرفون أنهم مصيبون: صعود المحافظين الجدد".

يقول هايلبرون إن عرابى المحافظين الجدد كانا أرفنج كريستول والد ويليام رئيس تحرير "ويكلى إستاندرد" يوحد المحافظين الجدد وأبرز دعاة الحرب على العراق، ونورمان بودهوريتز وهو عنصرى قديم صدر له كتاب بعنوان "الحرب العالمية الرابعة.. الكفاح الطويل ضد الإسلاموفاشيزم".. وهو مثل كل المحافظين الجدد يستخدم تهمة النازية أو الهتلرية ضد كل من يقف فى وجه أطماعهم، أو ضد أطماع إسرائيل.

والآن نستطيع أن نقدم بعض نماذج للمحافظين الجدد الذين تتردد أسماؤهم بقوة فى المجتمع السياسى الأمريكى والبريطانى، ولهم نشاطات أكاديمية وإعلامية معروفة.. ومن هذه النماذج على سبيل المثال:

## دانيال بايبس

مفكر بارز، يحمل شهادة الدكتوراة فى التاريخ الإسلامى فى العصر الوسيط من جامعة هارفارد، درس فى خارج الولايات المتحدة ست سنوات، منها ثلاث فى مصر، يتكلم الفرنسية ويقرأ العربية والألمانية إلى جانب الإنجليزية بالطبع، وقد ألف أو شارك فى تأليف ١٨ كتاباً، كما أنه يكتب فى صحف عدة، وعضو بمؤسسات سياسية وفكرية بارزة.. وهو مجبول بالعنصرية والحقد على العرب والمسلمين، وقد أثبت الكاتب جهاد الخازن فى مقالاته بجريدة "الحياة" أن له علاقة مع اليمين فى الدنمارك، وأنه هو الذى حرص على نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم.. كما أنه دائم التحريض ضد وجود المسلمين فى أوروبا وأمريكا، وله فى ذلك مقال شهير بعنوان "يكاد يكون غزواً".. وأهم ما يعرف عنه أنه سليط اللسان خصوصاً ضد الأكاديميين العرب وغير العرب فى الجامعات الأمريكية الذين لا يوافقون على تطرفه وعنصريته، وكثيراً ما يلجأ إلى التجريح الشخصى وتلطيخ سمعة خصومه.

يعمل بايبس بتنسيق كامل مع اللوبى الإسرائيلى فى أمريكا، وأسس موقعاً على الإنترنت بعنوان "مراقبة الحرم الجامعى" فى سبتمبر ٢٠٠٢ ينشر من خلاله ملفات عن أكاديميين مشتبه بهم إسرائيلياً، ويشجع الطلاب على تقديم تقارير عن الأساتذة المعادين لإسرائيل فى محاولة مكشوفة لوضع قائمة سوداء للأساتذة وإرهابهم، حتى لا يقولوا فى قاعات الدرس شيئاً مخالفاً لما تريده إسرائيل، وما يتفق مع مصالحها واستراتيجيتها.

وقد جاء هذا الموقع تنفيذاً للهدف الذى يسعى إليه لوبى إسرائيل دوماً وهو مراقبة ما يكتبه الأساتذة فى الجامعات الأمريكية وما يعلمونه لطلابهم.

وكان بايبس قد أسس فى ١٩٩٤ "منتدى الشرق الأوسط" كمنظمة مستقلة، وفى عام ٢٠٠٤ أصبح المنتدى يضم ١٥ موظفاً مع موازنة سنوية قيمتها مليون دولار.. ويزعم الموقع الإليكترونى للمنتدى أنه "مؤسسة فكرية تعمل لتحديد المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط والترويج لها، وهى تشمل محاربة الإسلام الراديكالى وجعل الفلسطينيين يقبلون إسرائيل، وتأكيد المصالح الأمريكية إزاء المملكة العربية السعودية، واحتواء التهديد الإيرانى.

ومن مزاعم المنتدى الأخرى عن نفسه أنه يرى أن أسلحة الدمار الشامل مصدر مشاكل للولايات المتحدة.. وهذا كلام عجيب من جماعة إسرائيل، فأسلحة الدمار الشامل الوحيدة فى الشرق الأوسط هى فى إسرائيل وتهدد كل البلدان الأخرى.

وفى يونيه ٢٠٠٦ نشر المنتدى على موقعه الإليكترونى إعلاناً عن وظيفة جديدة هى مدير "مراقبة الإسلاميين".. وهذا مشروع يقول الموقع عنه إنه يهدف إلى "مقاومة أفكار ومؤسسات الإسلام الراديكالى غير العنيف فى الولايات المتحدة والبلدان الغربية الأخرى، ويكشف الأهداف البعيدة المدى للإسلاميين ويعمل للحد من نفوذهم، ويحاول تعزيز المسلمين المعتدلين".. وهكذا نصب بايبس اليهودى الصهيونى المتطرف نفسه حكماً لتصنيف المسلمين وتحديد من هو المسلم الراديكالى والمسلم الصالح المعتدل.. وهو فى الحقيقة لا يريد أكثر من نشر حملة الكراهية ضد المسلمين فى الغرب.

وقد حذر بايبس من خلال موقع المنتدى من خطر "الأسلحة القانونية" التى يلجأ إليها المسلمون لنشر أفكارهم فى الغرب وفرض سيطرتهم لإقامة الخلافة العالمية التى تحكم بالشريعة.. وهو يقول إن المتطرفين الذين لا يخالفون القانون لا يخيفون أحداً، ومن هنا خطرهم.

ويقترح برنامج "مراقبة الإسلاميين" عنصرين لمقاومة "الأسلحة القانونية" التى يستخدمها الراديكاليون، الأول توسيع مفهوم "الحرب على الإرهاب" من الأعداء الذين يمارسون العنف إلى الأعداء السياسيين، ويجب أن يكون مفهوماً أن الحرب فى هذه الحالة تشمل الجامعات ومحتوى الكتب الدراسية ووسائل الإعلام وأبحاث دور الفكر والنشاط فى حرم الجامعات وعلاقات الصحافة والأعمال الخيرية وقرارات البيزنس واللوبى السياسى والقضايا القانونية وألعاب الكمبيوتر وغيرها كثير.. والثانى هو "تحديد وتشجيع عمل مسلمين معتدلين حقيقيين يستطيعون بالعمل مع غير المسلمين خفض نفوذ الإسلاميين.

ولعلنا نلاحظ هنا أن مفهوم تقسيم الإسلام إلى راديكالى ومعتدل قد انتقل على يد الرئيس بوش وأركان إدارته من مستوى الأفراد إلى مستوى الدول، فهناك دول راديكالية متطرفة وهناك دول معتدلة.

وعلى كل حال فإن المتطرف بايبس قد انتهى إلى بلورة رؤية فى غاية الخطورة تقول إن الاسلاميين الذين يعملون فى إطار القانون أكثر أذى من الإرهابيين.. ومن ثم فقد دعا إلى مراقبة موظفى الحكومة الأمريكية من المسلمين، فى أجهزة الأمن والقوات المسلحة و السلك الدبلوماسى.. ثم اتسعت دعوته لتشمل مراقبة الناس على أساس أمنى لمعرفة آرائهم وولائهم.

وفى أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم قال بايبس فى مقابلة مع "سى. إن. إن" يوم ٦ فبراير ٢٠٠٦ إن هناك راديكاليين وزعوا الرسوم لأن المتطرفين يريدون زيادة هيجان شعوبهم ضد الغرب.. ولم يكتف بقلب الحقائق رأساً على عقب وإنما كتب فى اليوم التالى مقالاً فى "نيويورك صن" بعنوان "الرسوم الإمبريالية الإسلامية" أعلن فيه أن معركة الرسوم هى هذه: هل سيقف الغرب دفاعاً عن تقاليده وأخلاقه، بما فيها حرية الكلام، أم هل سيفرض المسلمون أسلوب حياتهم على الغرب؟.. فى النهاية لا توجد تسوية وسط، والغربيون إما أن يحافظوا على مدنيتهم بما فيها حق الإهانة والكفر أولاً.. ثم أضاف متسائلاً: هل يذعن الغرب لازدواجية المعايير حيث يهين المسلمون اليهودية والمسيحية والهندوكية والبوذية فى حين يتمتع النبى محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمون بمناعة من الإهانات.. إن المسلمين ينشرون باستمرار رسوماً أكثر إهانة من الرسوم الدنماركية فهل من حقهم ذلك فيما هم يتمتعون بحماية من إهانات مماثلة.

لم يعد الموضوع مجرد رياء إسلامى، من وجهة نظر بايبس، وإنما هو فوقية وسيطرة إسلامية، ولذلك فإنه امتدح الدول التى رفضت التنديد بالرسوم وهاجم الدول التى أخطأت بالاعتذار.

## ديفيد وورمزر

أحد الأسماء البارزة فى تيار المحافظين الجدد، ويقول أصدقاؤه إن إسرائيل هى القوة المحركة دائماً وراء أفكاره، ومع ذلك فقد استخدمه نائب الرئيس الأمريكى ديك تشينى مستشاراً له عن الشرق الأوسط، وهو إسرائيلى قبل أن يكون أمريكياً، وزوجته "ميراف" إسرائيلية خالصة.

وكان وورمزر قد ألف كتاباً بعنوان "حليف الطغيان: فشل أمريكا فى إطاحة

صدام حسين".. وكتب مع دوجلاس فايث و ريتشارد بيرل رسالة بعنوان "انفصال تام: استراتيجية جديدة لأمن البلاد (أى أمن إسرائيل)".. نصحوا فيها بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل فى حينه بشن حروب على الديكتاتوريات العربية وإسقاطها.

واستمر وورمزر وأعضاء العصابة فى التحريض والحشد حتى دمروا العراق، وتقول المصادر إنه أيد دائماً أحمد الجلبى والمؤتمر الوطنى العراقى ونجحت العصابة فى تمويله من الخزينة الأمريكية.

## مارتن كريمر

هو واحد من عشرين خبيراً فى الإسلام والأسلحة والشرق الأوسط مرتبطين بمنتدى الشرق الأوسط الذى أسسه بايبس، واسمه مسجل فى موقع المنتدى على الإنترنت، كما أن كريمر محرر كبير فى «فصلية» المنتدى.

ويملك كريمر موقعاً إلكترونياً ومدونة وزاوية، ويزعم أنه يوفر "دراسة بديلة لتاريخ الشرق الأوسط وسياساته" أى دراسة إسرائيلية.. وهناك معلومات عن أنه كان شريكاً لبايبس فى تأسيس "مراقبة الحرم الجامعى" وإن كان بايبس قد نفى أن يكون كريمر شريكاً له فى ذلك.

وكريمر زميل فى معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط، وقام بالتدريس فى جامعة تل أبيب لمدة ٢٥ عاماً، أى أنه إسرائيلى بالكامل، وفى عام ٢٠٠١ ألف كتاباً عنوانه "أبراج عاجية من الرمل: فشل دراسات الشرق الأوسط فى أمريكا" شن فيه حملة شعواء على الأكاديمى الأمريكى من أصل فلسطينى إدوارد سعيد رحمه الله الذى حاول أن يقدم صورة موضوعية لما يحدث فى الشرق الأوسط.

وقد إتهم البروفيسور فريد هاليداى الأكاديمى البريطانى البارز فى شئون الشرق الأوسط مارتن كريمر بتشويه الدراسات المعاصرة للشرق الأوسط والإساءة إلى هذه الدراسات والاعتداء على أساتذة معينين ومطبوعات معينة.. وانتقد بشدة محاولات كريمر لتشويه إدوارد سعيد، مؤكداً أن هذه المحاولات تخلو من أى إبداع أكاديمى أو معلوماتى.

ولا يزال كريمر يشن حملات حاقدة على بعض الأساتذة مثل البروفيسور

رشيد الخالدى الذى خلف إدوارد سعيد فى جامعة كولومبيا، ويهاجم البروفيسور جوان كول، أستاذ التاريخ فى جامعة ميتشجان لمنع تعيينه فى جامعة يال.

## باتريك سوخيدو

من أعلى الأصوات التى تهاجم الإسلام باستمرار وليس المسلمين فقط أو الإرهابيين، وقد ارتد عن الإسلام وأصبح كاهناً فى الكنيسة الإنجليكانية فى بريطانيا، وعين فى وظيفة مستشار لشئون الإسلام لدى الحكومة البريطانية وحلف الناتو، وبعد هجمات ٧ يوليو ٢٠٠٥ فى لندن كتب سوخيدو مقالاً فى ٢٠٠٥/٨/٢ بمجلة "إسبكتيتور" كان عنوانه "أسطورة الإسلام المعتدل".

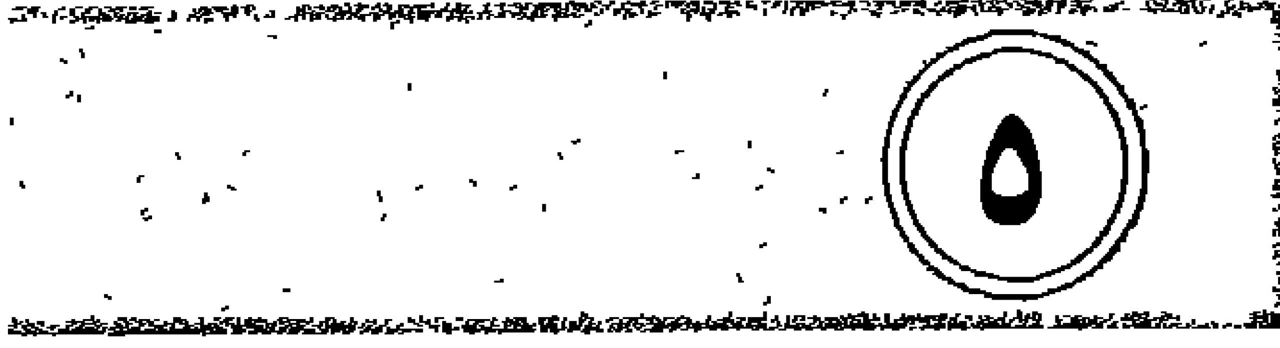
## بات ياعور

وتعنى بالعبرية "بنت النيل"، وهو الاسم الحركى لكاتبة اسمها "جيزيل ليتمان".. ولدت فى مصر باسم "أوريبى" وتركت أسرتها مصر عام ١٩٥٧. لها ثمانية كتب عناوين بعضها تشرح المضمون مثل "المحور الأوروبى- العربى" و "الإسلام والذمة: حيث تصطدم الحضارات" و "الذميون: اليهود والمسيحيون تحت الإسلام".

## مارك ستاين

من أخطر أنواع المحافظين الجدد فى كندا.. وقد أثار ضجة كبرى بكتابه "أمريكا وحدها: نهاية العالم كما نعرفه"، وحينما نشرت مجلة "ماكلينز" الكندية فصلاً من الكتاب تحدث عن "أورابيا" والتحريض ضد سيطرة المسلمين على أوروبا ثار غضب المسلمين الكنديين واعترضوا رسمياً عليه.

كان ستاين يكتب بانتظام فى "ديلى تليجراف" برعاية ناشرها السابق المدان وزوجته المتطرفة إسرائيلياً "بارباره إمييل".. وقضية ستاين أن يؤيد إسرائيل بكل جرائمها ضد الفلسطينيين.. أى ضد العرب والمسلمين.




# المسيحيون الصهيونيون

تأثرت العقيدة البروتستانتية كثيراً باليهودية، حيث عمل مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتى على تهويد المسيحية عندما أصر على اعتماد التوراة العبرانية بدلاً من كتاب " العهد الجديد " وقد قام عدد من رجال الدين البروتستانت بإعادة قراءة العقائد المسيحية المتعلقة باليهود، ومنحوهم مكانة متميزة حتى اصبحت الكنيسة البروتستانتية هى حاملة لواء المسيحية الصهيونية أينما حلت.

وقد آمنت المسيحية الصهيونية، قبل تأسيس دولة إسرائيل – بضرورة عودة الشعب اليهودى إلى أرضه الموعودة فى فلسطين وإقامة كيان يهودى فيها للعودة الثانية للمسيح.

ويمكن تعريف المسيحية الصهيونية «بأنها المسيحية التى تدعم الصهيونية، وتتلخص فكرة هذه الحركة فى ضرورة المساعدة لتحقيق نبوءة الرب من خلال تقديم الدعم لإسرائيل».

نشأت المسيحية الصهيونية - كما نعرفها اليوم - فى إنجلترا فى القرن الـ١٧، ومع بدء الهجرات الواسعة إلى الولايات المتحدة أخذت الحركة أبعاداً سياسية واضحة وثابتة، كما أخذت بعداً دولياً يتمثل فى تقديم الدعم الكامل للشعب اليهودى فى فلسطين.. وتتصل جذور هذه الحركة بتيار دينى يسمى بتيار

الألفية.. والألفية معتقد دينى نشأ فى أوساط المسيحيين من أصل يهودى، وهو يعود إلى اعتقادهم بأن المسيح سيعود إلى هذا العالم محاطاً بالقديسيين ليملك فى الأرض ألف سنة ولذلك سموا بالألفية.. بشرط قيام الكيان الصهيونى على كل أرض فلسطين.

يعد تيودور هيرتزل مؤسس الصهيونية اليهودية هو أول من استخدم مصطلح " المسيحية الصهيونية " وعرف المسيحى المتصهين بأنه " المسيحى الذى يدعم الصهيونية، بعد ذلك تطور المصطلح ليأخذ بعداً دينياً، وأصبح المسيحى المتصهين هو " الإنسان الذي يساعد الله لتحقيق نبوءته من خلال دعم الوجود العضوى لإسرائيل، بدلاً من مساعدته على تحقيق برنامجه الإنجيلى من خلال جسد المسيح.

تيودور هيرتزل نفسه آمن وطرح فكرة الدولة اليهودية ولم تكن دوافعه دينية بالأساس، فهو قومى علمانى، وأعلن استعداده لقبول استيطان اليهود فى أوغندا أو العراق أو كندا أو حتى الأرجنتين، أما المسيحيون المتصهينون فقد آمنوا بأن فلسطين هى وطن اليهود، واعتبروا ذلك شرطاً لعودة المسيح، لذا انتقدوا الموقف المتساهل من قبل تيودور هيرتزل.. وهم أول من وصفوا اليهود بأنهم " شعب الله المختار " ووصفوا فلسطين بأنها " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض "

وتلتقى الحركتان الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية حول " مشروع إعادة بناء الهيكل اليهودى فى الموقع الذى يقوم عليه المسجد الأقصى اليوم" لذا فالهدف الذى تعمل الحركتان على تحقيقه يتركز حول فرض سيادة يهودية كاملة على كل فلسطين بدعوة أنها " أرض اليهود الموعودة " ومن شأن ذلك أن يؤدى إلى تعميم البركة الإلهية على كل العالم.

وتترجم حركة المسيحية الصهيونية أفكارها إلى سياسات داعمة لإسرائيل، وتطلب ذلك خلق منظمات ومؤسسات تعمل بجد نحو تحقيق هذا الهدف.. لذا قامت حركة المسيحية الصهيونية بإنشاء العديد من المؤسسات مثل " اللجنة المسيحية الإسرائيلية للعلاقات العامة " ومؤسسة الائتلاف الوحدوى الوطنى من أجل إسرائيل " ومن أهداف هذه المؤسسات دعم إسرائيل لدى المؤسسات الأمريكية المختلفة، السياسى منها وغير السياسى.

وهناك ما يقرب من ٦٠ مليوناً من أتباع الصهيونية المسيحية داخل الولايات المتحدة وحدها، ويزداد أتباع تلك الحركة خاصة بعدما أصبح لها حضور بارز فى كل قطاعات المجتمع الأمريكى.. ويشهد الإعلام الأمريكى حضوراً متزايداً لهم حيث إن هناك ما يقرب من ١٠٠ محطة تليفزيونية، إضافة إلى أكثر من ١٠٠٠ محطة إذاعية ويعمل فى مجال التبشير بالمسيحية الصهيونية ما يقرب من ٨٠ ألف قسيس.

وامتد نفوذ الحركة إلى ساسة الولايات المتحدة بصورة كبيرة وصلت إلى درجة إيمان بعض من شغل البيت الأبيض بمقولات الحركة والاعتراف بهذا علنياً.. وقد كان الرئيسان السابقان جيمى كارتر " ديمقراطى " ورونالد ريجان " جمهورى " من أكثر الرؤساء الأمريكيين إيماناً والتزاماً بمبادئ المسيحية الصهيونية.

وبعد كارتر وريجان زادت قوة هذا التيار رسوخاً فى رئاسة بوش الأب، ثم بوش الابن الذى أعلن فى خطابه الشهير أمام الكنيست أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنه لا يجوز إجبار إسرائيل على التفاوض والانسحاب من الأراضى التى احتلتها، لأنها منحة ربانية لليهود لا يجوز التنازل عنها.. وهو الاعتقاد نفسه الذى عبر عنه " التحالف المسيحى " بقيادة بات روبسون فى مسيرة له بواشنطن العاصمة طالب فيها القادة الإسرائيليين بعدم التنازل عن الضفة الغربية وقطاع غزة لأن ذلك " مناقض لإرادة الرب "

وينظر المسيحيون الصهيونيون لإسرائيل على أنها مشروع إلهى له عصمة وقدسية، وبالتالى لا يقبل الإدانة والنقد، فضلاً عن المقاومة والنقض.

ولاحظت الكاتبة الأمريكية " جريس هالسل " أن المسيحيين الصهيونيين فى أمريكا مستعدون لتقبل أى نقد موجه لفرنسا أو إنجلترا أو ألمانيا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة، أو أى بلد آخر فى العالم، لأن ذلك شأن سياسى، أما نقد إسرائيل فهو عندهم يساوى نقد الرب ذاته.وهكذا تحول اليهود فى نظر المسيحيين الصهيونيين من أمة ملعونة صلبت المسيح، وحملوا دمه فى أعناقهم وأعناق أبنائهم إلى " أبناء الرب ".. ومن " الجيتو " أى حارة اليهود المعزولة إلى قمة المجتمع.. من أمة مدنسة ظلمها المسيحيون كثيراً فى الأندلس وفى محارق النازية " الهولوكست " إلى " أمة مقدسة " يظلم بها

المسيحيون شعوباً أخرى.. ومن أجلها صار المسيحيون الصهيونيون أكثر جرأة فى الطعن فى الإسلام وجرح مشاعر المسلمين من اليهود أنفسهم.. كما تدل على ذلك تصريحات " فرانك جراهام " و " بات روبرتسون" و " جيرى فالويل " حول الإسلام.

من هنا يتضح أن الذين يقرءون التحيز الأمريكى لإسرائيل بعيون سياسية واستراتيجية فقط يغفلون حقيقة تاريخية على قدر كبير من الأهمية وهى البعد الدينى الذى به تكتمل الرؤية الصحيحة.

وقد كتب جهاد الخازن سلسلة مقالات بجريدة " الحياة " اللندنية بدأها فى ٢٠٠٤/١٢/٣١ واختتمها فى ٢٠٠٥/١/٨ أكد فيها أن المسيحيين الصهيونيين هم القاعدة الانتخابية الأساسية للرئيس بوش الابن.. وأن هؤلاء أكثر تطرفاً من أى أصوليين دينيين آخرين بمن فيهم المسلمون، فهم أصحاب عقيدة لا تكتمل إلا بخراب العالم.. وقال: " نحن لا نتحدث عن فرقة ضالة أو منحرفة وإنما عن أكثر من ٥٠ مليون أمريكى.. إيمانهم يعنى أن السلام غير ممكن، بل غير مرغوب فيه، لأن الحروب المدمرة هى التى ستؤذن بنهاية العالم وصعود المؤمنين لملاقاة المسيح فى منتصف الطريق إلى الجنة".

ويؤكد الخازن أن الرئيس بوش الابن يشارك المسيحيين الصهيونيين إيمانهم، ويرسم سياسته الخارجية على هذا الأساس، وأشار فى هذا الصدد إلى أن جورج بوش الابن وصل إلى البيت الأبيض بتكليف من الله، فالقس مارك كريج يذكره بقصة حديث الله مع سيدنا موسى فى سفر الخروج، ويقول إن أمريكا عطشى لقيادة مؤمنة بالله، ووالدته باربارا بوش تقول له : " إن الله يحدثك " وهو قال لأخينا أبومازن فى العقبة فى يونيو ٢٠٠٣ "إن الله أمره بقتال طالبان ففعل، وأمره بمحاربة صدام حسين ففعل"

ونقل الخازن عن الكاتب البريطانى المشهور " ماكس ستنجر " فى ديسمبر ٢٠٠٤ بعد عودته من أسبوع فى الولايات المتحدة قوله : إن تدين الأمريكيين والصلاة فى كل مناسبة، واستغلال اسم الله باستمرار، جعله يضيق بالدين المسيحى مع أنه يعتبر نفسه " إنجليكانى اجتماعى".. ثم ترجم حرفياً عن هاستنجر فقرتين فى مقال نشره فى " الجارديان " تحت عنوان: " اللهم أنقذنا من السياسيين الذين يعتقدون أن الله إلى جانبهم " قال فيها :" إن

تشويه التعليم التوراتى كما يمارسه المسيحيون الأصوليون حلفاء بوش لدعم دعاوى الإمبريالية الإسرائيلية فى الضفة الغربية يزيد صعوبة الوصول إلى تسوية فى الشرق الأوسط، والأرجح أن النفوذ السياسى للأصوليين فى الولايات المتحدة ـ المعارض لتسليم أى جزء من ارض التوراة إلى المسلمين ـ سيزيد فى المستقبل بدل أن ينقص.. كلنا يدرك أن القيام بجهد إيجابى لإنقاذ الفلسطينيين سيفيد أمن الغرب على المدى الطويل أكثر من أى قوانين متشددة ضد الإرهاب يسنها بوش وتونى بلير، ومع ذلك فلا يوجد سياسى غربى واحد يجرؤ على السؤال عن دور الأصوليين الأمريكيين الذين خطفوا الله وجعلوا العالم مكاناً أكثر خطراً.

ويكشف جهاد الخازن أن المسيحيين الصهيونيين أعلنوا أنهم فازوا فى الانتخابات لمصلحة جورج بوش فى الفترة الرئاسية الثانية وأنهم يريدون مكافأة.. وكتب الصحفى اليمينى مايكل فرويند فى ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤ مقالاً بعنوان " إلى الأمام أيها الناخبون المسيحيون" قال فيه: إن على إسرائيل أن تشكر الله لصعود المسيحيين التبشيريين، فهم أفضل ضمانة لتاييد الولايات المتحدة لإسرائيل فى عالم يزداد عداءً لها.

ومع كل صراع يتفجر فى الشرق الأوسط يسارع المسيحيون الصهيونيون إلى تأجيجه ودعم إسرائيل فيه يقيناً منهم بأن هذا الصراع يقرب ساعة المعركة النهائية " معركة هرمجدون ".. ثم ظهور المسيح.

فى ١٨ أغسطس ٢٠٠٦ وإبان حرب إسرائيل على لبنان نشرت مجلة " روز اليوسف " تقريراً ذكرت فيه أن أتباع المسيحية الصهيونية يعدون لمعركة " هرمجدون " فى جنوب لبنان، ويدعون أن الإدارة الأمريكية تسرع الحرب الإسرائيلية من أجل نهاية العالم، وأن بوش يروج للحرب الدينية باعتراف رجال البيت الأبيض الذين يعتبرونه يقلد مسيح " المسيحية الصهيونية ".

وقالت روز اليوسف إن المهووسين الإنجيليين يدعون لمواجهة عسكرية بين أمريكا وإيران وإبادة حزب الله بحجة تأمين " معسكر الخير " من " الأشرار "

وذكرت أن مفكرين عرباً حذروا من الحشد لموقعة هرمجدون ويرون أن هذا الحشد بدأ من العراق ويمتد لسوريا وإيران.

ونقلت روز اليوسف عن الناشطة المناهضة لحرب العراق " سيندى شيهان "

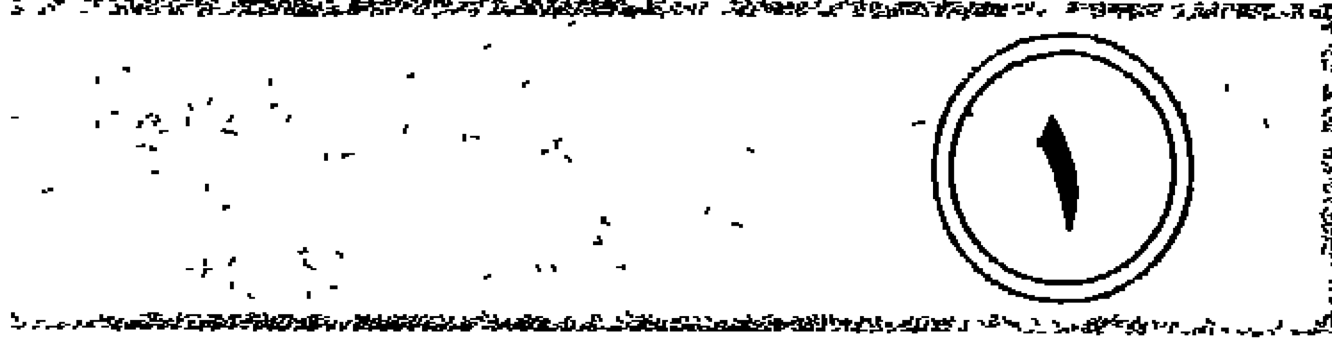
تحذيرها من طرح التصور المرتبط بمعركة نهاية العالم الذى وجد طريقه إلى الشارع العربى.. حيث قالت إن فكرة استخدام السلاح النووى باتت أكثر رعباً فى ظل وجـود كل هؤلاء المتـعـصـبـين دينيـاً الذين يصلون من أجل بدء هرمجدون.. وأضافت :" المؤمنون المزيفون فى البيت الأبيض يروجون لفكر ما بعد المسيحية الذى يزعم أن المسيح كان داعية حرب ومن ثم فإن أياً مما يفعله بوش هو أمر مقبول باعتباره رجلاً مسيحياً.

ولاحظ تقرير روز اليوسف أن تعقد الملف النووى الإيرانى منح الإسرائيليين ومعتنقى الفكر "المسيحى الصهيونى" فى أمريكا والعالم فرصة بدء " الولولة " - إن جاز التعبير - على مستقبل اليهود ودولة إسرائيل، وبالتالى استعطاف العالم كله لحشد المساعدة لإسرائيل، واعتبار هذا الحشد واجباً دينياً فى المقام الأول، حتى تحدد كل دولة موقفها من معسكر المتصارعين فى معركة " هرمجدون " التى حاولت بعض الأصوات المتطرفة الإيهام أنها أخذت بالفعل أول منعطفاتها مع تحرك حزب الله كذراع إيرانية ازدادت قوته بتزايد قوة طهران النووية.

والمثير أن الموقف الأوروبى الذى دعا إلى الوقف الفورى لقصف لبنان ترجمه المتطرفون من المسيحيين الصهيونيين على أنه الحزب المعادى للمسيح، مما وضع المعسكر الأوروبى كله فى خانة الأشرار الذين تفنيهم هرمجدون لأنهم يريدون تأخير الموقعة، بينما كان الموقف الأمريكى الرافض لوقف القصف فى مجلس الأمن هو موقف الأخيار الذين يمهدون لنزول المسيح على الأرض ليقود الأتباع من المؤمنين الفائزين فى هذا الصراع.

# الفصل الخامس

# كتابات وكُتَّاب



# سباحة ضد التيار

جون أسبوزيتو واحد من أبرز المتخصصين فى الدراسات الإسلامية بالولايات المتحدة.. وقد أتاحت له خبراته الأكاديمية أن يرأس مركز التفاهم الإسلامى - المسيحى فى جامعة جورج تاون، بالإضافة إلى تدريسه للشئون الدولية فى الجامعة ذاتها التى تعد واحدة من أعرق الجامعات الأمريكية.

وبسبب اهتمامه بالحالة الإسلامية اعتمد فى دراساته وأبحاثه على الأصول العلمية الإسلامية ولم يكتف بما هو متاح من ترجمات ودراسات منحازة.. بل قام بزيارات للعديد من دول العالم الإسلامى ومنها مصر.. حيث التقى فى القاهرة بمجموعة من المفكرين، وألقى محاضرة قيمة فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية يوم ٧ أبريل ٢٠٠٢.

ومن منطلق هذا الاهتمام الموضوعى، النابع من ضمير إنسانى وأكاديمى يقظ، أصدر أسبوزيتو كتابه بعنوان "الحرب غير المقدسة: الإرهاب باسم الإسلام".. وفيه حاول بأدواته البحثية والعلمية أن ينصف الإسلام.. ويبرز سماحته.. ويكشف بالوثائق والحقائق مايتعرض له من سوء فهم منظم ومتعمد من الدول والمؤسسات فى الغرب.. ولهذا فإن كل من يقرأ الكتاب سوف يدرك جيداً أنه سباحة ضد التيار.

يبتدئ أسبوزيتو بحثه بطرح السؤال التالى: ماهى الأسباب الحقيقية

لتنامى ظاهرة الأصولية الإسلامية المسلحة؟!.. ثم يجيب عن ذلك بقوله: إن الظاهرة ترجع إلى الاستعمار.. حيث لم يؤد ظهور الدولة القومية فى الأقطار الإسلامية إلى تحقيق الحد الأدنى من التنمية والرفاهية الاجتماعية لشعوبها.. بل على النقيض من ذلك تبدت عورات النظم الاستبدادية العسكرية فى مصادرة خيارات الشعوب الإسلامية فى التحرر من أغلال الفقر والاستبداد.

وعلى هذا النحو تصبح ظاهرة الأصولية الإسلامية المسلحة رد فعل لما لحق بالمسلمين من كوارث، وليست تعبيراً عن رغبات دفينة لدى المسلمين للقضاء على الحضارة الغربية وتصفية وجودها.

وقد تصدى المؤلف لحالة الهياج ضد الإسلام التى أثارتها وسائل الإعلام الغربية فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، مؤكداً أن هذه الأحداث لم يتم ارتكابها باسم الإسلام، وأن الإسلام ليس العامل الرئيسى فى ارتكاب هذه المذبحة ضد المدنيين.

ومع هذه الضجة الهائلة حول الإسلام والمسلمين تضاعفت نسبة الإقبال على اعتناق الإسلام فى أمريكا بعد أحداث سبتمبر.. نظراً لمسارعة الأمريكيين إلى محاولة فهم الإسلام عن قرب.. وقد تبينوا أن الإسلام يقدم نسقاً حضارياً متميزاً لا يوجد له مثيل فى الديانات السماوية أو البشرية الأخرى.

وعلى خلاف الاتهامات السخيفة الموجهة إلى الإسلام بأنه يحبذ العنف اكتشف أسبوزيتو مع المهتدين حديثاً أن القرآن الكريم والسنة النبوية لا يتضمنان أية إشارات تحث المسلمين على شن الحرب إلا فى حالة واحدة، عندما يتعرضون للخطر داخل بلادهم، بينما تطفح أسفار التوراة بتحريض بشع على ارتكاب جرائم الحرب ضد المواطنين الأبرياء.

ويورد المؤلف العديد من الوقائع التاريخية التى تتحدث عن عظمة الإسلام وتقديره للعهود والتسامح، فعندما اجتاح العثمانيون منطقة وسط أوروبا فى القرن الخامس عشر حاول السلطان مراد الرابع أن يفرض على الشعوب السلافية المهزومة الديانة الإسلامية قسراً.. لكن المفتى الأكبر للدولة الذى كان يحمل لقب شيخ الإسلام عارض هذا التوجه من جانب السلطان قائلا: إن الإسلام صريح فى أنه "لاإكراه فى الدين".

أيضـا وصـى أبوبكر الصـديق، الخليفـة الأول للنبى صلى الله عليـه وسلم، الجيوش التى توجهت إلى الشـام بألا يقتلوا شيخاً ولا طفلا ولا امـرأة.. ولم يغفل الخليفة عن تحذير الجنود المسلمين من التعرض للرهبان الذين اعتزلوا فى الأديرة المتناثرة فـى الصحـراء وعلى أطراف المدن.. كمـا أمـر الخليـفـة الجيش بألا يقطع شجرة مثمرة، ولا يدخل أية مزارع إلا بإذن صاحبها.

ويقول أسبوزيتو فى كتابه إن السنة النبوية حفلت بالأحداث التى تعرض لها الرسـول أثناء الجـهـاد.. وتؤكـد هذه الأحـداث أن غـزو القـبـائل المجـاورة لم يحدث إلا فى حالة غدر هذه القبائل بالمسلمين وتهديدها لهم بخطر ماحق.. أو بغـدر القـبـائل بالرسل الذين أوفـدهم النبى لتعليم هذه القـبـائل مـبـادئ الإسـلام.. فى حين أن هناك قبـائل ظلت على عقـائدها الوثنية ولم يحاربها الرسـول. لأنها التزمت جانب الحياد، ولم تتورط فى دعم المؤامرات التى قام بها المشركون ضد الدولة الإسلامية الناشئة.

ويلاحظ المؤلف فى بحثه القيم أن القبائل التى دخلت الإسـلام طواعية هى التى جاءت إلى النبى بمحض إرادتها لكى تفهم الإسـلام. ولم يثبت أن الرسول حارب أية قبيلة من أجل إرغامها على اعتناق الإسـلام.. وفى كل الظروف - هكذا يقول أسبوزيتو - كانت حياة الرسـول محمد تقطر بالعفو والسـماحة، ولم يحاول أن ينتقم لنفسـه أو لأهل بيته، حتى من أولئك الذين مارسوا معه أحقر مظاهر العداوة والبغضاء.

ويعترف المؤلف بأن العداء للولايات المتحدة وأوروبا يعد ظاهرة واضحة فى العالم الإسـلامى والعربى، ولكن هذه الكراهية لا تنبع من كون الإسـلام يحض على الكراهيـة، وإنما لأن السيـاسـة الأمـريكيـة الملتـوية أدت إلى إثارة مشـاعـر البـغض والغـضب لدى العـرب والمسلمـين. مع مـلاحظة أن هـذه الكـراهيـة لا يختص بها المتدينون وحدهم بل إنها تشمل العلمانيين والقوميين أيضا، ممن لا تربطهم أى اهتمامات مشتركة مع الإسـلاميين، كذلك لا يخفى المسيحيون العرب استياءهم من الانحياز الأمـريكى غيـر المعقول لإسـرائيل.. والغـريب أن كثيراً من المسئولين الأمريكيين يعلمون أسباب هذا العداء، ومع ذلك لم يجرؤ أى منهم على مراجعة هذه السياسـة المعوجة، وإنما يحلو لهؤلاء القـادة إلقـاء مسئولية الكراهية على العرب والمسلمين.

ويشـدد أسبوزيتو على أن الأغلبيـة العظمى من المسلمين لا توافق على ارتكاب أية أعمال عدوانية باسم الإسلام حتى لا تضر بالقضية الإسلامية.. فى حين أن الجهاد المشروع يجب أن يقتصر على التصدى للعدوان على البلاد الإسلامية مثل فلسطين وأفغانستان والعراق والتى باتت ترزح تحت نير الاحتلال الأمريكى وبدعم وتواطؤ من أوروبا الغربية.

وينصح الغربيين بضرورة التمييز بين الإسلام كدين يحض على السماحة وبين أية أعمال يقوم بها المتشددون، فهذه العمليات تغتصب الخطاب الإسلامى الكريم لتبريرها وإضفاء المشروعية عليها، ويرى أن الدول الغربية لا تزال تستثير العداء من جانب المسلمين، وكذلك الممارسات الحمقاء وغير الواعية ضد المسلمين المهاجرين فى تلك الدول.

ويحذر أسبوزيتو من توظيف الحرب ضد الإرهاب بشكل سيىء حتى لا تستخدم مظاهر العداء فى التنكيل بالمهاجرين المسلمين، وانتقاص الحريات الأساسية التى كفلها الدستور الأمريكى ومواثيق حقوق الإنسان.. ويحذر أيضا من الضغوط التى تمارسها الولايات المتحدة بالتحديد على النظم الحاكمة فى الدول الإسلامية لقمع أية معارضة.. حتى لو كانت غير مسلحة، باعتبار أن هذا المنهج يهدد المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة على المدى الطويل.. ويلفت الانتباه إلى أن التفاهم وتحديد القضايا المثيرة للخلاف والعداء يمكن أن يؤديا إلى إحلال علاقات طبيعية بين الدول الغربية وعالم الإسلام، وإلا فإن البديل هو استمرار هذه المواجهة العقيمة لعدة أجيال أخرى دون أن يتمكن أى الجانبين من الإجهاز على غريمه بصورة كاملة.. فقد أخفقت المحاولات التى بذلتها أوروبا لاقتحام البلاد الإسلامية منذ الحروب الصليبية وحتى الهجمة الاستعمارية الحديثة وانتهاء بقيام إسرائيل التى تعد امتداداً قبيحاً للتجربة الصليبية الفاشلة.

وينتقد المؤلف تدخل الدول الغربية لدى حكومات الدول الإسلامية من أجل الإجهاز على المعارضة.. بزعم أن هذه المعارضة تمثل البيئة المواتية لإفراخ التطرف والإرهاب.. فى حين أن الجماعات الأصولية لا تحبذ العمل من خلال الأوعية العلنية المتعارف عليها فى النظم الديمقراطية.. مع التأكيد على أن الديمقراطية نعمة كبرى لم تصل إلى العالم الإسلامى بعد.

يقول أسبوزيتو: إن من الأساليب التى يجب أن تعتمدها الولايات المتحدة للقضاء على الإرهاب ضرورة التخلص من النظم المستبدة القائمة فى العالم الإسلامى، والتى ترتبط بعلاقات تحالف مشبوه مع الولايات المتحدة، خاصة أن الإحباط المتراكم لدى مواطنى هذه الدول يدفع بهم إلى استهداف الولايات المتحدة، باعتبار أنها الدولة التى تضمن بقاء هذه النظم العاجزة فى موقع السلطة والنفوذ.

والحقيقة أن كتاب أسبوزيتو عبارة عن حصيلة عشرين عاماً من الدراسة الدؤوبة التى تراكمت لديه والخبرات الحية التى عايشها من خلال التعامل مع المفكرين المسلمين.. ولذا فإن كتابات هذا الأستاذ الجامعى تحظى بالاحترام والتبجيل فى الغرب والعالم الإسلامى أيضا.. فقد قدم العديد من الحقائق التى لم تكن معروفة للقارئ فى الولايات المتحدة عن الإسلام وكانت لديه دائما الشجاعة لكى يقول ما لا يقدر غيره على الجهر به عن الإسلام والمسلمين وقضاياهم العادلة.. وتعد هذه الجرأة فى المجتمع الأمريكى بمثابة تهور.

كان أسبوزيتو من الأصوات القليلة التى امتلكت الشجاعة، وطالبت بمواقف أكثر عقلانية وموضوعية لدى التعامل مع العالم الإسلامى.. وقد اتسم دائماً بالمصارحة والاتزان، ولم يحاول مجاملة المسلمين من خلال تقديم صورة وردية عن الإسلام قد لا يتقبلها القارئ الغربى على علاتها.. وربما كانت الانتقادات التى وجهها إلى سلوك المسلمين المعاصرين وإلى الغرب منصفة بصورة أو بأخرى.

ومن ثم فإن كتاب "الحرب غير المقدسة" يسد ثغرة عميقة فى المؤلفات المحايدة التى تتحدث عن الإسلام بأقلام الكتاب فى الغرب، إذ كشف المؤلف الستار عن الجانب الآخر من الأحداث على جانبى المواجهة بين الإسلام والغرب.

وفى هذا الكتاب يجد القارئ الغربى إجابات شافية عن كل التساؤلات التى تدور بذهنه عن هذا العالم الغريب الذى يرفع شعار الإسلام.

المحور الرئيسى الذى صاغ المؤلف حوله أفكاره يتركز على التمييز بين الإسلام كعقيدة وممارسات المسلمين المحدثين التى قد لا تخلو من طيش

مستفز لا يمكن التغاضى عنه على الإطلاق، بل إن تلك الممارسات كانت سببا فى جلب المزيد من المتاعب للدول الإسلامية بالرغم من سلامة النية التى قد تتوافر لدى بعض الجماعات الأصولية المتشددة.

فى مواقع عديدة من الكتاب ينهال المؤلف بالانتقادات على بعض التصرفات التى تصدر عن مسئولين فى الغرب.. ويخص بالذكر حالة الهياج غير المفهوم التى استحوذت على إدارة جامعة نورث كارولينا حيث انبرى مجلس الأمناء إلى المطالبة بإلغاء تدريس كتاب "الاقتراب من القرآن" الذى ألفه مايكل سيللز، وانبرت القيادات المحلية المناصرة لليمين المسيحى ذى النزعة الصهيونية إلى التشهير بالمؤلف وكتابه، بزعم أن المؤلف ينصف الإسلام الذى لا يستحق إلا مشاعر المقت والازدراء.

يقول اسبوزيتو إن هذا القرار الذى اتخذته جامعة نورث كارولينا يعيد إلى الأذهان الذكريات المريرة لمحاكم التفتيش، حينما كانت السلطات الكنسية والعلمانية فى الدول المسيحية خلال القرون الوسطى تتصدى لمحاربة أفكار الناس، حتى ولو كانت مجرد توهمات لم تفارق ضمائرهم.

والكارثة أن تتكرر الأحداث نفسها فى القرن الحادى والعشرين فى الولايات المتحدة التى تنتحل لنفسها مكانة الدولة الرائدة فى حماية الحريات وحقوق الإنسان. والحقيقة أن هذه الحريات تعجز عن أن تشمل ببركتها المهاجرين المسلمين، حيث يدفع هؤلاء الثمن الفادح لسخف السياسة الأمريكية فى الخارج، وهوس عصابات اليمين المتطرف فى الداخل.

ويوضح المؤلف أن الآيات القرآنية التى تتحدث عن قتال المشركين والكافرين لا يجب أن يتلقفها الغرب بمنطوقها الظاهر كأداة لإدانة المسلمين والتشهير بالإسلام. فالحقيقة أن هذه الآيات تنطبق على مشركى العرب داخل الجزيرة العربية، بينما ترك المسلمون اليهود والمسيحيين فى البلاد المفتوحة على أديانهم. ولم يطلبوا منهم الدخول فى حوزة الإسلام.. وهكذا فلا وجه لاستعداء الغرب على العالم الإسلامى من هذه الزاوية.

يقول أسبوزيتو إن الإسلام هو الديانة الوحيدة التى اعترفت بكل الأديان السماوية التى تقدمت عليه فى المرحلة الزمنية، على النقيض من الاحتقار

والتشهير اللذين عانى منهما المسيحيون من جراء تعنت اليهود وتطاولهم على مقام العذراء البتول وابنها السيد المسيح.

أحدث كتاب المفكر الأمريكى الكبير جون أسبوزيتو "الحرب غير المقدسة: الإرهاب باسم الإسلام" دوياً هائلاً داخل أمريكا وخارجها، باعتباره الكتاب الذى يدافع عن الإسلام برؤية أمريكية، ولغة أمريكية هادئة ومتوازنة، ومنطق أمريكى يعتمد على البحث والدراسة لا على العاطفة والتحزب.

قالت صحيفة "وول استريت جورنال" إن هذا الكتاب يعد أحد أكثر المؤلفات تميزاً عن الإسلام فى الولايات المتحدة بأسرها.. وقالت مجلة "كيركس ريفيو" إن هذا الكتاب يبدو ضروريا للغاية فى هذه المرحلة بالتحديد، حيث يقدم المؤلف العديد من الأسباب العقلانية التى تدعو إلى التسامح بين الغرب والإسلام، مع المطالبة بالتخلى عن حالة العداء غير المفهوم من الغرب تجاه الإسلام.

وأكد بيتر بيرجين فى مقال نشرته صحيفة "واشنطن بوست" أن هذا الكتاب يقدم معلومات مهمة تغنى القراء عن بذل جهد ضائع فى قراءة العشرات من الكتب الرائجة التى تتحدث عن الإسلام.. وقال البروفيسور أحمد رشيد أستاذ الدراسات الإسلامية فى جامعة جورج تاون إنه ليس هناك أفضل من أسبوزيتو لكى يشرح جذور واتساع ظاهرة الجهاد الإسلامى على مستوى العالم مع وضع هذه الظاهرة فى سياقها التاريخى بصورة موضوعية، بمعنى أنها رد فعل لما لحق بالمسلمين من كوارث، وليست تعبيراً عن رغبات دفينة لدى المسلمين للقضاء على الحضارة الغربية وتصفية وجودها من مسرح الأحداث.

واستمراراً لهذه الرؤية الموضوعية أصدر البروفيسور جون أسبوزيتو بالاشتراك مع داليا مجاهد المديرة التنفيذية لمركز جالوب للدراسات الإسلامية كتاباً بعنوان " من يتحدث باسم المسلمين: كيف يفكر حقيقة بليون مسلم" اعتمدا فيه على استطلاع أجرته مؤسسة جالوب ذات المصداقية العالية استغرق ست سنوات وشمل ٥٠ ألف مقابلة مع مسلمين فى ٣٥ بلداً مسلماً أو يضم عدداً كبيراً من المسلمين لمعرفة اتجاهاتهم إزاء الإرهاب.

وكان قد بدا واضحاً بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أن أمريكيين كثيرين لا يعرفون هل يؤيد المسلمون الإرهاب أم لا، وأزعج هذا الجهل جيم كليفتون رئيس مؤسسة جالوب الذى وجد أن السياسيين فى واشنطن لا يعرفون شيئاً عن تفكير ١,٣ مليار مسلم، ومع ذلك فهم يضعون سياسات تغير شكل العالم نهائياً ومن ثم أمر كليفتون شركته أن تدرس الموضوع فأجرت الاستطلاع، وتوصلت إلى معلومات فاجأت الجميع.. ومنها:

-المسلمون والأمريكيون يعارضون استهداف مدنيين كأمر غير مقبول أخلاقياً.

-غالبية المسلمين حول العالم تؤيد حرية الكلام لو أعطيت فرصة كتابة دساتير تضمن هذه الحرية.

-المسلمون غير معجبين ألبتة بالانحلال الأخلاقى فى الغرب، وانهيار القيم التقليدية، وهو رأى غالبية الأمريكيين ايضاً.

-عندما سئل المسلمون عن أحلامهم للمستقبل قالوا: إنهم يريدون عملاً وأمناً لا نزاعًا وعنفًا.

- يقول المسلمون إن أهم ما يمكن للغربيين عمله لتحسين العلاقات داخل مجتمعاتهم فكانت إجابتهم هى ضرورة تغيير موقفهم السلبى من المسلمين واحترام دينهم.

كتاب أسبوزيتو ومجاهد ركز بشكل خاص على سبعة فى المئة من المسلمين وصفهم بأنهم " راديكاليون سياسياً " فهم ليسوا متدينين أكثر من غيرهم، ولا يتحدثون عن دور الدين فى حياتهم، وهم فى الغالب متعلمون ونسبة البطالة بينهم كبقية البلاد حيث يقيمون، إلا أنهم يقولون إن أكثر ما يهددهم هو الاحتلال الأمريكى والسيطرة الأمريكية عليهم.

وعندما سئل السبعة فى المئة هؤلاء عن مبررات إرهاب ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لم يقدم أى منهم عذراً دينياً، وإنما تحدثوا عن عوامل سياسية، خصوصاً السياسة الخارجية الأمريكية.

الكتاب استقبل بترحيب كبير من أشخاص معروفين باعتدالهم أو إنسانيتهم مثل القس دزموند توتو وكارين آرمسترونج وديباك تشويرا والسفير إدوارد

دجرجيان، وقال مايكل شوير، وهو عميل سابق لـ "سى آى إيه " وكاتب فى شؤون الإرهاب إن أسبوزيتو ومجاهد يظهران بوضوح فى كتابهما أن المسلمين ليسوا ضد تكافؤ الفرص والحرية والديمقراطية فى أمريكا، وإنما ضد السياسة الأمريكية.

طبعاً الكتاب لم يعجب المحافظين الجدد فشنوا عليه حملات توقعها أسبوزيتو سلفاً، وقال مارتن كريمر، وهو من غلاة المحافظين الجدد «إن الكتاب ملئ بمعلومات خاطئة خطرة، وطبعًا هاجمت جماعة مراقبة الحرم الجامعى الكتاب، فهى عصابة متخصصة فى شن حملات على أى أستاذ يحكى الحقيقة عن معاناة الفلسطينيين أو جرائم إسرائيل».

## ٢

# عالم بلا إسلام

هذا المقال كتبه الأمريكى جراهام فولر ونشرته مجلة "فورين بوليسى" أى "السياسة الخارجية" فى مطلع عام ٢٠٠٨ تحت عنوان "عالم بلا إسلام".. ورغم أن العنوان - بهذا الشكل - صادم ومستفز فإن المجلة الأمريكية اختارت أن تضعه على غلافها الخارجى بالبنط العريض لتجذب به الأنظار.. وجعلت الخلفية مئذنة وقبة بما يشير إلى المسجد لمزيد من توضيح المغزى.

فى هذا المقال يتناول جراهام فولر مزاعم الغرب بأن الإسلام سبب كل المشاكل فى العالم الآن. ابتداء من الإرهاب والهجمات الانتحارية التى ستقود إلى الفوضى، وانتهاء بانتشار الفقر والديكتاتورية فى دول العالم الثالث والأنظمة العسكرية.

يسأل جراهام: ماذا كان يمكن أن يحدث إن لم يظهر الإسلام فى العالم؟! ثم حاول أن يقدم الإجابة عن طريق نظرية تخيلية للنظام العالمى بدون إسلام.

يقول: إن الصراعات على السلطة والنفوذ والأرض ظهرت قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة، ولا يمكن إقصاء عنصر الدين من المعادلة، فإذا لم يظهر الإسلام كانت المسيحية بطوائفها المختلفة ستسود أكثر فى معظم دول الشرق الأوسط، حيث لم تكن هناك ديانات رئيسية كبرى سوى أعداد قليلة

من اليهود وديانة فارسية قديمة.. أضف إلى ذلك أن الحروب الصليبية لم تكن مغامرة دينية، وإنما كانت أسبابها الرئيسية سياسية واقتصادية واجتماعية، والصليب لم يكن إلا رمزا فعالا لمباركة المطالب الدنيوية للأوروبيين.

ويكمل الكاتب تصوره قائلا: "وإذا جرينا بالزمن إلى عصر النفط بالشرق الأوسط فهل كانت دول المنطقة حتى لو كانت مسيحية سوف تقبل بحكومات ووصايا أوروبية؟!.. بالطبع لا.

ومن وجهة نظره - بناءً على ما سبق - فإن الإسلام ليس هو السبب الرئيسى وراء مقاومة دول الشرق الأوسط لمشاريع الاحتلال، وبالتالى فإن الفرنسيين مثلا كانوا سيوسعون احتلالهم للجزائر حتى لو كانت مسيحية، وذلك من أجل السيطرة على أراضيها الخصبة.

ثم يأتى السؤال الأهم وهو: هل كان الشرق الأوسط سينعم بالديمقراطية أكثر بدون الإسلام؟!.. وتكون إجابة جراهام على النحو التالى:

"إن تاريخ الديكتاتورية فى أوروبا نفسها لم يكن مطمئنا، حيث تخلصت أسبانيا والبرتغال من الحكم الديكتاتورى فى أواخر السبعينيات.. واليونان خرجت من الديكتاتورية المرتبطة بالكنيسة منذ عقود قليلة، وروسيا المسيحية لم تصل إلى بر الأمان حتى الآن، وأمريكا اللاتينية كانت مشوهة بالحكام الديكتاتوريين الذين يصلون للحكم بمباركة أمريكا ومشاركة الكنيسة الكاثوليكية.. كما أن الدول الأفريقية "المسيحية" ليست أفضل حالاً.

فالديكتاتورية ليست مرتبطة بالإسلام.. بل هى ليست قضية دين من الأساس، وإنما قضية مجتمع وشعب.

أما عن المسألة الفلسطينية فالكاتب يرى أن المسيحيين هم الذين قاموا باضطهاد اليهود لأكثر من ألف عام، وأحرقوهم فى الهولوكوست، وهذه النماذج من معاداة السامية نشأت فى الأراضى والثقافة الغربية المسيحية، وعليه فقد كانت الدولة اليهودية ستطرد ٧٥٠ ألف عربى من سكان فلسطين الأصليين من أراضيهم حتى لو كانوا مسيحيين.

ويؤكد الكاتب بكل وضوح أن الإسلام خلق حضارة ساهمت فى تطوير

الفنون، وقدم رؤية أخلاقية تتميز بالعدالة والحكم الجيد، وساهم فى توحيد الشعوب المختلفة الأعراق، وجعلهم يشعرون بأنهم جزء من حضارة أكبر.. وبدون إسلام فى العالم كان الغرب سيخضع شعوب الشرق الأوسط لسيطرته.

أما عن الإرهاب، وهو الاتهام الأول الذى يوجه ضد الإسلام دائما، فيقول الكاتب إن الإرهاب كان سيوجد، فالعصابات اليهودية استخدمت الإرهاب ضد البريطانيين فى فلسطين قبل إعلان الدولة اليهودية.. وجماعة «التاميل» فى سيريلانكا هى التى ابتدعت فكرة التفجيرات الانتحارية، والسيخ قتلوا انديرا غاندى فى الهند.

وبعد ذلك كله تصبح الإجابة المنطقية على السؤال أن الإسلام ليس سبب المشكلات الموجودة فى العالم الآن، لكن يبدو أن العالم يجد أنه من السهل أن يتعامل مع الإسلام على أنه مصدر المشكلة التى يعانى منها، وذلك بدلا من أن يحد من الآثار الخطيرة للقوة العظمى الوحيدة فى العالم الآن.

انتهى إلى هنا المقال.. وقد نقلته حرفيا، لأننى بالفعل تمنيت أن أكتبه.. فقد أثبت جراهام فولر أنه ينتمى إلى القلة من الكتاب الذين يمتلكون من البصيرة ومن الموضوعية ما يمكنهم من رؤية الحقيقة مهما أحاط بها الضباب الكثيف.. والتشويه المتعمد.. خصوصاً فى عصر ما بعد الحرب الباردة.. فلا تكاد تخلو صحيفة تصدر فى أمريكا أو فى بلد أوروبى من مقال عن السلام والمسلمين. أو إن شئت الدقة عن ظاهرة الإرهاب وعلاقتها بالإسلام والمسلمين، بعض هذه المقالات يتناول القضية بشئ من الموضوعية والتوازن، وبعضها يبدى انحيازاً سافراً وخلطاً شديداً لكى يدين الإسلام ويضعه فى دائرة الاتهام.

وقد أحسنت جريدة الجرائد العالمية التى تصدرها الهيئة العامة للاستعلامات صنعاً حين اختارت بعضاً من هذه النوعية من المقالات لكى تترجمها وتعيد نشرها منسوبة إلى الصحيفة التى نشرت فيها أول مرة، حتى نعرف كيف يفكر العالم من حولنا، وكيف يرانا؟

- فى عددها الصادر يوم ٢٠٠٥/٧/١٧ نشرت صحيفة "هيرالد تريبيون" الدولية مقالاً للكاتب الأمريكى الصهيونى الشهير توماس فريدمان تحت

عنوان "فقر السمو وثراء الغضب لدى المسلمين" أثبت فيه أن فى العالم أناساً كثيرين غاضبون، لكن الرجال والنساء والشباب والأطفال السنة هم وحدهم الذين لديهم الدافع والمبرر لتفجير أنفسهم، وتفجير غيرهم من الأبرياء، تعبيراً عن هذا الغضب وانتقاماً من الآخرين.. وهو يساوى بين ما حدث من إرهاب فى لندن وشرم الشيخ والرياض مثلاً وما يحدث من مقاومة فى فلسطين والعراق.. ثم يبرر ذلك بقوله إن السبب الأساسى هو صراع الإسلام السنى مع الحداثة، فالإسلام له تقليد قديم من التسامح مع الديانات الأخرى ولكن فقط على أساس تميز الإسلام، وليس المساواة معه، وعلى أساس أن الحضارة الإسلامية هى الأسمى، وفى الوقت الذى يتعلم فيه المسلمون أن دينهم هو الأسمى فإن الديانات الأخرى تؤدى أداء أفضل، ومن هنا يحدث الصراع الداخلى لديهم، وعندما يصبح هذا الصراع كبيراً جداً يتم تحريك البعض على أيدى أشخاص يقومون بتجنيدهم للسعى إلى الحصول على مقام الشهادة من خلال مكافحة ما يزعمون أنه إحتلال جائر لأراضى المسلمين، وكذلك الانحلال الذى نحن عليه فى الغرب.

- فى ٢٠٠٥/٧/٩ نشرت صحيفة "لوموند" الفرنسية مقالاً لكاتبة تدعى منى نعيم تحت عنوان "الأثر الإسلامى فى إعتداءات لندن" قالت فيه إنه مثلما حدث فى أحداث ١١ سبتمبر فى نيويورك وواشنطن، وفى أحداث ١١ مارس ٢٠٠٤ فى مدريد، فقد أراد منفذو اعتداءات لندن أن يوجهوا الرسالة نفسها وهى أن الحرب بدأت وميدان القتال غير محدد، وأن بريطانيا أصبحت هدفاً مشروعاً لهم لأنها تساند الولايات المتحدة فى العراق.. والحقيقة أن ما يحدث فى أفغانستان والعراق ليس أكثر من ذرائع بلاغية لمسئولى الجماعات الراديكالية الذين يعتبرون القيم الغربية ضد هويتهم وضد الإسلام، كما أن المتطوعين الجدد من الإرهابيين الذين تأثروا بالأزمة الاقتصادية يشعرون بإذلال حقيقى.

أضاف المقال: "فى حقيقة الأمر ابتداء من فلسطين حتى العراق ومروراً بأفغانستان أن المساندة التى يمنحها الغرب للأنظمة العربية والإسلامية الديكتاتورية والشمولية والسياسات الغربية قد أسهمت فى إثارة مشاعر عدائية فى العالم الإسلامى، خاصة تجاه القوى العظمى الأمريكية، وهذا

بالإضافة إلى فشل إيديولوجيات اليسار أو القوميات التى أدت إلى خلق تيار ضخم للانطواء على الدين فى هذه البلاد، فجميع الإسلاميين يؤيدون اللجوء إلى العنف».

وهكذا يأتى التضليل المتعمد فى أوضح صوره.. فهل صحيح أن ما يحدث فى العراق وأفغانستان مجرد ذرائع بلاغية للإرهاب أم أنها ذرائع حقيقية لاندلاع المقاومة ضد الاحتلال؟!.. وهل صحيح أنه ابتداءً من فلسطين حتى العراق ومروراً بأفغانستان اندلع الإرهاب بسبب تأييد الغرب للنظم الديكتاتورية والشمولية.. أم اندلع بسبب وجود شعور بالظلم لاحتلال أرضها وتهديد أمنها؟!

- صحيفة "البايس" الأسبانية نشرت فى ٢٠٠٥/٧/١٦ مقالاً تحت عنوان "تناقضات إحلال الديمقراطية فى العالم العربى" انتقدت فيه تصريح كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية الذى قالت فيه إن الديمقراطية يجب أن يكون لها الأولوية فى استقرار الشرق الأوسط.. وقالت إن رايس تتبنى الخط نفسه الذى تسير عليه سياسة المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة، والتى أدت إلى التدخل العسكرى فى العراق.. وأن الفكرة الكامنة وراء ذلك هى أنه عن طريق إحلال الديمقراطية فحسب.. من الممكن أن يسمح بإيجاد حل للنزاع القائم فى الشرق الأوسط، وبذلك يتم استئصال جذور الإرهاب ويروق للمحافظين الجدد أن يذكروا أن الديمقراطية لا تصنع حرباً، كما أن الحرب لا تصنع ديمقراطية، ولذا يجب العمل على إقامة دولة ديمقراطية فى فلسطين تقبل التعايش مع إسرائيل.

إن الفكرة الأمريكية- طبقاً لما جاء فى المقال- لها أهداف أبعد من مجرد مواجهة الأنظمة المعادية - إيران وسوريا - ولكن أيضاً مواجهة الأنظمة الصديقة.

- وفى ٢٠٠٥/٧/٨ نشرت صحيفة "هيرالد تريبيون الدولية" مقالاً افتتاحياً بعنوان "الإرهابيون المحليون" أكد كاتبه أن أخطر ما فى تفجيرات لندن أنها تمت بأيدى إرهابيين انتحاريين، كانوا مواطنين بريطانيين، نشأ ثلاثة منهم فى بريطانيا، أما الرابع فقد ولد فى جامايكا، بالإضافة إلى ست سنوات قضاها فى كليفلاند الأمريكية فى مرحلة الشباب.

ونبه كاتب المقال إلى ضرورة بحث المشكلات الحقيقية التى يعانى منها المسلمون فى بريطانيا، والتى تجعلهم غير مندمجين فى المجتمع البريطانى ويشعرون بالعزلة، والطريقة المفيدة أكثر هى إجراء حوار عاجل للبحث فى سبب انتشار التعصب فى أوروبا، وفى الشكاوى المشروعة التى يقدمها المسلمون الأوروبيون الذين أصبحت معاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية منتشرة على نطاق واسع بشكل واضح جداً.

وقد أثبتت الجرائم الإرهابية التى ارتكبت فى نيويورك وواشنطن ومدريد ولندن أن هناك خطراً واضحاً وموجوداً هنا فى المدن الغربية، وليس هناك خيار آخر سوى مواجهة هذا الخطر علانية وبشجاعة، وبأكبر قدر ممكن من الحكمة لدى المواطنين ذوى المعتقدات المختلفة.

وعلى هذا النحو تكون الجدية فى مناقشة القضايا المصيرية.

٣

# القرآن والتوراة.. مقارنة محكمة

اهتم كثير من الكتاب والمفكرين بالرد على الحملات المسيئة للإسلام والمسلمين فى الغرب على مدى السنوات الثمانى التى قضاها الرئيس بوش فى الحكم.. من هؤلاء الكتاب من ركز على تفنيد الإتهامات المتتالية التى ربطت بين الإسلام والإرهاب،ومنهم من ركز على دحض الشبهات التى أثيرت حول النبى - صلى الله عليه وسلم - والقرآن الكريم، ومنهم من آثر أن يقدم الإسلام فى هدوء ورصانة دون النظر إلى إساءات المسيئين وتحريض المحرضين.

لكن جهاد الخازن الكاتب بصحيفة "الحياة" اللندنية وأحد أهم المثقفين المحترمين فى عالمنا العربى اختار طريقاً مختلفاً فى الرد على حملات التشكيك والتشويه الموجهة إلى الإسلام ورسوله من قبل من سمَّاهم بـ"المتطرفين والموتورين والليكوديين والمحافظين الجدد".. واعتمد فى هذه الطريقة على "المقارنة بين الإسلام واليهودية تكون محكمة وضمن حدود الأدب".. على حد تعبيره.

وجهاد الخازن لمن لم يعرفه - رغم شهرته التى تملأ الآفاق - كان رئيساً لتحرير "الحياة" اللبنانية التى تصدر فى لندن، ثم بعد أن ترك منصبه اكتفى بعموده اليومى "عيون وآذان" وهومفكر متزن، يعتز بأصالته وانتمائه العربى،

وكتاباته متنوعة لكنها كلها تحظى بالتقدير من جانب القراء مهما اختلف معهم، والسبب فى ذلك يرجع إلى موضوعيته الشديدة ونزاهته، وقد حصل فى أبريل ٢٠٠٨ على جائزة أحسن عمود صحفى فى منتدى الإعلام العربى فى دبى بدولة الإمارات.

فى ١٩ أبريل ٢٠٠٨ نشر جهاد الحلقة الأولى من سلسلة مقالات تحت عنوان "الإسلام والغرب" ثم أتبعه بمقال بعنوان "كيف قامت إسرائيل القديمة؟!".. تولى فيه الرد على غلاة الصهيونيين، وعلى دعاة إسرائيل الكبرى التى لم توجد يوماً، كبرى أو صغرى ".. وقد اعتمد فى هذا الرد على الرواية التوراتية التى جاءت فى الكتاب المقدس.

يقول:" توفى موسى "عليه السلام" من دون أن يدخل أرض كنعان "فلسطين" ووصيته فى الفصل ٣١ من سفر التثنية وموته فى الفصل ٣٤، وخلفه مساعده يشوع بن نون، وعبر بشعبه نهر الأردن الذى كان يفيض فى زمن الحصاد إلا أن ماءه وقف حتى عبر بنو اسرائيل.

وقد أرسل يشوع جاسوسين إلى مدينة أريحا حيث دخلا بيت زانية اسمها راحاب أخذتهما وأخفتهما " الفصل ٢" وقال يشوع لشعبه "بنى اسرئيل": "اهتفوا فقد أسلم الرب المدينة إليكم، ولتكن مدينة بكل ما فيها محرمة للرب، ولكن راحاب الزانية تحيا وجميع أهل بيتها لأنها أخفت الرسولين "فصل ٦ العددان ١٦،١٧".

والعددان ٢٠،٢١ يقولان التالى :" فكان عند سماع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً شديداً فسقط سور المدينة من مكانه وصعد الشعب - بنو إسرائيل- إلى المدينة، كل واحد على وجهة، واستولوا على المدينة، وحرموا كل ما فيها من الرجل وحتى المرأة، من الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم والحمير قتلوهم بحد السيف".

ويعلق جهاد الخازن على هذه الواقعة قائلاً :" أنقل عن الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، الطبعة الخامسة ١٩٩٩ إصدار دار المشرق، وهو معتمد من الفاتيكان وأضع التفاصيل بتصرف الرئيس المؤمن جورج بوش مع زيارته منطقتنا، فالنص التوراتى يقول إن اسرائيل بدأت فى أراضى الآخرين بالصراخ وبمجزرة، أو إبادة جنس، وبمساعدة مومس ".

ثم ينتقل مع الكتاب المقدس إلى المجزرة الثانية فى مدينة " العى" حيث قال الرب ليشوع: خذ معك كل رجال الحرب، وقم واصعد إلى العى، فإنى قد أسلمت إلى يدك ملك العى وشعبه ومدينته وأرضه، فتفعل بالعى وملكها ما فعلت بأريحا وشعبها ...".

وبالفعل انتصر يشوع على ملك العى ولما انتهى بنو اسرائيل من قتل جميع سكان العى فى الحقول وفى البرية حيث طاردوهم، وسقطوا جميعا بحد السيف عن آخرهم، رجعوا إلى العى، وضربوها بحد السيف، وكان جملة من سقطوا فى ذلك اليوم اثنى عشر ألفاً هم جميع أهل العى رجالاً ونساء.

وانتهت المجزرة الثانية بأن أحرق يشوع العى وجعلها ركاماً للأبد، أما ملك العى فعلقه يشوع على شجرة حتى المساء وعند الغروب أمر يشوع بإنزال جثته عن الشجرة وألقوها عند مدخل المدينة.

وحارب يشوع بعد ذلك تحالف ملوك الأموريين الخمسة وهزمهم وبعد أسرهم قال لقواد الحرب :" تقدموا فضعوا أقدامكم على رقاب هؤلاء الملوك، وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس أشجار.

ثم فتح يشوع عدة مدن وقتل أهلها فى مجازر متوالية، وكل هذا بأمر رب اليهود، ثم قام بتوزيع أراضى الآخرين على أسباط إسرائيل، ويشوع هو القائد الذى قيل إن الرب أوقف له الشمس وثبت القمر حتى ينجز مهامه.. وجاء النبى داود بعد يشوع وحارب الفلسطينيين وربح وخسر وعمل لهم وهزمهم، وشعبه لا يزال يفعل.

ويعلق جهاد الخازن على ذلك قائلا: " كتبت هذه الرواية التوراتية عن أصل إسرائيل رداً على،أو انتقاماً من، أعداء الإسلام، مثل النائب الهولندى جيرت فايلدرز - صاحب فيلم "فتنة" - ومجلة "يلاندس بوستن"، ناشرة الرسوم المسيئة، ومجلة "فرونت بيدج" الإليكترونية، خصوصاً المتطرف دانيال بايبس فيها، ومنظمة " مسلمون ضد الشريعة" التى ترعاها المجلة وتريد تعديل القرآن، والحزب الوطنى البريطانى، ولوبى إسرائيل وآلان ديرشوفيتز وديفيد هوروفيتز وكل المحافظين الجدد الآخرين.

الصراخ الإسرائيلى الآن هو إعلام فاجر والمجازر مستمرة.

ويبدو أن جهاد الخازن قد اختار أن تكون المقارنة بين الإسلام واليهودية، على اعتبار أن العهد القديم الذى يحظى باحترام كبير فى الغرب تتشابه فيه قوانين كثيرة مع ما جاء به الإسلام، وعندما يوجد فارق يكون عادة لصالح الإسلام لأن القوانين فى اليهودية أكثر تشدداً.. ثم يقرر الخازن لنشر هذه المقارنة أن الذى استفزه على مدى خمسة أيام متصلة، من ١٩إلى ٢٣ أبريل ٢٠٠٨،هو فيلم النائب الهولندى المتعصب جيرت فايلدرز للإساءة إلى الإسلام والقرآن الكريم، وتصريحه الشهير قبل عرض الفيلم الذى قال فيه إنه لا يكره المسلمين وإنما يكره الإسلام ويؤكد أنه لن تعتمد المقارنة إلا على القرآن الكريم وفى أضيق الحدود منعاً للجدال"

وتبدأ المقارنة من نقطة البداية : فى العهد الجديد من الكتاب المقدس دور مريم العذراء محدود جداً، فهى بعد وضع المسيح تكاد تختفى، وإنجيل مرقس يقول إنها أنجبت إخوة غير أشقاء للمسيح ويسأل : أليس هذا النجار ابن مريم أخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ أوليست أخواته عندنا هنا؟(٦-٣)

وفى إنجيل متى إشارة إلى المسيح وإخوته أما فى القرآن فمريم لها سورة تحمل اسمها، وهى مذكورة باسمها فى أماكن أخرى أو بالإشارة مثل "عيسى وأمه "، وهى فى القرآن الكريم تحدث كبير الملائكة جبريل الذى لا يحدثه فى التقليد الإسلامى سوى الأنبياء.. ما جعل بعض علماء الأندلس مثل ابن حزم يعتبرها نبية.

ثم ينتقل إلى القضية الأهم فى المقارنة.. قضية العنف والسلاح والقتل، فيقول " إن النائب جيرت فايلدرز استشهد بآيات من سورة النساء عن تعذيب الذين كفروا بآيات الله، والحديث عن التعذيب فى الآخرة، وعن قتل المشركين، ومن سورة محمد عن ضرب رقاب الكفار الذين كفروا، ومن سورة الأنفال مثل :" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، وأيضاً "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ".

ويأخذنا الخازن إلى التوراة بسرعة مؤكداً : "أحترم الدين اليهودى كل الاحترام، واستشهد به لإدانة جيرت فايلدرز، فهو متطرف أحمق، والآيات التى سجلها لا تقاس شيئا بما فى التوراة من إبادة جنس، ومثلا :

-" فاسمع الآن قول الرب، هكذا يقول رب القوات : سأفتقد العماليق لما

صنع بإسرائيل، حين وقف له فى الطريق عند صعوده إلى مصر، فهلم الآن واضرب العماليق، وحرم كل ما لهم، ولا تبق عليه، بل أمت الرجال والنساء والأولاد، وحتى الرضع والبقر والغنم والإبل والحمير ". (سفر صموئيل الأول، الإصحاح ١٥، الآيات ١-٤).

- وأيضا : " وكلم الرب موسى قائلا :" انتقم انتقام بنى إسرائيل من المدنيين، وبعد ذلك تتضم إلى أجدادك ".

فكلم موسى الشعب قائلا:" ليجهز بعضكم أنفسهم للقتال، وليخرجوا على مدين ليحلوا بها انتقام الرب، من كل سبط من أسباط إسرائيل ترسلون ألفاً للقتال.. فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى، وقتلوا كل ذكر، وقتلوا أيضا زيادة على قتلاهم ملوك مدين وهم خمسة، آوى وراقم وحور ورابع، وأما بلعام بن بعور فقتلوه بالسيف، وسبى بنو اسرائيل نساء مدين وأطفالهم، وغنموا جميع بهائمهم ومواشيهم وأموالهم، وأحرقوا بالنار جميع مدنهم مع مساكنهم ومخيماتهم وأخذوا الغنيمة كلها والنهب من بشر وبهائم وأتوا إلى موسى... (سفر العدد، الإصحاح ٣١، الآيات١-٨).

فى مقابل ذلك فإن الإسلام قد نهى عن قتل النفس، والقرآن الكريم أوصى بغير المسلمين، وقال :" وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون".

ودعا القرآن دائما إلى اللين فى القول والعمل فى قوله تعالى :" اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولا لينا..."..وقوله :" لا إكراه فى الدين ".. و"... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ".و"ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك..".. ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة..."

وفى وصايا الرسول إلى جيوشه ووصايا خليفته أبى بكر :" لا تغدروا ولا تغلوا، لا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً فانيا، ستجدون رجالاً فى الصوامع فاتركوهم لما نذروا أنفسهم إليه، لا تذبحوا إلا لمأكلة، ولاتقطعوا شجرا".

ويقول جهاد الخازن إن قوانين الإسلام واليهودية تتشابه، وأحيانا تتماثل، كما وردت فى القرآن والتوراة، وفى الشريعة والتلمود، الأعشار تعادل الزكاة، وكوشر يعادل حلال، و"منيان" يعنى عشرة رجال لإقامة الصلاة اليهودية مثل صلاة الجماعة عند المسلمين، وفى حين يصلى المسلمون خمس مرات فى

اليوم فإن اليهود الأرثوذكس يصلون من ثلاث إلى أربع مرات فى اليوم، ويطلق على هذه الصلاة "شيما إسرائيل".. وبعض نسائهم يغطى الرأس بعد الزواج، ومنهن قلة تتحجب وأحيانا تنتقب.

ويؤكد الخازن أنه عندما يوجد فارق بين الإسلام واليهودية يكون عادة عبارة عن تشدد أكثر فى اليهودية، فمثلا لاتوجد عقوبة رجم فى القرآن الكريم، إلا أن هذه العقوبة تتكرر فى التوراة، بل إن ابنة الكاهن التى تزنى تحرق.

يقول :" أقارن ما لا خلاف عليه فى الدينين، لإظهار جهل جيرت فايلدرز - صاحب فيلم "فتنة"- مع الاحترام الكامل للدين اليهودى، فما اخترت منه هو لمجرد إثبات أن الدين الإسلامى لا يدعو إلى العنف والقتل، وأمثلتى كلها من سفر التثنية.

جاء فى التوراة :

- ولكن أحذر أن تأكل الدم، فإن الدم هو النفس، فلا تأكل النفس مع الدم(١٢-٢٣).

- والخنزير فإنه ذو حافر مشقوق، ولكن لا يجتر فهو نجس لكم، لا تأكلوا شيئا من لحمها ولاتمسوا ميتتها (١٤-١٨).

- ولا تأكلوا شيئاً من الجيف، وإنما تعطيها للنزيل الذى فى مدنك فيأكلها أو تبيعها للغريب(١٤-٢١).

أيضا جاء فى التوراة :

- إذا وجد وجد فى وسطك.. رجل أو امرأة صنع الشر فى عين الرب إلهك، ومضى فعبد آلهة أخرى وسجد لها، أو للشمس أو للقمر.. فأخرج هذا الرجل أو هذه المرأة الذى صنع الأمر الشرير إلى أبواب مدينتك، رجلا كان أو امرأة، وارجمه بالحجارة فيموت (١٧-٢،٣،٤،٥) .

وفى التوراة كذلك :

- إذا كان لرجل ابن متمرد عاص لا يطيع أمر أبيه ولا أمر أمه... فليقبض عليه أبوه وأمه ويخرجاه إلى شيوخ مدينته وإلى باب بلدته، ويقولا لشيوخ مدينته إن ابننا متمرد عاص لايطيع أمرنا وهو أكول شريب فيرجمه جميع رجال المدينة بالحجر حتى يموت.

- وإن كان الأمر صحيحاً ولم توجد الفتاة عذراء فليخرجوا الفتاة إلى باب بيت أبيها ويرجمها جميع أهل المدينة حتى تموت (٢٢-١٣حتى٢١).

- وإن أخذ رجل يضاجع أمرأة متزوجة فليموتا كلاهما، الرجل المضاجع والمرأة (٢٢-٢٢).

- وإذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فصادفها رجل من المدينة فضاجعها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، أما الفتاة فلأنها لم تصرخ، وأما الرجل فلأنه اغتصب امرأة قريبه.

- فإذا صادف الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل فأمسكها وضاجعها فليمت ذلك الرجل المضاجع لها وحده، وأما الفتاة فلا تصنع لها شيئاً إذ ليس عليها خطيئة لأنها صرخت.

إن القوانين هذه أشد مما فى القرآن الكريم، وهناك كثير مثلها :والذى عليه خطيئة فيُقتل ويعلق على شجرة ولكن لا تبقى جثته على الشجرة.

وفى التوراة:

- وإذا تقدمت من مدينة لتقاتلها فادعها أولاً إلى السلم فإن أجابتك، وفتحت أبوابها لك فكل القوم الذى يكون فيها يكون لك تحت السخرة ويخدمك. وإذا لم تسالمك بل حاربتك فحاصرها وأسلمها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب كل ذكر بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما فى المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك (٢١-١٠ و١١ و١٢ و١٣ و١٤).

- لا تكن ثياب الرجل على المرأة ولا يلبس الرجل لباس المرأة

وهذا مثل الحديث الشريف لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال.

- لا تستغل أجيرا مسكيناً أو فقيراً بل ادفع له أجرته فى يومه، ولا تغيّب عليها الشمس (٢٤-١٥).

وهذا مثل أن يدفع المسلم أجر العامل قبل أن يجف عرقه.

- النفس بالنفس، والعين بالعين، والسن بالسن، واليد باليد، والرجل بالرجل (١٩-١٢).

وفى القرآن الكريم :الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى.

وأخيرا ...

هذا هو النهج الذى اختاره جهاد الخازن للرد على أولئك الذين يتصيدون من القرآن فى كلمة هنا أو من هناك، ويخرجونها من سياقها، كى يتهمو الإسلام زوراً وبهتاناً بأنه دين عنف وقتل وسفك دم.. ولعل ما قدمه الخازن فى هذا السياق ما يكشف بكل وضوح عظمة الإسلام وسماحته.. وصدق من قال :" وبضدها تتميز الأشياء".

٤

# تحرير أمريكا.. وتحرير المسيحية

فى عددها الصادر يوم الاثنين ١٦ سبتمبر ٢٠٠٢ نشرت صحيفة "الحياة" اللندنية مقالاً تحت عنوان "تحرير أمريكا من إسرائيل" بقلم بول فندلى العضو السابق فى مجلس النواب الأمريكى عن ولاية إلينوى كشف فيه النقاب عن الطريقة الرهيبة التى تسيطر بها إسرائيل على القرار الأمريكى من خلال تجربته الطويلة فى الكونجرس.. وفى لجنة الشئون الخارجية لمجلس النواب.. على مدى ٣٥ عاماً منذ احتلال إسرائيل للضفة الغربية والجولان عام ١٩٦٧ حتى الآن.

قال فندلى: خلال كل هذه السنين الـ ٣٥ لم أسمع فى هذه اللجنة أو فى أى من مجلسى الكونجرس "النواب و الشيوخ" كلمة واحدة تستحق أن تعتبر نقاشاً لسياستنا تجاه الشرق الأوسط، إن هناك تحريماً شبه تام فى الكونجرس لانتقاد إسرائيل حتى فى الأحاديث الخاصة، إذ يعتبر الانتقاد عملاً منافياً للوطنية، وتم ضمان استمرار هذا الحظر على حرية الرأى بعدما واجهت القلة التى كانت تجاهر بالانتقاد- وأنا منهم- هزائم انتخابية على يد مرشحين مولتهم بسخاء القوى المساندة لإسرائيل.

أضاف فندلى: النتيجة منذ ذلك الحين كانت تلك القوانين المنحازة لإسرائيل والمعادية للفلسطينيين والعرب التى واصل الكونجرس إصدارها

سنة بعد سنة.. فيما ضمن انحياز وسائل الإعلام لإسرائيل استمرار جهل غالبية الناخبين بأن الكونجرس يتصرف وكأنه لجنة فرعية فى برلمان إسرائيل.. لكن هذا الانحياز واضح تماماً خارج أمريكا حيث تنقل غالبية وسائل الإعلام انتهاكات إسرائيل وتدين أمريكا عموماً بالتواطؤ والرضوخ.. وما زال نفوذ اللوبى الإسرائيلى وقدرته على التخويف على حاله، وتغلغلت هذه القدرة إلى كل دوائر الحكومة والجامعات ودور العبادة.. كما نجح اللوبى فى إخراس أصوات الأمريكيين اليهود الكثيرين الذين يعارضون أساليبه ويستنكرون وحشية إسرائيل.

ويبلور الكاتب رؤيته لما حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مؤكداً أنه لم يكن للهجمات أن تقع لو كانت حكومة الولايات المتحدة رفضت مساعدة إسرائيل على إلحاق أقصى الدمار والإذلال بالمجتمع الفلسطينى.. فالإرهاب دوماً وليد مظالم عميقة مؤلمة، والمؤكد أن إزالتها أو على الأقل التخفيف منها يؤدى إلى القضاء على دوافعه، لكن الرئيس بوش حتى اليوم، وبعد سنة من أحداث سبتمبر لم يحاول التعرف على أى مظالم، بل إنه فى الواقع عمق من سوء الوضع بدعم الحرب الدينية التى تشنها إسرائيل على الفلسطينيين، فى تحالف ضاعف من مشاعر المعاداة لامريكا، ويبدو أنه يغفل تماماً أن بليونى نسمة فى العالم، يقصد المسلمين، يعتبرون محنة الفلسطينيين المهمة الأكثر إلحاحاً أمام السياسة الخارجية.

ويؤكد فندلى أنه ليس هناك أى مسئول أمريكى يعترف بالحقيقة المكتومة عن الشعب الأمريكى والمعروفة لكل العالم، وهى أن أمريكا تعرضت لضربات ١١ سبتمبر، ثم الكوارث التى قد تأتى بها الحرب ضد العراق، لأن سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط تصاغ فى إسرائيل وليس فى واشنطن.. واختتم الرجل مقاله بمطالبة الإدارة الأمريكية بتعليق مساعداتها لإسرائيل حتى تنسحب من الأراضى المحتلة.. مؤكداً أن هذه الخطوة إذا قام بها بوش ستحرر أمريكا من سنين طويلة من خنوعها أمام جرائم إسرائيل.

أما القس الدكتور ستيفن سايزر فقد أصدر فى عام ٢٠٠٤ كتاباً بعنوان "المسيحيون الصهيونيون على طريق هرمجدون" سعى من خلاله إلى تحرير المسيحية من سيطرة الصهيونية التى وجهتها لخدمة الاستراتيجية الإسرائيلية.

والقس سايزر رئيس كنيسة المسيح فى بلدة فرجينيا ووترز بإنجلترا، ويرأس الجمعية الدولية للتوراة.. وقد حاول فى كتابه إبراز ثلاثة أمور هى:

الأول: أن الجذور التاريخية للنزاع العربى- الإسرائيلى سببها مسيحيون فى بريطانيا، فى القرن التاسع عشر، خلطوا أفكارهم التوراتية بمصالح سياسية للسيطرة على الشرق الأوسط بعد أن وعدوا العرب واليهود بالأرض نفسها، كما وعدوا فرنسا بالاحتفاظ بتلك الأرض.

الثانى: دراسة كيفية هذه الحركة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة وتطويرها للاهوت يجعل اليهود فى مرتبة فوق غيرهم من الشعوب، ويعتبر القدس عاصمتهم وحدهم، ويرى فى المستقبل نهاية فظيعة للعالم، مما يعرقل السلام، ويشجع فى الواقع على التطهير العرقى فى فلسطين.

الثالث: وهو الجزء الأكثر جدلاً، دراسة العواقب السياسية لمثل هذا التفكير اللاهوتى.

يقول سايزر إنه جمع ما كتب عن الصهيونية، وما كتب عن أن اليهود شعب الله، وفوق سائر الشعوب، وأوضح أن هذا تفكيرهم وهذه عواقبه.

وبإيجاز، يمكن القول إن كتاب القس سايزر يعتبر المسيحيين الصهيونيين كفرة بالمفهوم المسيحى، وأنهم أكثر الجماعات المسيحية تدميراً فى العالم اليوم، والكتاب يحاول تحدى أفكار المسيحيين الصهيونيين، إلا أنها رحلة موحشة، وليس لها نهاية قريبة.

وقد حذر من أن الكنيسة العربية المسيحية فى فلسطين تكاد تنقرض، وأن الوضع سيسوء فى المواجهة الدائرة مع المسيحيين الصهيونيين.

وربما كان مفيداً هنا أن نسجل بعض أبرز النقاط فى كتاب القس سايزر:

- حركة المسيحيين الصهيونيين أكبر عشر مرات على الأقل من الحركة اليهودية الصهيونية، وهى أكبر لوبى فى الولايات المتحدة والأبعد نفوذاً، حيث تضم ما بين ٥٠ إلى ٦٠ مليوناً.

- الفكر الصهيونى للمسيحيين الصهيونيين يقوم على قراءة مستقبلية وانتقائية للتوراة، وتعود جذوره إلى الحركة الإصلاحية البروتستانتية فى مطلع القرن التاسع عشر.

- المسيحية الصهيونية الداعية إلى قيام دولة يهودية فى فلسطين سبقت الصهيونية اليهودية بأكثر من ٦٠ عاماً.

- فى حين أن القيمة الاستراتيجية لوطن يهودى فى فلسطين كانت عنصراً فى السياسة الخارجية البريطانية فى القرن التاسع عشر، فإنها أصبحت عنصراً فى السياسة الخارجية الأمريكية قرب أواخر القرن العشرين.

- الأرجح أنه من دون دعم المسيحيين الصهيونيين لإسرائيل سياسياً، ومن دون دعم دولتهم المادى، ماكانت إسرائيل استطاعت الاستمرار بعد ١٩٤٨، ناهيك عن التوسع واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة منذ ١٩٦٧.

ويشرح الدكتور سايزر فكرة "الصعود" التى يتبناها المسيحيون الصهيونيون.. ويتحدث عن مرحلتين، قيام المسيح الدجال واتباع معظم الناس له وعودة المسيح لينقذ المؤمنين وحدهم، والكتاب يسجل أسماء منظمات صهيونية تستبعد فناء اليهود مع سائر الناس غير المؤمنين بالمسيح، كما فى رؤيا القديس يوحنا، أو على وجه الدقة فى فهم المسيحيين الصهيونيين لهذه الرؤيا، وهو فهم يعارضه أساتذه الدين المسيحى.

ويحاول سايزر فى كتابه أن يكون موضوعياً، وهو يعرض الجوانب الإيجابية والسلبية لفكر المسيحيين الصهيونيين، وهل هم بركة أم لعنة للشعب اليهودى.

ويقول إن هناك خمسة جوانب إيجابية يراها هى: تشجيع الحوار بين المسيحيين واليهود، وهو ليس وقفاً على هؤلاء وحدهم، والالتزام بمشاركة اليهود فى الدين، والوقوف فى وجه اللا سامية، وتثقيف المسيحيين بالأصول اليهودية فى الدين المسيحى، ومساعدة المهاجرين لليهود.

غير أنه فى مقابل هذه الإيجابيات الخمس، هناك سبع سلبيات فى رأى سايزر هى: تبرير الفصل العنصرى داخل الدولة اليهودية، وتعطيل الدور المسيحى فى الشرق الأوسط بالانحياز إلى أحد طرفى النزاع، وتشجيع التعامل الدينى ونشر الكراهية للإسلام، والقبول الضمنى بالتطهير العرقى للفلسطينيين بتشجيع بناء المستوطنات، والهجوم على اليهود المعتدلين الذين يريدون تسوية على أساس الأرض مقابل السلام، والتحريض على التطرف الدينى بتأييد بناء المعبد فى مكان المسجد الأقصى، والإيمان بنهاية العالم، وهو طلب يسعى المسيحيون الصهيونيون لتحقيقه.

ستيفن سايزر ليس وحده، فهناك كثيرون يرون رأيه، وقد قدم المؤلف وكتابه فى مجلس تحسين التفاهم العربى- البريطانى جارث هيويت، وهو رئيس جمعية وقف أموس الخيرى ومغن وكاتب أغان معروف.

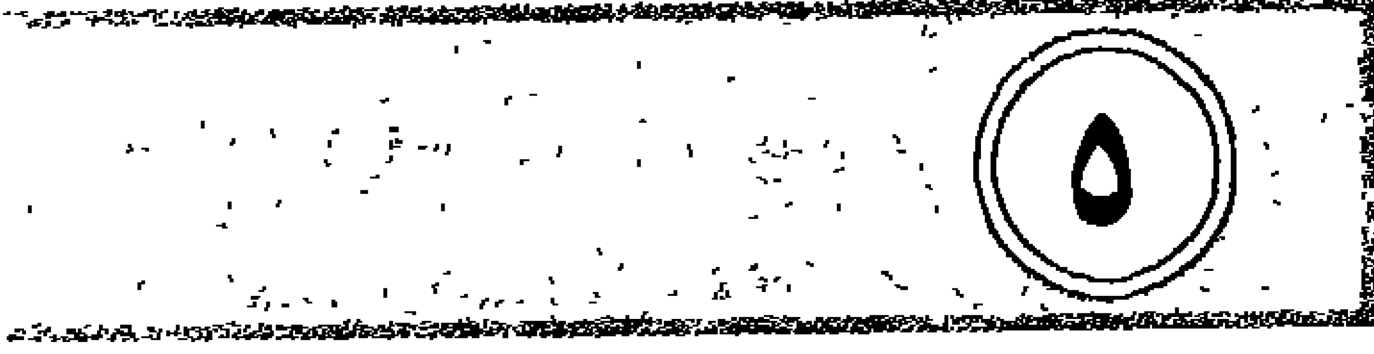
قال هيويت إن مسيحيين كثيرين لا يعرفون من أين أتى المسيحيون الصهيونيون، ولا يقدرون مدى نفوذهم، وبما أن سايزر نفسه قس وخبير فى اللاهوت، فإن كتابه فرصة ليدرك جميع الناس أن هناك رأياً آخر، رأياً يعارض فكر المسيحيين الصهيونيين.

وشدد هيويت على أهمية التاريخ فى الكتاب وقال إنه عندما قرأه شعر بأن المسيحيين الصهيونيين مجانين ينبحون، إلا أنه عاد فركز على أهمية أن يعرف المسيحيون الآخرون، والعالم كله، فكر هؤلاء الناس، فهم يؤثرون فى السياسة الخارجية الأمريكية، بما أنهم يؤثرون فى كل بلد حول العالم، لا بلدان الشرق الأوسط وحده.

ولاحظ هيويت أنه على رغم دعم المسيحيين الصهيونيين لليهود، فإنهم فى الواقع يعاملونهم بفوقية لأنهم يعتبرونهم جزءاً ضرورياً من خطة عودة المسيح، وبعد ذلك إما أن يؤمنوا أو يهلكوا.

وقال سايزر فى حفل تقديم الكتاب إن اثنين من قادة المنظمات المسيحية الصهيونية انتقدا الكتاب الذى يفضح الجماعة، فكراً دينياً وممارسة سياسية، وطالب المؤلف بتغيير بعض المادة فى كتابه، مهدداً برفع قضية عليه أمام المحاكم إذا لم يفعل، وهدد الثانى أيضاً برفع قضية، إلا أن سايزر رفض تغيير أى شئ ودعمته دار النشر.

ولعله من المناسب هنا أن نلاحظ أن مقال "تحرير أمريكا" قد نشر فى لندن، وكتاب "تحرير المسيحية" نشر فى لندن أيضاً.. مع أن الكاتبين يركزان على المجتمع الأمريكى وتفاعلاته، وهو ما يعطينا تصوراً عن حقيقة الحرية فى الولايات المتحدة، وأولئك الذين يتمتعون بها، بينما يجد غيرهم أشد المعاناة حين يحاولون التعبير عن آرائهم.




# الأمريكيون الشجعان

فى مارس عام ١٩٦٧ اجتمع فى نيويورك مجموعة من الرجال والنساء ينتمون إلى مهن مختلفة لتأسيس رابطة "أمريكيون لفهم الشرق الأوسط".. وتهدف هذه الرابطة منذ تأسيسها وحتى الآن إلى خلق فهم أعمق للتاريخ والثقافة والأحداث الجارية فى الشرق الأوسط بعيدا عن سطوة اللوبى اليهودى والمؤسسات المرتبطة به.

ويرى مؤسسو هذه الرابطة أن الافتقار إلى فهم جيد للمنطقة وبصفة خاصة فى الولايات المتحدة يمكن أن يسبب انشقاقا خطيرا بين منطقتين مهمتين فى العالم.. ولإنجاز هذا الفهم الجيد وتوسيع مداه قرر مديرو الرابطة نشر أجزاء مختارة من الإصدارات الدورية للجماعة فى كتاب بعنوان "قضايا ساخنة.. فهم وإساءة فهم الشرق الأوسط على مدى أربعين عاما".

قام بتجميع مادة الكتاب وإعداده للنشر ثلاثة من مديرى الرابطة هم: جون ماهونى وجين آدامس وروبرت نوربيرج، ويضم الكتاب "١٩" مقالا لأعضاء من الرابطة، وتم تقسيم هذه المقالات إلى خمسة أجزاء حسب الموضوعات التى تتناولها.. وحسب اهتمامات كتابها.. وقد نشر الكتاب فى أمريكا خلال عام، وقامت هيئة الاستعلامات المصرية- مشكورة- بترجمته وإصداره فى ملخص

وافٍ أعده د. محمد أحمد إسماعيل وراجعه محمد عبداللطيف البسطويسى.

الجزء الأول من الكتاب بعنوان "نظرة تاريخية عامة".. ويشير إلى أن الصهيونية السياسية ظهرت فى أوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر، وتهدف إلى تهويد فلسطين.. ولتحقيق ذلك كان لابد من أمرين: إخراج الفلسطينيين من أرضهم وجلب اليهود إليها.. ولتنفيذ ذلك عمل الصهاينة على ضمان التأييد الأخلاقى والمالى لخططهم من جانب القوة العظمى السائدة.. بريطانيا ثم أمريكا.. وقد أثر اللوبى اليهودى فى واشنطن على الكونجرس الأمريكى لتقديم مليارات الدولارات لإسرائيل انطلاقا من منطق أهميتها الاستراتيجية للولايات المتحدة رغم أن الممارسات الاسرائيلية فى الشرق الأوسط عرضت الأمن الأمريكى وأمن العالم للخطر.

ويكشف هذا الجزء أن اسرائيل تكونت عبر حروب توسعية عديدة وقامت بمصادرة الأراضى وبناء المستوطنات، الأمر الذى يجعل قيام دولة فلسطينية حيوية شيئا غير محتمل الحدوث.

وتؤكد الوثائق أنه قد هاجر إلىّ إسرائيل ما يقرب من نصف مليون يهودى من الدول العربية والمنبع الأكبر للهجرة هم اليهود السوفيت.. أما اليهود الأمريكيون فلم يحققوا نجاحا يذكر فى الهجرة لأنهم يطلبون الأمن والازدهار الاقتصادى وهو ما لن يتحقق إلا عن طريق السلام وحل المشكلة الفلسطينية.. وحيث لم تحدث الهجرة اليهودية على نطاق واسع.. وحيث يزداد معدل المواليد الفلسطينيين فإن دمج الضفة الغربية وغزة فى إسرائيل سوف يؤدى إلى نهاية حكم الأغلبية اليهودية.. ولذلك بدأ شارون رئيس وزراء إسرائيل السابق فى بناء الجدار العازل حتى لا يتبقى للفلسطينيين غير ما يقرب من ٨, ١٠٪ من فلسطين التاريخية.

وفى الواقع فإن أحزاب الليكود وكاديما والعمل لا ينكرون ادعاءهم بأن كل فلسطين التاريخية تشكل أرض إسرائيل وأن الاختلاف بينهم هو مسألة تكتيكية.. ولكن يبدو أن الصهيونية لا تملك الأفراد اللازمين لضم كل فلسطين. بينما الفلسطينيون لا يملكون القوة لتحرير كل فلسطين.

ويتعرض الكتاب للمعاملة التفضيلية التى تتلقاها إسرائيل فى أمريكا..

ويحمل اللوبى الإسرائيلى الكونجرس على فعل أشياء ترغبها إسرائيل حتى وإن كانت تتعارض مع المصالح الأمريكية.. فقد زادت جملة المساعدات المباشرة لإسرائيل على ١١٠ مليارات دولار منذ تأسيس دولة إسرائيل حتى عام ٢٠٠٦، وهو ما لم تحصل عليه أى دولة أخرى فى العالم.. بالإضافة إلى تكاليف أخرى نتيجة لعدم الاستقرار الذى تسببه إسرائيل فى المنطقة.. وعلاوة على المساعدات المالية فإن الفيتو الأمريكى يحمى إسرائيل من الانتقادات الدولية.

ويختتم الجزء الأول من الكتاب بالتأكيد على أن الارهاب فى الشرق الأوسط بدأ مع الصهاينة.. حيث قاموا بطرد الفلسطينيين من ديارهم.. ودمروا ما يزيد على أربعمائة قرية.. وارتكبوا ما يقرب من ثلاثين مذبحة. وفى عام ١٩٦٧ أجبروا ما يقرب من ٣٥٠ ألف فلسطينى على الفرار من الضفة وغزة، وما يقرب من مائة وخمسين ألفاً من السوريين على الفرار من مرتفعات الجولان.. وقد كانت هذه الممارسات دافعا أساسيا لهجمات الحادى عشر من سبتمبر ضد الولايات المتحدة.. وكما تشير الوثائق فقد حاولت إسرائيل ـ عن عمد ـ دفع الدول العربية إلى مواجهات وحروب من أجل السيطرة على الشرق الأوسط.

الجزء الثانى من الكتاب بعنوان "أفراد ذوو شجاعة" ويقدم لمحات عن شخصيات أمريكية عرفت من خلال خبراتها المآسى التى يتعرض لها الفلسطينيون ولم تتمكن هذه الشخصيات من الصمت، ومن بين هذه المآسى مذبحة دير ياسين التى قتل فيها مائتان وخمسة وعشرون شخصاً وتم طرد الباقين من القرية دون أية أسباب، وكانت هذه المذبحة بمثابة إنذار مبكر لتفريغ محسوب لما يزيد على ٤٠٠ قرية ومدينة من سكانها وطرد ما يزيد على ٧٠٠ ألف فلسطينى لإفساح المجال لليهود المهاجرين من بقية أنحاء العالم.

وفى تجربة ذات مغزى يوضح الكاتب العوائق التى قابلها من جانب وسائل الإعلام الأمريكية المختلفة عندما أراد نشر الحقائق حول مآسى الفلسطينيين ليبلغ الأمريكيين كيف يستخدم الإسرائيليون مليارات الدولارات

التى تعطيها أمريكا لهم فى تدمير منازل الفلسطينيين واغتصاب أراضيهم وقهرهم.

وفى تجربة أخرى يشير الأستاذ الجامعى إيلانى بابى إلى أن ذريعة الأمن دائماً ما يتم استخدامها لتبرير مصادرة الأراضى وهدم المنازل بشكل جماعى.

ويكتب أستاذ جامعى آخر حول نوايا الصهيونية تجاه التطهير العرقى للفلسطينيين مشيرا إلى أساطير صهيونية قام بتكذيبها ومنها: أولاً أسطورة أن اليهود الصهاينة كانوا قليلى العدد وضعفاء ويفتقرون إلى السلاح للدفاع عن أنفسهم فى مواجهة القوة الفائقة للعرب.. فالحقيقة هى أن اليهود كانوا متفوقين منذ البداية مالياً وعسكرياً وسياسياً.

أما الأسطورة الثانية فهى أن القيادة العربية قد أبلغت الفلسطينيين بمغادرة ديارهم لأن الحرب قادمة، والحقيقة أن الفلسطينيين قد تم إجبارهم على الخروج من ديارهم بواسطة الجيش اليهودى.. والأسطورة الثالثة هى أن الإسرائيليين قد مدوا أيديهم بالسلام وأن العرب هم الذين رفضوا.. والحقيقة هى العكس تماماً.. يقول الكاتب: "يبدو أن القول إن إسرائيل تحتاج إلى الأمن وأن الفلسطينيين يحتاجون لأن يكونوا أحراراً هو قول معكوس، فالفلسطينيون يحتاجون إلى الأمن وتحتاج إسرائيل إلى الحرية، أى التحرر من الصهيونية".

الجزء الثالث من الكتاب بعنوان "وسائل الإعلام" ويطرح وجهة نظر المهنيين العاملين بوسائل الإعلام المختلفة الذين واجهوا بأنفسهم التحيز من جانب وسائل الإعلام لصالح الإسرائيليين، ويشير إلى أنه فى الوقت الذى اختفى فيه الستار الحديدى فإن ما يوصف بأنه الستار الصهيونى قد ظل باقيا يخنق ويشوه بكثافة الأنباء التى تتعلق بالشرق الأوسط.. وبصفة خاصة فى وسائل الإعلام الغربية، ولم تكن حقوق الفلسطينيين تحظى باهتمام كبير من جانب وسائل الإعلام أو معظم الأمريكيين، وبصفة خاصة فى الكونجرس والبيت الأبيض.. وفوق ذلك فإن الفلسطينيين قد أظهروا مقدرة ضئيلة على عرض قضيتهم.

ويروى أحد الصحفيين كيف أنه قد تم إدراجه فى قائمة المقرر قتلهم من

جانب بعض الصهاينة بسبب آرائه الحرة التى حذر فيها من خطر قيام دولة إسرائيل على السلام العالمى.. وأعلن ضعف ارتباط اليهود التاريخى والدينى بفلسطين.

ويشير صحفى آخر إلى أن رحلته إلى الأراضى الفلسطينية ومشاهدته لقهر الإسرائيليين للفلسطينيين قد بددت تحيزاته للإسرائيليين.. والتى غذتها وسائل الإعلام الغربية، وأن أكثر شىء غير اتجاهه هو تسرب تقرير حكومى على درجة عالية من السرية إلى الصحافة العبرية يوضح كيف يمكن لإسرائيل أن تتخلص من بعض مواطنيها الفلسطينيين.. وأن تجعل حياة المتبقين منهم أكثر بؤسا مما هى عليه بالفعل.

ويؤكد صحفى ثالث أنه واجه رقابة فى إسرائيل تلزمه بكشف النقاب عن كل التقارير التى يكتبها عن الموقف فى الأراضى المحتلة، وإلا فإن مصيره السجن أو الترحيل.. وحين عاد إلى الولايات المتحدة واجه لوناً آخر من الرقابة وصلت إلى حد رفض برنامجه دون إبداء الأسباب.

وحمل الجزء الثالث من الكتاب (القنبلة) تجارب لصحفيين أحرار دفعوا ثمناً باهظاً لأنهم حاولوا أن يقولوا كلمة الحق للشعب الأمريكى الذى اعتاد على التضليل الهائل من وسائل الإعلام الواقعة تحت التأثير المباشر وغير المباشر للوبى اليهودى.

وكانت آخر تجربة فى ذلك الصدد لصحفى أمريكى كشف عن التناقض الكبير بين المعلومات التى استقاها من الصحف الأجنبية والإنترنت وبين تلك التى تلقاها من الإعلام الأمريكى.. وأرجع أسباب ذلك إلى خمسة عوامل هى:

- اعتياد الصحفيين على تقديم تقارير مغلوطة.
- اتجاه المراسلين الأمريكيين فى الشرق الأوسط إلى أن يعيشوا فى إسرائيل، ومن ثم يكتبون من منظور إسرائيلى.
- التحيز السياسى الناجم عن الولاء وتشكيل الشخصية.
- الحملات المضادة الموجهة إلى وسائل الإعلام المناهضة لإسرائيل.
- تأثير الاعتبارات المالية وملكية وسائل الإعلام وإدارتها على برنامج التغطية الإخبارية.

ويأتى الجزء الرابع بعنوان "الدين" ليكشف عن جانب مهم للاعتبارات التى يجب أن تؤخذ فى الحسبان لمن يريد أن يفهم ما يحدث فى الشرق الأوسط على صورته الحقيقية.

يشير هذا الجزء إلى أن ٨٠٪ من اليهود الإسرائيليين يعتبرون أنفسهم علمانيين، وأن هناك أقلية مهمة ـ كما كان عليه الحال فى عهد هيرتزل ـ تنظر إلى فلسطين على أنها ميراثهم التوراتى، ويشترك فى هذا الاعتقاد عدد مهم من المسيحيين الإنجيليين الذين يعتقدون أن عودة اليهود إلى أرض الميعاد علامة على المجىء الثانى للمسيح.

على الجانب الآخر يكشف هذا الجزء كيف أن المسيحية تفنى فى أرض المسيح.. حيث تم فى عام ١٩٤٨ إجلاء ما بين ستين إلى سبعين فى المائة من المسيحيين الفلسطينيين من ديارهم، ومنذ عام ١٩٦٧ غادر عشرون ألف مسيحى آخرون.

ويثير كتاب هذا الجزء علامات استفهام حول رواية التوراة بأن الوعد الإلهى بالأرض مرتبط بتفويض باستئصال السكان المحليين.. وكيف أن الله العادل المحب يأمر بمذبحة.. ويشير بعضهم إلى أن الدراسات التوراتية خلال المائة عام الأخيرة قد عكست منظورات أوروبية.. وأن الروايات التوراتية المتعلقة بالماضى تعكس الإيديولوجية الدينية والسياسية لمقدمى هذه الروايات.

ويتحدث الفصل الأخير من هذا الجزء عن "البديل الإسلامى". ويرى أن السبب فى طرح هذا البديل هو الإدراك العام لعدم ملاءمة وفشل النماذج الغربية فى الدول الإسلامية.. كما أنه جاء كرد فعل للعلمانية المتشددة والمسيحية واليهودية المتشددتين. وللسيطرة الغربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الحياة اليومية للمسلمين. وأيضاً كرد فعل لزرع كيان يهودى فى فلسطين.. وقد حمل هذا "البديل الإسلامى" عدة ملامح عامة أهمها:

رفض التبعية للشرق أو الغرب. وتقدير الذات. والتأكيد على الكرامة والأصالة.

ويشير الجزء الخامس والأخير. الذى يحمل عنوان "الحرب" إلى خطاب بن

جوريون إلى ابنه عام ١٩٣٧ والذى قال فيه: "إننا سوف نطرد العرب ونأخذ مكانهم"، ويؤكد الذين شاركوا فى كتابة هذا الجزء أن الصهاينة قد عرفوا من البداية أن الأمر سوف يحتاج إلى قوة متفوقة لإجلاء الفلسطينيين ولمنعهم من استعادة أراضيهم.. وقد أدى ذلك إلى صراعات دموية شملت منطقة الشرق الأوسط. ومن بين أقدم هذه الصراعات "مذبحة اللد" التى أسفرت عن موت معظم الأربعة آلاف فلسطينى الذين طردتهم القوات الإسرائيلية من ديارهم فى هذه القرية.

ومن بين هذه الصراعات أيضاً الهجوم الذى شنته الطائرات والسفن الإسرائيلية على سفينة الاستخبارات البحرية الأمريكية "ليبرتى" وأغرقتها أثناء حرب ١٩٦٧ رغم وجود شهود عيان يؤكدون أن إسرائيل كانت تعلم قبل الهجوم أنها سفينة أمريكية.. وكان السبب فى ذلك الهجوم هو أن إسرائيل كانت ترغب فى احتلال الجولان. وكانت ترفض أى تدخل أمريكى فى تلك المرحلة لأنها كانت تعلم معارضة أمريكا لهذه الخطوة.. وقد قدم المسئولون الأمريكيون رواية مضللة لما حدث تتسم بالتستر لإرضاء إسرائيل وإبلاغ الشعب الأمريكى بأنها حادثة عرضية وغير متعمدة.

وعلى هذا النحو يسير الكتاب ليكشف الحقائق التى طمسها التضليل الإعلامى.. وليضىء المناطق المظلمة فى الوعى الأمريكى العام.. لكن بالقطع هذا الكتاب لا يكفى للقيام بهذه المهمة الثقيلة.. فما زلنا بحاجة إلى ملايين من أصحاب الضمائر الحية الذين يساهمون فى كشف التزوير التاريخى الذى حدث ويحدث إلى اليوم.. حتى يتغير العالم إلى الأفضل.. فالحقيقة، والحقيقة وحدها، هى التى ستحدث الثورة المنتظرة، وتوقظ الضمائر الميتة، كى يعود الحق لأصحابه مهما طال الزمن، ومهما بلغ طغيان الطغاة.

٦

# الإسلام المتخيل..وتاريخ الإسلاموفوبيا

يأتى كتاب "الإسلام المتخيل: البناء الإعلامى للإسلاموفوبيا بفرنسا من سنة ١٩٧٥ -٢٠٠٥"الصادر فى أكتوبر ٢٠٠٥ للكاتب والصحفى الفرنسى " توماس دولوتمب" ليؤكد أن بداية التأريخ " للإسلاموفوبيا"كظاهرة تعود بجذورها إلى "الفترة الاستعمارية"وتمتد إلى الحاضر بكل مظاهر العداء للإسلام التى شهدتها فرنسا والغرب على وجه العموم منذ بداية بروز ما عرف "بمسلمى الغرب".

يقول دولوتمب أنه اتخذ من مطلع السبعينيات بداية لتتبع هذه الصورة..ففى تلك السنوات بالذات بدأ الفرنسيون "يكتشفون" المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم عبر ما يقدمه التليفزيون، غير أن الكاتب يدقق بأنه فى تلك الفترة كان هؤلاء المسلمون يوصفون بالمهاجرين و"العمال الأجانب"ولم تكن صفتهم الدينية بارزة كما هى عليه اليوم.

ويقول إن " الصور المتخيلة عن الإسلام والتى تناقلتها وسائل الإعلام الفرنسية طوال ٣٠ سنة كانت فى مجملها معقدة وتنم عن عدم معرفة كافية بالإسلام والمسلمين وخاضعة لتأويلات متعددة، الأمر الذى يمكننا من الحديث عن الإسلام المتخيل وهو فى نهاية المطاف نتيجة طبيعية لما تروجه وسائل الإعلام والمخرجون السينمائيون والصحفيون".

وهناك مكون أساسى فى الصورة الفرنسية عن الإسلام طوال السنين

الثلاثين الماضية تتمثل فى أن هذه الصورة المتخيلة ظلت دائما رهينة ما يحدث خارج فرنسا خلال ٣ مراحل:

● المرحلة الأولى شهدت بداية التأريخ لـ " تشكل الخطاب الإسلاموفوبى" فى فرنسا ثم وقع بعد المقاطعة النفطية إبان حرب أكتوبرسنة ١٩٧٣..هذه المقاطعة التى هزت فرنسا والغرب،ثم وقع حدث آخر ظل طويلا راسخا فى الذاكرة الفرنسية وهو اندلاع الثورة الإسلامية فى إيران سنة ,١٩٧٩ وكلا الحدثين حول المهاجرين القادمين للعمل فى فرنسا من مجرد "يد عاملة رخيصة" إلى حاملين مفترضين لمشروع الثورة الخمينية" فى نظر وسائل الإعلام الفرنسية..وارتبطت عودة الخمينى بالعقل الفرنسى بـ"عودة الإسلام".. وجاءت المظاهرات الغاضبة ضد كتاب "آيات شيطانية" سنة١٩٨٩ وظهور أول حجاب فى المدارس الفرنسية فى السنة نفسها، ليقدما دليلاً على أن ما يجرى هو إرهاصات " أسلمة فرنسا" على الطريقة الإيرانية.

مظاهر"التجييش" فى الإعلام الفرنسى ضد خطر الإسلاموفوبيا كانت جد واضحة ,فبمجرد وصول الخمينى إلى طهران منتصرا واندلاع أحداث "رهائن السفارة الأمريكية"، تصدرت عناوين فى الإعلام الفرنسى تعبر عن "صدام الحضارات" حيث صدرت"لانوفيل أبسرفاتير" على سبيل المثال صفحتها الرئيسية لعدد نوفمبر ١٩٧٩بعنوان ضخم"الإسلام:أمريكا المحاصرة" فى حين اختارت مجلة " لاكسبراس " فى الفترة نفسها لعددها بتاريخ ٢٤نوفمبر١٩٧٩ عنوان"الإسلام:الحرب".

● المرحلة الثانية خلال التسعينيات من القرن الماضى، فما كاد المشهد الإيرانى "يتعقلن" فى نظر النخب الفرنسية حتى برزت أحداث الحرب الأهلية الجزائرية..وفى هذه المرحلة حدث تغير مهم، وهو أن فرنسا لم تعد تتحدث عن مهاجرين أو عمال وقتيين ولكنها أصبحت تتحدث عن تشكيلة جديدة داخل المجتمع الفرنسى وهى "الجيل الثانى" من الفرنسيين المسلمين، أى أننا أصبحنا أمام " واقع لا يمكن الفكاك منه" وهو أن "الإسلام أصبح أيضا فرنسيا"..ومن ثم وجب التعامل معه بعقلانية من خلال تقسيم مسلمى فرنسا إلى معسكرين :"المتشددين الإسلاميين " من جهة "والمعتدلين "من جهة أخرى..والتركيز فى المواد الإعلامية المذاعة على إظهار خطر الإسلام.

● أما المرحلة الثالثة فزادت فى ترسيخ التعامل الإعلامى للإسلام والمسلمين، وذلك إبان التسعينيات، فبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر كان التردد الإعلامى واضحا فى التعامل مع مسلمى فرنسا، وكان السؤال الإعلامى والنخبوى هو : "كيف يمكننا أن نتلافى الهوس العام من المسلمين ؟" .

فى هذه المرحلة كان التعميم خافتا فى البداية غير أنه ومع بداية وضع الأجندة الأمنية كأولوية فرنسية وأوروبية تحرك"بلدوزر" الانحرافات الإعلامية والنخبوية باتجاه خلط حقيقى وتعامل إعلامى تحكمه دائما الاعتبارات الأمنية تجاه كل ما هو ذو صفة" إسلامية" .

وتتبع الكاتب خلال هذه المرحلة خطاب "الإسلاموفوبيا" عبر سرد وتقص دقيق للأسماء والشخصيات الفرنسية ومواقفها من كل الأحداث التى عاشتها فرنسا والمرتبطة بالشأن الإسلامى.

وعبر خمسة عشر فصلا استعرض الكاتب فى شبه محاكمة أسماء أمثال"شارل باسكوا" وزير الداخلية الأسبق والمعروف بعدائه للمهاجرين، وأسماء إعلاميين عرفوا بعدائهم لكل ماهو إسلامى كـ"دافيد بوجاداس" وباحثين كـ"جيل كيبيل" ومحطات تليفزيونية اختصت فى الإسلاموفوبيا كالقناة الأولى الفرنسية "ت ف ١" كما يمر على تفجيرات ١٩٩٥ التى هزت محطة سانت ميشيل بالعاصمة الفرنسية باريس وكيف استغلت حتى "النخاع " فى بث الكراهية ضد المسلمين.

ومن بين الأمثلة العديدة التى اعتمدها الكاتب بعد تفجيرات ١٩٩٥ التلاعب بالأرقام من قبل بعض الصحفيين والمختصين لإبراز الخطر الإسلامى حيث يقول"إكسافى روفير" فى البرنامج التليفزيونى الشهير "مبعوث خاص" الذى بثته القناة الثانية الفرنسية يوم٢٧ فبراير ١٩٩٧ :" إن ٩٩٪ من مسلمى فرنسا مسالمون ويريدون السلام والاندماج، ولكن هناك مليون جزائرى فى فرنسا و١٪ منهم أى عشرة آلاف يمثلون خطرا" .

وكان من نتائج حملة "الإسلاموفوبيا" قانون منع الرموز الدينية فى المدارس أو ما عرف بقانون منع الحجاب وبروز "إيرانية نكرة لاجئة فى فرنسا" اسمها "شادوت دجافان" وكيف أن هذه الإيرانية أصبحت نجمة تليفزيونية عبر كتابها الذى ألف نيابة عنها والذى عنوانه "فليسقط الحجاب" .

## ٧

# تغطية الإسلام

كان الباحث والأستاذ الجامعى د.إدوارد سعيد نموذجاً للمثقف العربى ـ الفلسطينى تحديدا. الذى لم يفقد هويته.. ولم يتنكر لأصوله.. رغم أنه عاش واشتهر وتألق فى أمريكا حتى وافاه الأجل عام ٢٠٠٣.. بل لعل إقامته الطويلة فى أمريكا هى التى جعلته يعتز بهويته وأصوله.. وجعلت معظم مؤلفاته تدور حول الوعى بذاته الإنسانية والثقافية.. ودفعته إلى مواجهة حملات التضليل التى تجتاح المجتمع الأمريكى ضد كل ما هو عربى وإسلامى.

وقد عرف د. إدوارد سعيد بمواقفه الصلبة إزاء سياسات الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية.. وتفنيده العلمى للدعايات المغرضة التى يقوم بها المستشرقون واللوبى الصهيونى ضد القضية الفلسطينية.. وضد المشرق العربى والإسلامى بصفة عامة.. معتمداً فى ذلك على قدراته البحثية بعيداً عن لغة الخطابة.. لذلك حظى هو وحظيت مؤلفاته باحترام كبير.. حتى لدى من انتقدهم وكشف ضلالهم.

وللدكتور إدوارد سعيد كتب كثيرة فى الدفاع عن الحرية والعدالة فى مواجهة القهر والتضليل وخداع الشعوب.. ومن هذه المؤلفات كتابه "الاستشراق "الصادر عام ١٩٧٨ .. وكتاب "سؤال فلسطين" الصادر عام ١٩٧٩ .. وكتاب "تغطية الإسلام" عام ١٩٨١ .و"بعد السماء الأخيرة" عام ١٩٨٦ .. و"عتاب الضحايا "عام

١٩٨٨.. و"الثقافة والإمبريالية "عام ١٩٩٣.. و"القلم والسيف"١٩٩٤.. و"صور المثقف"١٩٩٤.. و"سياسات الإقصاء"١٩٩٥.. و"تأملات فى المنفى"عام ٢٠٠٠.

وقد كتب كثيرون عن الفارس النبيل إدوارد سعيد ككاتب وناقد وأستاذ جامعى وموسيقى ومناضل سياسى دفاعاً عن القضية الفلسطينية والقضايا العربية.. لكنى هنا سأركز على نموذج المفكر الرائع الذى قدمه إدوارد سعيد كمدافع عن الإسلام والمسلمين، رغم كونه مسيحيا ولد فى القدس الغربية بفلسطين، وعاش جانبا مهما من حياته فى مصر ولبنان حتى استقر به المقام فى أمريكا فعمل واشتهر وخاض معاركه إلى أن وافاه الأجل.

وإذا كانت القضية الفلسطينية وقضايا العرب بصفة عامة، قد خسرت بوفاته واحداً من ألمع وأكفأ وأقوى حماتها، فإن قضايا الإسلام والمسلمين قد خسرت هى الأخرى محاميا بارعا.. صادقا فى انتمائه للحضارة الإسلامية وللبيئة الإسلامية فكراً وعطاء، وصادقاً فى إيمانه بعدالة القضية التى يدافع عنها.. قضية الخصوصية الإسلامية والوجود الإسلامى فى هذا العالم ككيان عقائدى له احترامه وتقديره، وله إسهاماته الكبرى فى بناء الحضارة الإسلامية.

وكما أن مواقفه ومؤلفاته تؤكد دفاعه الباسل عن قضايا أمته - العربية والإسلامية - وبالذات قضية فلسطين، فإن هذه المؤلفات تكشف بما لا يدع مجالا للشك كم كان هذا المفكر الرائع عادلا مع نفسه ومع الآخرين، وكم كان صادقا فى توجهاته، وقادرا على أن يقول الحقيقة، والحقيقة وحدها، منزهة عن أية انحيازات أو أغراض.. والكثير من هذه الكتب والمؤلفات تحمل رؤية مستنيرة للتعامل مع الآخر..، واحترام التعددية الفكرية والثقافية.

وقد ترعرع إدوارد سعيد فى بيئة سياسية، وهو بروستانتى عاش فى إطار أقلية يونانية أرثوذكسية ووسط أغلبية مسلمة، وفى ظل تلك الثقافة والحضارة الإسلامية أطلق عبارته الشهيرة :"إننى كمسيحى لم أشعر بأى تهديد من الإسلام".

وربما كان كتاب " تغطية الإسلام" من أهم الإصدارات التى ظهرت فيها موهبة د. إدوارد سعيد البحثية وإمكاناته المعلوماتية.. وموسوعيته الفكرية.. وشجاعته فى الدفاع عن كل ما يراه حقاً.. بصرف النظر عن كونه مسيحياً يواجه نظرة متحيزة وظالمة للإسلام فى المجتمع الأمريكى.. فالمقطوع به أن

د.إدوارد دافع كثيراً عن الإسلام وعن العرب والشرق بأجمعه على أفضل ما يكون الدفاع.

فى هذا الكتاب " تغطية الإسلام" يكشف د. ادوارد سعيد عن بنية الإعلام الأمريكى وتركيبته المعقدة وآلية عمله.. ودوره فى تشكيل البنية المعرفية الأمريكية بصفة عامة.. وتجاه الشرق العربى والإسلامى بصفة خاصة.. ويكشف أيضا عن توزيع الأدوار بين ما تقوم به المؤسسات البحثية والقوى المسيطرة فى المجتمع الأمريكى.. ويؤكد علاقة التواطؤ القائمة بين الباحث وصناع القرار الأمريكيين.. سواء أكانوا أصحاب السلطة فى الحكومة أم الشركات عابرة القارات.

يقول د.إدوارد إن الإعلام الأمريكى صنع صورة نمطية للإسلام وللمسلمين قائمة على الفرضية وليس الدراسة الجادة الموضوعية.. ولذلك فإنه يصف هذه الصورة بأنها سياسة وليست معرفة.. فهى مليئة بالإشكالات المنهجية المرتبطة بدراسة التاريخ أو تحليل النصوص.

ويعتبر أن صورة الإسلام التى ترسمها دوائر الخبراء"الأمريكيين" تحتكر تغطية الإسلام إعلامياً ومعرفياً.بدلاً من إيضاحه وشرحه.. ويوجه اتهاماته المباشرة إلى هؤلاء الخبراء الذين جعلوا قدراتهم ومواهبهم البحثية فى خدمة السلطة.. وليس فى خدمة الحقيقة والمعرفة والبحث العلمى الموضوعى.

وحاول د. إدوارد سعيد تحليل كل دراسة وبحث وخبر روجت له المؤسسات البحثية والأكاديمية والإعلامية الضخمة حول الإسلام.. وكان هدفه الرئيسى إظهار السبب الحقيقى وراء تلك الدراسات والمقالات والبرامج التى تقدم للقارئ والمشاهد الغربى الأمريكى كى تساهم عن عمد فى تشكيل قناعته وأفكاره وتنميطها حول منطقة "الشرق" الذى أريد له عبر التاريخ أن تكون تغطيته خاضعة للإدارة الاستعمارية النافذة لتبرير عمليات الغزو والنهب على يد تلك السلطات التى غذت ووفرت ووجهت آليات العمل البحثى والإعلامى دائماً لتصب فى مصلحتها.

ويقدم كتاب " تغطية الإسلام"بشكل علمى هادئ دراسة وافية لآلية عمل الإعلام، ودوره فى تشكيل الرأى العام فى الولايات المتحدة.. وأسلوب عمل المراسلين والمحللين الذين يؤدون دوراً فعالاً وحيوياً لخدمة مصالح الإدارة

والشركات الاحتكارية الكبرى التى تبحث عن أفضل الطرق لتدعيم سياساتها وتبريرها أمام الجمهور.

ومن أهم النتائج التى أثبتتها الدراسة أن الشعب الأمريكى يعتمد فى تحصيل معارفه بشكل كامل تقريباً على الإعلام والصحافة دون مصادر أخرى للمعرفة.. وهو يعطى زمامه تماماً لهذه الوسائل الإعلامية بوعى وبغير وعى.. لذلك كان من السهل أن ينقاد لكل ما تقدمه إليه تلك الوسائل ليحصل على المعلومة جاهزة وموجهة ومنمطة فلا يملك حيالها فكاكاً.. ولا يفكر فى الإفلات منها إلى غيرها.

وقد ساق د.ادوارد فى هذا الكتاب نماذج عديدة من الأحداث التى شهدها الشرق الإسلامى وكيف قدمها الإعلام الأمريكى بصورة متحيزة لتبيان حقيقة وأهداف العمل الذى يؤديه الإعلام للتغطية على الإسلام وليس لتغطيته.

ومن بين مؤلفاته العديدة يقف كتابه "الاستشراق" كعمل رائد فى مجال فضح الاستشراق والمستشرقين الذين نشأ أغلبهم فى أحضان الغزوات الاستعمارية، وكانوا أدوات فعالة لفتح الطريق أمام المستعمر وتوطيد أقدامه فى الشرق.. خاصة الدول العربية والإسلامية.

وكتاب "الاستشراق" صدر منذ نحو ربع قرن.. وأحدث دويا هائلا فى العالم، وفتح أذهان علماء العرب ودارسيه على بطلان الدعايات المغرضة هناك ضد الشرق الإسلامى، ودحر التوصيف الجاهز له بأنه متخلف واستبدادى وعنيف بهدف إلغاء وجوده والسيطرة عليه وإعادة إنتاجه وتشكيله من جديد.

وقبل وفاته بأسابيع قليلة كتب إدوارد سعيد أحدث مقدمة لأحدث طبعة من كتاب"الاستشراق" رصد خلالها التطورات التى يشهدها العالم العربى والإسلامى حاليا بما فى ذلك أحداث ١١سبتمبر وغزو أفغانستان والعراق وما يحمله من نتائج وتداعيات يصعب تصورها.وقد أكد فى هذا الصدد :" أن هناك من يرى فى كل هذا مظاهر صدام دائم لا محل له بين الحضارات.. لكننى لا أعتقد ذلك، وكنت أود القول إن فى الولايات المتحدة الآن فهماً أفضل للشرق الأوسط وللعرب وللمسلمين، ولكن المؤسف أن الأمر ليس كذلك، فالوضع فى أوروبا يبدو أفضل ولأسباب عديدة، إلا أن الموقف فى أمريكا مستمر على التحجر وتزايد انتشار التعميمات والكليشيهات الانتصارية ضد الآخر.. سواء أكان أجنبياً بصفة عامة.. أم معارضاً داخلياً".

وفى موضع آخر من المقدمة يقول :" أما ما لا يستطيع قادتنا الأمريكيون فهمه فهو إستحالة إزالة التاريخ ومسحه مثل مسح السبورة، لكى نستطيع بعد ذلك تسطير المستقبل الذى نريده على تلك المنطقة، وفرض أنماط حياتنا على بشر نعتبرهم أقل قيمة، ونحن نسمع دوماً عن تغيير خريطة الشرق الأوسط وكأن المجتمعات القديمة هناك وكل ما فيها من البشر مجرد قطع من الحجارة يمكن رصها بهذا الشكل أو ذاك حسبما نريد".

ولإدوارد سعيد كتاب آخر مهم بعنوان "يقظة الإسلام" يقول فيه:" لقد شهدت المجتمعات العربية والمسلمة هجوماً ضارياً متعمداً عليها بحجة تأخرها وافتقارها إلى الديمقراطية وإلغائها حقوق المرأة إلى درجة جعلتنا ننسى أن مفاهيم مثل "الحداثة" و"الاستنارة"و"الديمقراطية" ليست بالأفكار البسيطة المتفق عليها مسبقا.. مثل شئ يمكن القول فورا بوجوده أو عدم وجوده فى هذا المكان أو ذاك. ولكن ما نسمعه فى كل مكان هو ذلك الاستخفاف المذهل من قبل تلك المجموعة العجيبة من المتكلمين باسم السياسة الخارجية الأمريكية الذين يصورون الشرق الأوسط وكأنه حيز فارغ يمكن لأمريكا فيه خلق ديمقراطية مصطنعة، وسوق حرة مصطنعة.

وهكذا كان يفكر إدوارد سعيد، وهكذا قدم لنا نموذجا مضيئا للمفكر والكاتب والمناضل السياسى الذى نجح وتألق فى الغرب. وفى أمريكا ذاتها، لكنه ظل متمسكا بأصالته وبجذوره الراسخة فى أرضه وبيئته وحضارته العربية والإسلامية.. ودافع عن الإسلام الذى عاش فى كنفه وعرفه أفضل من كثير من المسلمين.

وبسبب ذلك كله تعرض د.ادوارد سعيد لهجمات ضارية من المتطرفين الذين يريدون فرض رؤيتهم على المجتمع الأمريكى، وكثيراً ما وجهت إليه اتهامات باطلة، لكنه ظل صامداً مؤمناً بعدالة القضية التى يدافع عنها.

يرحمه الله.



# موجة إنجيلية متدفقة نحو الشرق الأوسط

## تقرير مجلة "تايم"

ملأ الرئيس بوش الدنيا تصريحات بأن غزو العراق كان بهدف تخليص الشعب العراقى من الطاغية وبناء عراق حر ديمقراطى يتمتع بالسيادة ولا يهدد أمريكا وأصدقاءها بأسلحة الدمار الشامل.

والذين يتشككون فى نية الرئيس بوش يؤكدون أن الهدف الحقيقى لغزو العراق كان تأمين ظهر إسرائيل وتأمين إمدادات النفط من خلال السيطرة الكاملة على البترول العراقى واستنزافه.. إضافة الى تأمين الوجود الأمريكى المستقر فى منطقة الخليج بالقضاء على نظام صدام المناوئ، وإضعاف العراق وتفكيكه،والضغط الدائم على حدود سوريا وإيران المناوئتين بصفة مستمرة لأمريكا وإسرائيل.

وقال رئيس الوزراء البريطانى السابق تونى بلير - حليف بوش - فى خطاب عشية غزو العراق: إن "العالم الجديد" الذى برز بعد نهاية الحرب الباردة يواجه تهديداً جديداً من الفوضى والاضطراب مصدره دول همجية مثل العراق، تملك أسلحة دمار شامل أو جماعات إرهابية متطرفة تكره اسلوب حياتنا وحريتنا وديموقراطيتنا ...".

وقد جمع كلام بلير بين الخطأ فى المعلومات (ونعرف الآن أن معلومات الاستخبارات لفقت أو بولغ فيها أو حجب غير المناسب منها) وبين الخطأ فى

الأفكار، فقد أصبحت عبارات من نوع "يكرهون قيمنا" أو "يكرهون نمط حياتنا" شعار الحملة على الإسلام والمسلمين، فالسياسيون أمثال بلير الذين خططوا للحرب على العراق أو توطأوا فيها قرروا أن كلام الإرهابيين" ظلامات زائفة".

وفى خطاب آخر له عام ٢٠٠٦ دفاعاً عن سياسة التدخل العسكرى فى دولة أخرى بحجة مقاومة الإرهاب،أشار تونى بلير إلى "حرب المدنية، المعركة بين التقدم والتخلف".

وهكذا تحول الصراع إلى حرب بين الخير والشر، فجورج بوش وتونى بلير يدافعان عن الخير بحمية دينية ضد الشر الذى يمثله الإرهاب.

لكن التقرير الذى نشرته مجلة "تايم" الأمريكية فى ٣٠ يونيه ٢٠٠٣ - أى بعد الغزو بثلاثة أشهر فقط - أكد إن المسألة أبعد من ذلك.. لأنها تتعلق بالرغبة الجامحة فى تغيير هوية الشعب العراقى كمقدمة لتغيير شعوب المنطقة العربية على النمط نفسه وبالنموذج نفسه.

التقرير طويل يقع فى ٨ صفحات. والعنوان الرئيسى المثير على الغلاف يقول:"هل على المسيحيين ان يغيروا عقيدة المسلمين؟". وواضح من العناوين الداخلية أن المجلة تناولت الموضوع بحذر. وربما بغير رضا.. لكنه واقع.. والحرية تقتضى أن يعرف الناس ماذا يدور فى الواقع.

العناوين الداخلية تقول:إرساليات التبشير المتخفية.. أعداد متزايدة من الإنجيليين يحاولون نشر المسيحية فى بلاد الإسلام هل هذا مايحتاج إليه العالم فى هذا الزمان؟. هل جهود أولئك الإنجيليين تثير مزيداً من المعارضة أكثر مما تؤدى الى الاقتناع؟

وفى صلب الموضوع يعرض تقرير مجلة "تايم" الفكر اليمينى المتطرف لطائفة الإنجيليين، ونماذج مما يقوله زعماؤها عن الإسلام والمسلمين ثم علاقة بعض هؤلاء الزعماء بالرئيس بوش ودوائر الحكم المحيطة به، وتطور عمل إرساليات التبشير الإنجيلية فى العالم الإسلامى التى تضاعفت فى العقدين الأخيرين.. وتم تكثيفها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

بعد ذلك يقول التقرير: «إن هذه الإرساليات اتجهت فى الفترة الأخيرة صوب العراق لتشكل مستقبل سكانه طالما ظلت قوات الاحتلال مرابطة على أرضهم. وينقل عن لويس بوش أحد القادة الإنجيليين قوله:"على المسيحيين أن

يلبسوا دروعهم كاملة باسم الله من اجل الحرب بأسلحة روحانية وإذا كان الإسلام قد انتشر فى تلك المنطقة فى صحوته وحيويته فإن واجبنا أن نتبع استراتيجية مماثلة لنخترق الإسلام فى القلب من خلال قوة الحقيقة التحريرية للإنجيل ".. وينقل عن فرانكلين جراهام أحد قياديى الطائفة الإنجيلية أيضا قوله:"الاسلام دين شرير وخبيث جدا".. كما ينقل عن المدعى العام الأمريكى جون أشكروفت قوله:"ان الإسلام دين فيه يدعو الله أتباعه للموت من أجله بينما فى المسيحية أرسل الله ابنه ليموت من أجلك".

وفى جميع الأحوال فقد التقى مفهوم دول محور الشر الذى أطلقه الرئيس بوش- هكذا يقول التقرير- مع مفاهيم المتطرفين من الإنجيليين.. بيد أن فريقا من الأمريكيين يرى أن الموجه الإنجيلية المتدفقة نحو الشرق الأوسط فى هذا الظرف المفعم بتوجهات وذكريات الحرب الصليبية، وفى سياق الاحتلال العسكرى للعراق، سوف تسئ إلى صورة الولايات المتحدة لدى المسلمين،وبالنظر إلى العلاقات الوثيقة بين اليمين المسيحى والبيت الأبيض يبدو أنه ليس من مصلحة الرئيس بوش الانتخابية ان يوقف تدفق الإرساليات الإنجيلية وإلى العراق وإلى الشرق الأوسط سواء من أمريكا أو الأردن أو غيرهما من الأقطار.

وينتقد تقرير "التايم"كثيرا من صور التطرف الإنجيلى.. ويؤكد آثاره السلبية على صعيد العلاقة بين الولايات المتحدة وبين المسلمين... خاصة فى هذه المرحلة المضطربة والمتأزمة بعد الغزو الأمريكى للعراق.. ويعرض لجهود طوائف مسيحية اخرى تتعاون مع منظمات مشابهة فى العالم الإسلامى من خلال نظرة احترام وتواضع وليس استعلاءً وعداءً.

وتستحق مجلة تايم التحية على جرأتها فى نشر هذا التقرير الذى يكشف جانباً مهماً من جوانب النظرة الأمريكية الحقيقية لغزو العراق.. وكيفية استثمار هذا الغزو لصناعة مستقبل آخر للعراقيين يتم فيه تحويل مسارهم وتغيير هويتهم بالأساليب نفسها التى اتبعت خلال القرنين الماضيين مع دول أفريقية عديدة.

وقد كان هذا الكشف كافيا لكى نحذر ونحتاط من أى ضغوط أو إغراءات مباشرة وغير مباشرة لتأثيرات خارجية على مناهجنا التعليمية، وعلى تشكيل قيمنا الثقافية ومفاهيمنا القومية وثوابتنا ومعتقداتنا الدينية ووحدتنا الوطنية وتماسكنا الاجتماعى.. حتى نصمد ويصمد أخواننا فى العالمين العربى والإسلامى فى وجه الهجمة الصليبية الجديدة.

٩

# محاولة إسبانية لإنصاف العرب

فى أواخر عام ٢٠٠٣ نظمت دار الكتب والوثائق القومية فى القاهرة برئاسة د. أحمد مرسى، وبالاشتراك مع معهد ثربانتس التابع للسفارة الإسبانية بالقاهرة ندوة ألقت فيها د.خيما مارتينيث مونيوث محاضرة قيمة تحت عنوان "رؤية الغرب للعرب والمسلمين.. نظرة نقدية".

والدكتورة مونيوث أستاذة لعلم الاجتماع فى العالم العربى والإسلامى بجامعة الأتونوما بمدريد فى إسبانيا. وفى هذه المحاضرة أنصفت الغرب والحضارة الغربية أكثر مما أنصفت العرب والمسلمين.ذلك لأنها أثبتت أن الغرب لم يفقد عقله وضميره كلية. فمازال فيه من المفكرين من يحتفظ بالأصالة والموضوعية والقدرة على أن يقول كلمة حق وسط طوفان النفاق الدولى الذى يغطى العالم من حولنا.. ويدفع كوكبنا إلى كارثة لا يعلم مداها غير الله.

فى هذه المحاضرة قدمت الدكتورة مونيوث عدة لوحات فكرية تنم عن فهم عميق لطبيعة العلاقة التى ظلت تحكم الشرق والغرب على مدار التاريخ.. منذ ظهور الحضارة الإسلامية على خط التوازى مع الحضارة البيزنطية القديمة.. ثم مع الحضارة الأوروبية.. وأخيرا مع الحضارة الغربية التى تتزعمها حاليا الولايات المتحدة الأمريكية.

وسوف نكتفى هنا بلمحات من هذه اللوحات الفكرية التى عرضتها

الدكتورة مونيوث فى الندوة حتى نتعرف على الزاوية التى ترانا منها.. أمس واليوم وغدا..حيث قالت :

- التنافس بين العالم الأوروبى والعالم الإسلامى بدأ فى العصور الوسطى.. حيث تفجرت الصراعات بين العباسيين والروم، والإمبراطوريتين العثمانية والبيزنطية، والأندلس والممالك المسيحية فى أسبانيا.. وبالطبع استهدف كل طرف تصوير الآخر على أنه الشيطان.. والمرء يحتاج فقط إلى أن يقرأ كتاب أمين معلوف "الحملات الصليبية من وجهة نظر العرب" أو يشاهد فيلم "صلاح الدين " ليوسف شاهين ليدرك أن تفسير الأحداث التاريخية يحمل أشياء مختلفة تماما لما هو سائد فى الغرب.

- فى الوقت الذى تم فيه طرد اليهود والمسلمين من الأندلس بدأت أوروبا تنظر للعالم نظرة فوقية استعلائية، ومارست تأويل التاريخ تأويلا انتقائيا لتجتث الإسهام الشرقى الحضارى من جذوره.. وفى القرنين الـ١٨و١٩ وجد فكر الاستعمار الأوروبى نفسه يحتاج إلى تفسير معنوى وأخلاقى لتبرير الهيمنة السياسية والاستغلال الاقتصادى.ونشأت فكرة التفوق الثقافى الأوروبى على الآخرين، وتعيين أوروبا نفسها ممثلا عالميا للحضارة وإعلان تفوق العرق الأبيض وحضارته.. وأن سيطرة أوروبا هى الطريق الوحيد لضمان السلام والأمن والثروة والتمدين والديمقراطية للشعوب البائسة.. الأقل حضارة ونموا.

- فى هذا الإطار تم تصنيف جميع العناصر الثقافية للعالم على أنها رجعية ومعوقة للتطور الحديث.. وهذا ما شحن المخيلة الأوروبية بالتحيز ضد الإسلام.. واعتبار الإسلام عدو الحضارة والحداثة.

- بعد حرب الخليج ظهرت نظرية "صراع الحضارات" لصمويل هنتنجتون التى أكدت أن الصراع فى النظام العالمى الجديد لن يكون فكريا ولا اقتصاديا.. وإنما سيكون ثقافيا.. وفى المقام الأول دينيا.. وفى الحقيقة فإن هذه النظرية جاءت لتعفى الغرب من أية مسئولية عن حمام الدم.. وكان من نتيجة ذلك أن الخوف من "العنصر الإسلامى" قد أدى إلى حالة اللامبالاة فى المجتمعات الغربية أمام موقف الفلسطينيين والعراقيين والأفغان الذين تأكلهم آلة الحرب الغربية كل يوم.

- هجمات ١١سبتمبر أضافت ثقلا للمفاهيم الثقافية المعادية للإسلام.. ورغم تصريحات بوش المعسولة عن الإسلام إلا أن كل مستشاريه وأعضاء حزبه يكشفون الحقيقة التى تقول عكس تصريحاته تماما.

- هناك تسلط مرضى يستبد بهؤلاء الذين يهاجمون الدين الإسلامى.. ويرجعون كل شئ يحدث فى الدول الإسلامية إلى مظاهر الثقافة الدينية.وليس إلى مظاهر سياسية.. وهذا ما لا يحدث مع أية ثقافات دينية أخرى.. فعندما يحدث عنف من جانب الجماعات اليهودية أو المسيحية لا أحد ينظر إلى الإنجيل أو التوراة لإيجاد تفسير لهذا العنف.. وإنما ينظر إلى المظاهر السياسية التى نتج عنها.

- ظاهرة بن لادن ما هى إلا رد فعل عنيف للأيقونة الأمريكية التى فرضت نفسها منذ حرب الخليج فى الشرق الأوسط.. والغرض من استبعاد التحليل السياسى هو التملص من التصرفات الحقيقية التى تمارس ضد انتشار العنف.. إن الحرب ضد الإرهاب تستدعى بالضرورة إيجاد حلول سياسية وليست عسكرية للصراعات فى المنطقة.. والمساعدة فى تحسين الحياة البائسة التى تعيشها شعوب المنطقة.

- معظم الإجراءات التى تتخذ لمكافحة الإرهاب بعد ١١سبتمبر تقدم على أنها دفاع عن الديمقراطية مع أنها إجراءات غير ديمقراطية.. وتنطوى على نظرة عنصرية حين تحدد الإرهاب فى جنس واحد أو ديانة واحدة.. مما أدى إلى تشجيع كراهية الإسلام.

- غزو العراق أثبت سقوط نظرية "صراع الحضارات" وأكد أن الصراع ينجم عن السياسة لا الثقافة.. وكل الذين يكرهون أمريكا فى العالم العربى و الإسلامى لا يكرهونها لأسباب ثقافية أو دينية وإنما لأسباب سياسية.

- نحن نخطئ حين نركز قضية حوار الحضارات على الدين..ونخطئ حين نجمع علماء الإسلام والحاخامات والكرادلة على مائدة عمل.. فلقد ثبت إخفاق مثل هذه المؤتمرات التى عقدت حتى الآن.. نظرا لأن المشكلات الحالية لا تتركز فى الدين أو ممثلى الأديان الثلاثة، وإنما الحقيقة أن تلك المشكلات تحتاج لمراجعة الذاكرة التاريخية والسياسات وتقصى العدالة واحترام الآخر لتحقيق التفاهم المشترك.




# إنذار مبكر بالحرب

بعد ٩ شهور من غزو العراق استقبل الأمريكيون عام ٢٠٠٤ بكتاب خطير عنوانه " نهاية الشر..كيف نكسب الحرب ضد الإرهاب"وخطورة الكتاب تأتى - بالطبع - من عنوانه المثير.. الذى يبشر القراء بنهاية كل المشكلات بنهاية الشر.. وذلك بعد أن حدد هذا الشر وجسده وأوضح السبل الكفيلة بالقضاء عليه وكسب الحرب ضده.. كما أن خطورته تأتى من شخصية مؤلفيه وهما معروفان جيداً داخل وخارج أمريكا.. ومعروف دورهما السياسى وهويتهما وانحيازاتهما.. الأول هو ريتشارد بيرل مستشار وزارة الدفاع الأمريكية.. ومستشار حزب الليكود الإسرائيلى السابق وأحد أكبر زعماء حركة المحافظين الجدد الأمريكية..وصاحب الدور الأكبر فى التحريض على غزو العراق من وراء الكواليس.. المشهور باسم "أمير الظلام".. والثانى هو ديفيد فرم.. الكاتب اليمينى المتشدد وأحد كتاب الأحاديث والخطابات سابقاً فى البيت الأبيض.

وهكذا.. فإن الكاتبين ينتميان معاً لحركة المحافظين الجدد الصهيونية، وهى حركة ناهضة ومؤثرة فى دوائر صنع القرار الأمريكى.. ومعروفة بقربها من الليكود الإسرائيلى.. وهذا عنصر إضافى يؤكد خطورة الكتاب.

ومما كتبته صحيفة"الحياة "اللندنية عن مضمون الكتاب نستطيع أن نلحظ

أنه " يصف عالماً شديد الخطورة.. يأتى الشر الأكبر فيه من الإسلام المتشدد.. ويوجد هذا الشر فى كل مكان، من أندونيسيا وحتى ولاية أنديانا الأمريكية، ناهيك عن فنزويلا وبارجواى والبرازيل وشمال نيجيريا.. فالمخاطر كبيرة جداً".

يقول المؤلفان :" ليس هناك أمام أمريكا أنصاف حلول، فإما النصر وإما المحرقة، أو الهولوكوست، وهى الكلمة التى تصف ما قام به النازيون الألمان إبان الحرب العالمية الثانية ضد اليهود وبعض الطوائف الأخرى".

وتعبير "الإسلام المتشدد " الذى يستفتح به الكتاب تشخيصه لمواطن الشر فى هذا العالم غير محدد.. وسرعان ما نكتشف أن الإسلام كله متهم ومدان.. ومن ثم فإن دول العالم العربى والإسلامى هى محور الشر المقصود.. وبدرجات متفاوتة.. وتصنيفها يعتمد على رؤية زعماء الليكود.. ما رأوه حسناً فهو حسن.. أو على الأقل بعيد عن مرمى النيران.. ولو مؤقتاً.

على أن أمير الظلام - ريتشارد بيرل - لم يكتف بالكم الهائل من الحقد والتجريح والتحريض ضد الدول العربية والإسلامية فى كتابه، ولكنه عقد على مدى أسبوعين عدداً كبيراً من اللقاءات والمقابلات التليفزيونية التى يروج فيها للكتاب عن طريق الهجوم على سوريا والسعودية وإيران وعدد آخر من الدول العربية والإسلامية.. حيث قال إن السعوديين مؤهلون لعضوية محور الشر فى العالم، وأنه لم ير بعد الدليل على أنهم يقدمون كل التعاون المطلوب فى الحرب على الإرهاب.. ونادى بفصل الولايات الشرقية الغنية بالبترول إذا لم تنضم المملكة بكامل طاقتها للحرب ضد الإرهاب، ونالت سوريا القسط الأكبر من الهجوم حيث قال إن هناك مشاكل كبيرة فى علاقاتها مع أمريكا.. واتهمها بتسهيل دخول إرهابيين إلى العراق لقتل الأمريكيين، والاحتفاظ بأموال وأسلحة عراقية، وإنتاج أسلحة كيماوية.. وقال إن السوريين يرمون من وقت لآخر فتاتاً إلى الأمريكيين وقليلا من المعلومات، ويتخذون تدابير صغيرة ويأملون أن تنشغل واشنطن بذلك عن هدفها وهو حدوث تغيير حقيقى فى سياساتهم.. وتأمين أوسع منطقة ممكنة حول إسرائيل بأن يتم حجب النفط العراقى عن سوريا وملاحقة"الإرهابيين" داخل الأراضى السورية، حتى تقوم دمشق بتطبيق تغيير على النمط الغربى الكامل لسياستها واقتصادها.

وقد تزامن هذا التحريض السافر مع نفى كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومى الأمريكى - حينذاك - التوصل لأية أدلة قاطعة على نقل أسلحة دمار شامل عراقية إلى سوريا سراً قبل الحرب.. لكنه تزامن أيضا مع ما ذكرته صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية بأن دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى السابق والصديق الصدوق لأمير الظلام أوصى الرئيس جورج بوش بشن حملة عسكرية ضد سوريا.. وذلك بسبب دعمها المتواصل لحزب الله والسماح لمنفذى عمليات المقاومة بدخول العراق عبر أراضيها.. وهو ما يؤكد أن كتاب بيرل وشطحاته تمثل قناعات راسخة فى أذهان وزير الدفاع.. وكثيرين غيره فى الإدارة الأمريكية رغم عدم وجود دلائل عليها.

وفى لغة إرهابية فاجرة يقول بيرل إن على أمريكا دعم المعارضين الإيرانيين لقلب نظام الحكم فى إيران، وتوجيه ضربة استباقية وقائية ضد طهران.

حتى الأخ العقيد القذافى لم يسلم من لسان بيرل فى لقاءاته التليفزيونية بعد أن قرر وقف برنامجه للتسلح..فقد أعلن بيرل على الهواء مباشرة أنه يحتفل باستسلام ليبيا.. وقال إنه " لولا غزو العراق ورؤية القذافى لما حدث لصدام ما سلم أسلحته.. إنه لما رأى ذلك فعل ما فعل".

وهكذا.. فإننا أمام سيل جارف من الجنون والغطرسة قادم من واشنطن.. سيل سافر واضح القسمات.. لا يتخفى وراء كواليس.. هدفه محدد: تركيع الأمة العربية والإسلامية.. لم يعد يكتفى بشعارات تغيير المناهج الدراسية وتطوير الخطاب الدينى والتحول للديمقراطية والتمسح بحقوق الإنسان..كلا.. الأمر تجاوز هذه المرحلة بكثير.. ولو أصبح كتاب "نهاية الشر..كيف نكسب حرب الإرهاب؟" هو البرنامج الرسمى لإدارة بوش.. واستمعت واشنطن لما يقوله مستشار السوء "ريتشارد بيرل" ضد الدول العربية والإسلامية فقد تضطر إلى أن تطلق إنذاراً بالحرب كل يوم.. تقريباً.

# ١١

# إلى أى هاوية يأخذنا هؤلاء؟

فى ٢٤ مايو ٢٠٠٨ نشرت صحيفة " الشرق الأوسط " الصادرة فى لندن باللغة العربية مقالاً للكاتب زين العابدين الركابى تحت عنوان "ثم أطلقوا النار على المصحف.. إلى أى هاوية يأخذنا هؤلاء؟!" .. قال فيه:

كثرت أفاعيل القوم الكارهة للإسلام.. المجاهرة بالبغضاء ضده.. والمستهزئة بعقيدة المسلمين، فقد زعم جنرال أمريكى كبير بأن المسلمين (وثنيون)!!. وزعم ثان بأن شريعة الاسلام لم تنزل من السماء!.. وطالب أحمق منهم بقصف الكعبة ومحوها.. وانبعث شقى منهم يستهزئ بنبى الإسلام من خلال رسومات تتاهت فى البغضاء واللؤم.

ثم أطلق عسكرى أمريكى فى العراق:(الرصاص على المصحف الشريف).. ونحن لا نشك فى أن مطلق الرصاص جاهل:

١ ـ جاهل بأن هذا الكتاب الذى اتخذه هدفا للرمى بالرصاص رفع شأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فقال«اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين».. ومجّد الإنجيل الذى أنزل على المسيح فقال«وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين».. ومجّد البتول مريم ابنة عمران: أم المسيح فقال: «وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين».

٢ ـ وجاهل لأننا رأينا فى الصورة أنه أطلق الرصاص على صفحات من سورة (الأنبياء)!! أى السورة التى انتظمت سيرة منظومة كريمة وضيئة من أنبياء الله ورسله، منهم كوكبة من أنبياء بنى اسرائيل.. ومنهم ـ كذلك ـ المسيح عيسى وأمه مريم: «والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين».

نعم.. الفاعل جاهل بذلك كله، لكن الجهل ـ وحده ـ لا يعبئ الناس بهذه الأطنان الضخمة من الضغن، والكراهية، والبغضاء. ومن هنا، فإن هذا العسكرى الأمريكى الذى أطلق الرصاص على المصحف قد عبئ وشحن بكراهية القرآن: على يد ربما مدرب عسكرى يحمل أيديولوجية طافحة بعداوة القرآن.. أو على يد قس احترف (تعليم) الناس كراهية القرآن.. أو شحن هذا العسكرى الأمريكى بهذا الكم الضخم من البغضاء ضد القرآن عبر الخطاب السياسى والإعلامى والثقافى العام الذى أصبح (عملة رائجة) فى الولايات المتحدة الأمريكية فى السنوات الأخيرة، وليس آخر فقرات هذا الخطاب ما قاله القس الإنجيلى رود بارسلى عن رسول الإسلام، إذ قال ـ قبح الله وجهه ـ: «إن محمدا هو الناطق باسم مؤامرة شيطان شرير».. ولئن كان مطلق الرصاص على القرآن: شخصا عاديا فردا ـ كما قيل ـ فكيف يتفوه بهذه المقولة الفاجرة رجل دين يدعى أنه داعية إلى دين المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم: المسيح الذى كان لا ينطق إلا طهرا وسلاما، ولا يقول إلا قولا نبيلا ساميا متأرجحاً بفوح العبارة الراقية؟.. ثم كيف يتخذ جون ماكين المرشح الجمهورى للرئاسة الأمريكية فى الانتخابات القادمة، كيف يتخذ ماكين هذا القس البذىء معاونا دينيا له؟!.. ولعل قولنا: إن الخطاب السياسى والدينى والإعلامى العام فى أمريكا قد أسهم فى تعبئة العسكرى الأمريكى المعتدى على القرآن بالرصاص.. لعل المقام يقتضى توثيق قولنا هذا بما يقتضيه منهج التوثيق.. ومن ذلك:

أ ـ «إن إله المسلمين يحضهم على العنف، وعلى قتل الآخرين.. إن إلههم يرسلهم ليموتوا من أجله، بينما إلهنا يفعل العكس».. وزير العدل الأمريكى الأسبق.جون أشكروفت.

ب ـ «إن نبى الإسلام شخص متعصب وقاتل وقاطع طريق».. القس الشهير: بات روبرتسون.

ج ـ «إن نبى الإسلام إرهابى».. القس الشهير جيرى فالويل.

د ـ «إن القرآن هو مصدر العنف والإرهاب».. مجلة (تايم) الأمريكية.

ومن قبل عمد سدنة سجن جوانتانامو إلى محاولة (تدنيس) القرآن.. وخارج أمريكا: معروفة هى قصة الفيلم الهولندى المسىء للقرآن.

هذا الشحن النفسى والفكرى الواسع النطاق ضد القرآن - والإسلام - هو بلا شك دافع من دوافع ذلك العسكرى الأمريكى الذى أطلق الرصاص على القرآن فى العراق.

ونحسب أنه من المهم تخصيص ما بقى من المقال لقضيتين يتوجب فتح العين عليهما: بعدالة وعقل ومسؤولية:

أولا: قضية الفروق بيننا وبينهم فى العلاقة بالكتب السماوية التى أنزلها الله على رسله وأنبيائه ومنهم موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم.. فهم يتطاولون على القرآن، ويتعمدون الإساءة إليه لأنهم (لا يؤمنون) به.. أما المسلمون فلا يستطيعون فعل ذلك.. لماذا؟.. لأنهم يؤمنون بالتوراة والإنجيل لأنهما أتيا من الله - كما القرآن بالضبط -: «نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان».

هذا هو الفرق الضخم بين تعصبهم المقيت، وبين تسامحنا الكريم.. ومن أراد مزيدا أو شيئا من التفصيل فها هو ذا: بينما هم يدنسون المصحف فى جوانتانامو، ويطلقون النار عليه فى العراق، نجد نبى الإسلام يعظم التوراة أيما تعظيم.. لقد دعا نفر من اليهود النبى فأتاهم فى بيت المدارس، فعرضوا عليه قضيتهم، فوضعوا لرسول الله وسادة فجلس عليها، ثم قال ائتونى بالتوراة، فأتى بها، فنزع الوسادة من تحته، ووضع التوراة عليها وقال:«آمنت بك وبمن أنزلك».. ومع وجود هذه الفوارق الكبرى، نلقاهم يزعمون أنهم هم أهل التسامح، وأننا نحن أهل التعصب!! (ملاحظة: معروف ان التوراة، أى العهد القديم، هى المرجع الدينى الأعلى والأسبق لمعظم مسيحيى العالم ولا سيما البروتستانت).

ثانيا: القضية الثانية هى: أن هذه الإساءات (المسيحية) المتعددة للإسلام: عقيدة وشريعة، قرآنا وسنة، رسالة ورسولا، تكوّن (ظاهرة) متناسقة الأجزاء (بمقتضى المنهج الوصفى الكمى وبموجب منهج تحليل المضمون): ظاهرة تضطر الرأى العام الإسلامى فى العالم إلى أن يفهم - بالاضطرار -: أن (الصراع دينى) بين المسلمين والغرب: بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.. ومن أجزاء الظاهرة - المتممة لما سبق -: قول الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن - وهو يسوغ الحرب على العراق -: «إنه سمع

هاتفا إيمانيا يهتف به: جورج.. جورج: هيا اتخذ قرار الحرب على العراق».. وقد تأيد هذا المنزع العقائدى الإيديولوجى الطاغى - مثلا - بـ (الخطاب التوراتى الصريح) الذى ألقاه بوش فى الكنيست الإسرائيلى. فمن يدرس هذا الخطاب يجزم بأن ملقيه (حاخام) مخضرم، لا رئيس الجمهورية الأمريكية (العلمانية)، ولذا قال صهيونى متطرف: «إن جورج بوش أكثر صهيونية منا»!.. وفى تسويغ الحرب على العراق، قال تونى بلير: «لقد دخلت فى صراع مع ضميرى حول مشاركة الولايات المتحدة فى شن حرب على العراق. ولقد استلهمت العقيدة فأيقنت أن قرار الحرب على العراق هو من مشيئة الله وفعله».

فإلى أى هاوية كونية يأخذنا هؤلاء الناس؟.. إننا نكدح منذ سنوات لتفهيم أمتنا: ان الصراع ليس دينيا.. وسبب التفهيم:

١ - أنه ليس من مصلحتنا ولا من مصلحة أى أحد ان يلتهب الكوكب بحروب دينية: دونها الحروب النووية: فى الرعب والعنف والآثار.

٢ - لأننا موقنون أن هؤلاء الذى يسعرون الصراع بوقود دينى هم أبعد ما يكونون عن تعاليم المسيح عليه السلام. فالحد الأدنى من هذه التعاليم هو (لا تكذب).. وهؤلاء يكذبون كما يتنفسون.. وهل نسى الناس سبب تسويغ الحرب على العراق بكذبة وجود أسلحة دمار شامل فى ذلك البلد؟!

إن هذه الإيحاءات الخبيثة - والبليدة - بأن (المعركة دينية) ستخدم الإرهاب بما لم يحلم به. ذلك أن النقطة المركزية فى أجندة العنف والإرهاب هى: ان الصراع دينى، وبناء على هذه النقطة يجندون ألوف الشباب من كل جنسية.. ومما لا شك فيه أن ظاهرة الإساءات المبرمجة للإسلام ستصدق هذا البند من أجندتهم.

فهل يدرك (العميان الاستراتيجيون) هذه المخاطر؟، وإذا لم يدركوها فهل يعقلها عقلاء العالم، ويعملون بمقتضاها؟

والسطور الأخيرة موجهة لمسلمى العالم أنفسهم - قادة سياسيين ومؤسسات دينية وعلماء ومفكرين -، هؤلاء يتوجب عليهم أن يتخذوا موقفا قويا فى هذه القضية، خاصة: ان الإساءات موجهة إلى ثوابت مجمع عليها. وإن لم يفعلوا، فإنهم يتورطون - كذلك - فى إخلاء الساحة لأهل العنف والإرهاب، فحين يغيب العقلاء يحضر الحمقى والمجانين فتكون فتنة.

(١٢)

# كيف سيذكر التاريخ بوش الصغير؟!

فى ٢٢ يونيو ٢٠٠٨ نشرت صحيفة "الاتحاد" الإماراتية مقالاً للأستاذ الجامعى د. طارق سيف تحت عنوان "كيف سيذكر التاريخ بوش الصغير؟!.. قال فيه "

التاريخ لا يذكر فقط العظماء وصانعى الأحداث الذين كان لهم الفضل فى تطوّر وتقدم الإنسانية، من قادة وزعماء وسياسيين واقتصاديين وعلماء ومخترعين وفنانين وأدباء وغيرهم من صنّاع الحضارة الإنسانية، كنماذج قدوة لغيرهم، بل سيذكر أيضاً الديكتاتوريين والفاسدين والفاشلين والفاشيين ودعاة الحرب والمدمرين من بنى البشر أياً كان موقعهم على الخريطة الإنسانية ليكونوا عبرة لغيرهم، فالتاريخ لا يعرف المجاملة لأحد ولا يقبل الرشوة من أحد، لذلك فإن سجل التأريخ لحقبة حكم الرئيس الأمريكى بوش الصغير سيحتوى على فصول وصفحات تسجل للرجل ما له وما عليه، لن تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، ورغم أن ما كُتب أثناء ولايته أكثر مما كتب عن أى زعيم أمريكى آخر، خاصة الجانب السلبى فيها، فإن ما سيكتب بعد أن يترك كرسى الرئاسة، غير مأسوف عليه، سيكون أكثر بكثير.

سيكون كشف حساب التاريخ عسيراً، ولن يرحم بوش الصغير تمسحه بالدين أو صداقته للشيطان، ولن ينقذه "المحافظون الجدد" أو القدامى، ولن يشفع له حسنُ نواياه أو شرُّها.

ومن المعروف أن لأى رئيس دولة سياستين، إحداهما داخلية والأخرى خارجية، وهما وجهان لعملة واحدة اسمها استراتيجيته أو مواقفه أو سلوكه فى التعامل مع التحديات والتهديدات والمخاطر والأزمات والكوارث.

وحول السياسة الداخلية للرئيس بوش الصغير فإن التاريخ سوف يسجِّل الكثير من الأعمال يتركز أهمها فى الآتى:

- تقييد الحريات الشخصية واختراق خصوصية المواطن الأمريكى من خلال عمليات التنصت والتجسس والتصوير والمراقبة والتتبع لكل سلوكياته وأنشطته على مدار الساعة بزعم مكافحة الإرهاب وتأمين أرض الوطن، مختزلاً كل جهود سابقيه فى بناء الحلم الأمريكى القائم على الحرية.
- تدهور الاقتصاد وتراجع قيمة الدولار مقابل العملات الأخرى، مما أدى إلى ارتفاع نسبة التضخم وارتفاع الأسعار ودخول الاقتصاد الأمريكى مرحلة ركود.
- ضعف رد الفعل القومى تجاه الكوارث مثلما حدث فى إعصار كاترينا الذى نجمت عنه خسائر فادحة.
- تشويه صورة الحزب الجمهورى فى نظر المواطن الأمريكى، وإقناعه بأن قادة الحزب دعاة حرب مهما كانت الخسائر البشرية فى الشباب الأمريكى.
- الكذب ليمرر قراراته ويبرر تصرفاته وينفذ أجندة المحافظين الجدد بزعم حماية الأمن القومى الأمريكى، ومن المدهش أن الكذب نجح فى خداع الأمريكيين ودفعهم فى البداية إلى تأييد بوش الصغير وقراراته.
- أدى إلى خفض أعداد الطلبة العرب الدارسين فى الجامعات الأمريكية، الأمر الذى قاد مباشرة إلى تراجع الدخل المادى لهذه الجامعات وحد من انفتاحها على العالم.
- ازداد عدد الأسر الأمريكية التى تعتمد على الضمان الاجتماعى بنسبة ٧,٥٪ وهو رقم كبير إذا علمنا أن عدد سكان الولايات المتحدة يقترب من ٣٠٠ مليون نسمة، كما قضى على نحو ٤,٠٠٠ عسكرى أمريكى فى العراق.
- زاد الإنفاق العسكرى الأمريكى فى عهده بنسبة ٤١٪، ضاعت فى مغامرات عسكرية لم تجنِ منها أميركا شيئاً سوى السمعة السيئة.

وإذا انتقلنا إلى سجل التاريخ للتعرف على ما سيدوّنه بشأن السياسة الخارجية لبوش الصغير، فسنجد الآتى:

● استطاع تغيير السياسة الأمريكية من دعم "طالبان" و"القاعدة" فى أفغانستان إلى شن حرب شديدة الوطأة عليهما، إلا أنه لم يُنهِ العمل وترك أفغانستان ترزح تحت حالة من عدم الاستقرار وافتقاد الأمن الداخلى، سمتها الرئيسية الكر والفر بين قوات الاحتلال و "طالبان" و"القاعدة".

● أعلن الحرب ضد عدو مجهول الجغرافية والجنسية والعرق والعقيدة والمذهب، فلم تؤتِ الحرب ثمارها سريعاً، وزج بالقدرات الأمريكية فى نفق مظلم ضاع فيه الطريق، وربما تحتاج إلى عقود من الزمن حتى يمكن أن تصل إلى نهاية لا يعلم نتائجها إلا الله سبحانه وتعالى.

● غزا العراق فشرّد ربع سكانه، ووضع النصف فى مواجهة الدمار والقتل العشوائى، واعتقل الربع المتبقى فى سجون ذات سمعة أمريكية سيئة، وانتهت دولة العراق على يديه،وفرض سيطرة الولايات المتحدة على نفط العراق.

● أحيا معتقل جوانتانامو، وزج فيه بمن يريد دون اعتبار للتهم والأدلة والمحاكمات وإجراءات العدالة وحقوق الإنسان، ودفع الناس بل والرأى العام الأمريكى إلى التعاطف مع المعتقلين، بعد أن كانوا يتمنون خلاص العالم من شرورهم.

● رفض الاعتراف بالمحكمة الجنائية الدولية، وسعى إلى تقويض قانون تنظيمها لمنعها من محاكمة أى أميركى بجرائم ضد الإنسانية، لأنه علم مسبقاً ماذا سيفعل هؤلاء فى العالم، ومن ثم فإن واجبه يحتم عليه حمايتهم.

● أسهم فى ارتفاع سعر برميل النفط إلى قيم خيالية، ولكن الشركات الأمريكية النفطية التى يرتبط بها كثير من أعضاء الإدارة الأمريكية كانت المستفيد الأول من هذه الزيادة.

● منح إسرائيل الفرصة لتعبث بأرواح الفلسطينيين وتصادر المزيد من حقوقهم وتتوسع فى الاستيطان.

من المؤكد أن هناك الكثير من الأحداث التى سيذكرها التاريخ فى سجل بوش الصغير الحافل بالسلبيات، بل ربما يصبح ذلك السجل نموذجاً لما يجب أن يتجنبه رؤساء الولايات المتحدة فيما بعد!

(١٣)

# الاستراتيجية الأمريكية.. ونتائجها

نشـرت مجلة " آخـر سـاعـة " مقـالين متتـالين فـى ٢٨ يونيـه و٤ يوليـه ٢٠٠٨ للخـبيـر الاسـتـراتيـجـى ممدوح عـبـد المنعم تحت عنوان" العـالم بعـيـون أمـريكيـة:حـقـائق ووثائق" وتركـز الوثيـقـة التى حـملهـا المقـالان على الخطط الأمريكية لإعادة ترتيب الأوضاع استراتيجياً فى منطقة الشرق الأوسط حتى عـام ٢٠٢٠.. وهى تمثل توجهـات إدارة بوش الابن، ووافـقت عليـهـا لجـان الكونجرس فى مناقشات سرية لتكون أساساً للسياسة الخارجية الأمريكية تلتزم بها جميع الإدارات الأمريكية القادمة.

تؤكد الوثيقة "الخطة" على أن "القرن الجديد لابد أن يعيد إلى العالم مفهوم الخضوع للقوة العسكرية الأمريكية التى ستنطلق لردع كل أعدائها".. وتضيف الوثيقة أن ردع الدول الضعيفة سيؤدى إلى إشاعة الخوف فى الدول القوية عسكرياً لأن الانتصار الأمريكى سيكون ساحقاً.

وما يهمنا فى هذه الوثيقة الخطيرة أنها تركز وبوضوح فاجر على الأهداف الآتية:

● منع إنتاج أو حيازة أسلحة الدمار الشامل بشكل تام فى دول الشرق الأوسط فى حين أن إسرائيل يجب أن تظل هى الدولة النووية الوحيدة فى هذه المنطقة والقادرة على التدخل فى أوقات الحسم العسكرى لصالح

الولايات المتحدة.. ويظل السلاح النووى الإسرائيلى هاجساً أمنياً مهماً لردع الدول الأخرى وإرباك حساباتها.

● انهيار أنظمة الحكم المعادية فى الشرق الأوسط هو أقصى الأهداف الاستراتيجية.. وإعلان الاستسلام النهائى للحروب الأمريكية ضد أنظمة الشرق الأوسط يعنى الوصول إلى مرحلة تخلى النظام السياسى كاملاً عن الحكم والمسئولية السياسية، وإعطاء هذه المسئولية السياسية تماماً للقوات الأمريكية لإعادة النظر وإدخال الإصلاحات اللازمة فى النظام السياسى.

● حياد الأنظمة العربية تجاه المخططات الأمريكية لم يعد مقبولاً.. هذه الأنظمة يجب ألا تستمر إلا إذا تحولت إلى دول مؤيدة لأمريكا تأييداً مطلقاً.. وإن فئة الصحفيين والمثقفين والأكاديميين وغيرهم لابد أن يشكلوا كتيبة أمامية فى هذه الدول لتبرير السياسة الأمريكية والتأكيد على نجاحها.

● السيطرة الأمريكية فى أى بلد لابد أن تكون محددة بنطاق معين، وهو نقل السلطة الكاملة فى هذا البلد إلى أتباع أوفياء لا يفعلون شيئاً أو يقومون على اتخاذ قرار دون الرجوع إلى البيت الأبيض. وأن يقبل هؤلاء أن يشاركهم فى الحكم ثلاثة أشخاص أمريكيين: مستشار للشئون السياسية ومستشار للشئون الاقتصادية ومستشار للشئون العسكرية.. وهؤلاء المستشارون فى إمكانهم أن يعترضوا أو يرفضوا أى قرار طالما يتعارض مع المصلحة الأمريكية العليا.

● نقطة الانطلاق فى عملية إعادة بناء الدول العربية هى - أننا أى الأمريكيين - لا نكره الإسلام لكونه ديانة يعتنقها عدد كبير من سكان العالم ولكننا نكره الإسلام لأن قيمه الثقافية ومنطلقاته الفكرية تتعارض فى كثير من الأحيان مع أسس الفلسفة والثقافة الأمريكية. ومن ثم فإن الإسلام ضد الثقافة الأمريكية التحررية.. ولكن الثقافة الأمريكية التحررية لن تصطدم بالإسلام خاصة فى أنماط جديدة تقدمها للحياة.

● إعادة بناء الدول التى تستهدفها الحرب الأمريكية تحتاج إلى سنوات، إلا أنه من المهم التأقلم الأمريكى مع شعوب هذه الدول المستهدفة تدميراً كاملاً حتى لا تتشكل خلايا للمقاومة المسلحة.. كما أن السيطرة على القوات

المسلحة لأية دولة تبدأ من جمع الأسلحة وتفريغها من قياداتها سواء باستقطاب هؤلاء القادة أو إجبارهم على الرحيل نهائياً عن هذه القوات!

● العراق كان البداية.. ثم تركز الاستراتيجية الأمريكية على الدول المسماة بالمارقة.. سوريا وإيران وليبيا والسودان.. دون ترتيب معين، وإنما وفقاً للمتغيرات والمستجدات الإقليمية.. وفى المرحلة التالية يتم التركيز على الدول المعتدلة، وبالذات مصر والسعودية.

● إن الضغوط على سوريا من قبل أمريكا وإسرائيل لا تأتى رداً على أن سوريا تمثل بعداً استراتيجياً لإيران أو أنها تحتضن منظمات إرهابية فلسطينية منظمات المقاومة، وإنما لارتباطها بالخطة الاستراتيجية الأمريكية التى تعتبر سوريا هدفاً تالياً بعد العراق وإيران ثم ليبيا فالسودان فمصر، مع الأخذ فى الاعتبار ثانية أن الترتيب غير مقصود.. لأنه يخضع للعديد من المتغيرات.

وقد أكد الخبير الاستراتيجى أن الوثيقة الخطيرة تحمل " خطة القرن "، وأعدها طاقم المحافظين الجدد الذين قادوا سنوات بوش الثمانية العجاف: دونالد رامسفيلد وزير الدفاع السابق وريتشارد بيرل الملقب بأمير الظلام وبول وولفوتيز الذى خرج من " البنتاجون " إلى البنك الدولى، ثم خرج من البنك الدولى بفضائح نسائية مشهورة.

ولا شك أن نتائج هذه الاستراتيجية ظهرت بوضوح فى السياسات التى اتبعتها إدارة بوش.. على النحو التالى :

- حصار العديد من الدول العربية والعمل على احتوائها، وملاحقتها بالاتهامات والعقوبات وإدخالها فى مشاكل وتعقيدات داخلية، دينية أو عرقية، وتهديدها بالانقسام.. من خلال تشجيع حركات التمرد وإثارة النعرات الطائفية.

- تقسيم العالم العربى إلى دول معتدلة ودول مارقة أو ممانعة..وإثارة الفرقة الدائمة بين المعسكرين حتى لا يلتقيا.

- ضرب منظمات المقاومة وتشويهها ودمغها بالإرهاب، وشغلها بصراعات داخلية تبتعد بها عن هدفها الأساسى..وتفريغ قضاياها من مضمونها.

- استخدام لافتات وعناوين براقة لفرض تغييرات جوهرية فى طبيعة التركيبة الاجتماعية والثقافية والدينية للشعوب الإسلامية، مثل توطين الديمقراطية، وإصلاح الدين، والحريات الدينية،وحقوق الإنسان، وتشجيع منظمات المجتمع المدنى، والابتعاد بهذه العناوين عن أهدافها الحقيقية.

- تشويه الإسلام بصفة مستمرة، والربط بينه وبين الإرهاب، ووضعه دائماً فى قفص الاتهام، والدعوة إلى تطويره أو تغييره حتى يلائم العصر.

- إثارة حملات الكراهية ضد الإسلام والخوف منه، والإساءة إلى رموزه وإهانتها.

- العمل على استنزاف ثروات الدول الإسلامية والعربية وإحباط أية محاولات جادة للتنمية فيها.

- محاصرة العمل الخيرى الإسلامى تحت دعاوى محاربة الإرهاب.

- التحريض ضد التعليم الدينى فى الدول الإسلامية واتهامه بالتخلف والجمود والإرهاب، مع أن هناك مدارس وكليات دينية- غير إسلامية- فى جميع أنحاء العالم.

- إثارة الشبهات حول مناهج التعليم فى العالم الإسلامى والسعى إلى تبديلها بدعوى التطوير.

- استخدام المعونات واتفاقيات الشراكة فى اختراق الخصوصية الثقافية والدينية للعالم العربى والإسلامى.

ومن العجيب أنه مع ظهور هذه السياسات وتطبيقها ما زال الأمريكيون يتساءلون:لماذا يكرهوننا ؟.. مع أن الإجابة واضحة وضوح الشمس.

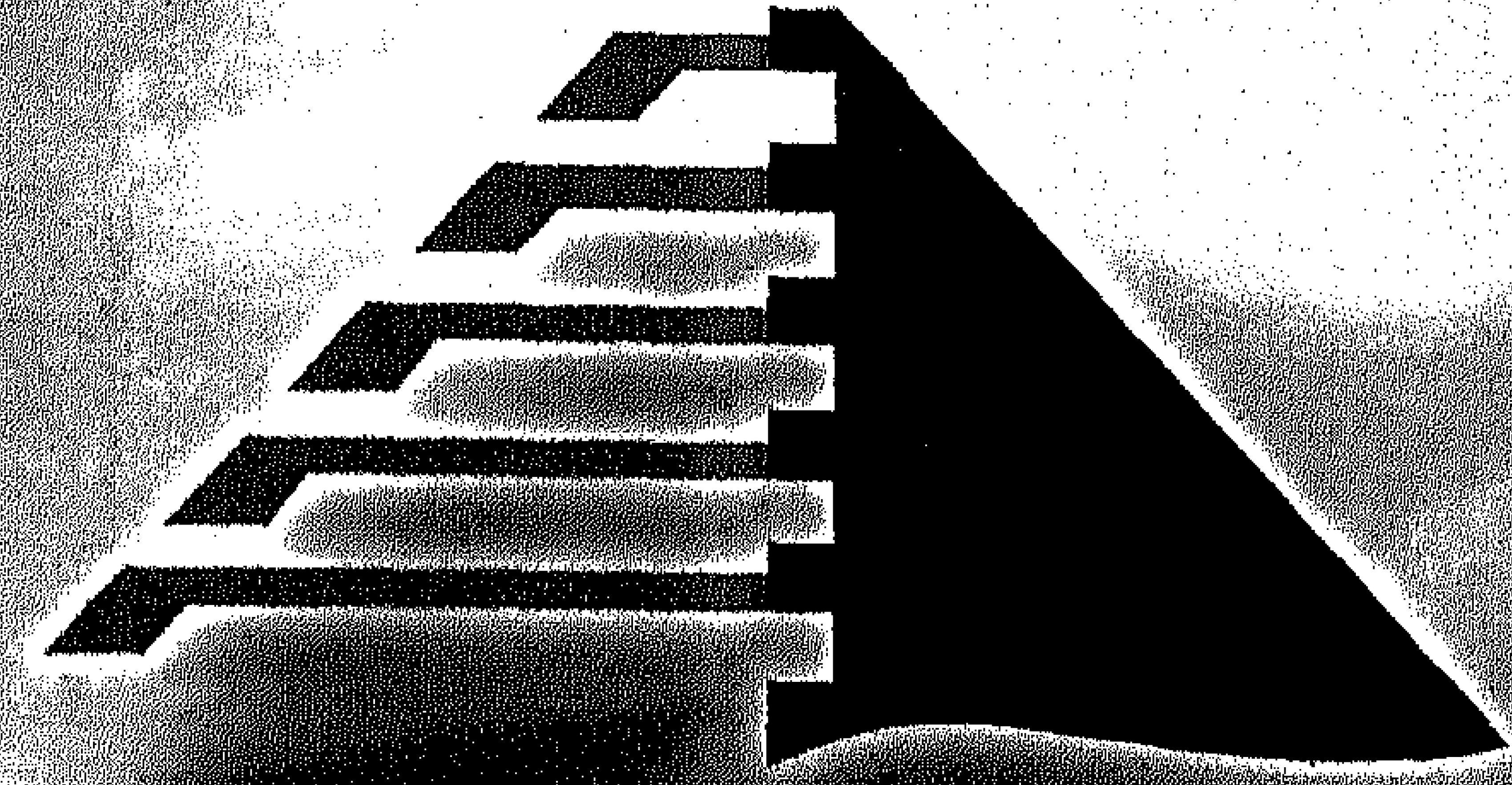
# الفهرس

| الموضوع | صفحة |
|---|---|

| الموضوع | صفحة |
|---|---|

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٦٩٤٧
الترقيم الدولى : I.S.B.N - 977-236-640-1

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة





الدين هو عنوان السلام والحب والإيثار والتعاون والتسامح.. أما الحرب فهى عنوان الجشع والطمع والأنانية والرغبة فى الهيمنة على الآخرين، الدين لا يدعو للحرب، لكن الحرب هى التى يمكن أن توظف الدين لتحقيق أهدافها، وعند هذه النقطة التقى الدين والحرب فى السياسات والاستراتيجيات التى وضعتها الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس جورج بوش الابن، بدعوى الحرب على الإرهاب، بينما هى فى الحقيقة صورة جديدة من صور الحروب الدينية التى عرفتها الإنسانية فى عصورها الغابرة.

**مؤمن الهباء**

**الثمن ١٥ جنيها**